الجزء الثاني	المجلد الخامس والثلاثون



مجلة المجمع العلمي العراقي



رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م









رجب ١٤٠٤ هـ
نيسان ١٩٨٤ م



عقوبات العرب في جاهليتها
وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم

للعلامة السيد محمود شكري الألوسيّ

حققه وشرحه
الأستاذ : محمد بهجة الاثري/ عضو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الثواب والعقاب قانونان متلازمان ولازمان لحفظ المجتمع البشريّ ، وبعث طمأنينته ، وضمان استقراره ، واطّراد نمائه وازدهاره .

واذا كان التزامُ الجماعات والأفراد حدودَ الشرائع وما يتفرّع منها من قوانين ونُظُم عادلة ، وإحسانُهم الأعمالَ ، وأداؤُهم الحقوق ، وحسنُ رعايتهم للواجبات : كلّ أولئك مما يحقّق بناء المجتمع الفاضل — فإنّ تعدّي هذه الحدود بابتعاث الفوضى ، والإخلال بالأمن ، واجتراح المنكرات ، يمهّد لتداعي هذا البناء والإتيان عليه من قواعده ؛ إذْ كانت هذه المنهيّات مفاتيح للشرّ والفساد ، ومغاليقَ للخير والصلاح ، ولا يقوم مجتمع فاضل باستشراء الجرائم فيه : تعبث وتعيث في أحشائه من غير وازع من دينٍ أو ضمير ، ولا رادع من سلطان عادل قوي أمين .

ومن هنا ، شغلت الجريمة مُذْ تكوُّن المجتمعات الأولى الى عصرنا الراهن —

أذهانَ الرؤساء المهيمنين على مصالح مجتمعاتهم ، وابتعثتِ المفكّرين إلى خلق الوسائل التي تستأصلها ، أو تَرْدَعُها وتكفكف طَغْواها ، فابتدعوا أنواعاً من العقوبات الرادعة للمجرمين : من قَتَلَة ، وقطّاع طرق ، ولصوص ، وزُناة ، ولاطة ، وخَوَنَة ، وجواسيس ، . . حفظاً لحياة الآخرين ، وتسكيناً لمن تَرُوعُهم الجريمة ، وبعثاً للطمأنينة الى النفوس بأن هناك عيوناً ساهرة ترعى لها أمنها ، وتحفظ سلامتها . فتستقرّ وتهدأ ، وتمضي في أعمالها قُدُماً لتحقق رخاءها ورخاء المجتمع ونماءه وازدهاره .

وكما عَرَفَتِ الأمم والشعوب ضروباً من التشريع لقمع الجرائم : عَرَفَ المجتمع العربي قبـل الإسلام بأزمان متطاولة عقوباتٍ شتّى . إصطلح الناس عليها ، وأقَرُّوها بالعُرْف ، وتوارث سُنَنَها الخَلَفُ عن السّلَف ، حيث الحضارةُ في المدن ، وحيث البداوةُ والمجامـع القبيلية [1] الرّحّالة أو المستقرّة بعضَ الاستقرار . ولم تكن لهؤلاء دولة جامعة ، وإنما كان لهم ما نسميه اليوم « مَشيخات » ، إلى أن جاء (الإسلام) ، فوحدتهم دولته بتشريعها الإلهيّ العادل الرحيم الحكيم ، وقد أَلْغَى من أحكامهم ما أَلْغَى لفساده وضرره ، وأَقَرَّ منها ما أَقَرَّ لصلاحه ونفعه ، وقام على أساسه الرصين بناءُ المجتمع الفاضل في جزيرة العرب وحيث امْتَدَّ سلطانه وأشرقت شمسه .

ولكن ما أنواع العقوبات عند العرب قبل الإسلام ، وما حدود المعاصي التي كان يقترفها بعضهم ، ويخرج بها على العُرْف ؟

هذا ما حاولت دراسة شيخنا الأكبر العلامة الشهير السيد محمود شكري

---

(1) ياء « فَعِيلَة » تبقى عند النسب اذا كان اللفظ اسم جنس يدل على التعدد والكثرة ، وتحذف اذا كان علماً ، الا لعلة تقتضيها ، فتبقى ، فيقال مثلا : تميمي ، ولا يقال : تممي . ذكرت هذا لاضـطرابه في الأذهان وتخبط الأكثرين فيه .

الألوسي ، رحمه الله – التي أضعها تحت أنظار قراء العربية – أن تُيَسِّرَ معرفتَه ، فمادّتُها نزرة في الآثار والكتب ، ومنتشرة في تفاسير القرآن الكريم وشروح الحديث الشريف ، وشروح أشعار الشعراء الجاهليين ، وليس من السهل على طالبها الإمعان في البحث عنها . . وقد لَمّت هذه الدراسة الطريفة المفيدة الممتعة أطرافاً منها ، ولست أعرف في موضوعها دراسة مستقلة غيرها ، وإن كانت جملتها لم تبلغ غاية المدى أو الشوط الأبعد . ولهـذا أسباب عدّة . وحَسْبُها أنّها فتحت الباب لِوُلُوجه ، وعبّدَت الطريق لسلوك جَدَدِه ، وعلى الخلف متابعة مجهود السلف وبناء الصَّرْح فوق الصَّرْح .

وقد خص العلامة الأَلُوسيّ ، رحمه الله ، بهذه الدراسة : « العقوبات عند عرب الحجاز ونجد وأضرابهم ، لا عرب جميـع أنحاء الجزيرة ، فهؤلاء كانت لهم أحكام خاصة متوارثة ، وهي التي أراد بحثها ووقف جهده عليها في دراسته هذه ، وترك ما كان عند عرب اليمن وعرب الشام والعراق من العقوبات » ، ذلك أنّ : « عرب اليمن كان منهم يهود ونصارى ، ومنهم غير ذلك . وكذلك عرب الشام والعراق كانوا على نِحَلٍ شَتّى » . فالعقوبات عند هؤلاء ، غير العقوبات عند من خصهم بالذكر على نحوٍ مّا من الأنحاء التي تقضي بها الشرائع والنِّحَلَ .

وقد سمى العلامة الألوسي ، رحمه الله ، دراسته هذه :

« عقوبات العرب في جاهليتها وحـدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم » وبدأها بالكلام على « الحدّ » في عُرْف العلماء ، وماقيل في وجوب الحدّ به ، ثم ذكر معناه في العربيـة ، وإطلاقه في الشرع الإسلاميّ ؛ وأتمّ من العقوبات عند عرب الجاهلية بتسعة ، لا قصراً وحصراً ، ولكن بالمقدار الذي تَيَسَّر له فوقف عنده ، وهي :

١ــ قطع يد السارق ، وبها نزل القرآن الكريم .
٢ــ قتل الزاني ، وقد كان الزِّنى عندهم من أعظم المنكرات .
٣ــ القِصاص ، وقد جاء به القرآن على تفصيل لم يكن في الجاهلية .
٤ــ إعطاء دية القتيل .
٥ــ دِيَةُ الملوك اذا قُتِلوا (ويليه كلام على التّعقية) .
٦ــ العاقلة ، وهم العَصَبَة أي القرابة من قِبَلِ الأب الذين يعطون دِيَةَ قتل الخطأ .
٧ــ الأسير ، وما كان يعامل به ، وفداؤه .
٨ــ عقاب مَنْ هجا من الشعراء .
٩ــ جزّ ناصية الرجل الشريف المأسور إذا أطلقوه ، يستبقونها عندهم ليفخروا بها .

وعند هذه العقوبة وقفت الدراسة ، وثَمَّ عقوبات أُخَر استدركتُ منها ما علمته ، وأفردتها في كتاب في آخر الدراسة . والاستقصاء يتطلب زمناً مديداً ، ومجهوداً كبيراً ، لا أملِك الآن منهما أكثر ممّا أتاحاها لي ، الى جانب ما أفضتُهُ على الدراسة من التحقيق والتعليق .

وهذه الدراسة في معظمها متممة لفصول كتاب المؤلف : (بلوغ الأَرَب في أحوال العرب) ، فانه لم يعقد فيه للعقوبات باباً ، وإن ورد فيه بعض ما ذكره فيها في الفصل الذي خَصَّ « ما كان العرب عليه من العبادات والأعمال في الجاهلية » ، ومنها ما جاء في هذا الفصل ولم يورده في هذه الدراسة . وليس منشأ هذا النقص فيها ، من خفائها عليه ، فقد كان ــ رحمه الله ــ العَلَم المفرد في العِلْم بتاريخ العرب قبل الإسلام ، الى جانب ضلاعته في علوم العربية والعلوم الإسلامية والمنقول والمعقول . ولكن من علة أخرى ،

هي انشغاله بما هو أهمُّ منها من المؤلفات الكبار ، وقد كان يقبل على وضع تآليف متعـددة الموضوعات في وقت واحد ، فيكتب في كل موضوع ما يكتب ، ويطغى الأهم عنده على المهم ، ثم يترك كل كتاب في مُسَوَّدَته ، قلّما يشغل نفسه بتبييضه ، ليقبل على تأليف كتاب آخر جديد .

ويفرض عليَّ الصـدقُ أن أعلن هاهنا : أنّني كنت نشرت هـذه الدراسة في الجزء الممتاز من صحيفة (العراق) السياسية اليومية ، الذي صدر في ٢٧ شوال ١٣٤٢ هـ / ٢ حزيران ١٩٢٤ م ، بعد التحاق صاحبها – رحمه الله – بالملأ الأعلى بأربعة وعشرين يوماً [1] ، تكريماً لذكراه ، واستجابةً لصاحب هذه الصحيفة أن أمدّه من آثار الفقيد العظيم بما يُزَيّنُ به هذا « الجزء الممتاز » . فلم أر من آثاره لَدَيَّ مما تلائم طبيعته وحجمه طبيعة هذه الصحيفة ومشربها السياسي غيرَ هذه الدراسة ، فقدَّمْتُها اليه منقولةً بخطّي عن خـطّ المؤلف وقراءتي لها عليه ، غيرَ مضبوطة ، ولا مُفَسَّرَة بشيء يوضح غوامض مادَّتها ، ويفسّر ما زخَر فيها من أشعار جاهلية عويصة ، وأمور أخرى كثيرة من الغريب ، لا يستغني عن تفسيرها وإيضاحها العلماءُ ، بَلْهَ الشُّداةَ ومَنْ إليهم من الدارسين ، ولم أعلّق إلا على خمس فِقَر منها لا تزيد جملتها على ثمانية عشر سطراً صغيراً ، جملة ما حوته نحوٌ من ١٣٠ كلمة . وسبب ذلك قِصَرُ الوقت بين الطلب والنشر ، ثم طبيعة منشورات الصحف السياسية التي لا تحمل الى جانب الفيض السياسي والأخباري إلّا نُطَفاً وقطرات من سحائب الأدب والعلم .

ثم جاءت (مجلة لغة العرب) ، بعد عامين وثلاثة أشهر من نشري لها ، فنشرتْها – في الجزء الثالث من أجزاء سنتها الرابعـة [أيلول ١٩٢٦ م] – مبتورةَ الثُّلُثِ الأخير منها ، وهو يتضمن فصولَ : « دية الملوك ، والكلام

---

(1) توفي في رابع شوال ١٣٤٢ هـ .

على التعقية ، والعاقلة ، والأسير وما كان يعامل به وفداؤه ، وعقاب من هجا من الشعراء ، وجَزّ ناصية الرجل الشريف المأسور إذا أطلقوه » .

وقدَّمت المجلةُ الدراسةَ إلى القراء بالإشادة بالمؤلف ودراسته ، فقالت :

« ليس بين علماء المسلمين ، في البلاد العربية اللسان ، من كان مطلعاً على أحوال جاهلية العرب كالأستاذ الكبير (السيد محمود شكري الألوسي) . وكنّا طلبنا اليه في سنة ١٩١٤ أن يضع لنا مقالة في عقوبات جاهلية العرب . فكتب لمجلّتنا المقالة التي تراها هنا ، وهي من أحسن ما كتب في هذا الموضوع . ولما كانت مجلتنا قد اختفت مدة ١٢ سنة ، لم يكن من الممكن إدراجها في مجلة أخرى، ولا سيما لأن (؟) المؤلف أبى أن يراها في غير (لغة العرب) . ولهذا نزيّن بها جيدها ، ونفتخر بها كل الافتخار » (لغة العرب) .

وإني لأستغرب أن يغيب عن (مجلة لغة العرب) العالم بنشر هذه الدراسة (لا المقالة) في « جزء ممتاز » لصحيفة سياسية يومية محاية سيّارة ؛ وكلتاهما تصدر ببغداد ، وليست إحداهما في مشرق الوطن العربي والأخرى في مغربه الأقصى . فإنْ فاتها علم ذلك « مباشرة » ، فليس من المعقول أن لا يبلغها ذلك من طريق أصحابها وزوّار مجلسها « البحّاثين » طَوالَ عامين وثلاثة أشهر . وليتها ، إذْ نشرتها بعد هذه المدة المديدة ، لم تبترها هذا البَتْرَ . وليتها ، إذْ بترتها ، لم تُخِلَّ بسلامة ما أبقته منها ، ولم تَضِمْهُ بالتحريف والتصحيف والتشويه ، وإنّه لكثير من مجلة تتمخض للغة العرب وللدراسات العربية العالية .

وكنت أغفلت في التحقيق الإشارة الى ذلك في مواضعه من الدراسة ، حتى اذا أنجزته وأقبلت على كتابة هذه المقدمة ، رأيت أن الأمانة العلمية ، وقد جنت على ذكر هذه المجلة ، تفرض أن أورد ذلك هاهنا صُبْرَةً واحدةً ، دفعاً للاغترار بها وبما أخلّت به وضامَتْهُ ، والحقُّ أولى بالحُرْمَة والالتزام . وهذا ما أَخَلّت به (مجلة لغة العرب) ، وصوابه :

١- في مجلة لغة العرب (م ٤ / ج ٣ / ص ١٢١) :

« وسمّيت عقوبة الزاني ونحوه حدّاً لكونها تمنعه المعاوّدة ولكونها مقدرة من الشارع » .

والنص في الدراسة هنــا (ص ٢١) : « . . . أو لكونها مقدرة من الشارع » .

٢- في لغة العرب (م ٤ / ج ٣ / ص ١٢٤) :

« فهلا أعــدوني لمثلي تفــاقدوا إذا الخصم انبرى مائل الرأس أنكب » .

وقد أخلّت (انبرى) بوزن البيت ، وأفسدت معنــاه . والبيت في الدراسة (ص ٣٩) :

فهــّلا أعدّوني لمثلي تفــاقدوا إذِ الخَصْمُ أَبْزَى مائل الرأس أنكبُ

٣- في لغة العرب (ص ١٢٤ أيضاً) :

« فظــل يضون التمر والتمرُ منقع بورد كلون الأُرْجوان سبائبــه

كأنك لــم تسبق من الدهــر ليلة إذا انت أدركت الّذي كنت تطلب » .

والنص في الدراســة (ص ٤١) :

« فظَلّ يَصُونُ التّمْرَ والتّمرُمنقَعٌ بوَرْدٍ كلون الأُرْجُوانِ سَبائِبُهْ

وقال (مُرَّةُ) :

كأنك لم تسبَقْ من الدهر ليــلةً إذا أنت أدركت الذي كنتَ تطلُبُ » .

وقد صَحّفت (لغة العرب) « يصون » بإعجام الصاد ، فصار « يضون » ، وليس له معنى ، وأسقطت عبارةَ « وقال مُرَّةُ » ، ووصلت البيتين المتباينين قافيةً ودلالةً ومعنى ، ولــم تفطن للفرق بين « سبائِبُهْ » في قافية البيت الأول ، و « تطلُبُ » في قافية البيت الثاني ، ولم تعد إلى نفسها تسائلها : ما الصلة والرابط المعنوي بين البيتين ؟

٤- في لغة العرب (ص ١٢٥) :

« وأرسل عبــدالله إذْحان يومه الى قومه : لا تعقلوا لهم دمي »

وفي الدراسة (ص ٤٤) :

« أرْسَل عبدالله . . » على (الخَرْم) ، أي : إسقاط الواو كما جاءت به رواية البيت ، وسيأتي في التعليق (٧٣ / ص ٤٤) .

٥ـ وفيها بعد هذا البيت :

« ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم وهل بطن عمرو غير بشر لمطعم »

وفي الدراسة (ص ٤٤) :

« وَدَعْ عنك عَمْراً إنَّ عَمْراً مسالمٌ وهلبطن عَمْروٍ غيرُ شِبْرٍ لمطعم ؟»

وأين « البشر » من « الشِّبْر » ؟ وما دلالته في سياق البيت ؟

٦ـ في لغة العرب (ص ١٢٦) :

« وفي الحديث : أسممت أن لا أتهب إلا من قرشي . . » .

وفي الدراسة (ص ٤٧) :

« وفي الحديث : هَمَمْتُ أَنْ لا أَتَّهِبَ ، إلّا من قُرَشِيَّ . . » . و « هممت » هي الصحيحة ، وليس لِـ « أسممت » معنى ، بل لا وجود لها في العربية .

٧ـ في لغة العرب (ص ١٢٦) :

« ووصف النعام بالمصلم تصغيراً لها » .

والنص في الدراسة (ص ٤٩) : « ووصفُ النّعام بالمُصَلَّم تصغيرٌ لها » .

٨ـ في لغة العرب (ص ١٢٦ أيضاً) :

« يقول : كأنكم مما تعيرون ليست لكم آذان » .

وفي الدراسة (ص ٤٩) : « تقول : كأنــكم . . » ؛ لأن التي تقول امرأة ، وهي كبشة أخت عمرو بن مَعْدِ يكرِبَ ، وهو من الوضوح بمكان .

❋ ★ ❋

وإذْ كان هذا الإخلال ـ الذي ضام هذه الدراسة العلمية المفيدة الممتعة

بعدم التحقيق أولاً ، وبالبَتْر ثانياً ، وبالتصحيف والتحريف والتشويه ثالثاً ، فأفسدها أو كاد وأفسد مجهود مؤلفها – رحمه الله – أمراً لا يليق حدوثه ، ولا ينبغي أن يُمْنَى بمثله أيُّ أثَر جيّد من آثار علمائنا المحققين الكبار – رأيت أنّ حقيقاً عليَّ أن أمحضها من مجهودي ما تستحقّه ، وأن أقدّمها إلى الدارسين كاملة النّصّ ، ومحقّقةً تحقيقاً علمياً دقيقاً ، مُوَفّراً لها الضبط والتفسير ، وألحق بها كتاباً مكمّلاً لها ، يتألّف من قسمين : القسم الأول أفردت فيه أشياءَ من عقوبات العرب الجاهليين لم تذكر في الدراسة ، والقسم الثاني أفردته لمسائل خرجت بها في أثناء الشرح إلى التفصيل لشدّة الداعية إليه ، وهي أحق بأن تكون فصولاً مستقلّة ، لا لضيق المقام بها فَحَسْبُ ، ولكن لإبرازها في الكتاب واضحة الصورة والقَسَمات أيضاً ، لتكون أبينَ للقرّاء . ثم صنعت للدراسة وللكتاب فهارس فنية متعدّدة ، تقريباً لفوائدها ، وتسهيلاً للعجلان أن يقع عليها في يسر وسهولة ، ولعلّي بلغت الغاية فيما صنعت . ورجيّتي من أهل العلم أن يوافوني بما يستدركونه عليَّ من سهو أو خطأ أو زلل ، لأُقَوِّمَهُ وأعلنه ، إذِ العلم أمانة في أعناق أهله ، وكل إخلال به إخلال بأمانته هذه ، ومن يكتم إصلاحه فإنّه آثمٌ قلبه ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

(٢)
مؤلّف الكتاب

وواضع هذه الدراسة هو العلامة الحجّة السّيد محمود شكري الحسينيّ الآلوسيّ البغداديّ ، رائد النهضة العلميّة والأدبيّة في العراق ، وأحد أركان الإصلاح الإسلاميّ ودعاته في العصر الحديث . . علامة فحل ، وعلم شامخ . جلّى في العلوم العقلية والنقلية ، وفاق في الكلام والعلم بالملل والنحل والمذاهب ، كما فاق في العربية وعلوم الأدب ومعرفة تاريخ العرب والأنساب وغيرها ، وجمع الى الاستيعاب الجامع والتطبيق الجلْد الصبورِ عُمْقَ التفكير واستقلاله ، وامتاز بالتحرر من التقليد امتيازَهُ بحرارة الإيمان والزهد وعزة النفس وسموّ الذات .

وهو سليل الأسرة الألوسية الحسينيّة الحسنيّة الشهيرة ، التي نبغت في العراق إبّانَ حكم المماليك في المئة الثالثة عشرة الهجرية ، وطبّقت شهرتها العلمية الآفاق .

ولد ببغداد في ١٩ شهر رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٢ أيار ١٨٥٦ م ، في دار جدّه الإمام أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي المفسر المحدث الفقيه اللغوي الأديب المنشئ المبدع ، صاحب تفسير « روح المعاني » والآثار الحسان في اللغة والأدب والرِّحَل . وتخرج بأبيه العالم الأديب الكاتب عبدالله بهاء الدين ، وعمه العلامة الحَبْر المجتهد أبي البركات نعمان خير الدين . وأخذ عن جماعة من علماء بغداد : من تلاميذ جدّه ، ومن غيرهم من العلماء الطارئين على بغداد ، وتعلم التركيّة والفارسيّة ، وجَوَّد الخطّ بأنواعه المستعملة . وفي مَيْعة شبابه تصدّر للتدريس وأقبل على التأليف . وكانت مؤلفات جده وأبيه وأعمامه نُصْبَ عينيه ، وهي مؤلفات تمتاز بالتنوّع وغزارة المادة

وقوة البحث وأصالة الرأي والنظر ، فانبعث إلى التأليف في موضوعات جديدة وطريقة لم يُعْرَف لعهده التأليف في قسم منها ، ونزع الى أخذ الشريعة والعقيدة من القرآن وصحيح السنة ، بعيداً عن التقليد . وطفق يصحّح العقائد ، ويحارب البدع والتفرق في الدين ، في دروسه وفيما يؤلف من كتب ورسائل . وانتشرت دعوته ، فأمّهُ الطلاب الأذكياء ، وتخرج به كثيرون ورثوا فكره وعلمه وصلاحه وإصلاحه . وقد علت شهرته في العراق وفي آفاق الدنيا ، وهو في الثلاثين من العُمُر ، حين حاز كتابه (بلوغ الأَرَب في أحوال العرب) ذو الأجزاء الثلاثة الكبار جائزة (أسكار الثاني ملك السويد والنرويج) في سنة ١٨٨٧ م ، فاحتفلت به الصحف السيارة في الغرب والشرق .. ولهذا الحدَث التاريخيّ حديث طويل بسطته في كتابي : (محمود شكري الألوسي : سيرته وآراؤه اللغوية) . وأذكى نبوغه وعلوّ اسمه مع شرف بيته الرفيع نارَ الحسد عند أصحاب القلوب المِراض ، ونفسوا عليه مكانته التي أخفتهم وتضاءلوا دونها ، فطفقوا يذيعون عنه قالة السوء ، ويغرون به الحكام يريدون الإيقاع به ، متذرعين لذلك باتّهام فكره المتحرر وكتاباته الإصلاحية بالزيغ ، وهم الزائغون . وعجزوا أن ينالوا منه منالاً ، ولم يقعدوا عنه ، حتى أصابوا بِغُبْيَتَهم عند والٍ أَلْباني يقال له (عبدالوهاب باشا) كان يَشْنَأُ الإصلاح والمصلحين من جهل وغباوة ، فوسوسوا له في شأنه . فرفع إلى السلطان عبدالحميد الثاني ما ألقوه اليه عنه من باطل وزور . فأصدر السلطان « إرادته » بنفيه ونفي بعض كبار أصحابه وتلاميذه الى (الأناطول) ، فأُخذ من داره مخفوراً ليلة ٢٢ المحرم ١٣٢٣ هـ . فلما بلغ ركبه (الموصل) ، خرج علماء هذه المدينة العربية الإسلامية وجماهيرها التي يغلب عليها طابع العقيدة النظيفة : تستقبله في « مظاهرة » من التكريم ، واستفظاع للتنكيل بالإصلاح والمصلحين ، واحتجزت الركب أن يسير الى (الأناطول) ، وراسل علماء المدينة وأعيانها

السلطانَ في شأنه : ليلغي أمر النفي ، ويعيد الحرية اليه وإلى صحبه . وامتد بقاؤه مع صحبه في الموصل شهرين . . تسامع غرماؤه ببغداد خلالهما بهذا السعي النبيل ، فأجمعوا أن يكيدوا له كيداً جديداً ، ونجحت مقدمة التدبير السيء لدى والي ولاية (الموصل) ، ولكنه أخفق في (إسلامبول) بفضل تصحيح الموصليين رأي السلطان عبدالحميد في السيد الألوسي . فألغى أمره ، وأذن بعودته مع صحبه الى بغداد . ومشت الموصل في توديعه كما استقبلته ، ودخل الركب بغداد شامخ العرْنين ، وقد تسابقت جماهيرها إليه ، وفي مقدمتها الأصدقاء والتلاميذ ، من مراحل بعيدة ، واستقبلته استقبالاً حاراً منقطع النظير ، وتواردت على السيد الألوسي القصائد والرسائل من كل صَوْب : تهنئه بعودته إلى جهاده ، وانتصاره على غرمائه . وعاد الى هِجّيراه في التدريس والتأليف ، غيرَ حافل بشيءٍ من متاع العاجلة ، قانعاً بمرتب من التدريس لا يكاد يسدّ الرمق ، وصادفاً عن المناصب . . إلا عضوية مجلس الإدارة في ولاية بغداد : انتخبه البغداديون لها ، ليحلّ فيها محلّ أحد غُرَمائه الذين تآمروا عليه وسبّبوا نفيه وإزعاجه ، فقبلها نزولاً عند إرادة الشعب البغدادي . ثم أقحمته الدولة في ميدان السياسة عند نشوب الحرب العالمية الأولى لأول احتلال الجيش البريطاني ثَغْرَ العراق (الفاو) و (البصرة) ، فندبته على رأس وفد — فيه ابن عمّه العلامة علي علاء الدين ابن نعمان خيرالدين الألوسي — أن يؤم (الرِّياض) ، ليحمل أميرها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على الوقوف الى جانب الدولة العثمانية في هذه الحرب . فسار اليه من طريق الشام والحجاز ، وأبلغه هذه الرغبة ، فشاركه الأمير الشاب في شعوره الإسلامي وما يجب على المسلم من نصرة أخيه المسلم في ساعة العسرة ، مؤكداً له أن سجاياه العربية الإسلامية تملي عليه نسيان ما اقترفت الدولة من مآثم في تخريب دياره وتقتيل أجداده وقومه ، وأنّه يَوَدّ لو يستطيع أن ينضم اليها فيدفع عنها وعن العراق هذا

العدوان ، لو لا أن ما يراه من قوة الأعداء ، ومن ضعف إمارته ، يفرض عليه التزام الحياد ؛ لأن خوضه غمـــار الحرب ينتهي به إلى تقويض إمارته الناشئة ، ولا يغني الدولة فتيلاً . وأنهى السيد الألوسي الى الدولة هذه النتيجة ، وعاد من طريق الحجاز والشام ، حتى اذا بَلَغَ (دِمَشْقَ) وجد ناساً من أعداء الإصلاح قد كادوا له عند جمال باشا السفاح قائد الجيش الرابع في الشام ، وألْقَوْا في رُوعه أنّ السيد الألوسي هو الذي زَيَّنَ لأمير الرياض موقف الحياد . ولكنّه صَمّ أذنه عن هذه الفرية ، لِما كان يعلمه من إخلاص السيد الألوسيّ للملّة والدولة وكراهتـــه الشديدة للاستعمار . . ذكر ذلك له جمال باشا نفسه عند اجتماعه به بدمشق . وقضى الله أن يحتلّ البريطانيون بغداد في آذار ١٩١٧م ، فكان وقع ذلك شديداً على نفسه . وحاسَنُهُ البريطانيون دهاءً منهم وإشعاراً للشعب بتقديرهم مكانةَ علمائه وأعيانه ، فأرادوه أن يتولى « الإفتاء » فأباه ، ثم فاوضوه في إحـــداث منصب « قاضي القضاة » له فأباه . واجتاحت العِراق أزمـــة اقتصادية خانقة ، فبعثوا إليه على يد الكرملي بالذهب يستعين به على قضاء حوائجه ، فردّه في شمم وإباء وهو فقير إليه ، كما أعلن الكرملي نفسه ذلك في حفل تأبينه في (المجمع العلمي العربي) « مجمع اللغة العربية » اليوم بدمشق . وهكـــذا درج السيد الألُوسيّ على هذا الخط المستقيم من الزهد والترفع ، مع الانصراف التام الى العبادة الخالصة ونشر العلم . . الى أن أدركته الوفاة في رابع شوال ١٣٤٢ هـ ، رحمه الله وأجزل ثوابه .

وفضائله وفواضله على العلم وأهله يضيق المقام عن التبسط فيها .

وقد ناهزت مؤلفاته ستين كتاباً : بين رسائل صغيرة ، وكتب كبار من جزءين وثلاثة أجزاء .

أذكر منها في تصحيح العقائد : « غاية الأماني ــ ط » جزءان كبيران ، و « المنحة الالهيّة ــ أو مختصر التحفة ــ ط » جزء كبير .

وفي بعض علوم القرآن : « كتاب ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة – ط » جزء كبير .

وفي العربية : « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر – ط » ، و « مختصره – خ » ، و « كتاب النحت – خ » ، و « الجوهر الثمين في بيان حقيقة التضمين – خ » ، و « الجواب عمـا انبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجـم – خ » ، و « كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجـم من الدقائق والحكم – خ » ، و « شرح أرجوزة تأكيد الألوان – ط » ، و « الفتَاوى – خ » في اللغة وعلوم العربية وغيرها .

وفي تاريخ العرب وأنسابهم : « بلوغ الأرب في أحوال العرب – طبع مراراً » ثلاثة أجزاء كبار ، و « شرح منظومة عمود النسب » للشيخ أحمد المالكي الشنقيطي – خ » جزءان كبيران في أنساب القحطانيين والعدنانيين ومشاهيرهم ، و « عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم » وهو هـذه الدراسة التي بين يديـك ، و « فصـل الخطاب في شـرح مسائل الجاهلية – طبع مرتين أو أكثر » ، و « تاريخ نجد – ط مرتين » .

وفي تاريخ بغداد ، ورجالها ، ومساجدها وآثارها : « أخبار بغداد وما والاها من البلاد – خ » وأنا أحققه اليوم ، و « المسك الأذفر في مزايا علماء القرن الثالث عشر – » نشرت قطعة منه سنة ١٩٣٠ م ، وأنجزت تحقيقه كاملاً ليكون في جملة الـكتب التي قرر المجمـع نشرها في الاحتفال ببغـداد ومؤرخها الخطيب البغدادي ، و « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » وقد هذبته وبوبته ونشرته في سنة ١٣٤٦ هـ .

وفي المنطق : « الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية – خ » .

وفي العروض والأدب والنقد والمباحث العامة : «المفروض من علم العروض – خ » ، و « بدائـع الإنشاء – خ » جزءان ، و « رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين – خ » ، و « القول الظريف في تزييف دعوى ناصيف – خ » نقد لمقامات ناصيف اليازجي ، و « المـاء وما ورد في شربه من الآداب »

تطبعه الآن (الأكاديمية المغربية) بتحقيقي وتعليقاتي .

وحقق ونشر من آثار السلف الكبار : « كتاب تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة الدِّينَوَري البغدادي ، و « منهاج السنة النبوية » ، و « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ، و « تفسير سورة الإخلاص » ، و « جواب أهل العلم والإيمان » — وهذه الكتب الأربعة العظيمة لشيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تَيْمِيَّة ، و « شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل » ، و « مفتاح دار السعادة » وهما للإمام شمس الدين بن قيّم الجوزية و « ميزان المقادير في بيان التقادير » لرضي الدين القزويني ، و « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » لمحمد بن ابراهيم السنجاري المعروف بابن الأكفانيّ ، و«كتاب البئر » لابن الأعرابي .



سيرة رائعة ، ومثال من الفضائل والفواضل مكتمل الأوصاف ، يجمع الى أدب الدرس أدبَ النفس : من الخلق الكريم ، والعفة ، والزهد ، والنسك ، والإخلاص ، والترفع . . كما يجمع الى العلم المتعمق العمل والجلد الصبور في التطبيق مع صدق الرأي والنظر وقوة الفكر واستقلاله . ولم يبعد العلامة المجتهد السيد محمد رشيد رضا الحسيني عن تقديره الصحيح له حين صدّر أول ترجمة للسيد الألوسي كتبتُها ونشرها لي في مجلته (المنار) (م ٢٥ / ج ٥ / ص ٣٧٤ — ٣٨٩) بمقدمة وضعها بين يديها : أشاد فيها بجلال قدره ، وعَنْوَنَ لها بنعتِ « عالم العِراق ورحلة أهل الآفاق » .

والكلام في هذا الإمام الهمام يطول جدّاً . وقد ألممت بطرف منه ، وفاءً لبعض حقه ، بقدر الجهد الذي أستطيعه ، في كتابَيَّ : « أعلام العراق » ، و « محمود شكري الألُوسي : سيرته وآراؤه اللغوية » .

محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

قد حصَر بعض العلماء [1] ما قيـل بوجوب الحَدِّ [2] بـه ، في سبعةَ عَشرَ شيئاً : قسم مُتَّفَق عليه ، وقسم مختلف فيه .

فمن المُتَّفَق عليـه : الرِّدَّةُ [3] ، والحِرابةُ [4] ما لم يَتُبْ قبـلَ

---

(١) هو الإمام الحافظ المؤرخ أحمد بن علي بن محمد الكِناني العسقلاني ، المعروف بابن حَجَر . وسأترجم له عند تسميته قريباً . وكلامه هذا في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) « ٢/ ٤٩ ، ط . بولاق » .

(٢) سيذكر المؤلف تعريف « الحَدّ » . وينظر أيضاً في :شروح الحديث ، وتهذيب اللغة ، والنهاية ، ولسان العرب ، وتاج العروس (ح /د/ د) ، وغيرها .

(٣) الرِدّة : اسم من الارتداد ، وهو الرجوع والتحوُّل ، وفي التنزيل العزيز : (مَنْ يَرْتَدِدْ منكم عن دينه) ، أي : يرجع ويتحوّل عنه . والرِدّة التي حدثت بعد انتقال الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، إلى الرفيق الأعلى – ليست ارتداد أحد من صحابته الأبرار ، رضوان الله عليهم ، وإنما هي ارتداد قوم من جفاة الأعراب في أطرار « جزيرة العرب » ، ظهر في امتناعهم عن أداء الزكاة ، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة . وقد كان عهدهم بالإسلام قريباً ، ولم يكن إيمانهم به قد استقرّ في نفوسهم ، وكان وراءهم المتنبؤون الكاذبون ، من أمثال الأسود العَنْسِيّ ومُسَيْلِمَةَ وسَجاحِ ، يدفعونهم الى قتال المسلمين، ووراءهم الفُرْسُ الساسانيون الذين بغوا على أطراف الجزيرة ، وهالهم الإسلام – وهو يشرق من مكة ويبسط سلطانه على جزيرة العرب ويهددهم بإجلائهم عن بلاد العرب التي اغتصبوها ، وألقوا كلكلهـم عليها – فسعوا سعيهم للقضاء عليه على يد هؤلاء المتنبئين ، بتدبير الانتقاض عليـه ، وقد ذَرَّ قَرْنُه في أواخر أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقضى على المنتقضين ، ثم ذَرَّ ثانيةً لأول خلافة أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، فأبطل فعلهم في مهده ، وردّ المُغَرَّرَ بهم إلى الإسلام على هدى وبصيرة ، وضمهم الى الشمل الموحد ، وأعدّهم مع من أعدّ لتطهير الأرض العربية مـن الساسانيين والبيزنطيين جميعاً .

(٤) الحِرابة ، كصناعة وحِياكة ونِجارة وتِجارة : مصدر حَرَبَ ، صاغه الفقهاء =

القُدرة ، والزِّنَى ، والقَذْفُ به ، وشُرْبُ الخمر : أسكر أم لا ، والسَّرِقةُ .
ومن المختلف فيه : جَحْدُ العارية[٥] ، وشُرْبُ ما يُسكِرُ

لإفادة الدلالة على مهنةٍ . . مهنةِ قطع السُّبُل ، واعتراض الناس بالسلاح في الطرق ونحوها ، ليغصبوهم أموالهم مجاهرةً . وقد استعمل شيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) في « فتاواه : ٢٨/٣١٣ : ط ١ » : « الحِراب » ، ولم يستعمل « الحِرابة » . وأغفلتها المعاجم قديمها وحديثها ؛ لأن وزن « فِعالة » من المصادر القياسية المعروفة التي يطرد القياس عليها ولا يتوقف . وفي « لسان العرب » : « الحارب : المُشَلِّح ، أي الغاصب الناهب ، الذي يعرّي الناس ثيابهم . والحَرَب ـ بالتحريك ـ أن يُسْلَبَ الرجُلُ مالَه . حَرَبَهُ : إذا أخَذ مالَه ، فهو محروب وحَرِيب ، من قوم حَرْبَى وحُرَباءَ ، الأخيرة على التشبيه بالفاعل ، كما حكاه سيبويه ، من قولهم : قَتِيلٌ وقُتَلاء . وحَرِيبَتُهُ : مالُهُ الذي سُلِبَه ، لا يسمّى بذلك إلا بعد ما يُسْلَبُهُ . وقيل : حريبة الرجل ـ مالُهُ الذي يعيش به » . وزاد الزمخشري في « أساس البلاغة » بعد « حريبته » كلمة : « وحَرَائبه » ، ووردت في « تاج العروس » : « وحرابته » ، والصواب « وحرائبه » ، ففي حديث (بدر) : « قال المشركون : اخرجوا إلى حرائبكم » . قال ابن الأثير في « النهاية » : هكذا جاء في الروايات ، بالباء الموحدة ، جمع حَرِيبة ، وهو مال الرجل الذي يقوم به أمره » ، قال : « والمعروف بالثاء المثلثة : حَرَائثكم » ، وذكره في الثاء .

(٥) العاريّة ـ بتخفيف الياء ، وتشديدها ، وجمع المخففة : عَوارٍ ، وجمع المشدَّدة : عَوَارِيُّ ـ : العارَةُ ، وهي ما تعطيه غيرَكَ على أن يعيده إليك . يقال : « كل عارَةٍ مُسْتَرَدَّةٌ » . وفي الحديث : « إن امرأة مخزومية كانت تستعِرِ المتاع ، وتجحده . فأمر بها ، فقُطعت يدها » . . قال ابن الأثير : وذهب عامة أهل العلم إلى أن المستعير إذا جحد العارية ، لا يقطع ، لأنه جاحد ، وليس بسارق . والخائن والجاحد ، لا قطع عليه نصّاً وإجماعاً . وذهب إسحاق إلى القول بظاهر الحديث . . وقال أحمد : لا أعلم شيئاً يدفعه . قال الخطابي : وهو حديث مختصر =

كثيرُهُ من غير الخمــر ، والقَذْفُ بغير الزِّنَى ، والتعريضُ بالقَذْف ، واللِّزاطُ ولو بمَنْ يَحِلُّ نكاحهــا ، وإتيانُ البهيمة ، والسِّحاقُ[٦] ، وتمكينُ المرأةِ القِرْدَ وغيرَه من الدَّوابّ من وَطْئِها ، والسِّحْرُ ، وتركُ الصَّــلاة تكاسُلاً ، والفِطْرُ في رَمَضانَ[٧] . وهذا كلُّه ، خارج عمّا

اللفظ والسياق ، وإنما قطعت المخزومية لأنها سرقت ، وذلك بيّن في رواية عائشة لهذا الحديث . ورواه مسعود بن الأسود ، فذكر أنها سرقت قَطِيفة من بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وإنما ذكرت الاستعارة والجحد في هذه القصة ، تعريفاً لها بخاصّ صفتها ، إذْ كانت الاستعارة والجحد معروفة بها ومن عادتها ، كما عرفت بأنها مخزومية ، إلا أنها لمّا استمرّ بها هذا الصنيع ، ترقّت الى السرقة ، واجترأت عليها ، فأمر بها فقُطِعتْ .

(٦) السّحاق ، والسّحق ، والمُساحَقَة : إتيان المرأةِ المرأةَ . قال الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٢٣) : « ومساحقة النساء لفظها مُوَلّد » ، وتابعه ابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في تاج العروس ؛ والصحيح أنه من المجاز كما في أساس البلاغة ، وهو استعمال قديم معروف ، ففي حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع أنه قال : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : سِحاق النساء زِنى بينهنّ » . رواه البيهقي في « شعب الإيمان » . وللإمام ابن حزم كلام على هذا الحديث في « المُحلّى » (١١ / ٣٩٠ — ٣٩٢) . وعن جابر بن عبدالله : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنّ أخوف ما أخاف على أمتي عملُ قوم (لُوط) » . وفي لفظ آخر عنه ، صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم (لوط) . ألا ! فلترتقب أمّتي العذابَ إذا كان الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء » ، ولم يذكــر لفظ « السِحاق » . وفي « معجم الفقه الحنبلي » (ص ٤٥٠) : « السحاق بين النساء زنى بينهن ، ولا حدّ فيه ، وفيه التعزير » . وانظر عنه أيضاً (ص ٤٦٣) . وقد تردد ذكر « السحاق » كثيراً في شعر أبي العتاهية وغيره من شعراء العصر العباسيّ .

(٧) قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سمّوها بالأزمنة التي هي فيها ، فوافق رَمَضانُ أيامَ رَمَض الحرّ وشِدّته ، فسمّي به . قال الفرّاء :

تشرع فيه المُقاتلةُ ، كما لو ترك قومٌ الزّكاة ، ونَصَبُوا لذلك الحربَ .

★ ★ ★

وأصل الحَدّ : ما يَحْجِز بين الشّيئين ، فيَمْنَعُ اختلاطَهما . وحَدُّ الدّار : ما يميِّزُها . وحَدُّ الشّيء : وصفُه المحيطُ به ، المميِّزُ له عن غيره .

وسُمِّيت عقوبة الزّاني ونحوه « حَدّاً » ،لكونها تمنعه المُعاودَةَ ، أو لكونها مُقَدَّرَةً من الشّارع .

وتُطْلَقُ « الحدود » ، ويُرادُ بها نَفْسُ المعاصي ، كقوله تعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها)[8] ؛ وعلى فعلٍ ، فيه شيءٌ مُقَدَّرٌ ، ومنه : (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) . [9] وكأنّها لمّا فَصَلَت بينَ الحلال والحرام ، سُمِّيَت حُدوداً . فمنها ما زُجِر عن فعله ، ومنها ما زجر عن الزّيادة عليه والنُّقْصان منه .

يقال ــ : هذا شهر رمضانَ ، وهما شهرا ربيعٍ ، ولا يذكر « الشهر » مع سائر أسماء الشهور العربية . يقال : هذا شعبانُ قد أقبل . وشهر رمضان مأخوذ من رَمِضَ الصائم يرمَضُ ، إذا حَرَّ جوفُه من شدّة العطش . قال الله عز وجل : (شَهْرُ رَمَضانَ الّذي أنزِل فيه القرآن) . أقول : وقد ورد في بعض الرجز « رمضان » من غير « شهر » لقائل غير معروف ، ولا أراه يصح شاهداً ، لأنه مقيّد بالوزن ، وهو :

جاريةٌ في رَمَضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماض

وجمع رمضان : رَمَضاناتٌ ، ورَماضينُ ، وأرْمِضاءُ ، وأرْمِضَةٌ ، وأرْمُضٌ ؛ عن بعض أهل اللغة ، وليس بثَبَت على ما قال ابن منظور .

(٨) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٩) الآية ١ من سورة الطلاق .

والمقصود هنا بيانُ ما كان من العقوبات عندَ العرب أيّامَ الْجاهلِيّة .[١٠]

والمقصود من (العرب) ، عربُ « الحجاز » و « نَجْد » وأضرابُهم ، لا عربُ جميعِ أنْحاء « الجزيرة » . فقد كان عرب « اليَمَن » : منهم يهودٌ ، ومنهم نصارى ، ومنهم غيرُ ذلك . وكذلك عرب « الشّام » و « العِراق » ، كانوا على نِحَلٍ[١١] شتّى .

وعربُ « الحجاز » و« نَجْد » وأضرابُهم ، كانت لَدَيْهِم أحكام كثيرة ، لم يَنْسَخْها الإسلام[١٢] ، كما ذكر ذلك (الدَّهْلَوِيّ)[١٣] في كتابه

(١٠) ينظر الكتاب الملحق بهذه الدراسة .

(١١) النِّحَلُ : جمع النِّحلة ، وهي الدّين . يقال : ما نِحلتك ؟ أي : ما دينُك ؟

(١٢) ينظر « النسخ » في الكتاب الملحق بهذه الدراسة .

(١٣) هو الشيخ أحمد بن عبدالرحيم العمري الدَّهْلَوِيّ ، الملقب « شاه وليّ الله » : فقيه محدث مجتهد ، من أهل « دهلي » بالهند . ولد سنة ١١١٠ هـ – ١٦٩٩ م . درس العربية والعلوم الإسلامية في بلده ، وزار الحجاز سنة ١١٤٣ هـ – ١٧٣١ م ، وأخذ عن أئمة الحديث فيه ، وتمسك بالكتاب والسنة ، وذهب الى أنه لا يجوز تقليد شخص معيّن مع إمكان الرجوع الى الروايات الدالة على خلاف قول الإمام المُقَلَّد . قالوا : وأحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديثَ والسنة بالهند بعد مَوَاتهما ، وعلى كتبه وأسانيده المَدارُ في تلك الديار . درّس وأفاد ، وخرّج ، وصنف كتباً جليلة بالعربية والفارسية ، منها : الفوز الكبير في أصول التفسير ، بالفارسية ، قالوا : هو ممـا لم يسبق اليه ، وقد طبع . وفتح الخبير بما لابُدَّ من حفظه من التفسير ، بالعربية ، في حل الغريب – ط . وتأويل الأحاديث ، بالعربية ، في توجيه قصص الأنبياء . وفتح الرحمان في ترجمة القرآن ، ترجمة فارسية على شاكلة النظم العربي . والمقدمة السنية ، بالفارسية ، في أصول الترجمة وقواعدها في نقل القرآن من العربية الى لسان آخر . وقُرّة العينين في تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر ، بالفارسية . وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء – ط . والإنصاف في أسباب الخفاء – ط . وعِقْد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد – ط . وحجة=

(حُجّةِ اللهِ البــالغة) . و لـ (هِشام ِ الكَلْبِيّ ِ[١٤]) كتاب في ذلك ،

★ ★ ★

= الله البالغة، بالعربية : جزءان كبيران في فلسفة التشريع الإسلامي ، وهو من أجل الكتب في فنه ، طبع بمصر ، سنة ١٣٢٢ هـ ، وغير ذلك . وتوفي الدهلوي في سنة ١١٧٦ هـ ــ ١٧٦٢ م . وله ترجمة في: «كتاب الثقافة الإسلامية في الهند» (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) تأليف السيد عبدالحيّ الحسيني ، وأبجد العلوم للسيد محمد صديق خان أمير بهوبال بالهند ، ص ٩١٢ ، وايضاح المكنون ١/ ٦٥ و ١٦١ ، وفهرس الفهارس ١/ ١٢٥ ، واكتفاء القنوع ٩٧ و ١٣٤ و ١٨٥ ، واليانع الجنّى ١٩ ، والأعلام ١/ ١٤٤ ، ط ٢ .

(١٤) هشــام بن محمد بن الســائب الكلبي : من أهل الكوفــة ، طارىء عليها «وليس بعربي ، انما كان أبوه يلقب (كلب الرحل) ، فقيل له : (الكلبي)» كما في الأغاني (٥٦/١٠ ، ط. دار الكتب) . وقد زعم زعماً كاذباً أنه من : « كلب بن وبرة من قضاعة » . وقد كان (ســبئياً) ينتحل نحلة (عبدالله بن سبأ اليهودي) الذي تستر باظهار اســلامه ، ، لينال من الاسلام ، فأحرقه واصحابه امير المؤمنين علي رضيالله عنــه كما في كتاب المعارف (ص ٦٢٢) وغيره .. وعلى نهجه نهج ابنه (هشام) هذا ، فكان من رؤوس الشعوبيين الكذبة الوضــاعين للأحاديث والأخبــار ، ناصب العرب العداء ، ووضع فيهم (كتاب المثــالب) ، وافترى عليهم ماشاء له هواه وباطله ان يفتري ويكذب . وقد اجمع المحققون على تركه وترك أبيه واطراح مروياتهما . ووجدت صاحب (الأغاني) ينقل عنه ، ويعقب على رواياته بمثل قوله : « هــذا من اكاذيب ابن الكلبي » ، و : « لعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي » . وجاء في « الأغاني » (٥٥/١٠) : « أن الخليفة المتوكل على الله ، ولاه البريد ، واحلفه بالطلاق ان لايكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً ، ولا من امره هو في نفسه . فكذب عليه في خبر حكاه عن زوجه مع حبتها» لا احب حكايته هنا. وقد فصلت فيه القول في (نقض كتاب المثالب) . قال مؤرخوه : مات هشام في الكوفة في سنة ٢٠٤ هـ أو سنة ٢٠٦ هـ ، وصــحح ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٩٦/٢) القول الأول . وخبر تولية المتوكل اياه البريد يشعر انه مات بعد ذلك ، لأن المتوكل بويع بالخلافة لست بقين من سنة ٢٣٢هـ، واغتيل سنة ٢٤٧هـ . ولهشام نيف وخمسون ومئة كتاب في الأنساب والأخبــار وغيرها ، سرد أســماءها محمد بن اســحاق النــديم في « الفهرست » (١ / ٩٥ ط . أوربة ، وص ١٤٠ ط ، مصر) .

سمّاه (كتاب ما كانت الْجاهليّة تفعله ووافق حكم الإســلام)[١٥] ، وهو كتاب لم أظفرْ به .

ومن العقوبات الّتي كانت عندَهُم (قطعُ يَدِ السّارق) :

فقد كان ذلك معلوماً عند العرب قبل الإسلام[١٦] . ونزل (القُرآن) بقطــع السّارق[١٧] ، فاستمرَّ الحال فيه .

وقد نقل (العَسْقَلانيُّ)[١٨] في (شــرح البُخــاريّ) : أنّ (ابْنَ

(١٥) ذكره محمد بن اسحاق النديم في (الفهرست) واسمه فيه : «كتاب ماكانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الاسلام » .

(١٦) « فتح الباري بشرح صحيح البُخاري » (١٢/ ٧٧) .

(١٧) قال الله تعالى في سورة المائدة : (والسّارِقُ والسّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبَا ، نَكالاً مِنَ اللهِ . واللهُ عزيزٌ حكيم(٣٨) فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وأَصْلَحَ فإنَّ الله يَتُوبُ عليه ،إن اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٣٩) .

(١٨) هو الإمام الحافظ المؤرّخ الثّبْت أحمد بن عليّ بن محمد الكِنانيّ العَسْقَلانيّ ، أبو الفضل ، شهاب الدين بن حَجَر . أصله من « عَسْقَلان » من أجَلّ مُدُن فِلَسْطين . مولده بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ — ١٣٧٢ م ، ووفاته فيها سنة ٨٥٢ هـ — ١٤٤٩ م . وهو أحد عظماء المؤلفين في الإسلام ، له مصنّفات كثيرة جليلة ، « انتشرت في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر » ، ومنها : « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة — ط » ، و« فتح الباري بشرح صحيح البخاري — ط »، ١٤ جزءاً ، و « تهذيب التهذيب — ط . في رجال الحديث ١٢ مجلداً » ، و« لسان الميزان — ط » ٦ أجزاء ، و « ، إنباء الغمر بأبناء العمر — خ » جزءان ضخمان ، و « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة — ط » ٤ أجــزاء ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٩ — ١٧٣/ ١٧٤ ط ٢ . ولتلميذه الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاويّ « كتاب الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » رأيته في (الخزانة الملكية) في (الرِباط) عاصمة المملكة المغربية ، في خريف ١٤٠٢ هـ — ١٩٨١ م ، ومنه نسخة ثانية في (المكتبة الوطنية) في « باريس » (٢١٠٥ التاريخ) ، وعنها نسخة مصورة في (دار الكتب المصرية) بالقاهرة =

الكلبيّ) عقَد باباً لمن قُطِع في الجاهليّة بسبب السّرقة[19] ، في (كتاب المثالب)[20] ، وذكر قصّة الذين سرَقُوا غزالَ « الكعْبة » ، فقُطِعوا في عهد (عبدالمُطّلب)[21] جَدّ (النّبيّ) ، صلّى الله

= (٤٧٦٨ التاريخ) . وللباحث العراقي الدكتور شاكر محمود عبدالمنعم : « ابن حجر العسقلاني : دراسة مصنفاته ، ومنهجه ، وموارده في كتابه : الإصابة » . نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية ، سنة ١٩٧٨ م .

(١٩) هذا الخبر لا تعرف روايته عن غير هشام بن محمد بن السائب الكلبي الشعوبي (أنظر/ص ٢١) ، وإنما عُرِف مروياً عنه وحده . . معزواً إليه تارة كالذي ذكر هنا عن « فتح الباري » ، وغير مَعزوّ إليه تارةً أخرى ، كالذي فعل محمد بن حبيب في « كتاب المنمق في أخبار قريش » حين ذكر (في ص ٥٣٠) « أسماء من قطعت قريش يده من قريش في السّرَق » ، ولم يذكر مأخذه . ونحن نعلم أن جُلّ مادته في المثالب خاصةً ، من ابن الكلبي هذا من غير ريب . ومحمد بن حبيب هذا ، من الموالي : موالي بني العباس ، مات سنة ٢٤٥ هـ . ومراد ابن الكلبي من تخصيص نفر من أبناء بيوتات قريش في الجاهلية باقتراف رذيلة السرقة ، تحقيرلجملة قبيلة قريش التي هي في الذروة والسنام من العرب ، وهي قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤدّى تحقيرها تحقيره وتحقير العرب أجمع . وإسقاطهم ، وتكذيب ما رواه الترمذي في جامعه (٥١٩) عن رسول الله صلىالله عليه وسلم من « أن الله عز وجل اختار من الناس (العرب) ، واختار من العرب (مُضَرَ) ، ثم اختار من مضر (كنانة) ، ثم اختار من كنانة (قريشاً) ، ثم اختار من قريش (بني هاشم) ، ثم اختارني ممن (أنا) منه » . هذا هدف (الشعوبيين) في جملة ما افتروه على العرب من المثالب/ر.

(٢٠) ينظر التعليق (١٤) في (ص ٢١) .

(٢١) عبدالمطلب ـ قيل اسمه شيبة ، وعبدالمطلب لقب غلب عليه ، ابن هاشم ، بن عبد مناف : جد النبي عليه الصلاة والسلام ، وزعيم قريش ، وأحد سادات العرب . أنقذ وطنه « مكة » من غزو الحبشة ، وكان له شرف تربية حفيده النبي الأعظم . توفي سنة تسع من عام الفيل عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر ، وللنبي يومئذ ثمانية أعوام في قول ، وثلاثة أعوام في قول آخر. ينظر تاريخ الطبري ٢/ ١٧٦ ،=

عليه وسلّم . وذكر مَنْ قُطِعَ في السَّرِقَة : (عَوْفُ بنُ[٢٢] عبيد

= والسيرة لابن هشام ١/ ٥٧ ، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٣ ، وتاريخ ابن الاثير ٢/ ٤، وتاريخ الخميس ١/ ٢٥٣ ، وعيون الأثر ١/ ٤١ ، وغير ذلك :

(٢٢) وقع في « كتاب المنمق في أخبار قريش » (ص ٥٣٠) : « مدرك بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم » ، يعني أن السارق هو ابن عوف ، وليس عوفاً . قال مؤلفه محمد بن حبيب ، وكلامه من هشام الكلبي السَّبَئِي : « سَرَق في الجاهلية مراراً ، فقطعت قريش يده ، ثم عاد فسرق ، فرجموه حتى مات ! » . وقد سمى محمد بن حبيب في المنمق جملة من قطعت قريش أيديهم من قريش في السرق ستة رجال ، وهم : « مدرك هذا ، ومقيس بن قيس الذي ورد في سياق نقل المؤلف ، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومليح بن شريح بن الحارث ابن السباق بن عبدالدار — قطعت يده في أمـــر غزال الكعبة ، وعبيـــدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم — قطعت يده في سرقة إبل ، ووابصة ابن خالد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم » . وذكرهم أيضاً في « المحبر » (ص٢٢٨) وزاد عليهم سابعاً ، وهو : عوف بن عُبَيْد ، وعزا الرواية الى هشام الكلبي . وهذا العدد الضئيل من قبيلة ضخمة تنتشر بطونها في الحجاز ، وتذهب في الأسفار القاصية بالتجارات بين الشام واليمن — لا تصيب جنايتهم في السَّرَق ، إن صدقت الرواية ، قريشاً أجمع ، فكل امرئ بما كسب رهين . وعقاب القبيلة لهؤلاء النفر بقطع الأيدي ، وبرجم واحد منهم عند معاودته السرقة ، إنما يقوم دليلاً على حفاظ (قريش) على الأخلاق الرفيعة ، وعلى حرصها على التمكين لها في النفوس ، خلافاً لما تريد الرواية الشعوبية تصويره من ضَعَتِها . والشعوبيون يعرفون هذا المعنى حق المعرفة ، ولا يغيب عنهم ، ولكنهم يتجاهلونه ، لأن غايتهم الطعن في العرب عامّة ، وقريش قبيلة النبي خاصة ، ظناً منهم أنهم يوهنون بذلك شأن العرب ، « والغاية عندهم تسوّغ الوسيلة » مهما كانت عليه من الوضاعة .

وقد عرض كتاب السيرة الشريفة الأوائل —كابن إسحاق وابن هشام : في الحديث عن « بنيان الكعبة وحكم رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم » — لذكر كنز الكعبة وسرقته ، فلم يسمّوا سُرّاقه ، ولم يذكروا أحداً مّا من رجال قريش هؤلاء ، ولا غيرهم ، وإنما قالوا — والنص من مختصر كلام ابن اسحاق لابن هشام — : « إن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز (دويكاً) : مولى لبني مليح بن عمرو ، من =

ابن عمـر بن مخزوم) ، و (مِقْيَس (٢٣) بْنَ قيس بنِ عَدِيّ بن سَعْد بن سَهْم) ،وغيرهما ؛ وأنّ (عوفاً) السّابق لذلك . و (مخزوم) هذا : ابنُ (يَقَظَةَ) ـ بفتح التّحتانيّة والقاف ، بعدها ظاء مُشالَة ـ ابْنِ مُرَّةَ ، بْنِ كعب ، بْنِ لُؤَيّ ، بْنِ غالب . و (مخزوم) أخو (كِلاب بن مُرَّةَ) الّذي نُسِب إليه (بنو عبدِ مَنَاف) .

= (خزَاعة) » . قال ابن هشام : « فقطعَتْ قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند (دويك) » . قال العلامة السُّهَيْلي في « الروض الأُنُف » (١٣٠/١) : « وذكر ابن إسحاق (دويكاً) الذي سرق كنز الكعبة ، وقد تقدم أن سارقاً سرق من مالها في زمن (جُرْهُم) ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها ، فسقط عليه حجر ، فحبسه فيها حتى أخرج منها ، وانتزع المال منه . . » ، فتأمّلْ !

(٢٣) مِقْيَس ـ بوزن مِنْبَر ـ بن قيس ، بن عَدِيّ ، بن سعد ، بن سهم : هكذا ساق ابن الكلبي السّبَئي نسبه في (كتاب المثالب) ، فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلانيّ . وقد ذكره محمد بن حبيب في (المنمق) ثلاث مرات ، وجاء في أحدها (ص ٥٤) : « مقيس ـ كمغزل ـ بن عبد قيس ، بن قيس » بزيادة « عبد قيس » . وما أراها إلا من خطأ الناسخ ـ وقد زخر الغلط في طبعة هذا الكتاب ، فلينظر بحذر ـ . وهو رجل من أحد بيوتات أشراف قريش في الجاهلية . كان أبوه قيس بن عدي ـ كما في كتاب نسب قريش ٤٠١، والتبيين في نسب القرشيين ٤١٧ ـ « سيد قريش غير مدافَع » ، وأخوه الحارث بن قيس : كانت إليه الحكومة والأموال التي يسمّونها لآلهتهم ، ثم أسلم ، وهاجر مع بنيه الى الحبشة ، وكان أحد العشرة من عشرة بطون ، انتهت اليهم مكارم قريش في الجاهلية ، ثم أدركهم الإسلام فوصلها لهم . وقد قتل أكثر أبنائه في سبيل الله شهيداً . وذكر محمد بن حبيب في (المنمق) : (مقيس بن قيس) في عِداد أحد عشر رجلاً حرموا السكر والخمر والأزلام في الجاهلية من (قريش) ، وهم بحسب ترتيبه ولفظه : « عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف . وشيبة بن ربيعة بن =

أقول : ذكر في (شفاء الغَرَام) [٢٤] : « أنّ (عبدالمُطّلب) علّقَ الغزالَيْنِ في « الكَعْبَة » ، فكان أوّلَ مَنْ علّق المعاليق في « الكَعْبَة » . ثُمّ إنّ الغزالَيْن سُرِقا ، وابْتِيعا من قومٍ تِجارٍ [٢٥] قَدِمُوا « مَكّةَ » بخمرٍ وغيرها ، فاشتروا بثَمَنِهما خمراً . وقد ذكر أنّ (أبا لَهَبٍ) [٢٦] مع جماعته ، نَفِدَتْ خمرهم في بعض الأيّام ،

= عبد شمس — وكان يتحنّف بحراء . وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى . وأبو أمية بن المغيرة والحارث بن عبيد المخزوميان . وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزّى العدوي — وكان يتحنّف بحراء ولا يأكل ما ذبح للأصنام . وعامر ابن حذيم الجُمَحيّ . وعبدالله بن جُدْعان التَيْمِيّ . و (مقيس بن قيس بن عدي السهمي) . وعثمان بن عفان — رضي الله عنه — بن أبي العاص بن أميّة . والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم » . وبهذا يهدم محمد بن حبيب ما حكاه في موضع آخر عن ابن الكلبي وإن لم يسمّه (ص ٥٤ المنمق) من أن « بيت مقيس بن قيس هذا كان مألفاً لشباب قريش ، ينفقون عنده ويشربون » ، وأنه « كانت له قينتان — أسماء وعثمة — تغنيان في بيته للرفقة ، وهم يشربون ويطربون » إلى آخر هذا اللغو الذي زَنّتْ به الشعوبيّةُ أشرافَ قريش في الجاهلية — ومنهم مِقْيَس هذا — من سرقة غزالي الكعبة وبيعهما ليشربوا الخمر ، كما سبق في التعليق (٢٢) .

(٢٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لتقيّ الدين محمد بن أحمد الفاسي ، جزءان — ط . مصر ، ١٩٥٦ م .

(٢٥) تِجار ، وتُجّار : جمع تاجر ، وهو الحاذق بالأمر ، والعرب تسمي بائع الخمر تاجراً .

(٢٦) أبو لهب : هو عبد العزّى بن عبدالمطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان أحمر الوجه مشرقاً ، فقيل له في الجاهلية « أبو لهب » . كان أحد الأشراف الشجعان ، وكان غنياً عتيّاً ، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، =

وأقبلت قافلة من « الشّام » معهم خمر ، فَسَرقُوا الغزالَ ، واشتروا به خمراً . وطلبتها (قُرَيْشٌ) [٢٧] ، وكان أشدَّهُم طلباً (عبدُ الله بنُ جُدْعانَ) [٢٨] ، فعلِمُوا بهم ، فقطعوا بعضهم ، وهَرَبَ بعضُهم . وكان فيمن هرَبَ (أبو لَهَبٍ) : هرب إلى أخواله من (خُزَاعَةَ) [٢٩] ، فمَنَعوا عنه (قُرَيْشاً) ، ومن ثَمَّ كان يقالُ لـِ (أبي لَهَبٍ) : سارقَ غزالِ الكَعْبة . » انتهى .

= فآذاه وآذى أنصاره ، وحرض عليهم وقاتلهم ، وفيه نزلت سورة المَسَد : (بسم الله الرحمن الرحيم . تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وتَبَّ ، ما أغنى عنه ماله وما كَسَبَ . . .) . مات أبو لهب بعد وقعة بدر بأيّام ، ولم يشهدها . وأخباره في التفاسير ، وكتب السيرة والتواريخ والأنساب . وقد ذكر بعضها في الأعلام ٤ / ١٣٥ ، ط ٢ .

(٢٧) ينظر الكتاب الملحق بهذه الدراسة .

(٢٨) عبدالله بن جُدْعان (بضم الجيم وسكون الدال المهملة) ، أبو زهير : رئيس بني تَيْم في عصره ، وأحد أجواد العرب المطعِمين المُمَدَّحين ، ابن عم الصديقة عائشة رضي الله عنها . أدرك النبي ، عليه الصلاة والسلام ، وسار بجوده المثل قبل النبوة . وكان يسمى بـ (حاسي الذهب) ؛ لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وقالوا « أقرى من حاسي الذهب » . وكان يطعم الطعام ، ويقري الضيوف ، ويفعل المعروف . وكان ممن حرم الخمر بعد أن كان بها مُغْرًى . أخباره في الأغاني ٣ ، و ٤ ، و ٨ ، و ٩ ، و ١٩ ، وطبقات الجمحي ٢٢٢ ، والمحبر ١٣٧ ، والمنمق (ينظر فهرست الكتاب) ، وتاريخ اليعقوبي . ١/ ٢١٥ ، والتبيين في أنساب القرشيين ٣٠٢ ، ونسب قريش وأخبارها ، وخزانة الأدب ٥٣٧/٣ ، وبلوغ الأرب ١ / ٨٧ ـ ٩٠ ط ٢ .

(٢٩) خزاعة ، بضم الخاء المعجمة وتخفيف الزاي : قبيلة كبيرة من الأَزْد ، من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء . وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ، ومنه تفرقت بطونها . . وقال القاضي عياض : المعروف في نسب خزاعة أنه عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن إلياس بن مضر ، وإنّما عامر ، عم أبيه ، =

وفي « كتـــاب تاريخ مكـّة (٣٠) » للأَزْرَقِيِّ (٣١) ــ بعدَ أَنْ ذكر حَفْرَ (عبدِ المُطّلِب) « بِئْرَ زَمْزَمَ (٣٢) » ، وما وَجَده مدفوناً فيهـــا

= أخو قمعة . وسموا خزاعة بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهـــم من (مأرب) ، فانتهوا الى (مكة) تخزّعوا عنهم ، أي : تخلفوا ، فأقاموا ، وحالفوا قريشاً ، وسار الآخرون الى الشام . وكانت لهم ولاية البيت الحرام بعد « جُرْهُم » ، وكانت مدة ولايتهم ثلاث مئة سنة فيما ذكر المسعودي . وفي العراق اليوم بقية منهم يقال لهم (الخزاعل) ، وهو محرف عن (خزاعة) كما قرر المؤلف رحمه الله في كتابه (أخبار بغداد وما والاها من البلاد) .

(٣٠) هو (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) ، وقد نشره المستعرب الألماني « هنري فرديناند فِسْتِنْفِلْد » (H. F, Wustenfeld) في سنة ١٢٧٥ هـ =١٨٥٨ م ، وصدره بمقدمة تاريخية ، باللغة الألمانية ، في ٢٥ صفحة ، أفاض فيها في مؤلفه أبي الوليد الأزرقي وكتابه هذا . ووجد صديقنا الأستاذ رشدي الصالح ملحس الكتاب مشحوناً بالتحريف والتصحيف ، فحققه تحقيقاً جيداً ، وكتب له مقدمة مفيدة ، وطبعه بمكة في سنة ١٣٥٢ هـ . وظهرت له طبعة جديدة في بيروت « دار الأندلس » .

(٣١) هو أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أبي الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني : مؤرخ يماني الأصل . ولد في مكة المكرمة في المئة الثانية للهجرة ، ولم يحدد تاريخ مولده . وتوفي في المئة الثالثة . واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته ، واستوفى ذلك رشدي الصالح ملحس في مقدمته لكتاب المترجم له ، والزركلي في الأعلام ٩٣/٧ ، ط ٢ . وقد ترجمه محمد بن اسحاق النديم في « الفهرست » ، وشمس الدين محمد بن عمر المغربي التونسي في « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » (من مخطوطات مكتبة الحرم المكي) ، وتقي الدين الفاسي في « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ، وغيرهم .

(٣٢) هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، سميت (زمزم) =

من السُّيُوف والغَزالَيْن وغير ذلك ، قال : « ضرب (عبدالمُطّلب) الأَسْيافَ على باب « الكَعْبَة » ، وضرب فوقَه أحدَ الغزالَيْن من الذَّهَب ، فكان [ذلك] أوّلَ ذهبٍ حُلِّيَتْهُ « الكَعْبَةُ » ؛ وجعل الغزال الآخرَ في بطن « الكَعْبة » ، في الْجُبِّ(٣٣) الّذي كان فيهـا يُجْعَلُ فيه ما يُهْدَى إلى « الكَعْبَة » . وكان « هُبَــلُ(٣٤) » صَنَمُ (قُرَيْش) ، في بطن « الكَعْبَة » ، على الجُبِّ . فلم يَزَلِ الغزال في « الكَعْبَة » ، حتّى أخَذَه النَّفَرُ الّذين كان من أمرهم ما كان » . قال : « وهو مكتوب أخذه ، وقِصَّتُه في غير هــذا الموضع . »(٣٥) انتهى .

ومنه يعلم أنّ المسروق غزالٌ واحــد(٣٦) ، لا كما ذُكِر في (شفاء الغَرام) . وتفصيل هذه القِصّة ، في التاريخ وكتب السِّيَر .

❊ ★ ❊

= لكثرة مائها، يقال : ماء زمزم وزُمازم ، أي كثير ، وقيل : هوعَلَم مرتجل ، وقيل غير ذلك ، والكلام في حفرها وما يقال فيها كثير ومستفيض في تواريخ مكة .

(٣٣) من معاني « الجُبّ » : رَكِيّة أي « بئر » تُجاب « تقطع » في الصفا « الصخر » . وفي كتاب أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٤٤ عن مجاهد ، قال : « كان في الكعبة على يمين من دخلها جُبّ عميق ، حفره ابراهيم خليل الرحمان واسماعيل عليهما السلام حين رفع القواعد ، وكان يكون فيه ما يهدى للكعبة من حلي أو ذهب أو فضّة أو طيب أو غير ذلك » .

(٣٤) هُبَلُ ــ غير مصروف ، معدول عن هابل ــ : صنم كان في الكعبة لقريش ، وفي حديث أبي سفيان قال يوم أُحُد : « أعل هُبَلُ » أي أعلِ دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أعلى وأجلُّ » .

(٣٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ط ــ مكة ، ٢/ ٤٧ و ١/ ٤٧ منه أيضاً .

(٣٦) ينظر التعليق (٢٢) .

ومن عقوباتهم وحدودهم (قتلُ الزّاني) :

والزِّنَى[٣٧] ، كان عنـدهم من أعظم المُنكَرات ، وأفظعِ المعاصي وأشنعِها . فلذلك جَعَلُوا عقوبته إزهـاقَ الرُّوح[٣٨] ، والقتلَ الّذي هو أعظم الحدود .

ومن شواهد ذلك مـا كان من (النُّعمان بْنِ المُنْذِر) [٣٩] من قتل

(٣٧) الزنى ، والزناء : قال اللحياني – : « الزنى ، مقصور : لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : (ولا تَقْرَبُوا الزِّنى) بالقصر . والنسبة الى المقصور : زِنَوِيّ . والزِّناء ، ممدود : لغة بني تَميم » . وفي الصحاح : المدّ لأهل نجد ، والنسبة الى الممدود : زِنائي .

(٣٨) ازهاق الروح : استخراجه ، والأصل في الزهوق الخروج بصعوبة .

(٣٩) هو النعمان (الثالث) بن المنذر (الرابع) اللخمي ، أبو قابوس : من أشهر ملوك الحيرة قبل الإسلام . ملك الحيرة إرثاً عن أبيه نحو سنة ٥٩٢ م . وكانت تابعة للفرس الساسانيين الذين غلبوا على العراق وبغوا على أهله ، فأقرّه عليها كسرى ، فاستمر الى أن نقم عليه أبرويز أمراً ، فعزله ، ونفاه إلى خانقين ، أو المدائن ، فسجن فيها الى أن مات . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة ، فوطئته ، فهلك . وكان مقتله – فيما يقال – سبب يوم ذي قار الذي هزمت فيه بكر بن وائل جموع الأعاجم وجيوش فارس ، وقال فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي انتصروا » . وذوقار : ماء لبكر متاخم لسواد العراق . وقد تغنى بهذا اليوم أبو تمام مراراً في شعره ، فقال يمدح أبا دُلَف العِجْلِيّ :

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ما وطّدتْ من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس (حاجب)

وحاجب هو : (حاجب بن زرارة التميمي) .

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشّيبانيّ :

أُلاك بنو الإفضال لولا فعالهم ... دَرَجْنَ فلم يوجد لمكرمة عقْبُ

لهم (يوم ذي قار) مضى وهو مفرد ... وحيد من الأشباه ليس له صحبُ =

(المُتَجَرِّدة[٤٠]) و (المُنَخَّل العَبْدِيّ)[٤١] لمّا اطّلع على ما كان من أمرهما . وأراد قتلَ (النّابغة الذُّبْيانيّ)[٤٢] لمّا تعرّضَ في قصيدته الدّاليّة

= به علمت صُهْبُ (الأعاجم) أنه به أعربت عن ذات أنفُسها (العُرْبُ)
هــو المشهد الفرد الذي مانجا به لـ (كسرى بن كسرى) لاسَنامٌ ولا صُلْبُ !

(٤٠) اسم زوج النعمان بن المنذر، وقد نسج الشعوبيّون عليها مفتريات ، لإسقاط مكانة زوجها في النفوس ، إذ تَأَبّى على أبرويز أن يصاهره ، فقتله .

(٤١) المشهور هو (المُنَخّل اليشكُرِيّ) . أما (العبديّ) ، فأراه في الأصل المنقول عنه (العبيديّ) نسبة الى أبيــه (عُبَيْد) اذا صّح ما جــاء في « الشعر والشعــراء » (ص ٤٠٤) . غير أن المتعارف إنما هو النسبة الى القبيلة . وفي الأغاني (٩/ ١٥٨) و (١٨/ ١٥٢) روايات عدة في اسمي أبيه وجده . والمنخل شاعر جاهلي ، من بني يشكر ، كان ينادم النعمان بن المنذر . وتزعم رواية أنه كان يحسد النابغة الذبياني ، لاستخلاص النعمان له ، فأغراه أن يصف (المتجردة) زوج النعمان ، إيقاعاً به . فوصفها وأسرف في الوصف حتى ذكر ما يستقبح ذكره . فدرج بينهما بالسعاية في ذلك . وشبب المُنَخّل بهند بنت عمرو بن هند ، أو أخته ، وقال فيها قصيدته المشهورة :

إن كنت ، عاذلتي فسيري نحوَ (العــراق) ولا تحوري

وبلغ خبرها عَمْراً ، فأخذ المنخل فقتله . وزعمت رواية شعوبية أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله . . اتهمه بامرأته « المتجردة » فحبسه ، ثم غمض خبره . وقيل : إنه أرسله في طريق ، فلم يعد منها ، فضرب به المثل ، وقيل : « حتى يؤوب المنخل » كما قيل في القارظَيْن: « حتى يؤوب القارظان » ، وفي المثلّم : « حتى يؤوب المثلم » ، وفي نشيط : « حتى يجيء نشيط من مرو » . وزعمُ اتهام المنخّل بالمتجردة امرأة النعمان ، إضافة رواية شعوبية ثانية إلى النابغة الذبياني ، كما سأشير إليها في ترجمته بعدُ .

(٤٢) هو زياد بن معاوية ، من بني ذبيان من قيس ، أحد شعراء المعلقات السبع أو العشر ، وكان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام .. نبغ بالشعر بعد ما احتنك ، =

المشهورة لوصف حرمه ؛ ثُمَّ اعتــذر منه بعِدّة قصائدَ ، فعفا عنــه .

وقِصّةُ (صَخْرٍ)[٤٣] الشّاعرِ الشّهير ، لمّــا توسّمَ في زوجته الميلَ إلى غيره ، وكان مريضاً ، وهي مشهورة .

= وصار يفد على المناذرة في الحيرة ، وعلى الغساسنة في الشام ، ويمدحهم ، فيكرمونه ويحسنون وفادته . واستخلصه النعمان (الثالث) بن المنذر (الرابع) لنفسه ، وجعله من ندمائه ، وأسبغ نعمته عليه ، فحسدته بطانته ، وبلغته عنه شيئاً ، فنذر دمه ، فأحس وهرب الى الشام لائذاً بملوك غسان . وقد صيغت في سبب سخط النعمان عليه روايات عدة متضاربة ومبتسرة ، ولا سيما خبر اتهامه بالمتجردة زوج النعمان ، فانه من وضع الرواة الشعوبيين ولا ريب . والحقيقة هي أن حساد النابغة على مكانته عند النعمان بلغوا النعمان اتصاله سراً بملوك غسان خصوم المناذرة السياسيين ومنافسيهم على الملك : يمدحهم ، ويمالئهم عليه ، ويمهد لهم في بلد المناذرة ، فسخط النعمان عليه لذلك . ويؤيد هذا تنصله في « اعتذارياته » للنعمان مما رمي به من ذلك ، وقد احتج فيها بأنه لم يمدح ملوك الغساسنة إلا لأنهم قد أحسنوا اليه قديماً ، وحكموه في أموالهم ، فشكر لهم صنيعهم ، وهذا الشكر لا يصلح أن يكون خيانة يعاقبه النعمان عليها . وأقام عليه الحجة بأنه هو (أي النعمان) نفسه يصطنع قوماً ويحسن اليهم ، فيشكرون له ذلك ، فلا يرى هذا الشكر ذنباً . وقد استلت هذه الحجة سخيمة النعمان ، فأذن له بالعودة اليه ، فعاد موفور الكرامة ، وما زال يتفيأ في ظلال نعمته حتى اخترُمَ في السنة التي قتل فيها أبرويز الساسانيَ النعمانَ ، وذلك قبل الهجرة بنحو ثمانية عشر عاماً .

(٤٣) هو صخر بن عمرو بن الشريد السُّلَمي ، أخو الشاعرة المشهورة « الخنساء » . كان شريفاً في بني سُلَيْم . وخبره مع زوجه الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله ، ليس فيه ما يدلّ على ميلها إلى غيره . ولكن فيه ما يشير الى بَرَمها بطول مرضه من جرح رَغيب (واسع) في جنبه أصابه في غزاته لبني أسد بن خزيمة ، فمرض منه قريباً من الحَوْل حتى ملّه أهله ، وعاده قومه ، فكانوا اذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت : « لا هو حيّ فيرجى ، ولا هو ميت فينسى » . وصخرٌ يسمع كلامها . فشق عليه ذلك . واذا قالوا لأمه : كيف صخر اليوم ؟ قالت : « أصبح =

و (ذوات الرّايات)[٤٤] ، لم يكنّ من الغرب ، بل كُنّ إماءً . وكان مذهبهم في الإماء غيرَ مذهبهم في الحرائر .

ولمّا أخذَ الشّارع البَيْعَةَ عليهنّ ، شرَطَ عليهنّ أنْ لا يَزْنِينَ . فقالت (هِنـد بنت عُتْبَةَ)[٤٥] متعجِّبَةً : « وهل تَزْني الحُرَّة ؟ ! » .

= صالحاً بنعمة الله . أو قالت : أرجو له العافية إن شاء الله . والخبر في « الشعر والشعراء » ٣٤٤/ ٣٤٥ ، « ونهـاية الأرب » للنويريّ ١٥/ ٣٦٨ ، وخزانة البغدادي ١/ ٢٠٩ ـ وفيه (١) : أنه « لما أفاق من علّته بعضَ الإفاقة ، عمد الى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت » . (٢) « بل قال : ناولوني سيفي لأنظر كيف قوّتي ، وأراد قتلَها . وناولوه إياه ، فلم يطق السيف » . وهذا الشق الثاني هو الصحيح بآية ما قال من الشعر فيه :

أرى (أمَّ صَخْرٍ) ما تَمَلُّ عِيادتي ... ومَلّتْ (سُلَيْمَى) مضجَعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازةً ... عليكِ ، ومن يغترُّ بالحدَثان ؟
فأيّ امرئٍ ساوَى بأمٍّ حَليلَـةً ... فلا عاشَ إلا في أذى وهَوانِ
أهُمُّ بأمر الحزمِ لو أستطيعُـهُ ... وقد حِيلَ بين العَيْر والنَّزَوانِ
لعَمْري لقد أنبهت من كان نائماً ... وأسمعتُ مَن كانت له أذنـانِ

هذا ، وزوج الشاعر لم تقترف إثماً ، غير ما استشعره من برَمها بطول مرضه في قولها لعائديه : « لا هو حيّ فيرجى ، ولا ميت فينسى » ، فآلمه أن تقول هذا ، ولا ترجو له العافية كما ترجوها له أمه .

(٤٤) هن ، فيما زعم بعض الرواة ، إماء بغاياكنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن . . وقد ساق هشام الكلبي السبئي في « كتاب المثالب » أساميهن ، فسمى منهن أكثر من عشر نسوة ، (ينظر الكتاب الملحق) .

(٤٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : صحابيّة ، قُرَشية ، عالية النسب والأدب ، شاعرة فصيحة تقول الشعر الجيد . تزوجها أبو سفيان بن حرب ، وولدت له معاوية أحد كتاب الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام . أسلمت يوم فتح مكة ، وبايعت بعد إسلام زوجها أبي سفيان . ولما أخذ النبي عليه الصلاة والسلام =

وكان النِّكاح في الْجاهليّة على عشرة أَنْحاء[٤٦] ، ولِ (ابْنِ الكلبيّ) كتاب في « مناكح أزواج العرب »[٤٧] .

ولو كان الزِّنَى عندَهُم مباحاً ، لم يكن عَقْدُ النِّكاح عندَهُم مشروعاً .

والشّعر المشتمل على حدّ الزّاني بالقتل كثير ، لو تتبّعناه واسْتَقْرَيْناه . لم يَسَعْهُ المقام .

★ ★ ★

ومن عقوباتهم (القِصاص[٤٧]) :

وهو من أحكام الْجاهليّة ، الّتي وافقت حكم الإسلام ، على تفصيلٍ لم يكن في الْجاهليّة : كالقتل العَمْد ، وشِبْه العَمْد ، والخطأ ، وشِبْه الخطأ . ولكُلٍّ ، حكمٌ مذكور في كتب الفقه والحديث والتّفسير .

ومن شواهد القِصاص عندَهُم ، قولُهم المشهورُ الّذي هو أبلَغ كلام عندَهُم وأوجَزُه ، وهو : « القتلُ أَنْفَى للقتل »[٤٨] .

= البيعة على النساء ، وتلا عليهن قوله تعالى : (ولا يَسْرِقْنَ ولا يزنين . .) الآية ١٢ / الممتحنة ، قالت هند : وهل تزني الحرة أو تسرق ، يا رسول الله ؟ وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . طبقات ابن سعد ٨/ ١٧٠ ، أسد الغابة ٥/ ٥٦٢ ، الروض الأنف ٢/ ٢٧٧ ، الإصابة : ت ١١٠٣ ، الاستيعاب ، بحاشيتها ٤٠٩/٣ ، التبيين في أسماء القرشيين ١٨٩ ، الأغاني « فهرسه » ، خزانة البغدادي ١/ ٥٥٦ ، مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٤ ، نهاية الأرب للنويري ١٧/ ١٠٠ و ٣٠٧ و ٣١٠ ، الدر المنثور ٥٣٧ ، رغبة الآمل ٣/ ٧٨ .

(٤٦) ينظر « الكتاب الملحق بآخرهذه الدراسة .

(٤٧) ذكره محمد بن إسحاق النّديم في كتابه « الفهرست » (١٤٧ ، ط . مصر ، ١٣٤٨ هـ) ، بين « كتب هِشام الكلبيّ فيما قارب الإسلامَ من أمر الجاهلية » ، باسمِ : « كتاب مناكح أزواج العرب » .

(٤٨) ينظر الكتاب الملحق بآخر هذه الدراسة .

غيرَ أنَّ القِصاص عندَهُم ، لم يكن كما ورد في الشّريعة : (النَّفْسَ بالنَّفْسَ ، والعَيْنَ بالعَيْنِ ، والأَنْفَ بالأنْفِ ، والأُذُنَ بالأُذُن ، والسِّنَّ بالسِّنِّ ، والجُرُوحَ قِصاصٌ)(٤٩) .

بل رُبّما قتَلُوا بالواحد جَمْعاً(٥٠) . ومن شواهدِ ذلك ، قِصّةُ (كُلَيْب)(٥١) المشهورة .

(٤٩) الآية ٤٥ من سورة المائدة ، وهي بتمامها : (وكتبنا عليهم فيها : أنَّ النَّفْس بالنَّفْس ، والعَيْنَ بالعَيْن ، والأَنْفَ بالأَنْفَ ، والأُذُنَ بالأُذُنِ ، والسِّنَّ بالسِّنّ ، والجُرُوحَ قِصاصٌ . فَمَنْ تَصَدَّقَ به فَهُوَ كَفّارةٌ له . ومَنْ لم يحكُمْ بِما أنزل اللهُ فأولئك هُمُ الظّالمونَ) .

(٥٠) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧/٢٠) : « كانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا . وكان ذلك داعياً إلى قتل العدد الكثير . فلما شرع الله القصاص ، قنع الكل به ، وتركوا الاقتتال ، فلهم في ذلك حياة » .

(٥١) هو كليب بن ربيعة بن الحارث التغلبي الوائلي : سيد الحَيَّيْن « بكر » و « تغلب » قبل الإسلام . تشبه بالملوك في امتداد السلطة . كانت منازله في نجد وأطرافها ، وبلغ من عزّه أنه كان يحمي الكَلأَ ، فلا يُقْرَب حِماه . ومن أمثالهم : « هو في حمى كليب » لمن كان آمناً ، قال الرواة : إنه قاد مَعَدّاً كلّها ، ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه « معدّ » كلها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته . فغَبَرَ بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زَهْوٌ شديد ، وبغى على قومه . فقتله جساس بن مرة البكري الوائلي ، وكان أخا زوجة كليب ، فثارت « حرب البسوس » أطول حرب عرفت قبل الإسلام بين بكر وتغلب ، زعم الرواة أنها بلغت أربعين عاماً . وخبره وخبر هذه الحرب في : ـ العقد ، والأغاني ـ وحكايته عن هشام الكلبي الوضاع الشعوبي كما ذكره المؤلف في بلوغ الأرب (٢/ ١٥٠ وما بعدها) .

والهامَةُ [٥٢] عنــدَهُم طائر ، يتولّد من روح المقتول، يكون على قبره ، ولم يَزَل يصيــحُ ويقول : « إسقُونِي . اسقُونِي ! » حتّى يؤخَذَ بثأره .

★ ★ ★

ومن عقوباتهم (إعطاء دِيَةِ القتيل)[٥٣] :

وهي مِئة من الإبِل . وكانوا يأنَفُون مِن أخذها . ويعيّرون مَن يرضَى بها . وفي ذلك شعر كثير ، منه قول (مُرّةَ بن عَدّاء الفَقْعَسِي) :[٥٤] .

(٥٢) قــال المسعودي في « مروج الذهب » : « من العرب من يزعــم أن النفس طائر ينبسط في الجسم . فإذا مات الإنسان ، أو قُتِل ، لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره . ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ، ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم . وهو أبداً مستوحش ، ويوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور ، وأنها لم تزل عند ولد الميت ومخلفه ، لتعلم ما يكون بعده فتخبره » . وقيل : الهامة أنثى الصَّدَى ، وهو ذكر البوم . وقد يسمونها الصدى ، والجمع أصداء . وقد نفى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، توهم « الهامة » . ونهى عنها . غير أن هذا الوهم ما برح شائعاً يتردد في أشعار الإسلاميين أمثال قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية، وتوبة بن الحميّر صاحب ليلى الأخيلية ، وحُمَيْد بن ثور . وفي هذه الخرافة كلام طويل ، ينظر في : نهاية الأرب ٣/ ١٢١ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (هـ/و/ م) ، وشرح المفضليات ١٥٧٢ ، وبلوغ الأرب ٢/ ٣١١.

(٥٣) الدِّيَةُ ، بتخفيف الياء : حقّ القتيل ، وأصلها « وَدْيَة » بفتح الواو وسكون الدال ، تقول : وَدَى القتيل يَدِيه وَدْياً ودِيَةً ، إذا أعطى وليّه دِيَتَهُ ، وهي ما يجعل في مقابل النفس ، وسمّي ديةً تسمية بالمصدر ، وفاؤها (أي أولها وهو الواو) محذوفة ، والهاء عوض من الواو ، وفي الأمر : « دِ القتيلَ » بدال مكسورة حَسْبُ . فإنْ وقفتَ ، قلت : دِهْ ، وللاثنين: « دِيا » ، وللجماعة : « دُوا فلاناً » . واتّدى : أخذ دِيَتَهُ .

(٥٤) الفقعسي: نسبة الى فَقْعَس بن طريف أبي حيّ من أسد . وأبياته هي الحماسية =

رأيتُ مَوالِيَّ الأُلى يخذُلُونَنِي
على حَدَثانِ الدَّهْرِ إذْ يتَقَلَّبُ [55]
فَهَلا أَعَدُّوني لمِثلي ـ تفاقَدُوا ـ
إذِ الخَصْمُ أَبْزَى مائلُ الرّأسِ أَنكبُ [56]
وهَلا أَعَدُّوني لمِثلي ـ تفاقَدُوا ـ
وفي الأرضِ مبثوثٌ شُجاعٌ وعقربُ [57]
فلا تأخُذوا عَقْلاً من القوم ، إنّني
أرى العارَ يبقى ، والمَعاقِلَ تذهَبُ [58]

= الخمسون في « ديوان الحماسة » اختيار أبي تمام ، وعدتها فيه خمسة أبيات ، وخامسها قوله :

كأنك لم تُسْبَقْ من الدهر ليلةً ... اذا أنت أدركتَ الذي كنت تطلُبُ

وسيأتي مستقلاً بعد قليل .

(٥٥) الموالي ، هاهنا : أبناء العم . ـ والألى : بمعنى الذين .

(٥٦) تفاقدوا : فقد بعضهم بعضاً ، دعاءٌ عليهم ، اعترض بين أول الكلام وآخره . ـ أبزى : البَزَى انحناء الظهر عند العَجُز في أصل القَطَن ، ، وقيل : هو إشراف وسط الظهر على الاسْت ، وقيل : هو خروج الصدر ودخول الظهر ، وقيل : هو أن يتأخر العجز ويخرُج . يقال : بَزِي يبزَى بزى ، وبزا يبزو بزءاً ، وهو أبزى . والأنثى بزْواء ، وأبزى الرجل يُبْزي إبزاءً إذا رفع عَجُزَه ، وتَبازَى مثله . ـ الأنكب : أفعل ، من النَكَب ـ بفتحتين ، وهو شبه الميل في المشي ، ومنه الأنكب من الابل ، وهو الذي يمشي في شقّ .

(٥٧) الشُّجاع والشِّجاع ، بالضم وبالكسر : قال شَمِرٌ في كتاب الحيّات : هو ضرب من الحيّات لطيف دقيق ، وهو ـ فيما زعموا ـ أجرؤها . وقال غيره : الشجاع الحية الذكر ، وقيل : هو الحية مطلقاً ، والجمع أشجِعة وشُجْعان وشِجعان . كنى الشاعر به وبالعقرب عن الأعداء والشّرّ .

(٥٨) الدِّية (ينظر التعليق ٥٣) . وسميت الدِّية « عقلاً » تسمية بالمصدر ، لأن الإبل التي هي دية القتيل كانت تعقل بِفِناء وليّ القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق=

وحكى (الأَصْمَعِيُّ) [٥٩] : « صار دَمُهُ مَعْقُلَةً على قومه [٦٠] » . أي : صاروا يَدُونَهُ .

وكان أخذُ الدِّيَة عندَهُم من أشدّ العار . كما سبق . قال قائلهم :

إذا صُبَّ ما في الوَطْبْ ، فاعْلَمْ بأنّه
دَمُ الشّيخِ ، فاشْرَبْ من دَمِ الشّيْخِ ،أوْ دَعا [٦١]

= العقل على الدية ولم تكن إبلاً ، كما قرره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « باب العاقلة » من « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » . وقال في « العاقلة » : هي قرابات الرجل من قبل الأب ، وهم عصبته ، وهم الذين كانوا يعقلون الإبل على باب ولي المقتول . وتحمل العاقلة الدية ثابت بالسنة ، وأجمع أهل العلم على ذلك ، قال : وهو مخالف لظاهر قوله تعالى : (ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرى) . لكنه خُصّ من عمومها ، لِما فيه من المصلحة ؛ لأن القاتل لو أُخذ بالدية ، لأوشك أن تأتي على جميع ماله ؛ لأن تتابع الخطأ منه لا يؤمن ، ولو تُرِكَ بغير تغريم لأهدر دم المقتول . . وعاقلة الرجل عشيرته ، فيبدأ بفخذه الأدنى ، فإن عجزوا ضُمَّ اليهم الأقرب اليهم ، وهي على الرجال الأحرار البالغين ذوي اليسار منهم .

(٥٩) عبدالملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد : أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . مولده سنة ١٢٢ هـ بالبصرة ، ووفاته فيها سنة ٢١٦ هـ . ولعبدالله ابن أحمد الربعي كتاب « المنتقى من أخبار الأصمعي – ط » غير تام ، وفي مقدمته ترجمة له وافية وكثير من أخباره . ومصادر ترجمته كثيرة ذكرها الزركلي في الأعلام ٤/٣٠٧ – ٣٠٨ ، ط ٢ ، ومحقق « إنباه الرواة » في ترجمته .

(٦٠) أي صار غُرْماً يؤدّونه من أموالهم . وبنو فلان على مَعاقلهم الأولى من الدية ، أي : حال الديات التي كانت في الجاهلية ، يؤدونها كما كانوا يؤدونها في الجاهلية ، وعلى معاقلهم أيضاً ، أي : على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك ، واحدتها مَعْقُلَة ، بضم القاف .

(٦١) الوَطْب : سقاء اللبَن خاصة ، وهو جلد الجَذَع فما فوقه . وقد وصفه حُمَيْد ابن ثور باثني عشر بيتاً ، واستحسن النقاد وصفه ، وهي في « الشعر والشعراء » =

يقول : إنّ الّذي تشرَبُونه من لبن الإبِل ، الّتي أخذتموها في دِيَةِ شيخكم ، إنّما هو دَمُهُ تشرَبُونه .

وقال آخَرُ لرجلٍ أخذ الدِّيَةَ تمراً :

فَظَلَّ يصونُ التَّمْرَ ، والتَّمْرُ مُنْقَعٌ (٦٢)
بِوَرْدٍ كلَوْنِ الأُرْجُوانِ سَبائِبُهْ (٦٣)

وقال (مُرَّةُ)(٦٤) :

= (٣٩٢ ـ ٣٩٣) . ـ دَعْ : اترك ، والألف في آخره مقلوبة من نون التوكيد الخفيفة . والتعبير عند العرب بأخذ الدية دون الأخذ بالثأر ، كثير في أشعار شعرائهم ، وقد ذكر أبو عثمان الأشنانداني في « كتاب معاني الشعر » قدراً منها غير يسير ، لم يرد في هذا البحث .

(٦٢) مثل هذا المعنى قول الآخر :

أبا العوف إن الشَّول ينقع رسلها ... ولكن دم الثأر النميريّ أنقعُ

يعيره بأخذ الدية . والرسل : اللبن ، يقول : ولكن دم ثأرك أروى لك .

وقول الآخر :

فلا و (إسافٍ) لا ينال هَدِيَّنا ... ولما تروا نَعْلَ (ابن سعدى) تُقَطَّعُ
ولما تَقُلْ خالاتُنا : لَدِماؤنا ... هي المــاء للصديـان ، بل هي أنقع

وتفسيره في « كتاب معاني الشعر » (ص ٩٤) .

(٦٣) بوردٍ : بلون وَرْد ، أي : أحمر يضرب الى صفرة حسنة في كل شيء . ـ الأُرْجوان : الأحمر ، والحُمرة . . وحكى السيرافيّ : أحمر أرجوان ، على المبالغة به ، كما قالوا : أحمر قانيْ ، وذلك لأن سيبويه إنما مثّل به في الصفة ، فإما أن يكونعلى المبالغة التي ذهب اليها السيرافيّ ، وإمّا أن يريد الأرجوان الذي هو الأحمر مطلقاً . ـ السبائب : الخُصَل من الشعر ، والمراد خصل التمر في العثاكيل ، الواحدة سبيب وسبيبة .

(٦٤) هو مُرّة بن عدّاء الفَقْعَسيّ ، من بني فَقْعَس بن طَرِيف أبي حيّ من أسد .

كأنّك لم تُسْبَقْ من الدّهرِ ليلةً
إذا أنتَ أدركتَ الّذي كنتَ تطلُبُ

يقول : مَن أدرك ما طلبه من الثّأر ، فكأنّه لم يُصَبْ ، ولم يُوتَر(٦٥) .
وهذا بعثٌ على طلب الدّم .

ومثلُه ، غيرَ أنّه بعثٌ على طلب المال :

كأنّ الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى
ولم يَكُ في بُؤْسٍ إذا ما تَمَوّلا (٦٦)

وقال آخرُ في التّنفير عن الدِّيَة (٦٧) :

فلو أنّ حيّاً يقبَلُ المالَ فِدْيَةً
لَسُقْنا لهم سَيْلاً من المال مُفْعَما (٦٨)

---

(٦٥) وَتَرَه يَتِرُهُ وَتْراً وتِرَةً : قتل حميمه ، و — أصابه بمكروه ، والموتور : الذي قُتِل له حميم ، فلم يدرك بدمه . وفي حديث محمد بن مسلمة : أنا الموتور الثائر ، أي : صاحب الوَتْر المطالب بالثأر.

(٦٦) أورده المَرْزُوقي في شرح ديوان الحماسة ٢٦٥/١ غير منسوب ، وكذلك فعل الخطيب التبريزي أيضاً في شرحه ، مع أنه من الحماسية الخامسة والتسعين في ديوان الحماسة . وقد نسبها أبو تمام الى جابر بن ثعلب ، أو ثعلبة الطائي . وهو رابع خمسة أبيات عند المرزوقي ، ورابع ستة أبيات عند الخطيب التبريزي . وعجزه في رواية الأول : « ولم يك صعلوكاً إذا ما تَمَوّلا » . وفي طريقته البيت الخامس بعده :

ولم يك في بؤس إذا بات ليلة   يناغي غزالاً ساجِيَ الطرف أكحلا

(٦٧) البيتان هما الحماسية الواحدة والخمسون في ديوان الحماسة لأبي تمام ، من غير عَزْو .

(٦٨) المال ، هنا : الإبل . — لهم : في شرح المرزوقي ٢١٦/١ : « لكم » . — سيل مفعَم : فائض كثير ، قال المرزوقي : والسيل يفعم به الشيءُ ، يجوز أن يكون من باب =

ولكنْ أَبى قومٌ ، أُصيبَ أَخوهُمُ ،
رِضَى العارِ ، فاختارُوا على اللبنِ الدَّما

معنى البيت الأوّل : لو كانت معاملتنا مع حَيٍّ يرى قبول المال فِداءً ، لأرضيناه بالمال الكثير .

ومعنى البيت الثّاني : إمتنع قوم ، أَصَبْنا صاحبهم ، من الرِّضَى بالدَّنيّة ، وآثَرُوا طلب الدَّم على قبول الدِّيَة . وجعَلَ اللبن كنايةً عن الإبِلِ التي تُؤَدَّى عَقْلاً (٦٩) ، لأنّه منها . أي : أَبَوْا أن يَرْضَوُا العارَ خُطّةً (٧٠) لأنفُسِهم .

وقالت (كَبْشَةُ)(٧١) أخت (عَمْرو بن مَعْدِ يكرِبَ)(٧٢) :

= « هَمٌّ ناصب » وما أشبهه ، ويكون المعنى سيلاً ذا إفعام . ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالق ومرضع ، ومثله : نخلة موقر . ويجوز ـ وهو الأجود ـ أن يكون عبر عن الكثرة بقوله « مفعَم » ، كما عُبِّر في قولهم « شعرٌ شاعرٌ » ، و « موتٌ مائتٌ » عن التناهي بلفظ فاعل ، وإن كان الشعر لا يشعر ، والموت لا يموت ، كما أن السيل لا يُفْعِم .

(٦٩) ينظر التعليق (٥٨) .

(٧٠) الخُطّة ، بالضم ـ وجمعها خُطَط بالضم ثم الفتح ـ : الأمر ، أو الحالة . وفي الحديث : « قد عرض عليكم خُطّة رُشْد ، فاقبلوها » ، أي : عرض أمراً واضحاً في الهدي والاستقامة ، وفي المَثَل : « جاء فلان وفي رأسه خُطّة » ، أي : أمر قد عزم عليه .

(٧١) قال ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » (٣٧٤) : كان لعمرو بن معد يكرب أخ ، يقال له (عبدالله) ، وأخت يقال لها (كبشة) . فقُتِل أخوه (عبدالله) ، وأراد عمرو أخذ الدية ، فقالت (كبشة) تعيّر فيه (عمراً) :

فإنْ أنتمُ لم تثأروا واتَّدَيْتُمُ فمَشُّوا بآذان النَّعامِ المُصَلَّمِ

(٧٢) عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي ، أبو ثور ، من مَذْحِج : أحد فرسان العرب =

أَرسلَ (عبدُالله ِ) ، إذْ حانَ يومُهُ ،
إلى قومه ِ : لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دَمِي[(٧٣)]
ولا تأخُذُوا منهم إفالاً وأبْكُراً
وأُتْرَكَ في بيتٍ بـ « صَعْدَةَ » مُظْلِمِ[(٧٤)]
ودَعْ عنك (عَمْراً) ، إنَّ (عَمْراً) مُسالِمٌ
وهَلْ بطنُ (عمروٍ) غيرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ ؟
فإنْ أنتمُ لم تَثْأَرُوا ، واتَّدَيْتُمُ ،
فَمَشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ
ولا تَرِدُوا إلاّ فُضُولَ نِسائِكمْ
إذا ارْتَمَلَتْ أعقابُهُنَّ من الدَّمِ

= المشهورين بالبأس . أدرك الإسلام ، وقدم على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – (المدينةَ) ، وأسلم . ثم ارتدّ فيمن ارتدوا باليمن . ثم هاجر الى (العراق) فأسلم . وشهد (القادسية) ، وأبلى في قتال الفرس المجوس بلاءً حسناً . ثم شهد مع النعمان بن مُقَرِّن المزني فتح (نهاوند) ، فاستشهد هناك مع النعمان وطليحة ابن خويلد ، فقبورهم هناك في (الإسبيذهان) . وترجمته في: كتب الصحابة ، وسمط اللآلي ٦٣ ، والأغاني ٤/٢٤ .

(٧٣) هذه الأبيات هي الحماسية الثانية والخمسون في« ديوان الحماسة » اختيار أبي تمام ، وفي معجم البلدان (صعدة) . والبيتان : الثالث والرابع ، في الشعر والشعراء (٣٧٣) بتقديم الرابع . – وقولها : « أرسل » ، دخل عليه الخَرْم ، وهو حذف الفاء من « فعولن » ، والخرم جائز في مطلع القصيدة . هكذا ورد في ديوان الحماسة وفي شرحي المرزوقي والتبريزي ، وورد في لسان العرب (ع / ق / ل) : « وأرسل » بالواو غير مخروم . وصعدة في التعليق (٧٩) .

(٧٤) الإفال: سيذكر المؤلف تفسيرها . – الأبكر ، والبكار ، جمع البَكْر – بفتح فسكون : الفتيّ من الإبل ، والأنثى بكرة ، وفي المثل : « جاؤوا على بَكْرَةِ أبيهم » ، أي : جاؤوا جميعاً . وبقية الأبيات : فسرها المؤلف .

قولها : « أرسل عبدالله ... » إنّما تكلّمت به على أنّه إخبار عمّا فعله (عبدُالله) ، وهو أخو (عَمْرو) ، وغَرَضُها تحضيضهم على إدراك الثأْر . ويقال : عَقَلْتُ فُلاناً ، إذا أعطيتَ دِيَتَهُ . وجعل هذا المعقولَ الدَّمَ ؛ لِأنَّ المراد مفهوم ، كأنّه قال : لا تأخُذُوا بدَلَ دمي عَقْلاً .

وقولها : « ودَعْ عنك (عَمْراً) » ، أي : خالِفْ (عَمْراً) إنْ هو مالَ إلى الصُّلْح ، ورغِب في أخذ الدِّيَة .

وقولها : « ولا تأخذوا إلاّ إفالاً . . . » ، الإفال: جمع أَفِيل ، وهو الّذي أتت عليه سبعة أشهر أو ثمانية من أولاد الإبِل . فإنْ قيل : لِمَ ذكرتِ الإفالَ والأبْكُرَ ، وما يُؤَدَّى في الدِّيات لا يكون منهما ؟ قلتُ : أرادت تحقير الدِّيات ، كما يقول الرَّجُل إذا أراد تحقير أمر : « خِلعةٌ فازَ بها إنسان » (٧٥) ، إنّما أُعطيَ خِرَقاً وفُلُوساً ، وإنْ كانت الثِّيابُ المعطاة كِسْوَةً (٧٦) فاخرة ، والمال المحقّر جائزةً سَنِيّة (٧٧) .

وقولها : « وهَلْ بطنُ (عمرو) غيرُ شِبرٍ لِمَطْعَم » ، تزهيد في الدِّيَة ، كما ورد في الخبر : « هل بطنُ ابْنِ آدمَ إلاّ شِبْرٌ في شِبْر » (٧٨) لمّا أُرِيدَ تزهيدُه في الدُّنْيا .

---

(٧٥) الخِلعة من الثياب : ما خلعته فطرحته على آخر ، أو لم تطرحه ، وكل ثوب تخلعه « خِلعةٌ » . واستعملت في معنى خيار المال يهدى الى الإنسان من كسوة وغيرها في ختان أو عرس أو عند انتهاء بناء بيت أو عمارة ـ كما تشيع اليوم في مصطلح البغداديين .

(٧٦) الكِسْوَة والكُسْوَة : اللباس ، جمعها كُساً .

(٧٧) سَنِيّة : ذات سناء ورفعة وقدر .

(٧٨) في كتاب الزهد من صحيح الترمذي ، ومسند الإمام أحمد ١٣٢/٤ : « ما ملأ آدميّ وعاءً شرّاً من بطن » .

وقولها : « وأَتْرُكَ في بيتٍ بِـ « صَعْدَةَ » مُظْلِم » — صعدةُ [٧٩] : مِخلاف من مَخاليف « اليَمَن » . ويسمّيها غيرهم « المَزالِفَ » ، وهم أهل « الحِجاز » . ويسمّيها أهل « نَجْد » « المَذارِعَ » ، شبّهوها بمَذارِع

(٧٩) وأتركَ : انتصبَ الفعل بإضمار « أنْ » ، وهو جواب النهي بالواو . — وصعدة ، كما في « المشترك وضعاً والمفترق صُقعاً » و « معجم البلدان » — ثلاثة مواضع : ١ — مخلاف باليمن ، ٢ — صعدة بني عوف بن فِهر في أخبار ثابت بن جابر (تأبّط شرّاً) ، ٣ — ماءُ جوف العَلَمَيْن : عَلَمَيْ بني سلول ، قريب من « مخمّر » . قال ياقوت : « وهذا الموضع أرادته (كبشة) أخت (عمرو بن معد يكرب) — فيما أحسب — بقولها ترثي أخاها (عبدالله) ، وتحرّض (عَمْراً) على الأخذ بثأره » ، وساق أبياتها الخمسة هذه . وجاء عنده في البيت الثاني « قبري » في موضع « بيت » ، وفي البيت الرابع « وارتديتم » في موضع « واتّديتم » ، وهو من تحريف الطبع . و(صعدة) المعروفة اليومَ : مدينة مخلاف كبير باليمن ، بينه وبين (صنعاء) ثمانون ميلاً ومئة ميل . قال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » (ص ٩٨) : « تسمى في الجاهلية (جُماع) ، وكان بها في قديم الدهر قصر مَشيد [ثم سميت (صعدة) في خبر ذكره] . وقال بعض علماء العراق : إن النِصال الصاعدية تنسب الى (صعدَة) ، وإنما يقال فيها الصاعدية ، فاذا اضطر شاعر قال : صعدية » . ثم قال : « وهي كورة في بلاد خولان ، وموضع الدباغ في الجاهلية الجهلاء ، وذلك أنها في موسط بلاد القَرَظ ، وهو يدور عليها في مسافة يومين . . وكان بها حروب وأيام قد ذكرناها في بعض كتبنا ، وذكرنا من كان بها من شعراء خولان » . وقال الشيخ محمد بن علي الأكوع الحوالي معلقاً على كلام الهمداني (ص/٩٨) : « صعدة مدينة جميلة ، نزهة ، نضرة ، ولا تزال الأحداث تأخذ منها حتى يومنا هذا . وقد أخرجت من حَمَلة العلم ورواة الأخبار وأصحاب الأدب وأهل السيف والقلم جملة مستكثرة » ، وذكر بعضهم ، وزاد قوله : « وصعدة أيضاً بليدة من (مخلاف خدير) جنوب (تَعِزّ) » . وذكر الهمداني (صعدة) في (ص ٢٤٨) أيضاً ، وفي كتاب « الإكليل » ٢ / ٣٥٩ ، وانظر عنها معجم البلدان ، وصحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ١٦٨/٣

الأديم[٨٠] ، وهي كِرْعانُه[٨١] . وواحدة « المَزالف »[٨٢] مَزْلَفَة . وإنّما جعلت قبره مظلماً ، لأنّهم كانوا يزعُمُون أنّ المقتول إذا ثَأرُوا به ، أضاء قبره . فإذا أُهدِرَ دَمُه ، أو قُبِلتْ دِيَتُه ، يبقى قبره مظلماً .

وقولها : « واتّدَيْتُم » ، معناه : قَبِلتم الدِّيَةَ . يقال : وَدَيْتُهُ ، فاتّدى ، كما يقال : وَهَبْتُهُ ، فاتّهَبَ ؛ أي : قَبِلَ الهِبَةَ . وفي الحديث: « هَمَمْتُ أنْ لا أتّهِب[٨٣] إلّا من قُرَشِيّ، أو أنْصاريّ » .[٨٤] ومثلُه : قضيتُهُ الدَّيْنَ ، فاقتضاه ؛ أي : قبِله وتوقّره[٨٥] .

وقولها : « فَمَشُّوا . . . » ، أي : إمْشُوا ، وضعّف الفعل للتكثير . ومَنْ روى : « فَمُشُّوا » ، بضمّ الميم ، فمعناه : امْسَحُوا . ويقال لِلْمِنْدِيل[٨٦] : « المَشُوشُ[٨٧] » . والمعنى : إن لم تقتلُوا قاتلي ،

(٨٠) مَذارِع الدابة ومذاريعها : قوائمها تذرع بها الأرض . وقوائم ذرعات: سريعات . والمذارع : النخل القريبة من البيوت . والمذارع : ما داني المصر من القرى الصغار . والمذارع : المزالف ، وهي البلاد التي بين الريف والبر ، كالقادسيّة والأنبار في العراق ، الواحد مِذْراع ، وفي حديث الحسن : « كانوا بِمَذارِع اليمن » ، قال : هي القريبة من الأمصار . ومذارع الأرض : نواحيها .

(٨١) الكِرعان : جمع الكُراع ، وكُراع كل شيْ طَرَفُه .

(٨٢) في صحاح العربية : المزالف : البراغيل ، وهي البلاد التي بين الريف والبر ، الواحدة مَزْلَفَة .

(٨٣) أتّهِب : أقبل الهبة ، أصلها « أوْتَهِب » ، فقلبت الواو تاءً ، وأدغمت في تاء الافتعال ، مثل : اتّزن من الوزن ، واتّعد من الوعد .

(٨٤) في « النهاية في غريب الحديث والأثر » زيادةُ : « أو ثَقَفِيّ » ، نسبة الى ثَقِيف قبيلة الحجّاج بن يُوسُفَ والي العِراقين .

(٨٥) توقره : بَجّلَه .

(٨٦) المنديل بكسر الميم ، والمَنْدِيل بفتحها ، والمِنْدَل بكسر الميم وفتح الدال : =

وقَبِلْتُم دِيَتِي ، فامْشُوا أذِلّاءَ ، بآذان مُجَدَّعَة [88] كآذان النَّعام [89] .

= كله الذي يتمسّح به ، قيل : هو من النّدْل الذي هو الوسخ ، وقيل : إنما اشتقاقه من النّدْل الذي هو التناول . وقد تَنَدَّل به ، وتمندل . وأنكر الكسائي تمندل .

(٨٧) المَشُوش : ما تُمَشّ (تمسح) به اليد من منديل ونحوه ، من قولهم : مَشّ يده ، إذا مسحها بشيْ خشن ليزيل الدسم . والمَشّ ومشتقاته – ما عدا المشوش – من المتداول في كلام البغداديين اليوم .

(٨٨) جَدَّعه ، وجَدَّعه (بالتضعيف) : قطع أنفه ، أو طرفاً من أطرافه .

(٨٩) كـذا النص في شـرح ديوان الحماسـة للتبـريزي ، وقال المرزوقي في شرحه ٢١٨/١ : «ووصف النعام بالمصلم تصوير لها ، وإن كانت خلقتُه جميعها ذلك » . قال : ومن أحاديثهم عن البهائم : «ذهبت النعامة تطلب قرنين . فجدعت آذانها » . والنعام : يذكّر ويؤنّث ، وهو اسم جنس مثل : حمام وحمامة ، وجراد وجرادة ، وتجمع النعامة على نعامات . وهو حيوان مركب من خلقة الطير والجمل ، يقال له بالفارسية « اشترْ مُرْغ » ، وتفسيره : بعير وطائر . . أخذ من البعير العنقَ والوظيفَ والمَنسِمَ ، ومن الطير المنقار والجناح والريش . – مصلم الأذنين ، كأنهما اقتطعتا من أصولهما ، وهو صحيح حاسة السمع والشم ؛ يبتلع الحصى ، ويذوب في قانصته حتى يصير كالماء ، ويبتلع الجمر ولا يضره ، وتحمى صنجة مئة درهم من الحديد حتى تحمر وترمى الى النعامة فتبلعها وتستمرئها . ويقال لذكرها « الظّلِيم » ، ويجمع على « ظِلمان » . وللنعام في أدب العرب ذكر مستفيض ، كثرت أوصافه في الشعر وكتب الحديث والفقه والأمثال والحيوان ، وأطال الكلام عليه الجاحظ في « كتاب الحيوان » (ينـظر فهرست الكتاب في ٧/ ٥٧ ٣ من تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون) ، و « حياة الحيوان » للدميري ٢/٣١٠–٣١٢ ، و « عجائب المخلوقات » للقزويني في حاشية حياة الحيوان ٢/ ٢٥٦ – ٢٥٨ . وفي النعام ضربت أمثال كثيرة متعددة الأوصاف ، تنظر في « مجمع الأمثال » للميداني ، و « فرائد اللآل » للأحدب .

ووصفُ النّعام بالمُصَلّم ، تصغيرٌ لهـــا ، وإنْ كانت خِـلقة [٩٠]. تقول : كأنّكم ، مِـمّا تُعَيّرُون ، ليست لكم آذان تسمَعُون بها ، فامشوا بغير آذان ، أي : صُمّاً عمّا يتكلّمُ النّاس به من عيبكم . واختُلِف في النّعام ، فقيل : إنّها كُلّها صُلْمٌ ، وقيل : إنّها صُمٌّ ، لا تسمَعُ شيئاً ، وليس لها آذان [٩١] ، وإنّما تعرِف ما تحتاج إليه بالشّمّ .

وقولها : « ولا تَرِدُوا إلّا فُضُول نسائكم ... » ، قال (أبو رِياش) [٩٢] : تقول ــ : إذا قبِلتم الدِّيَةَ ، فلا تأنَفُوا بعدَها من شيْءٍ كما تأنَفُ العرب ، واغْشَوْا نساءَكم وهُنَّ حُيّضٌ . فقد كان من عاداتهم ، إذا وَرَدُوا المياهَ ، أن يتقدّمَ الرّجال ، ثمَّ العَضاريط [٩٣] والرِّعاء [٩٤] ، ثمّ النِّساء ، إذا صدرت كلُّ فِرقة عنه ، فكُنَّ يَغْسِلْنَ أنفُسَهنّ وثيابُهنّ ، ويتطهّرْنَ

(٩٠) وصف النعام بذلك لصغر أذنيه وقصرهما وعدم ظهورهما ، والصَّلْم : القطع المستأصل ، وقيل : الصلم قطع الأذن والأنف من أصلهما ، ورجل مصلّم الأذنين اذا اقتطعتا من أصولهما ، ويقال للظليم مصلم الأذنين كأنه مستأصل الأذنين خِلقةً . فاذا أطلق على الناس ، فإنما يراد به الذليل المهان ، وهو ما أرادته (كبشة) في هذا البيت .

(٩١) هذه حكاية الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة ١/١١٧ــ١١٨ ، والصحيح ما أسلفته في الفقرتين السابقتين .

(٩٢) هو أحمد بن ابراهيم الشيباني ، أبو رياش اليماميّ اللغوي . شَرَحَ (الحماسة) ، وتوفي سنة ٣٣٩ هـ . وترجمته في : معجم الأدباء ٢/١٢٣ ، وإنباه الرواة ١/٢٥ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ١/١٨٨ ، وبغية الوعاة ١٧٨ ، وتلخيص ابن‌مكتوم . وقد أغفل الزركلي ترجمته في الأعلام ، ط ٢ .

(٩٣) العضاريط والعضارطة : التّبّاع ، والخادمون على طعام بطونهم ، والصعاليك . الواحد : عُضْرُط ، وعُضْرُوط .

(٩٤) الرِّعاء والرُّعاة والرّعيان ، كلها جمع راعٍ ، وفي التنزيل العــزيز : (حتّى يُصدِر الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ) .

آمنات ممّا يُزعجهنّ . فمَنْ تأخّرَ عن الماء حتّى تُصْدِرَ النّساء ، فهو الغاية في الذّلّ . وجعَلَ النّساء مُرْتَمِلاتٍ بدم الحَيْض ، تفظيعاً للشّأن . وارْتَمَلَ : إذا تلطّخ بالدّم . والفضول ، هنا : بقايا الحيض . وسمّى الغشْيان [٩٥] وِرْداً ، مَجازاً . وقال (أبو مُحَمّد الأعْرابيّ) [٩٦] : معناه — لا تَرِدُوا المواسم بعدَ أخذ الدّيَة إلّا وأعراضُكم دَنِسَةٌ من العار ، كأنّكم نِساءٌ حُيّض .

وهذا كما قال(جَرير) [٩٧] :

(٩٥) غِشيان المكان : إتيانه .

(٩٦) هو الحسن بن أحمد الأعرابي الغُنْدجانيّ ، أبو محمد ، المعروف بـ (الأسود) . فارسيّ من أهل « غُنْدِجان » قصبة « دَشْت بارين) في فارس . ألف أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، وفرحة الأديب . ونزهة الأديب ، وضالة الأديب ، وقيد الأوابد — وهذه الكتب الأربعة ردود على بعض الكتب في اللغة والأدب ، وغيرها . قال ياقوت : وكان لا يقنعه أن يرد على أهل العلم ردّاً جميلاً ، وإنما يجعله من باب السخرية والتهكم وضرب الأمثال . توفي سنة ٤٢٨ هـ . وترجمته في : معجم الأدباء ، وخزانة الأدب للبغدادي ٢١/١، والفهرس التمهيدي ٣٥٧ ، وتاريخ آداب العرب للرافعي ٣٠٧/١ ، ومعجم البلدان — في (غندجان) .

(٩٧) جرير بن عطية بن حذيفة ، أبو حزرة ، اليربوعي التميمي (٤٢ — ١١٠ هـ) : أحد فحول شعراء الإسلام ، ومن أحسنهم تشبيباً ، وأوجعهم هجاءً . ولد في العراق، ومات في اليمامة . مدح الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ، والحجاج ابن يوسف الثقفي ، وشغل أهل زمانه بأهاجيه ومناقضاته للشعراء ، وقيل إنه هاجى ثلاثة وأربعين شاعراً ، منهم الفرزدق والأخطل . وتغزل بالنساء أرق الغزل ، وكان عفيفاً . طبع ديوانه في مصر ١٣١٣ هـ و ١٣٥٣ هـ ، ونقائضه مع الأخطل في بيروت ١٩٢٢ م ، ونقائضه مع الفرزدق ٣ أجزاء ١٩٠٥ — ١٩١٢ م . وترجمته في : طبقات الشعراء ٩٦ ، والشعراء والشعراء ٤٦٤ والموشح ١١٨ ، والأغاني ٣٥/٧ ط ساسي .

لا تذكُروا حالَ الملوك ، فإنّكُمْ
بعدَ (الزُّبَيْرِ) كحائضٍ لم تَغْسِلِ [98]

وقال (جَميل العُذْرِيّ) [99] من أبيات :

و ٨ ط . دار الكتب ، ووفيات الأعيان ١٠٢/١ ، وسمط اللآلي ٢٩٢ و ٧٥٣ ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٢ /٢٤٩ ، والاشتقاق ١٤١ ، ومرآة الجنان ٢ــ٢٣٤ ، وشرح الشواهد الكبرى ٩١/١ ، وشرح شواهد مغني اللبيب ١٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣٦/١ بولاق ، ٧٨/١ السلفية ، ومعجم الشعراء ٧١ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٢١٥/١ « الترجمة العربية ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ٢٧٣/١ ط . بغداد ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٩ م . وفيه دراسات وبحوث كثيرة ، منها بحث المستشرق شاده A. Shaade في ملحق دائرة المعارف الإسلامية ، والمثلث الأموي : لفؤاد البستاني في مجلة المشرق ٥١٥/٤١ ــ ٥٢٥ ، وجرير : لخليل مردم بك ، وجرير : قصة حياته ودراسة أشعاره ، لجميل سلطان .

(٩٨) البيت في ديوانه (بشرح محمد بن حبيب) « ص ٩٤١ » ، وفيه : « حُلَل » في موضع « حال » . وهو من قصيدة يخاطب بها الفرزدق ، عدة أبياتها ٦٢ بيتاً .

(٩٩) هو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذْري ، المعروف بجميل بثينة : شاعرٌ حجازي غزلٌ من مشاهير العاشقين . شغف بـ (بثينة) من فواتن عشيرته ، وخطبها فرُدَّ عنها ، فكاد يجنّ ، ومضى يشبب بها حتى اشتهر بها وأضيف اسمه الى اسمها ، وطوح به ابتلاؤه بحبها في الآفاق بين الشام واليمن . ثم رحل الى عبدالعزيز بن مروان بمصر ، فأكرمه ، ووعده في بُثينة خيراً ، وأمر له بمنزل ، فأقام قليلاً ومات فيه كئيباً من تباريح وجده في سنة ٨٢ أو ٨٣ هـ . وغزله غاية في السلاسة والحلاوة والعذوبة ، وقد اختلط أكثره على الرواة ، فأضافوا اليه شعر مجنون ليلى وغيره ، كما أضافوا الى المجنون وغيره شعره ، لقرب مذاهبهم في الشعر ، وتشابه حياتهم في الحب : الحب العفيف البريْ . وديوان شعره كبير ، ذكر ابن خلكان =

يقولونَ لي : « أهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَباً » ،
ولو ظَفِرُوا بي ساعةً ، قَتَلُوني
وكيفَ ، ولا تُوفِي دماؤهُمُ دمي ،
ولا مالُهُمْ ذُو نَدْهَةٍ ، فيَدُوني ؟[100]

النَّدْهَةُ : كَثْرة المال ، وقال قوم : النَّدْهَةُ العِشرون من الإبِل ، والمِئَة من الضَّأْن [101] ، والأَلْف من الصّامت [102] . ويقال : وَدَاهُ يَدِيه وَدْياً ودِيَةً .

وقوله : « ولاتُوفِي دماؤهم دمي » ، أي : دماؤهم كلّهم ، لا تَفِي بدمي . يقال : أوفى به ، ووفى ، وأوفاه يُوفِيه إيفاءً : إذا قضى دَينه على الوفاء .

= (١١٥/١) أنه كان متداولاً في أيامه . غير أننا لم نقف على خبره ، ومنه طائفة في مجموعة ذكِر أن نسخة منها في « مكتبة برلين » . وفي كتب الأدب جملة صالحة منه . وترجمته في : الشعر والشعراء ١٦٦ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ٣٩٥/٣ ، والأغاني ٩٠/٨ ط . دار الكتب ، والآمدي ٧٢ ، ووفيات الأعيان ١١٥/١ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٦٩/١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١٩١/١ ، وتزيين الأسواق ٣٨/١ ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ٢٤٣/١ ط . بغداد ، ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .

(١٠٠) البيتان من قصيدة ، عِدّتها ٣٤ بيتاً ، في ديوانه (ص ٢١١) . يقول : وكيف يقتلونني ولا توفي دماؤهم حقَّ دمي ، لأنهم ليسوا أكفاء لي ، ومن أين لهم القدرة ، وهم فقراء بائسون ، على أن يدوني ، أي يدفعوا ديتي .

(١٠١) الضأن : ذو الصوف من الغنم ، ويقال : لحمُ ضأنٍ ، بالإضافة ؛ ولحمٌ ضأنٌ ، بالوصف .

(١٠٢) الصامت ، من المال : الذهب والفضة ، ويقولون : « مالَهُ صامت ، ولا ناطق » إذا كان لا يملك شيئاً .

وقال (زِيادة الحارِثيّ) [١٠٣] من أبيات :

يقولُ رِجالٌ ، ما أُصيبَ لهم أبٌ ،

ولا من أخٍ : « أقبِلْ على المال تـُعْقَلِ »

يقول : يشيرون عليَّ بأخذ الدِّيَة ، ولم يُصبْهم ما أصابني . ولَعلَّهم لو أُصيبوا بما أُصِبْت به ، لم تُقْنِعْهم الدِّيَةُ . ونحوُهُ المَثَلُ السّائر : « وَيْلٌ للشَّجِيِّ من الخَلِي » [١٠٤] ، أي : لا يساعده على شَجاه ، ويلومُهُ .

وقال (الحكم بن زهرة) [١٠٥] :

قومٌ ، إذا ما جنَى جانِيهمُ ، أَمِنُوا

ــ من لُؤْمِ أحسابِهمْ ــ أنْ يُقْتَلُوا قَوَدا [١٠٦]

---

(١٠٣) هو زيادة بن زيد بن مالك ، من بني الحارث بن سعد بن هذيم : شاعر إسلامي من شعراء العصر الأموي . قتله هدبة بن خشرم العذري . ذكر له أبو تمام في « ديوان الحماسة » ثلاثة أبيات على الراء ، ثم ذكر مقطوعة ذات ثمانية أبيات على اللام لابنه مسور بن زيادة الحارثي ،وفيها البيت : « يقول رجال ... » ، وهو السادس في المقطوعة .

(١٠٤) مثَل يضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . والخليّ : الخالي من الهم ، وياؤه مشددة . ــ والشجي : المهموم ، وياؤه مخففة ، وقد تشدد . يقول : إن الخليّ لا يساعد الشجي على ما به ويلومه . وزعم بعضهم أن الخلي والشجي اسما رجلين على ما ذكر في كتب الأمثال ، في شرح المثل : « صُغراهن شُرّاهن » .

(١٠٥) قال الجمحيّ : زهرة أمه ، وهو ابن المقداد بن الحكم ، أحد بني مخاشن : بطن من فزَارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزَاري ، ولم أقف على كونه جاهلياً أو إسلامياً .

(١٠٦) هذا البيت من ثلاثة أبيات ، هجا بها الشاعر قبيلة « وَبْر بن الأضبط » من كلاب ، ذكرها أبو تمام في باب الحماسة من « ديوان الحماسة ، وموضعها الصحيح باب الهجاء . والأبيات هي للحكم بن زهرة ، على ما نسبها اليه أبوهلال والتبريزي والمرزباني . ــ والقَوَد : قتل القاتل بالقتيل .

يقول : هم قوم إذا جَرَّ واحد منهم جَرِيرة ، أَمِنَ جميعهم . لدِقَّةِ أُصُولهم ، ولُؤْم أحسابهم ، أَنْ يُؤاخَذ كُلُّهم بهـا . فكيف الواحد منهم ؟ كأنّهم لا يُعَدُّون بَواءً بقتيـل [107] . والقَوَدُ : أن يُقْتَلَ القاتلُ بالقتيل ، فيقال : أَقَدْتُه به . وإذا أتى الرّجل صاحبه بمكروهة . فانتقم منه بمثلها ، قِيل : استقادها منه .

وفي « كتاب إعلام الموقّعين » [108] للإمام (ابْنِ القَيِّم) [109] :

(١٠٧) البَواء ، بفتح الباء وتخفيف الواو : المساواة ، يقال : باوأت بين القتلى . أي : ساويت . ويقال: باءَ به ، إذا كان كُفُوًا له ، وهم بَوَاء – أي :أكفاء ، معناه : ذَوُو بَوَاء ، ومنه الحديث : « الجراحات بَواء » يعني أنها متساوية في القِصاص ، وأنه لا يقتصّ للمجروح إلا من جارحه الجاني ، ولا يؤخذ الا مثل جراحته سواء وما يساويها في الجرح ، وذلك البَواءُ .

(١٠٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين : من أجل الكتب في أحكام القضاء والاجتهاد . طبع بمصر مع كتاب حادي الأفراح ، في ثلاثة أجزاء ، وكلا الكتابين للامام ابن قيّم الجوزية .

(١٠٩) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعي الدمشقي ، أبو عبدالله ، شمس الدين المشهور بابن القيم ، وابن قيّم الجوزية ، أي قيّم المدرسة الجوزية بدمشق . أحد علماء الملة المجتهدين الكبار والمصلحين المجددين ، وصدر جليل القدر من صدور المؤلفين المحققين المبدعين . ولد في دمشق سنة ٦٩١ هـ ، وتَلْمَذَ لشيخ الإسلام العظيم تقي الدين بن تيمية ، وجرى على نهجه في الإصلاح الإسلامي ومقارعة المبتدعين ، وسُجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعُذّب ، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي ، وأطلق بعد موت شيخه السجين في سنة ٧٢٨ هـ ، وعاش بعده الى سنة ٧٥١ هـ . وقد ألف تصانيف جليلة في فنون كثيرة غاية في سعة العلم، وبُعد آفاق الفكر وقوة التحقيق وحرية الرأي، مع التزام عمود القرآن والسنة النبوية ، منها : إعلام الموقّعين عن رب العالمين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والتبيان في أقسام القرآن ، والهدي النبوي – ويعرف أيضاً بزاد المعاد ، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وإغاثة =

« إنّ الجناية على النُّفُوس والأعضاء ، تُدخِل من الغيظ والحَنَق والعداوة على المَجْنِيّ عليه وأوليائه ما لا تُدخِلُه جنايةُ المال ، وتُدخِل عليهم من الغَضاضة (١١٠) والعار واحتمال الضَّيْم والحميّة والتّحَرُّق لأخذ الثأر ما لا يَجْبُرُه المال أبداً ، حتّى إنّ أولادهم وأعقابهم ليُعَيَّرُون بذلك . ولأولياء القتيل من المقصد (١١١) في القِصاص ، وإذاقة الجاني وأوليائه ما أذاقه للمَجْنِيّ عليه [وأوليائه] (١١٢) ، ما ليس لمن خُرِق ثوبه ، أو عُقِرت فرسه (١١٣) . والمَجْنِيُّ عليه موتور(١١٤) هو وأولياؤه . فإن لم يُوتَر الجاني وأولياؤه ، ويُجَرَّعُوا من الألم والغيظ ما تَجرَّعَه الأوّل ، لم يكن عدلاً » .

قال : « وقد كانت العرب في جاهليّتها تَعيبُ على من يأخذ الدِّيَةَ ، ويرضَى بها من دَرْك (١١٥) ثأره وشفاء غيظه ، كقول قائلهم يهجو مَنْ أخذ الدِّيَةَ من الإبِل :

وإنّ الّذي أصبحتُم تَحْلِبُونَهُ ... دَمٌ ، غيرَ أنّ اللونَ ليس بأشقرا

= اللهفان ، وهداية الحيارى ، ومفتاح دار السعادة ، وشرح منازل السائرين ، وروضة المحبين ، وحادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، وبدائع الفوائد ، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة ، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية ، والداء والدواء ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٦/٢٨٠-٢٨١ ، ط ٢ .

(١١٠) الغضاضة : الذلة والمنقصة ، و ـ العيب .

(١١١) في « إعلام الموقعين » المطبوع : « القصد » .

(١١٢) من « اعلام الموقّعين » المطبوع .

(١١٣) عقرت : ضربت قوائمها بالسيف . وعقر الحيوان : ذبحه .

(١١٤) تقدم في التعليق (٦٥) .

(١١٥) الدَّرْك ، والدَّرَك : اسم مصدر من الإدراك .

وقال (جَرِير)(١١٦) يعيّر مَنْ أخذ الدِّيَةَ ، فاشترى بها نخلاً :

ألا ، أبْلِغْ (بني حُجْرِ بْنِ وَهْبٍ)
بأنَّ التَمْرَ حُلْوٌ في الشّتاء (١١٧)

[ومثلُ قولِ (جَرِير) ، قولُ (الفَرَزْدَق) (١١٨) :

(١١٦) ينظر التعليق (٩٧) .

(١١٧) ديوان جرير (ص ١٠١٩) ، والأغاني ٢١/٨ ، وأنساب الأشراف (مخطوط) ٩٤٣/٢ ، وبعده :

عليكم بالنخيل فأصلحوها ودوروا بالمُشَقّر فالصفاء

وفي الأغاني :

فعودوا للنخيل فأبَرُوها وعيشوا بالمشقّر فالصفاء

وهما في هجاء العباس بن يزيد الكندي . – و (حُجْر بن وهب) بن ربيعة بن معاوية الأكرمين : جد جاهليّ ، ينسب اليه كثيرون ، ذكر عز الدين بن الأثير بعضهم في « اللباب » (٣٨١/١) ، وقال : هو (أي حُجْر) ابن عم (حجر ابن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين: بطن من كِنْدَة . – وتأبير النخيل : تلقيحها . – والمشقّر : حصن بالبحرين عظيم لعبدالقيس ، يلي حصناً لهم آخر يقال له : الصفا ، قِبَلَ مدينة هَجَر .

(١١٨) هو همام بن غالب بن صعصعة ، أبو فِراس ، الدارمي التميمي (. . – ١١٠ هـ) . لقب بالفرزدق ، لجهامة وجهه وغلظه : شاعر كبير ، ولد في « البصرة » ، شريف في قومه . مدح الخلفاء الأمويين وأمراءهم . وكان من أشد الشعراء انتصاراً لبني أمية ، وميلاً الى عثمان بن عفان وأسرته . وهاجى جريراً والأخطل . وشعره عظيم الأثر في اللغة والشعر . وكان مدّلاً بنفسه ، فخوراً بآبائه : يسامي مناوئيه . طبع ديوانه بمصر في جملة الدواوين الخمسة (للنابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق) ، وطبع وحده في باريس مع ترجمة لبوشر . وترجمته في : طبقات الشعراء ٧٥ ، والموشح ٤٨٦ ، والشعر والشعراء ٤٧١ ، وجمهرة أشعار العرب ١٦٣ ، والحيوان ٦ / ٢٢٦ ، والبيان والتبيين (ينظر فهرسه) ، ومعاهد التنصيص ٤٥/١ ، ورغبة الآمل ١١٤/١ و٧٨/٢، ٢١٧ ، =

أكلتُ دماً إن لم أرُعْكِ بضَرَّةٍ ،
بعيدةِ مَهْوَى القُرْطِ ، طيِّبةِ النَّشْرِ (١١٩)

= ٣٢٧ و ٥٥/٣ ، واللآلي ٤٤/١ ، والأغاني ٣٢٤/٩ ، وأمالي المرتضى ٤٣/١ ، ومعجم الأدباء ٢٩٧/١٩ ، وشرح الشواهد الكبرى ١١١/١ ، وشرح شواهد مغني اللبيب ٤ ، ومفتاح السعادة ١٩٥/١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١٠٥/١ ، وسرح العيون ٢١٣ ط . بولاق ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١٤٢/١ ، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ١/ ٢٠٩ « الترجمة » ، وكتابي : المجمل في تاريخ الأدب العربي ١٦٨/١ ط . بغداد ، ١٩٢٩ م ، وغيرها كثير . وفيه دراسات حديثة ذكر بعضها كارل بروكلمان ، وخير الدين الزركلي في الأعلام ، وآخر ما ألف فيه رسالة للدكتور شاكر الفحام ، طبعت في دمشق سنة ١٩٧٧ م .

(١١٩) هذا البيت ، لا وجود له في ديوان الفرزدق المطبوع . وقد ذكر الزمخشري في « الكشاف » (١ / ٢١٥) شطره الأول من غير عزو، شاهداً على قول العرب : « أكل فلان الدم : إذا أكل الدية التي هي بدل منه » ، وذكر نظيره قول الآخر : « يأكلن كلَّ ليلة إكافا » ، وقال : « أراد ثمن الإكاف ، فسماه إكافاً، لتلبسه بكونه ثمناً له » ، وصدره : « إن لنا أحمرة عِجافا » . وهو (أي البيت : أكلت دماً . .) ثاني بيت من خمسة أبيات لأعرابي مجهول ، ذكرها أبو تمام في أول « باب مذمة النساء » من ديوان الحماسة ، وقال : « قال بعض الأعراب يخاطب امرأته (حين تزوجها ، فلم توافقه) ، فقيل له : حُمَّى (دمشق) سريعة في موت النساء . فحملها إليها » . والبيت الرابع يقطع بأنَّ الأعرابي فعل ذلك (بعد ثلاثين حولاً من تزوجه لم يجد فيها راحة من امرأته هذه) ، وليس (حين تزوجها) ، كما جاء في « ديوان الحماسة » .

والأبيات هي :

دمشقُ خذيها ، واعلمي أنَّ ليلةً ... تَمرُّ بعُودَيْ نَعْشِها ليلةُ القَدْرِ
أكلتُ دماً إن لم أرُعْكِ بضَرَّةٍ ... بعيدةِ مَهْوَىَ القُرْطِ طيِّبةِ النَّشْرِ
أمالكِ عُمْرٌ ؟ إنَّما أنتِ حيَّةٌ ... إذا هي لم تُقْتَلْ تَعِشْ آخرَ الدَّهرِ =

يريد بالدّم الدّيةَ] (١٢٠) .

= لهنّكِ في الدنيا لباقية العُمْرِ ثلاثينَ حَوْلاً ، لا أرى منكِ راحةً
تكن من نساء الناس لي بيضة العُقْرِ فإنْ أنقلبْ من عُمرٍ صعبةَ سالماً

وقوله : « أكلت دماً » ذكر محشي الكشاف (٢١٦/١) ثلاثة احتمالات في تأويله : الأول أنه أراد به الدّيةَ لأنها بدل الدم ، وأخذُها عار عند العرب ، لدلالتها على الجبن وحب المال دون الثأر . الثاني أنه دعا على نفسه بالجدب حتى يحتاج الى فَصْد النوق وأكل دمها ، قال : وكذلك كانت تفعل الجاهلية في الجدب . الثالث أن المراد شربت دماً ، فهو تعليق على الممتنع عنده ، دلالة على تحقيق التزوج ، لأنه يرجع الى أن عدم التزوج ممتنع ، كما أن شرب الدم ممتنع . ثم عقب على هذا بقوله : « ونظيره ما أنشده أبو إياس » ، وأورد الأبيات المذكورة — عدا هذا البيت : أكلت دماً . . . — على ترتيب آخر . ولست أدري مَنْ أبو إياس هذا ؟ وهل الأبيات له أو لغيره ؟ وقوله : « إن لم أَرُعْكِ » من : راعه يروعه إذا أخافه ، والمراد أنه يَغيظها بتزوج ضرة عليها جميلة .. « بعيدة مهوى القُرط » أي طويلة العنق ، حسنة السالفة ، وهو تعبير كنائي داخل فيما سماه البلاغيون (الإرداف) . وهو كما قال ابن الأثير في « المثل السائر » ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه ، وهي أن تكون الكناية دليلاً على المكنيّ عنه ، ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكنايات ، ألا ترى أن بُعْدَ مَهْوَى القرط دليل على طول العنق ، وأن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له ؟ . ومثل هذا التعبير في البيت قول عمر بن أبي ربيعة (الديوان ٤٧٨) :

بعيدة مهوى القرط : إما لنوفل أبوها ، وإمّا عبدِ شمسٍ وهاشمِ

والقُرْط حليّ يعلّق في شحمة الأذن ، ومَهْوا ه : مسقطه من المنكب . — والنشر : الرائحة الطيبة .

(١٢٠) ما بين المعقوفين ، ليس في « إعلام الموقّعين » المطبوع ، فلعلّ المؤلف وقعت له هذه الزيادة من نسخة مخطوطة ، على أنه ذكر في كتابه (بلوغ الأرب) (١٩/٢٠ — ٢٠ ، ط ٢) طرفاً من كلام الإمام ابن =

وقال آخَرُ (١٢١) :

خليــلانِ ، مختلفٌ شَكْلُنا ،
أُرِيدُ العَــلاءَ ، ويبغــي السِّمَنْ
أُريدُ دِماءَ (بني مالك) ،
ورأيُ (المُعَلّى) بياضُ اللَّبَنْ (١٢٢)

وهذا ـ وإن كانت الشّريعة قد أبطلته ، وجاءت بما هو خير منه وأصلح في المَعاش والمَعاد ـ من تخيير الأولياء بين إدراك الثّأر ونيلِ التّشَفّي ،

= القيم هذا ، وفاته أن يشير إليه كما فعل في هذه الرسالة . والذي في المطبوع هو : « وقال آخر :

إذا صُبَّ ما في الوطب فاعلم بأنه دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دَعا »

أي : دَعْ ، والألف منقلبة عن نون التوكيد المخففة . وقد تقدم غير معزوّ في موضع سابق (ينظر التعليق ٥٨) .

(١٢١) لم أظفر باسمه .

(١٢٢) بنو مالك : قبائل عدّة تعرف بهذا الاسم ، من جُذام ، ومن قيس عيلان ، ومن الأَزْد ، ومن تغلب ، ومن طيّء ، ومن هَمْدان ، ومن كهلان ، ومن كندة ، ومن تميم من عدنان . . الخ . ـ و (المُعَلّى) لعله المعلى بن تَيْم الذي أجار امرأ القيس بن حجر حين لجأ إليه خائفاً من المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وعلم المنذر أنه عنده فطلبه ، وفتش منازله ، وأخفاه ابن للمعلى في قبة حرمه ، واجتمع « بنو تيم » فحالوا بين المنذر ودخوله القبة ، فقال امرؤ القيس يمدحه :

كأني اذ نزلت على (المعلــى) نزلت على البواذخ من (شَمامِ)
فما ملكُ العراق ، على (المعلى) بمقتدر ، ولا ملكُ (الشــآمِ)
أَصَدَّ نشاصَ ذي القرنين حتــى تولــى حارضُ الملكِ الهُمــامِ
أَقَرَّ حشى (امرئْ القيس بن حُجْر) (بنو تَيْمٍ) مصابيح الظــلامِ

والخبر في ديوان امــرئْ القيس ، والأغــاني ٨ / ٦٨ ، وبلــوغ الأرب ٩٠/٣ ، وغيرها .

وَبَيْنَ أخذِ الدِّيةَ ـ فإنَّ القصد به أنَّ العرب لم تكن تعيّر مَنْ أخَذ بدل ما له ، ولم تَعُدَّه ضَعْفاً ولا عجزاً البَتّةَ ،بخلاف من أخذ بدل دم وليّه . فما سوّى الله بين الأمرَيْن في طبع ، ولا عقل ، ولا شرع »(١٢٣) .

★ ★ ★

دِيَةُ الملوك لدى العرب أيّامَ الجاهليّة :

كانت دِيَةُ الملك من ملوك العرب ، إذا قتله قاتل منهم ، ألْفَ بعير(١٢٤) . وعلى ذلك قول (قُرادِ بْنِ حَنَشٍ الصّارِدِيّ)(١٢٥) ، وهو(١٢٦) :

(١٢٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢٣٠/٢) ، وبقيته فيه : « والإنسان قد يخرق ثوبه عند الغيظ ، ويذبح ماشيته ، ويتلف ماله ، فلا يلحقه في ذلك من المشقة والغيظ والإزراء به ما يلحق من قتل نفسه ، أو جدع أنفه ، أو قلع عينه » .

(١٢٤) قال المؤلف ـ رحمــه الله تعالى ـ في « بلوغ الأَرَب » (٢٢/٣ ، ط ٢) : « كان عامة العرب يأخذون في دِية النفس مئة من الأبل ، وكان هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . ولما كان الملوك ممتازين عندهم في كثير من الأحكام ، جعلوا دِيَةَ أحدهم ـ إذا قُتِلَ ـ ألف بعير » .

(١٢٥) سيذكر المؤلف قبيلته (صاردة) ، وهو شاعر جاهليّ ، قليل الشعر ، جيّده . جعله الجُمَحي في الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين من معاصري (عقيل ابن عُلّفة المُرّيّ) في العصر الأموي ، وهو غريب . فإن أبا عبيدة ذكر أنه كان في الجاهلية معاصراً لزهير بن أبي سُلْمى ، وأن غَطَفان كانت تغير على شعره فتأخذه وتدعيه ، منهم : زهير بن أبي سُلْمى ، ادعى الأبيات التي أولها :

إن الرزيئــة لا رزيئة مثلها ... ما تبتغــي غَطَفانُ يومَ أضَلّتِ

وهي لقُراد . أنظر طبقات فحول الشعراء ٥٦١ و ٥٦٨ ، وشرح التبريزي على ديوان الحماسة ٤ـ٣ ، ومعجم الشعراء ٣٧ ، ونسب قريش ٧ ، وبلوغ الأرب ٢٢/٣ والأغاني ٢٤/١٠ .

(١٢٦) البيتان من قصيدة ، عِدّتُها اثنا عشر بيتاً ، في كتاب « نسب قريش وأخبارها (ص١٨) =

ونحن رَهَنّا القوسَ ، ثُمّتَ فُودِيَتْ
بألْفٍ على ظهرِ (الفَزَاريِّ) أقرعـا [١٢٧]

بعشـرِ مِئِينٍ للملـوك ، سـعى بها
لِيُوفيَ (سيّارُ بْنُ عَمْرٍو)،فأسرعا [١٢٨]

قـال (ابن عبد ربّه) [١٢٩] في (العِقْد الفَريد): « إنّ (سيّار بن عَمْرو بن جابر الفَزَاريّ) احتمل لِـ (أسود بن المنذر) [١٣٠] دِيَةَ ابْنِه ،

= وهما فيه :

يكلفهم ما شاء ، ثم وفـوا بها — بألف على ظهر (الفَزَاريّ) أقرعـا
بعشر مئين للملوك سعى بهـا — لِيُحْمَدَ (سيّار بن عمرو) فأسرعا

وفي الأغاني (١١/١١١–١١٢) : ويقال : « بل قالها ربيع بن قَعْنَب » ، وذكر البيتين منسوبين الى أرطأة بن سُهَيّة المُرّي ، ولفظهما :

ربطنا ديات للملوك ، سعى بها — (سنان) و(سيّار بن عمرو) فأسرعا
ونحن رهنّا القوس ثمّ افتككتُها — بألف على ظهر (ابن مُزْنَةَ) أقرعا

(١٢٧) الألف : مذكر ، ولذلك قالوا : ألف أقرع ، ولم يقولوا : قرعاء . وألف أقرع : تامّ ، وهو لكل ألف ، كما أن « هُنَيْدَةَ » اسم لكل مئة ، كما في صحاح اللغة . وقيل : لو أُنث « الألف » باعتداد الدراهم ، لجاز بمعنى : هذه الدراهم ألف .

(١٢٨) سيّار بن عمرو : في« كتاب نسب قريش وأخبارها » (ص١٢) ، والأغاني ١٠ / ٢٤ ، والعقد ٥ / ١٤٩ .

(١٢٩) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه ، أبو عُمَرَ : شـاعر مذكور ، وأديب إمام من أهل (قرطبة) . ولد سنة ٢٤٦ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ . وألف كتابه (العقد) ، وقد أضاف النساخ المتأخرون اليه لفظ « الفريد » ، فصار يعرف بالعقد الفريد . ومصادر ترجمته في الأعلام للزركلي .

(١٣٠) هو الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخميّ : من ملوك العِراق في الجاهلية . ملك عشرين سنة ، ونشبت حروب بينه =

الّذي قتله (الحارث بن ظالم)[131] ، ألْفَ بعير ، وهي دِيَةُ الملوك ، ورَهَنَهُ بها قوسه، فوفّى . وكان هذا قبلَ قوس (حاجب بن زُرَارة)[132] » .

= وبين الغسانيين ملوك الشام ، فقهرهم ، ثم قُتِل في إحدى معاركه نحو سنة ١٦٤ قبل الهجرة . وأخباره فيتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ٦٩ ، وتاريخ ابن الأثير ١ / ٤١٠ ، ٤٣٩ ، ٤٨٣ ، ٥٦٣ ، ٦١٧ – ط بيروت ، والعرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٦ .

(١٣١) الحارث بن ظالم بن غيظ المري ، أبو ليلى : من المضروب بهم المثل في الوفاء ، وأشهر فتّاك العرب في الجاهلية . تحامت العرب شره ، ونشبت من أجله معارك كثيرة، وطاف في البلاد حتى أتى الشام،فقتل فيحَوْران . وأخباره في تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٠٠ ، والمحبر ١٩٢ ، والأمثال للميداني ٢٤/٢ ، وفرائد اللآل لإبراهيم الأحدب٣٣٣/٢ ، ونهاية الأَرب للنويري ٣٤٨/١٥ و ٣٤٩ و ٣٥٣– ٣٥٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١٨٥/٣ ، والأغاني ٨٤/٦ – ٨٧ ، وبلوغ الأرب ١٣٣/١ – ١٣٥ ، و ٧٤/٢ –٧٤ و ١٨٩ ، و٢٣/٣ ، ط ٢ ، وشرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي ١٣٢٧،و٧٩/٨،و١٦/١٠–٢٩،و١٩–٩٩، والشعر والشعراء ٦٧ ، وأسماء المغتالين ١٣٤ – ١٣٥ و ٢٢٨ – ٢٢٩ ، وكنى الشعراء ٢٩٣ ، وجمهرة ابن حزم ٢٥٣ – ٢٥٤ ، والاشتقاق ١٠٧ ، ٢٨٧ ، والنقائض ١٠٣ – ١٠٤، و ١٠٦٠ – ١٠٦١ ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٣٧٧ – ٣٧٨ .

(١٣٢) حاجببن زرارة بن عُدُس الدارِميّ التميمي : من سادات العرب في الجاهلية ، ومن حكام تميم ، ومن المشهورين بالوفاء بين العرب ، ومن الفصحاء والبلغاء . وفد على كسرى لما منع تميماً من ريف العراق ، فخلبه بسحر بيانه ، في خبر فيه بعض طول ، وسأله كسرى الضمان له أن لا تغير تميم على بلاده ، فقال له : أرهنك قوسي . فلما جاء بها ، ضحك مَنْ حوله ، فقال كسرى : «ما كان ليسلمها لشيْ أبداً . خذوها منه » . وأذن لتميم أن يدخلوا ريف العراق . وفي ذلك قال أبو تمام في مدحه أبا دلف العجلي : =

وقال (أبو عُبَيْدَةَ)[133] في(مَقاتل الفُرسان)[134] : « إنَّ أخا (سَيَّار) لأمّه ، (الحارثَ بن سُفْيانَ الصّارِديَّ) ، تكفَّلها لِـ (أَسْوَد) ، فقام منها بثَمان مئة . ثمّ مات . فرهَنَ (سَيَّار) قوسه على المِئَتَيْن الباقيتين ، لا غير . فلمّا مدح (قُرادُ بْنُ حَنَش) (بني فَزَارَةَ) ، جعل الحَمالَةَ[135] كلّها لِـ (سَيَّار) »[136] .

= إذا افتخرت يوماً (تميم) بقوسها وزادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بـ (ذي قار) أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس(حاجب)
وأدرك حاجب بن زرارة الإسلام وأسلم ، وبعثه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صدقات بني تميم ، فلم يلبث أن مات نحو سنة ثلاث للهجرة . وأخباره في : الإصابة ٢٧٣/١ ، ١٨٧/٢ ، والأغاني ١٥٠/١١ ط. دار الكتب المصرية ، وبلوغ الأرب ١٢٣/١ ـ ١٢٤ ، و ٣١١ ـ ط ٢ ، والعقد .

(١٣٣) هو معمر بن المثنى التيمي ـ بالولاء ، البصريّ ، أبو عبيدة : نحوي لغوي نسّابة . ولد سنة ١١٠ هـ ، وقيل غير ذلك . فارسي الأصل ، شعوبي .. ، قال ابن قتيبة : كان يبغض العرب ، وصنف في مثالبهم كتباً ، له نحو مئتي كتاب . قال علاّن الشعوبي ، والقوم يعرف بعضهم بعضاً : « أبو عبيدة ، يلقب بـ (سِبُخْتَ) من أهل (فارس) ، عجمي الأصل » . مات أبو عبيدة سنة ٢٠٩ هـ ، ولم يحضر جنازته أحد ، لشعوبيته وشدة تحامله على الناس . مصادر ترجمته وأخباره في : إنباه الرواة ـ ، ومجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣٩/١٣ ، والإعلام ١٩١/٨ ، ط ٢ .

(١٣٤) ذكر الزركلي في الأعلام « طبقات الفرسان » ، وذكره القفطي قبله في « الإنباه » ، وذكر له أيضاً « كتاب مقاتل الأشراف » ، وكذلك في وفيات الأعيان . وهما ـ كما في الفهرست ٨٠ ط / مصر ـ كتابان : كتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب مقاتل الأشراف .

(١٣٥) الحَمالة ، بفتح الحاء وتخفيف الميم : الدية ، والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

(١٣٦) ومثل هذا قصة رداء (الفرزدق) ، رواها أبو عبيدة ـ قال : كان الفرزدق =

وألفٌ أقرعُ – بالقاف – أي : تامّ .

و (قُراد بْنُ حَنَش) : شاعر جاهليّ ، من (بني صـاردَةَ) ، بتقديم الرّاء على الدّال ، وهم فَخِذ من (فَزَارَةَ) [137] .

★ ★ ★

[التّعْقِيَة] [138] :

= بـ (المدينة) حين جاءت وقعة (وكيع) ، وحج سليمان بن عبدالملك ، فبلغه بـ (مكة) وقعة وكيع بـ (قتيبة) ، فخطب الناس بـ (مسجد عرفات) ، فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم وإسراعهم الى الفتن ، وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر ، فقام اليه (الفرزدق) فقال – وفتح رداءه – : « يا أمير المؤمنين ! هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم ، والذي بلغك كذب» . وفي ذلك ، حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان بن عبدالملك ، قال :

فِدىً لسيوف من تميم وفَى بها ردائي ، وجَلّت عن وجوه (الأهاتِمِ)
شفين حزازات الصدور ، ولم تَدَعْ علينا مقالاً في وفاءٍ لِلائمِ
أبَأنا بهم قتلى ، وما في دمائهم وفاءٌ ، وهُنّ الشافيات الحوائم (؟)
جزى الله قومي ، إذْ أرادوا خفارتي ، قتيبةَ سعي الأفضلين الأكارم
هُمُ سمعوا يوم المُحَصّب من مِنى نـدائي إذا التَفّتْ رقاق المواسم

والخبر والشعر وشرحه في : خزانة البغدادي ، وبلوغ الأرب ٢٣/٣ – ٢٤ ، ط ٢ .

(١٣٧) فَزَارة ، بفتح الفاء وتخفيف الزاي : أبو حيّ من غَطَفان ، وهو فزارة بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان .

(١٣٨) التعقية : مصدر عَقّى الرامي بالسهم يعقّي تعقيةً ، رمى به نحو السماء فارتفع ، لغة في عَقّه يعقّه عَقّاً ، ويسمى ذلك السهم : العقيقة .

ومن عجيب أمر العرب ، في الاعتذار من قبول الدِّيَة ، لُجُوؤُهم إلى ما يقال له (التّعْقِيَةُ) . وهو ما دلّ عليه شعر (المُتَنَخِّل الهُذَليّ) [139] ، أنشده (أبو عُبَيْد البكريّ) [140] في (شرح نوادر القالي) [141] ، وهو :

---

(139) هو مالك بن عويمر (أوعمرو) بن عثمان (أوعثم) ، أبو أثيلة ، من هُذَيْل . والمتنخِّل (اسم فاعل ، من : تَنَخَّل الشيْ ، أي اختاره ، كأنه صفّاه من نُخالته : لقب) . وهو في الأصل « المُنَخّل » . وفي « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » (ص ٣٩٠) : « ويغلط بالمنخل والمتنخِّل . فأما المنخل بن الحارث ، فهو رَبَعيّ من بني يشكر ، وهو القائل :

إن كنت عاذلتي ، فسيري نحو (العراق) ، ولا تحوري

وأما المتنخل ، فهو من شعراء هُذَيْل . . » : . وهو جاهلي ، من نبغاء هُذَيْل . أثبت بعض شعره مشروحاً في « ديوان الهُذَليين » (ق ٢ — ١ / ٣٧) وأثبت له أبو الفرج في الأغاني « صوتاً » من قصيدة قالها في رثاء ابنه « أثيلة » ، وقال الآمدي : شاعر محسن ، وقال الاصمعي : « هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب » ، وهي بتمامها في « جمهرة أشعار العرب (ص ١١٨) . وترجمة المتنخل في : الشعر والشعراء ٦٥٩ ، والأغاني ١٤٥/٢٠ ، والمؤتلف ١٧٨ ، والاقتضاب ٣٦٢ ، وسمط اللآليْ ٧٢٤ ، وشرح الشواهد للعيني م / ٥١٧ ، وخزانة البغدادي ١٣٥/٢ ، وتاج العروس ١٣١/٨ ، وديوان الهذليين ق٢/ص١.

(140) هو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد ، أبو عبيد ، البكري الأندلسي ، من بكر بن وائل ، صليبة : أديب مؤرخ جغرافي نباتي ، ثقة . ولد في شلطيش : مدينة غربي اشبيلية في الأندلس ، وتوفي في قرطبة سنة ٤٨٧ هـ عن سنّ عالية . ألف كتباً جليلة ، طبع منها « معجم ما استعجم » ، وجزءان من كتاب « المسالك والممالك » ، و « سمط اللآلي في شرح أمالي القالي » ، و « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » .

(141) أراد « كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (ص ٨٠ — ٨١) .

لا يُنْسِئِ اللهُ مِنّا مَعْشَراً ، شَهِدُوا
يومَ « الأُمَيْلِحِ »، لا عاشُوا ولا مَرِحُوا (١٤٢)
عَقَّوا بسَهْمٍ ، فلم يشعُرْ به أحدٌ ،
ثمّ استَفاؤوا ، وقالُوا: حبّذا الوَضَحُ (١٤٣)

قال (البكريُّ) : هذا ، من شعرٍ يهجو به ناساً من قومه ، كانوا مع ابنه (حجّاج (١٤٤)) يومَ قُتِلَ . وقولُه : « لا يُنسِئُ الله » ، أي : لا يؤخّر الله موتَهم ، من الإنْساء ، وهو التّأخير .

---

(١٤٢) الأُمَيْلِح : موضع في بلاد هذيل، كان به يوم ، أي وقعة ، كما في لسان العرب (م / ل / ح) ، وأنشد البيت للمتنخل ، وفيه « لا يَنْسَأ ... لا غابوا ولا جرحوا » ، قال ابن منظور : « يقول: لم يغيبوا فنُكْفَى أن يُؤْسَرُوا أو يقتلوا ، ولا جرَّحوا ،أي : ولا قاتلوا ، إذ كانوا معنا ». وبين هذين البيتين في رواية البكري في كتاب التنبيه » (ص ٨١) بيتان آخران ، وهما :

لا غَيَّبُوا شِلْوَ (حَجّاج) ولا شهدوا حَمَّ القتالِ ، فلا تسألْ بما افتضحوا
لكن (كبير بن هند) يوم ذلكُمُ فُتْخ الشمائل في أيمانهم رَوَحُ

(١٤٣) البيت في تهذيب اللغة (١/ ٦٠) غير منسوب ، وفيه : « وأخبرني عبدالملك البَغَويّ عن الربيع عن الشافعي أنه أنشده : « عقّوا بسهم . . البيت » . وورد في لسان العرب غير منسوب في (ف/ي/ أ) ، ومنسوباً الى أبي ذؤيب الهذلي في (و/ ض / ح) ، والى المتنخل الهذلي في (ع / ق / ق) و (ع / ق / ا) ، وهذا هو الصحيح كما جاء في «أمالي القالي » (١/ ٢٤٨ ط٢)، وفي« التنبيه على أوهام أبي علي في أماليــه » (ص ٨١) . وورد البيت في « كتاب التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري » (٨٩) غير منسوب ، وصدره فيه : « عفوا بسهم فلم يضرر به أحد » ، و « عفوا » ــ بالفاء ــ تصحيف . ومعنى « استفاؤوا » : رجعوا ، أي : رجعوا عن طلب الثأر الى قبول الدية . يقال : فاء ، وأفاء ، واستفاء . ــ والوَضَح : اللبن ، سمّي وَضَحاً لبياضه ، ومعنى « حبذا الوضح » : حبذا الإبل والغنم نأخذها في الدية ونشرب ألبانها .

(١٤٤) في الأصل « وكانوا مع أبيه حُجّاجاً »، وهو تحريف في الكتاب المنقول عنه، =

قال (أبو العبّاس ثعلبٌ) [١٤٥] : « التّعْقِيَة : سهم الاعتذار ، وقال (ابن الأعرابيّ) [١٤٦] : أصلُ هذا أنْ يقتُلَ الرّجُل رجلاً من قبيلته ، فيُطْلَبَ القاتل بدمه ، فتجتمع جماعة من الرّؤساء إلى أولياء المقتول بديَة مُكَمّلة ، ويسألونهم العفوَ وقَبُولَ الدِّيَة . فإن كان أولياؤه ذوي قُوىً ، أبَوْا ذلك . وإلّا قالُوا : بينَنا وبينَ خالقنا علامة للأمر والنّهي . فيقول الآخَرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخُذَ سهماً ، فنرميَ به نحوَ السّماء . فإنْ رجَعَ إلينا مُضَرّجاً بالدّم ، فقد نُهِينا عن أخذ الدِّيَة . وإنْ رَجَعَ كما صعِد ، فقد أُمِرْنا بأخذها ! وحينئذٍ مَسَحُوا لِحاهم ، وصالحوا على الدِّيَة . وكان مسحُ اللحية علامةً على الصُّلْح .

= وصوابه ما أثبتّه من « كتاب التنبيه » (ص ٨٠) ، ويعضده قول الشاعر الذي أوردته في التعليق (١٣٨) :

لا غيبوا شلو (حجاج) ، ولا شهدوا حَمّ القتالِ ، فلا تسأل بما افتضحوا

(١٤٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء ، وثعلب لقب : أحد أئمة الكوفيين في النحو واللغة ورواية الشعر ، ثقة ، مشهور بالحفظ . ولد ببغداد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ ، وله من المؤلفات : الفصيح ، ومعاني القرآن ، ومعاني الشعر ، وقواعد الشعر ، والمجالس ، وما تلحن فيه العامة ، وشرح ديوان الأعشى ، وغيرها .

(١٤٦) نص كلام ثعلب في : تهذيب اللغة (٥٩/١) ، ولسان العرب (عق) ، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (ص ٨٠) : « قال أبو العباس ثعلب ، رحمه الله : سألت ابن الأعرابي ، رحمه الله ، عن « التعقية » ، وهو سهم الاعتذار ، فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يُقْتَلَ الرجل من القبيلة ، فيطالب القاتل بدمه . . » .

قال (الأَسْعَرُ الجُعْفِيُّ) [١٤٧] :

عَقُّوا بسهمٍ ، ثُمَّ قالُوا : « سالِمُوا » .

يا ليتَني في القوم إذْ مَسَحُوا اللِحَى ! [١٤٨]

قال (ابن الأعرابيّ) [١٤٩] : ما رجَعَ ذلك السَّهْم قَطُّ إلّا نقيّاً ، ولكنّهم يعتذرون به عند الجهّال .

و « عَقُّوا » : بضمّ القاف ، وفتحها ؛ لأنّه جاء من بابَيْنِ . فانّه يقال : عَقَّ بالسّهم ، إذا رمى به نحوَ السّماء . وذلك السّهم يسمّى

---

(١٤٧) في الأصل : « الأشعر الجُعْفِيّ » ـ بالشين المعجمة ، ومثله في : لسان العرب ، وتاج العروس في (عقّ) ، وذكر فيهما في (سعر) بالسين المهملة على الصحة . وهو من الألفاظ التي وقع فيها التصحيف قديماً ، وقد نبّه عليه العسكريّ في « شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيف » فقال (ص ٣٧١) : « وأمّا الأَسْعَرُ الجُعْفِيّ ، فهو بالسين غير المعجمة ، سُمّيَ (الأسعر) لقوله :

فلا يَدْعُنِي قومي لكَعْبِ بْنِ مالكٍ «لئن» أنا لم أسعَرْ عليهِمْ وأُثْقِبِ » .

وروى الآمِديّ البيت في « المؤتلف » :

فلا يَدْعُنِي قومي لسَعْدِ بْنِ مالكٍ إذا أنا لم أسعَرْ عليهِمْ وأُثقِبِ

وفي الصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس : « .. من آل مالك « اذا أنا .. » .

و (الأسعر) ـ واسمه هو مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجُعْفِيّ : شاعر ، له ترجمة في « المؤتلف » (ص٤٧) ، وشعر في « مختارات الأَصْمَعِيّ » .

(١٤٨) البيت في : « تهذيب اللغة » (١/٦٠) ، وغيره ، منسوب الى الأسعر الجُعفيّ ، وصدره في : أمالي القالي : « مسحوا لِحاهم ، ثم قالُوا : سالمُوا » .

(١٤٩) التعليق (٩٦) .

« عَقِيقَةً » بقافين . ويقال له أيضاً « سهم الاعتذار » ؛ فعَقُّوا ، بضمّ القاف . ويقال : عَقّى بسهمه تَعْقِيَةً ، إذا رماهُ في الهواء ؛ فعَقَّوْا ، بفتح القاف .

❋ ★ ❋

(العاقلة)[150] :

وقد يوجبون الدِّيَةَ (١٥٠ آ) على أقارب القاتل ، لا على القاتل ، وهم العَصَبَة ، وهم القرابة من قِبَلِ الأب الّذين يُعْطُون دِيَةَ قتل الخَطَأ . ويُسَمَّوْنَ العاقلة . وهي صفة جماعة عاقلة . وأصلها اسم فاعل من « العَقْل » ، وهي من الصِّفات الغالبة . والعَقْلُ : الدِّيَةُ . وعَقَلَ القتيلَ يَعْقِلُهُ عَقْلاً : وَدَاهُ . وعَقَلَ عنه : أدَّى جنايته ، وذلك إذا لَزِمَتْهُ الدِّيَةُ ، فأعطاها عنه . وعَقَلْتُ له دمَ فُلان : إذا تركتَ القَوَدَ للدِّيَة . قالت (كَبْشَةُ) [151] أخت (عَمْرِو بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ) [152] :

أرسلَ (عبدُاللهِ) ، إذْ حانَ يومُهُ ،
إلى قومه : « لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دمي » [153]

وهذا ، هو الفرق بينَ : عَقَلْتُهُ ، وعَقَلْتُ عنه ، وعَقَلْتُ له .

فأمّا قوله :

فإنْ كان عَقْلٌ ، فاعْقِلا عن أخيكما
بناتِ المَخاضِ والفِصالَ المَقاحِما [154]

(١٥٠) التعليقان (٥٣) و (٥٨) .

(١٥١) التعليق (٧١) .

(١٥٢) التعليق (٧٢) .

(١٥٣) التعليق (٧٣) .

(١٥٤) لسان العرب (ع /ق/ل)، وهوغير منسوب فيه . ــ والمَخَاض : وجع الولادة =

فإنّمـــا عَدّاه ، لأنّ في قوله « اعقلُوا »[١٥٥] معنى « أدّوا » و « أعطُوا » ، حتّى كأنّه قال : فأدّيا وأَعْطِيا عن أخيكما .

ويقال : اعْتَقَلَ فُلان من دم صاحبه ، ومن طائلته . إذا أخذ العَقْلَ .

ومعرفة العاقلة ، أن يُنْظَرَ إلى إخوة الجاني من قِبَلِ الأب ، فيُحَمّلُونَ ما تُحَمّلُ العاقلةُ . فإنِ احتملوها ، أدَّوْها . في ثلاث سنين . وإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّه . فإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّ أبيه . فإن لم يحتملوها ، رُفِعَتْ إلى بني جَدّ أبي جَدّه . ثمّ هكذا لا ترفع عن بني أب ، حتّى يعجِزوا .

= وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض . ـ والمخاض : الحوامل من النوق ، واحدتها خِلْفة ـ على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها ، ومنه قيل للفَصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية : ابن مَخاض ، والأنثى : ابنة مَخاض . قال الجوهري : ابن مخاض نكرة ، فاذا أردت تعريفه ، أدخلت عليه الألف واللام ، إلا أنه تعريف جنس ، قال : ولا يقال في الجمع إلا بنات مخاض ، وبنات لبون ، وبنـــات آوى . وقال غيره : ويقال للفصيل إذا لقحت أمه : ابنُ مخاض ، والأنثى بنت مخاض ، وجمعها : بنات مخاض ، لا تثنّى مخاض ولا تجمع ، لأنهم إنما يريدون أنها مضافة الى هذه السن الواحدة ، وتدخله الألف واللام للتعريف ، فيقال : ابن المخاض وبنت المخاض . قال جرير ، ونسبه ابن بري في أماليه الى الفَرَزْدَق :

وجدنا نهشلاً فَضَلَتْ فُقَيْماً   كفضل ابن المخاض على الفصيلِ

قلت : ومن هذا بيت الشاعر ها هنا . ـ والمَقاحم : جمع المُقْحَم ، وهو البعير الذي يلقي سِنّيْهِ في عام واحد ، وذلك لا يكون إلا لابن الهَرِمَيْن ، قاله أبو منصور الأزهري .

(١٥٥) هذا نص الصحاح ، والسياق يطلب التثنية ، لأنها كذلك في البيت ، فيقال : «لأن في قوله « اعقلا » معنى : أدّيا وأعطيا » .

وسُئِل الإمام (أحمد [بن محمد] بن حَنْبَل)[156] عن العـاقلة[157] ، فقال : « القبيلة ، إلّا أنّهم يُحَمَّلُون بقدر ما يُطِيقُونَ » . قـال : « فإن لم تكن عاقلة ، لم تُجْعَل في مال الجاني ، ولكن تُهْدَرُ عنه » .

والعقل ، في كلام العرب[158]: الدِّيَةُ . سمّيت عقلاً ، لأنّ الدِّيَةَ كانت عند العرب في الجاهليّة إبلاً ، لأنّها كانت أموالهم ، فسمّيت الدِّيَة عَقْلاً ؛ لأن القاتل كان يكلّفُ أن يسوقَ الدِّيَةَ إلى فِنـاء[159]

---

(١٥٦) هو الإمام المحدث الفقيه العظيم ، أبو عبدالله الشيباني الوائلي . ولد ببغداد في سنة ١٦٤ هـ ، ونشأ على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة الى أطراف العالم الإسلامي ، وألف المسند المشهور ، والتفسير ، والتاريخ ، وفضائل الصحابة ، وعلل الحديث ، والرد على من ادعى التناقض في القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك . وامتحن بفتنة المأمون ، إذ دعا العلماء الى القول بخلق القرآن ، ومات المأمون قبل أن يناظره ، وتولى المعتصم ودعاه الى القول بذلك ، فامتنع ، فسجنه ثمانية وعشرين شهراً ، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ ، وسلم من الشر في زمن الواثق . ولما تولى المتوكل أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه . وتوفي الإمام سنة ٢٤١ هـ وهو على تقدم عند المتوكل . صنف ابن الجوزي في سيرته كتـاب « مناقب الإمام أحمد » ، والشيخ محمد أبوزهرة من المعاصرين : « ابن حنبل » . وبعض مصادر ترجمته في الأعلام ١/١٩٣ .

(١٥٧) في لسان العرب (ع/ق/ل) : « مَنِ العاقلة ؟ » ، ونصه :
« قال اسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل : مَنِ العاقلة ؟ فقال : القبيلة ، إلا أنهم يُحَمّلُون بقدر مايطيقون ، قال : فإن لم تكن عاقلةٌ لم تجعل في مال الجاني ، ولكن تهدر عنه . وقال اسحاق [يعني ابن راهويه] : اذا لم تكن العاقلة أصلاً ، فإنه يكون في بيت المال ، ولاتهدر الدية » .

(١٥٨) لسان العرب (ع/ق/ل) عن أبي منصور الأزهري .

(١٥٩) الفِناء ، بكسر الفاء : الساحة في الدار ، أو بجانبها ، ج : أفنية .

وَرَثَةَ المعقول عنه ، فيَعْقِلُها بالعُقُل ، ويسلّمها إلى أوليائه . وأصل العقل ، مصدرُ : عَقَلْتُ البعير بالعقال ، أَعْقِلُهُ ، عَقْلاً . وهو حبل ، تُثْنَى به يد البعير إلى رُكْبَته ، فتُشَدُّ به (١٦٠) .

والمَعْقُلَةُ : الدِّيَةُ . يقال : « لنا عند فُلان ضَمَدٌ من مَعْقُلَةٍ » ، أي : بقيّةٌ من دِيَة كانت عليه . و « دَمُهُ مَعْقُلَةٌ على قومه » ، أي : غُرْم يؤدُّونه من أموالهم (١٦١) .

ويقال « بنـو فُلان على مَعاقِلهم الأُولى من الدِّيَة » ، أي : على حال الدِّيات الّتي كانت في الْجاهليّة ، يؤدُّونها كما كانوا يؤدُّونها في الْجاهليّة (١٦٢) .

❋ ★ ❋

(١٦٠) قال ابن الأثير في النهاية – ونقل ابن منظور عنها : وكان أصل الدية الإبل ، ثمّ قُوِّمت بعـد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها . قال أبو منصـور الأزهري : وقضى النبي ، صلى الله عليه وسلـم ، في دية الخطأ المحض وشبه العمد أن يَغْرَمَها عَصَبَةُ القاتل ، ويخرج منها ولده وأبوه . وأما دية الخطأ المحض ، فإنهـا تقسم أخماساً : عشرين ابنة مخاض ، وعشرين ابنة لبون ، وعشرين ابن لبون ، وعشرين حِقّة ، وعشرين جَذَعـة . وأمـا دية شبه العمد ، فإنهـا تُغَلّظ ، وهي مئة بعير أيضاً : منهـا ثلاثون حِقّة ، وثلاثون جَذَعة ، وأربعون مابين ثَنِيّة الى بازلِ عامِها – كلُّها خَلِفَةٌ ، فعَصَبَة القاتل – إن كان القتل خطأ محضاً – غَرِمُوا الدية لأولياء القتيل أخماساً ، وإن كان القتل شبه العمد غرِمُوها مغلّظة في ثلاث سنين ، وهم العاقلة . وفي كتب الحديث والفقه كلام مستفيض في هذا الباب .

(١٦١) لسان العرب (ع/ق/ل) ، والغُرْم : ماينوب الإنسان في مالِه من ضرر بغير جناية منه أو خيانة .

(١٦٢) لسان العرب (ع/ق/ل) .

(فِداء الأسير) :

كان العرب في الجاهليّة إذا وقعت بينهــم الحرب ، وأَسَرَ بعضهــم بعضاً ، يعاملون الأسير معاملةً شديدةً بأوضاع مختلفــة : من تقييده بقيد ، أو إدخاله في جلد بعير ، أو غير ذلك .

فإنْ كان الأسير شريفاً ، فديَ بِمِئتين من الإِبِل .

وكان من مدائحهم لشريف أنّهم يقولون : « فُلانٌ عِقالُ المِئين » ، ويقولون أيضاً : « فُلانٌ قَيْدُ مِئَةٍ » و « عِقالُ مِئَةٍ » إذا كان فِداؤه ، إذا أُسِرَ ، مِئةً من الإبل[١٦٣] .

قال (يزيدُ بن الصَّعِق)[١٦٤] : .

أُساوِرُ بيضَ الدّارِعينَ ، وأبتغي عِقَالَ الْمِئينَ في الصّباحِ وفي الدَّهْرِ[١٦٥]

* ★ *

(عِقاب مَن ْهجا مِنَ الشّعراء) :

كانوا إذا خافوا هجاء شاعر ، شَدّوا لسانه ، لِئَلّا يهجوهم ، كما دلّ على

(١٦٣) لسان العرب ، وتاج العروس (ع/ق/ل) ، ولم تذكر عبارة « قيد مئة » في (ق/ي/د) .

(١٦٤) هو يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق بن نُفَيْل الكلابي : شاعر جاهلي ، من الفرسان كما يشير الى ذلك بيته هذا . له أخبار ذكرت مصادرها في الأعلام ٢٤٠/٩ ، ط ٢ .

(١٦٥) البيت في لسان العرب (ع/ق/ل) ، وفي موضع « الصباح » فيه : « الصاع » ، وفي الحاشية : « هكذا في الأصل بدون نقط ، وفي نسخة من التهذيب « الصباح » . وهو في تاج العروس – في (ع/ق/ل) أيضاً – : « الصياع » . واذا صح هذا لزم أن يكون فعله « صايَعَ » ، ولم تذكره دووابن اللغة ، وإنما ذكرت : صاع يصوع صَوْعاً ، وهو أن يحمل الشجاع على أقرانه فيفرق جمعهم . – والمساورة : مصدر ساوره سِواراً ومساورة : واثَبَهُ ، و – أخذ برأسه في العراك .– والدارع : لابس الدرع .

ذلك شعر (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص الحارثي القحطاني)[١٦٦] . وكان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً ، سيد قومه من (بني الحارث بن كعب) . وهو الذي كان قائدهم يوم « الكُلاب الثاني »[١٦٧] ، فأسرته (تيم) [١٦٨] ، وشدوا لسانه . وهذا شعره :

---

(١٦٦) هذه رواية البغدادي (الخزانة ١/٣١٧) في نسبه . وهو في «كتاب المحبر » : « عبد يغوث بن وقاص بن صُلاءة (بضم أوله) الحارثي » ، وفي سمط اللآلي (٣–٦٣) : عبد يغوث بن معاوية بن صُلاءة ، وقيل : ابن الحارث بن وقاص بن صلاءة : شاعر جاهلي يماني ، من الفرسان المعدودين . ومن أخباره : أنه أُسر يوم الكُلاب الثاني ، كلاب أهل اليمن وتميم .. أسره مُصاد بن ربيعة التيمي ، تَيْم الرِّباب . وكان مصاد مطعوناً في أكحله ، فنزفه الدم ، وعبد يغوث خلفه ، فسقط ، وأجهز عليه عبد يغوث ، ونجا . وكان عرف أثره عِصمة بن أُبَيْرد ، فتبعه فأسره . فاشتراه منه من اشتراه ، بثلاثين من الإبل ، وكعموه بنسعة – فيما حكى الأنباري في شرح المفضليات (٣١٧) – مخافةَ أن يهجوهم . قال : وقد كانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لي عن لساني أذُمُّ أصحابي ، وأنوح على نفسي . فقالوا : إنك شاعر ، ونخشى أن تهجونا . فجعل لهم أن لا يهجوهم . فأطلقوا له عن لسانه . قال الأنباري : فذلك قوله : « أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة .. البيت » . وقال غيره : إنه خُيِّرَ كيف يرغب أن يموت ، فاختار أن يشرب الخمر صِرفاً ، ويقطع عرق الأكحل ، فمات نزفاً . وأخباره في الأغاني ١٦/٣٢٨–٣٤١ ، وخزانة البغدادي ١/٣١٧ ، وشرح الشواهد ٢٣٢ ، والنقائض ٤٩–١٥٦ ، وأمالي القالي ٣–١٢٢ ، والبيان والتبيين ٤/٤٥ ، والعقد / ج ٥ (يوم الكُلاب الثاني) .

(١٦٧) الكُلاب ، بوزن الغراب : قال ياقوت في كتاب المشترك وضعاً : « الكلاب موضع واحد ، كان فيه يومان من أيام العرب المشهورة : الكُلاب الأول ، والكُلاب الثاني ، واليومان في موضع واحد ، قيل : هو ماء بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة ، وقيل : ماء بين جَبَلَة وشَمام » . ثم قال : « والكلاب =

أقولُ ، وقـد شَدُّوا لِساني بِنِسْعَةٍ :

أَمَعْشَرَ (تَيْمٍ)، أطلِقُوا لي لِسانِيا (١٦٩)

أَمَعْشَرَ (تَيْمٍ) ، قد ملكتم فأَسْجِحُوا ،

فإنَّ أخاكم لم يكن مِن بَوَائِيا (١٧٠)

= وادٍ بثهلان لبني العرجاء من بني عمير ، فيه نخل لهم ومياه » . وتفصيل حوادث هذين اليومين من أيام العرب في : الأغاني ١٢ / ٢٠٩ - ٢١٦ ، والعقد ٢٢٢/٥ - ٢٣٣ ، ونهاية الأرب للنويري ٤٠٦/١٥ - ٤١٢ ، وشرح المفضليات للأنباري ٤٢٧ - ٤٣٥ . وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٣٩ ، وأمالي القالي ١٢٣/٣ ، ومعجم البلدان (الكلاب) ، وتاريخ ابن الأثير ٥٤٩/١ - ٥٥٢ و ٦٢٠ - ٦٢٦ ط . بيروت .

(١٦٨) تيم : قبيلة عدنانية ، وهم تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، منهم عصمة بن أبَيْرِد الصحابي . وقـد عرفوا بـ « تيم الرِّباب » لأنهم تحالفوا وترابَّوا مع ضبة وثور وعكل وعديّ ، فصاروا يداً واحدة ، والتَّرابّ : هو التجمع رُبّةً رُبّةً ، أي فِرقة فِرقة ، وجمع الرُّبّة : الرباب ، بكسر الراء .

(١٦٩) النِسعة ، بكسر فسكون : القطعة من النِّسع ، وهو السير المظفر من الجِلد . وقوله : « أمعشر تيم » قال الأنباري : « ويروى : معاشرَ تيم . . . » .

(١٧٠) ملكتم فأسجحوا : مثل يضرب في العفو عند المقدرة ، ولفظه : « ملكتَ فأسجِحْ » ، قاله ابن الأكوع في غزوة ذي قَرَد (بفتحتين) ، والإسجاح : التسهيل والرفق . ومعناه : ظفرت فأحسن ، وقدرت فسهل وأحسن العفو . ويقال : « إذا سألت فأسجح » ، أي : سهل ألفاظك وارفق . - والبَواء : السَّواء ، وفلان بَواءُ فلانٍ : كفؤه إن قُتِل به ، والتكافؤ ، يقال : ما فلان ببَواء فلان ، أي ما هو بكفءٍ له . ودم فلان بَواء لدم فلان: إذا كان كفأً له ، قالت ليلى الأخيلية في مقتل توبة بن الحُمَيِّر :

فإن تكن القتلى بَواءً ، فإنكــم فتىً مّا قتلتم ، آلَ عوف بن عامر

أنشده أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في شرح المفضليات ، وابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في تاج العروس .

فإنْ تقتلُوني ، تقتلُوا بيَ سيّداً .
وإنْ تُطْلِقُونِي ، تَحْرُبُونِي بماليا [١٧١]

أَحقّاً ، عِبادَ اللهِ ، أنْ لستُ سامعاً
نَشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المَتاليا ؟ [١٧٢]

وتضحكُ مِنّي شَيْخةٌ عَبْشَمِيّةٌ
كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً يَمانيا ! [١٧٣]

وهي قصيدة طويلة [١٧٤] ، لا غرَض لنا في نقلها .

(١٧١) حرَبه يحرُبُه حرَباً ، مثل : طَلَبَه يطلُبُه طلباً : أخذ ماله ، وتركه لا شيْ له ، وهو محروب وحَريب من قوم ٍ حَرْبَى وحُرَباء .

(١٧٢) الرِعاء : الرُّعاة ، جمع راع ٍ ، وفي التنزيل العزيز : (حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخ كبير) . — والمُعْزِب : المتنحي بإبله . — والمَتالي : التي قد نُتِج بعضها وبقي بعض ، الواحدة مُتلية ، قاله أبو محمد الأنباري . وفي لسان العرب : « ناقة مُتْل ٍ ومُتْلية ، يتلوها ولدها ، أي يتبعها . والمتلية والمُتْلِي : التي تُنتَجُ في آخر النِّتاج ، لأنها تبَعٌ للمبكِّرة . وقيل : المتلية المؤخرة للانتاج ، وهو من ذلك ، والمُتْلي : التي يتبعها ولدها . . . » .

(١٧٣) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قريش . وقد نُحِت على وجوه متعددة ذكرتْها المعاجم الكبار . — لم تَرَيْ : في لسان العرب (ش/ م/ س) : « لم ترَ » ، والمعروف في رواية البيت : لم تَرَأْ » بسكون الهمزة في آخر الفعل ، جعلوا الهمزة بدلاً من الياء ، و « لم تَرَيْ » بحذف النون علامة الجزم ، فيكون في الكلام التفات، وحصر الأنباري بها الرواية . وقد جاء في خبر أسر الشاعر : أن آسره — وكان أهوج — انطلق به الى أهله ، فقالت أمه لعبد يغوث — ورأته عظيماً جميلاً — : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم . فضحكت، وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فعن ذلك قول عبد يغوث : « وتضحك مني » .

(١٧٤) القصيدة في النقائض ١٥٣ ، وشرح المفضليات ٣١٥ — ٣٢٠ ، والأغاني =

ومعنى قوله : « أقول ، وقد شَدُّوا . . . » ، مختلَفٌ فيه . وفيه قولان :

الأوّل أنّ هذا مَثَلٌ . وذهب إليه شُرّاح أبيات الشّعراء ، و(القالي)[175] في(أماليه)[176] . وحكاه (ابن الأنباريّ)[177] في (شرح المُفَضَّلِيّات) ،

---

١٦ / ٢٢٢ ــ ٣٣٥ ، وخزانة البغدادي ١ / ٣١٦ ، وأمالي القالي ٣ / ١٣٢ ، وشرح شواهد الشافية ٤٠٠ ــ ٤٠١ ، وتاريخ ابن الأثير ١ / ٢٢٨ ط : بولاق ، و ١ / ٦٢٥ ط : بيروت ، والعقد ٥ / ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، وبعضها في البيان والتبيين ٢ / ٢٦٧ و ٤ / ٤٥ .

(١٧٥) إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، أبو عليّ ، القاليّ ، البغدادي : أديب لغوي مشهور ، ولد سنة ٢٨٨ هـ في « منازجرد » على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان ، ونسب إلى « قاليقلا » ــ مدينة بين طرابزون ومنازجرد ، لأن بعض أهلها صحبه الى بغداد ، فانتسب بانتسابه ، وتثقف ببغداد ، أقام بها خمساً وعشرين سنة . ثم رحل الى الأندلس في أيام عبدالرحمن الناصر الأموي ، فاستوطن قرطبة ، ولقبه الأندلسيون بالبغدادي لمجيئه اليهم من بغداد . وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ . ألف (البارع) من أوسع دواوين اللغة ، و (الأمالي) ، و (النوادر) ، و (المقصور والممدود والمهموز) ، و (الأمثال) . ومصادر ترجمته في إنباه الرواة ١ / ٢٠٤ ، والأعلام ١ / ٣١٩ .

(١٧٦) ج ٣ / ص ١٣٣ ، وفيها : « هذا مثل ، لأن اللسان لا يشدّ بنِسعة ، وإنما أراد : إفعلوا بي خيراً ، ينطلق لساني بشكركم . فان لم تفعلوا ، فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم » .

(١٧٧) الأنباري ، وابن الأنباري : أب ، وابنه .. من أهل الأنبار بالعراق قرب بغداد . يلتبسان على الناس ، وكلاهما عالم بالأدب واللغة وعلوم القرآن والحديث ، وحفيّ بالأشعار والأخبار . أما (الأب) ، فهو القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أبو محمد : سكن بغداد ، وتوفي سنة ٣٠٤ هـ . له (شرح المفضليات) و (شرح السبع الطوال) ، و (خلق الإنسان) ، و(الأمثال) . وأما (الابن)، فهو هـ =

وقال : « لأنّ اللسان لا يُشَدُّ بِنِسْعَة ، بكسر النّون ، وهو سير منسوج ، وإنّما أراد : إفْعَلُوا بي خيراً ، ليَنْطِقَ لساني بشكركم ؛ وإنّكم ما لم تفعلُوا ، فلساني مشدود ، لا أَقْدِرُ على مدحكم »[١٧٨] .

والثّاني أنّهم شَدُّوه بِنِسْعَة حقيقةً . وإليه ذهب (الجاحظ)[١٧٩]

= محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، أبو بكر . نشأ في كنف أبيه ، وكان غاية في الحفظ والذكاء ، وإتقان التصنيف . وكان له مجلس في ركن من المسجد يرتاده طلاب العلم ، ولأبيه ركن آخر . وكان أفضل من أبيه وأعلم . توفي سنة ٣٢٨ هـ ، وله : (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ، و (ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجلّ) ، و (الزاهر في معاني كلام الناس) ، و (المذكر والمؤنث) ، وغيرها . أما (شرح المفضليات) فقد نسبه اليه بعض مترجميه ، وتابعهم عليه باحثان من المعاصرين . والصحيح أنه لأبيه ، وهو قد قرأه عليه ونقّحهُ . وقد طبعهُ في بيروت سنة ١٩٢٠م كارلوس يعقوب لايل(Lyall : M. A. Charles James) ، وجاء في أوله : « قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري : « أملى علينا عامر ابن عمران ، أبو بكر عكرمة الضبي ، هذه القصائد المختارة المنسوبة الى المفضل » ، وفي آخره (ص ٨٨٤) : « تمت القصائد المفضليات . وهذا آخر ماصنعه أبو محمد القاسم بن بشار الأنباري ، رحمه الله » .

(١٧٨) شرح المفضليات (ص ٣١٦) ، وأول النّصّ فيه : « هذا مثل ، واللسان لايشدّ بنسعة ، وإنما أراد : إفعلوا بي خيراً .. » .

(١٧٩) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان : رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولدهُ في البصرة سنة ١٦٣ هـ ، ووفاته فيها سنة ٢٥٥ هـ . لقب بالجاحظ لجحوض عينيه ، وكان مشوه الخلقة . ولكن حظه من العلم والذكاء غـاية في الوفرة . مات والكتاب على صـدره : قتلته مجلدات مـن الكتب وقعت عليه وهو مفلوج . وله المؤلفات الروائع ، وأشهرها (كتاب الحيوان) ، و (البيان والتبيين) ، و (الرسائل) ، وغيرها . ومصادر ترجمته في الأعلام ٥ / ٢٣٩ ، ط ٢ .

في (البيان والتّبيين) [١٨٠] ، و(الأصفهاني) [١٨١] في (الأغــاني) [١٨٢] . وحكاه أيضاً (ابن الأنباريّ) [١٨٣] بأنّهم ربطــوه بنِسْعَة ، مخافةَ أن يهجوهم . وكانوا سمِعوه يُنشِد شعراً ، فقال : أَطْلِقوا لي عن لساني ، أذُمُّ أصحابي ، وأنوحُ على نفسي . فقالوا : إنّك شاعر ، ونخافُ أن تهجُوَنا ! فعاهدهم أن لا يهجوهم . فأطلقوا له عن لسانه .

(١٨٠) ج ٤/٤٥ .

(١٨١) هو عليّ بن الحسين بن محمد ، أبو الفرج ، المرواني الأموي القُرَشي ، جدُّهُ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية : من أعيان الأدباء ، وأفراد المصنفين . ولد سنة ٢٨٤ هـ بأَصْبَهان (أو أَصْفَهان) من بلاد فارس ، ونشأ ببغداد واستوطنها الى وفاته سنة ٣٥٦ هـ . روى عن عالم كثير يطول تعدادهم ، وألف في التاريخ والسير والمغازي والأنساب وأيام العرب والمقاتل ، والشعراء ، والشواعر ، والمغنين والقيان ، والخمارين والخمارات ، والديارات ، والنوادر . وأشهر كتبه (الأغاني) ــ٢١ جزءاً ــ لم يؤلف في بابه مثله .. جمعه في خمسين سنة ، وتصرف فيه بين الجد والهَزْل . ولذلك أعلن المحققون من أمثال أبي الفرج بن الجوزي وشــيخ الإسلام تقيّ الدين بن تيمية النكير عليه ، ونقل ابن شاكر عن شمس الدين الذهبي قال : « رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ، ويتهمه في نقله ، ويستهول ما يأتي به . . » . وله ترجمة ضافية في مفتتح الجزء الأول من الأغاني في (ط ــ دار الكتب المصرية) ، وفي كتب كثيرة ذكرت في : إنباه الرواة ٢/٢٥١ ، والأعلام ٥ / ٨٨ ، ط ٢ .

(١٨٢) الأغاني ١٦ / ٣٣٥ ، ط ــ دار الكتب المصرية . قال أبو الفرج في خبر أسر عبد يغوث : « وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة ، لئلا يهجوهم ، وأبوا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جساس » .

(١٨٣) شرح المفضليات ، ص ٣١٧ . وهذا نَقْل الأنباري في روايته خبر أسر عبد يغوث ، وليس برأيه ، ورأيه هو ما أسلفه المؤلف، وشدُّ اللسان بنسعة ممتنع ولا ريب .

قال (الجاحظ) : « وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب ، ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنّهم إذا أَسَرُوا الشّاعر ، أخذوا عليه المواثيق ، وربما شَدُّوا لسانه بِنِسْعَة ، كما صَنَعُوا بِـ (عبدِ يَغُوثَ بن وَقّاص الحارثيّ) حين أَسَرَتْه (تَيْمٌ) يومَ الكُلاب »(١٨٤) .

*** ★ ***

ومن عقوباتهم (جَزُّ النّوَاصي) (١٨٥) :

كانت العرب إذا أنعمت على الرّجل الشّريف المأسور (١٨٦) ، جَزُّوا ناصيته ، وأطلقوه ، فتكونُ النّاصية عندَ الرَّجل يفخَرُ بها .

---

(١٨٤) البيان والتبيين ٤/٤٥ ، وفيه : « ويبلغ من خوفهم من الهجاء ، ومن شدة السّبّ عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ... » . ثم ذكر الجاحظ قول عبد يغوث : « أقول ، وقد شدوا لساني بنسعة .. البيت » وأربعة أبيات بعده من قصيدته ، وقال معقباً : « وكان سألهم أن يطلقوا لسانه ، لينوح على نفسه ، ففعلوا . فكان ينوح بهذه الأبيات . فلما أنشد قومه هذا الشعر ، قال قيس : « لبّيْكَ وإن كنت أخزيتني » . وتصديق الجاحظ شد اللسان بنسعة ، غريب من مثله !

(١٨٥) النّواصي : جمع الناصية ، وهي الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وأصلها عند العرب منبِته في مقدم الرأس ، وسمي الشعر ناصيةً لنباته من ذلك الموضع . وجَزُّها : قطعها ، يقال : جَزَّ الصوف والشعر والنخل والحشيش ، يَجُزُّه ، جَزّاً : قطعه ، ويقال في العنز والتيس : حلقتهما ، ولا يقال : جززتهما ، ومنه « الجِزّة » لِما يُجَزُّ من صوف الغنم في كل سنة ، ويستعمل بعدَ ما جُزَّ .

(١٨٦) قال المؤلف ، رحمه الله ، في « بلوغ الأرب » ١٦/٣ ، ط ٢ : « وربما جُزّت ناصية مُطْلَقِ الأسير : أشريفاً كان أم لا ، وأخذت للافتخار ، والعرب متفاوتون في ذلك » . وبهذا قال الأزهري كما سيرد في التعليق (١٩٢) .

ومن ذلك قول (الحُطَيْأَة) [188]، من أبيات ناضَلَ بها عن (بَغِيض)، [188].

(١٨٧) هو جرْوَل بن أَوْس بن مالك العَبْسيّ، أبو مليكة، والحطيأة لقب غلب عليه لقِصَره وقربه من الأرض، وله معنى آخر: شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية والإسلام، وأسلم. تصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، وأجاد في ذلك أجمع. وهجا الزبرقان بن بدر، فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسجنه في المدينة، فاستعطفه بأبيات، فأطلقه، ونهاه عن هجاء الناس، فقال: «إذن تموت عيالي جوعاً!»، وعاش الى نحو سنة ٤٥ هـ. وديوانه مشهور: شرحه ابن السكيت. والسُّكَّري، والسجستاني، وطبعه نعمان أمين طه في سنة ١٣٧٨ هـ ــ ١٣٥٨ م. وأخباره فيه، وفي الشعر والشعراء ٣٢٢، وطبقات الجمحي ٢٢٢١ والأغاني ٤٥٧/٢ ــ ٢٠٢ ط. دار الكتب المصرية، وفوات الوفيات ٩٩/١، وشرح الشواهد ١٦٣، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٠٨/١ ــ ٤١٢، والأصابة ٦٢/٢، والاشتقاق ١٧٠.

(١٨٨) بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة: من رؤساء بني تميم في الجاهلية، أدرك الإسلام، ولم يرد في شيْ من طرق الروايات أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. ترجمته في الإصابة ١٨٠/١، وفيها إشارة الى هذه القصة، وهي مفصلة في الأغاني ١٧٩/٢ ــ ١٨٥. وكان الحطيأة جاورَ الزّبرقان بن بدر، فلم يحمد جواره، فتحوّل عنه الى بغيض، فأكرم جواره، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً ويناضل عنه:

والله ما معشر لاموا امرءاً جُنُباً ... في آل لأي بن شماس بأكياس

ما كان ذنب (بغيض) لا أبالكُمُ ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

الى آخر القصيدة. فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأنشده آخر الأبيات، وهو قوله:

دع المكارم، لا ترحل لبِغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر رضي الله عنه: ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟! قال: إنه لا يكون في الهجاء أشدّ من هذا. ثم حكّم حسان بن ثابت، فقال: لم يَهْجُهُ، ولكن سلح عليه! فسجنه عمر.

وهجا (الزِّبْرِقانَ) [١٨٩] :

قد ناضَلُوك ، فَسَلُّوا من كِنائِنِهِمْ
مجداً تَلِيداً ونَبْلاً غيرَ أَنْكاسِ [١٩٠]

النِّكْسُ [١٩١] ، بالكسر : السّهم يقلب ، فيجعل أسفله أعلاه إذا انكسر

(١٨٩) هو الحصين بن بدر بن امرئ القيس السعدي التميمي ، لقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسنه ، شُبِّه به : شاعر فصيح ، من أشراف قومه . أسلم ، وولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ، وأقره أبو بكر الصديق بعد وفاته ثم عمر رضي الله عنهما . وكان بنو أنف الناقة – وهم بغيض وإخوته وأهله – ينازعونه الشرف ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه ، وكفى الحطيأة في سنة مجدبة أيام عمر رضي الله عنه ، فجاوره وأحسن اليه . فاغتنم بنو أنف الناقة ذلك ، وأفسدوا ما بين الزبرقان والحطيأة ، فتحول عنه اليهم . وكُفَّ بصر الزبرقان في آخر عمره ، وتوفي في زمن معاوية رضي الله عنه . وذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص ٢٠٨) أن للزبرقان عقباً بـ (طلبيرة) في (الأندلس) لهم بها قدم ، وكانوا أول نزولهم بالأندلس نزلوا بقرية ضخمة تسمى (الزبارقة) نسبة اليهم ، ثم غلب الإفرنج عليها ، فانتقلوا الى طلبيرة . وترجمته في الأغاني : ١٧٩/٢ – ١٨٤ ، والإصابة ٥٤٣/١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٥٣١/١ ، وطبقات الجمحي ٤٧ ، وغيرها .

(١٩٠) البيت من قصيدة له ، عدتها ١٧ بيتاً في ديوانه (ص ٢٨٣ – ٢٨٤) ، وذُكر منها في الأغاني (٢ / ١٨٤ – ١٨٥) ١٢ بيتاً . – والكنائن : جمع الكِنانة (بكسر الكاف) ، وهي جَعْبَة السهام تتخذ من جلود ، واذا كانت من خشب فهي جَفِير . وبقية الألفاظ مفسرة في البحث .

(١٩١) النِكس ، واحد الأنكاس ، قال أبو عبيدة : النكس يكون في السيف والرمح والولد إذا ولد منكوساً ، وهو اليَتَنُ ، وهو ضعيف أبداً ، وهذا كله لا خير فيه . وقال غيره : النكس الدنيْ المقصر ، وأن أصل ذلك في السهام ، وذلك أن السهم إذا ارتدع ، أو نالته آفة ، نُكِس في الكنانة ، ليعرف من غيره .

طَرَفُه . والمُناضلة : المفاخرة . وأراد بالمجد التّليد [192] ، النّواصيَ الّتي جزّها من أشراف العرب الأُسَراء .

وقال (بِشْر [193] بن أبي خازم الأَسَديّ) من أبيات [194] :

(١٩٢) التليد : القديم ، أراد أنهم فاخروه ، فرجحوا عليه بآبائهم وأجدادهم . وقالوا أيضاً : عنى بالمجد التليد النواصي ، وكانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف يأسرونه ،جزوا ناصيته وأطلقوه ،فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها، قال بِشر :

رأتني كأفحوص القطاة ذؤابتي وما مَسّها من منعم يستقيدها

أي : صَلَعَتُ ، ولم يكن ذلك عن جــز ناصيتي . وأطلق الأزهري القول في جز نواصي الأسرى ، ولم يخصه بالشرفاء ، قال : معنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خيروه بين التخلية وجــز الناصية والأسِر . فإنِ اختار جز الناصية ، جزوها وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنائنهم ، فاذا افتخروا ، أخرجوه وأروهم مفاخرهم .

(١٩٣) بشر بن أبي خازم عَمْرو بن عوف ، أبو نوفل : شاعر جاهلي فحل قديم ، من بني أسد بن خزيمــة . ، مات في نحو سنة ٩٢ قبــل الهجرة . له ديوان حققه د . عزة حسن ، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م . وترجمة بشر في : الشعر والشعراء ٢٧٠ ، وأمالي المرتضى ٢ / ١١٤ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٢ / ٢٦١ ــ ٢٦٤ ، وسمط اللآلي « تنظر فهارسه » ، ومختارات ابن الشجري ٢ــ١٩ ــ ٢٣ ، وله قصائد في منتهى الطلب ١/١٥٠ ــ ١٦١، وترجم له أحمد محمد شاكر في المفضليات ٩٦ ، و : د . عزة حسن في مقدمة ديوانه .

(١٩٤) البيتان من قصيدة ، عدتها عشرون بيتاً في ديوان الشاعر ، و ١٨ بيتاً في شرح المفضليات ــ هجا بها أوس بن حارثة بن لأم الطائي . وقــد كان بشر في أول أمره يهجوه ، فأسرته بنو نبهان من طيّء ، فركب أوس اليهم ، فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقنّه إن قدر عليه ، فوهبوه له . فقالت له أمه سعدى : قبح الله رأيك ! أكرمِ الرجل وخلّ عنه ، فانه لا يمحو ما قال غير لسانه . ففعل أوس . فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدةَ مدح .

وإذْ جزَّتْ نوَاصي (آلِ بَدْرٍ) ،
فأدَّوْها ، وأسْرَى في الوِثاقِ [١٩٥]

وإلا ، فاعْلَمُوا أنّا وأنتم
بُغاةٌ ما بَقِينا في شِقاقِ [١٩٦]

وسبب هذا الشِّعر : أنّ قوماً من (آل بدر الفَزَارِيِّين) جاوروا (بني لأْم)[١٩٧] من (طَيِّءٍ) ، فعَمَدَ (بنو لأْم) الى (الفَزَارِيِّينَ) ، فجزّوا نوَاصِيَهم ، وقالوا : قد مَنَنّا عليكم ، ولم نقتلكم . و (بنو فَزَارة) حلفاء (بني أسد) . فغضِب (بنو فَزَارة) لأجل ما صُنِع بِـ (البدريّين) ، فقال (بِشْر) هذه القصيدةَ : يذكر فيها ما صَنَع

(١٩٥) وإذْ : رواية الديوان « فإذْ » . — وآل بدر : هم بنو بدر ، من فَزَارة ، وهم يُعَدُّون بيت فَزَارة ، بل بيت قيس كلها ، فقد اتفق العلماء في مجلس عبدالملك على خمسة بيوت : بيت معاوية الأكرمين في كِنْدَة ، وبيت بني جُشَم بن بكر في تغلب ، وبيت ذي الجدين في بكر ، وبيت زرارة بن عدس في تميم ، وبيت بني بدر في قيس — كما في العقد ٣ / ٣٣١ . وكان بين بني أسد : قومِ بشر وبين غَطَفان حلف ، وفَزَارةُ من غَطَفان ، فلذلك نصرهم بشر . . وكان بنو بدر بين الذين أغروا بِشراً بهجاء أوس بن حارثة .

(١٩٦) بغاة : متعادون يبغي بعضنا على بعض ، جمع باغٍ ، وهو في الأصل الظالم الذي يتجاوز الحد . — ما بقينا : في رواية ثانية « ما حَيينا » ، و« ما » : مصدرية ظرفية ، أي : مدة بقائنا ، أو حياتنا .

(١٩٧) بنو لأْم : بطن من القحطانية ، وهم : بنو لأم بن عمرو بن طريف ، وينتهي نسبهم الى طيّء . كانت منازلهم في المدينة . . . ، وكانوا ينزلون في أكثر أوقاتهم مدينة يثرب ، وفي العبر : كانت منازلهم باليمن ، وهذا فيما يظهر هو الأصل . وسكن بنو لأم وبنو طرف (الأحواز) منذ زمن بعيد ، ولا يزالون هناك ، وتنطق (لام) مسهلة الهمزة ، وطُرُف بضمتين ، وهو تحريف طريف جدّ لأْم .

بِـ (بني بدر) ، ويقول (للطّائيّين) : فإذْ قد جَزَزْتُم نَواصِيَهم فاحْمِلُوها إلينا ، وأَطلقوا مَنْ قد أَسَرْتم منهم . وإنْ لم تفعَلُوا ، فاعلَمُوا أَنّا نبغيكم ونطْلُبكم . فإنْ أَصَبْنا أحداً منكم ، طلبتمونا به ، فصار كلّ واحد منّا يبغي صاحبه ، فنبقى في شقاق وعداوة أبداً (١٩٨) .

(انتهى)

---

(١٩٨) وممن افتخر بجزّ نواصي الفرسان، الخنساء : تماضر بنت الشريد السُلَميّة ، وذلك قولها ، وقد ذكره المؤلف في بلوغ الأرب ٣/١٦ ، ط٢ :

جـــززنا نواصيَ فرسانهم ... وكانوا يظنون أن لا تُجزّا
ومن ظَنّ ممن يُلاقي الحروبَ ... بأن لا يصابَ ، فقد ظن عجزا

أي : ظن ظناً باطلاً ، وسمته عجزاً تجوُّزاً .

وكثر ورود ذكر « المن » على الأسرى باطلاقهم في شعر العرب ، ففي يوم خَوّ أسر عمرو بن كلثوم حذيفة بن بدر ، ثم جزّ ناصيته ، ورده الى قومه ، وقال في ذلك (كما في : الأنوار ومحاسن الأشعار ـ ٧٧) :

وإنـــي بالذنائب يومَ خَوٍّ ... مننتُ على حذيفة بعد أسْرِ

ومن ذلك قول بعض نسائهم الشواعر ، وقد أسرت يوم الكثيب (الأنوار–١٠٧):

ولقد تركت الكبش منهم مُقْصَداً ... أُمْنُنْ علينا واتّخِذْ فينا يدا

المُقْصَدُ : المقتول .

وفي أخبار نبيه في الأغاني (١٧ / ٢٨٦ ، ط . دار الكتب المصرية) قوله في الافتخار بالمنّ على الأسرى :

فَسَلِي بمكّةَ تُخْبَرِي ... أنّــا من اهْلِ وفائهـا
قدماً ، وأفضلُ أهلِـها ... مَنّــاً عـلى أكفائهـا

وقد ضبط محققه الأستاذ محمد علي البجاوي « مَنّاً » بكسر الميم « مِنّا » ، على أنه جارٌّ ومجرور ، فأفسد بذلك معنى البيت ، وحوّله عن قصد الشاعر . وجاز ذلك على مُراجِعِه : الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم، فلم يقوّمه ، و لله وحده الكمال . هذا ، وقد يكون « المنّ » بمعنى الإنعام بالعطاء أيضاً . وبإنعام الله جلّ إحسانه تتمّ الصالحات .

بغداد ١٢ / ٣ / ١٤٠٣ هـ .

بهجة الأثري

القادة الشهداء في مؤتة

من قادة النبي صلى الله عليه وسلم

١ – زيد بن حارثة الكلبي .

٢ – جعفر بن أبي طالب .

٣ – عبدالله بن رَوَاحة الأنصاري .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضـو المجمع)

زيد بن حارثة الكلبي

نسبه وأيامه الأولى

هو زيد بن حارثة بن شَرَاحِيل بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عَبْد وُدّ بن عَوْف بن كِنَانة بن عَوْف ابن عُذْرَة بن زيد اللات بن رُفَيْدَة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن الجاف بن قُضَاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، وإلى قحطان جماع اليمن (١) ، وربما اختلف الذين نسبوه في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها (٢) ونقص شيء منها (٣) .

---

(١) طبقـات ابن سعد (٣/٤٠) وانظر أنساب الأشـراف (١/٤٦٧) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٥–٢٦٦) والاستيعاب (٢/٥٤٢) .

(٢) الاستيعاب (٢/٥٤٢) وأسد الغابة (٢/٢٢٤) .

(٣) أسد الغابة (٢/٢٢٤) .

ومن المعلوم أنّ العرب كانوا ولا يزالون يهتمّون بحفظ أنسابهم تسجيلاً ورواية ، ومصادر الأنساب في التراث العربي كثيرة جداً ، وحتى اليوم إذا زرت حيّاً من أحياء العرب ، وسألت طفلاً من أطفالهم عن نسبه ، سرد عليك نسبه إلى بضعة أسماء أو أكثر ، وحفظ الأنساب غير معروف عند غير العرب من الأمم الأخرى ، فلا غرابة في تشكيكهم باستمرار في صحّة الأنساب العربيّة ودقتها ، والمرء عدو ما جهل .

ولا مجال للعربي الأصيل أن يتقبل تشكيك غير العربي بصحّة أنساب العرب ، ولكنّ الشك ينحصر في دقّتها ، وبخاصة إذا ارتفعت إلى عهود سحيقة في القِدَم .

وأم زيد : سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامِر بن أفلتَ من بني مَعْنٍ من طَيّء (٤) .

وزارت سُعْدى أمّ زيد قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القَيْن ابن جَسْر في الجاهليّة ، فمرّوا على أبيات بني مَعْن رهط أمّ زيد، فاحتملوا زيداً إذ هو يومئذٍ غلام يَفَعَة قد أَوْصَفَ(٥) ، فوافوا به سوق عُكاظ ، فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ لعمّته خديجة بنت خُوَيْلِد بأربعمائة درهم ، فلما تزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهبته له ، فقبضه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٦) .

وفي رواية أخرى ، أنّ زيداً كان قد أصابه سباءٌ في الجاهليّة ، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَاشة ، وهي سوق بناحية مكّة كانت مَجْمَعاً

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٤٠) وأنساب الأشراف (١/٤٦٧) وأسد الغابة (٢/٢٢٤) (٢/٢٢٤) والاستيعاب (٢ /٥٤٢) والأصابة (٣/٢٥) .

(٥) غلام يفعة : شاب . وأوصف الغلام أو الفتاة : بلغ أوان الخدمة . وأوصف : تم قده .

(٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٠-٤١) وأنساب الأشراف (١/٤٦٧) .

للعرب يتسوّقون بها في كلّ سنة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خُوَيلد . فوهبته خديجة لرسول الله صلىّ الله عليه وسلّم (٧) .

وقيل : رآه النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم يُنَادى عليه بالبَطْحَاء(٨) ، فذكره لخديجة ، فقالت له يشتريه ، فاشتراه من مالها لها ، ثمّ وهبته للنبيّ صلىّ الله عليه وسلّم (٩) .

ويقال : إنّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم كان ابتاع زيداً بالشّام لخديجة حين توجّه مع مَيْسَرَة قيّمِها ، فوهبته له (١٠) .

والمتّفق عليه ، أنّ زيداً أصابه سباء ، وكان حرّاً فأصبح عبداً لخديجة ، ثم أصبح للنبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، ولا أهمّية للاختلاف في مَنْ اشتراه ولا في مكان بيعه .

وقد كان أبوه حارثة حين فقده قال :

بَكَيْتُ على زيدٍ وَلم أدْرِ ما فَعَلْ
أحَيٌ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجَلْ

فو اللهِ ما أدرى وإنْ كنتُ سائلاً
أغَالَكَ سَهْلُ الأرض أمْ غالك الجبلْ

فيا ليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ رجعةٌ
فحسبي من الدنيا رُجوعُك لي بَجلْ(١١)

تذكرُنيهِ الشّمسُ عند طلوعها
وَتَعرض ذكراهُ إذا قاربَ الطّفل

---

(٧) الاستيعاب (٥٤٣/٢) .
(٨) البطحاء : المسيل الواسع فيه دقائق الحصى ، والمقصود هنا : بطحاء مكة .
(٩) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) .
(١٠) أنساب الأشراف (٤٦٧/١) . (١١) بجل : حسب .

وإنْ هَبّتِ الأرواحُ هيّجنَ ذكرَه
فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَــل
سأعمل نصَّ العِيْس في الأرضِ جاهداً
ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبـــل
حَياتَى أو تأتي علَيّ منيّتــي
وكلّ امرىءٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل
وأوصي به قيساً وعَمْراً كليهما
وأوصى يزيداً ثمّ من بعدهم جَبَلْ

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أكبر من زيد ، ويعني يزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل .

ثم إنّ ناساً من بني كلب حجوا ، فرأوا زيداً فَعَرَفهم وعرفوه ، فقال: « بلّغوا أهلي هذه الأبيات ، فاني أعلم أنّهم جزعوا عليّ » ، وقال :

أحِنّ إلى قومي وإنْ كنتُ نائياً
بأني قطين البيت عند المشاعــر
فكُفّوا من الوَجدِ الذي قد شجاكُمُ
ولا تَعملوا في الأرض نصّ الأباعر
فاني بحمد الله في خَيْرِ أُسْــرَةٍ
كرام مَعَدَّ كابراً بَعْدَ كابِرِ (١٣)

وانطلق الكلبيّون إلى ديارهم ، وأعلموا أباه بمكانه ، ووصفوا له موضعه وعنــد مَنْ هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفِدائه (١٤)،

---

(١٢) طبقات ابن سعــد (٤١/٣) وأنساب الأشراف (٤٦٧/١-٤٦٨) وتهــذيب ابن عساكر (٤٥٦/٥) .

(١٣) أسد الغابة (٢٢٥/٢) والاستيعاب (٥٤٤/٢) وطبقات ابن سعد (٤١/٣) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٤١/٣) ، وفي أنساب الأشراف (٤٦٨/١) : خرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وجبلة بن حارثة بفدائه .

وقدما مكّة ، فسألا عن النبي صلىّ الله عليه وسلّم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : « يا ابن عبد الله ! يا ابن عبد المطلب ! يا ابن هاشم . ياابن سيد قومه ! أنتم أهل الحرام وجيرانه وعند بيته ، تفكّون العاني ، وتُطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإنّا سنرفع لك في الفداء » . قال : « مَنْ هو ؟ » ، قالوا : « زيد بن حارثة » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « فهل لغير ذلك ؟ » ، قالوا : ماهو ؟ » ، فقال : « دَعُوه ، فخيِّروه ، فن اختاركم فهو لـــكما بغير فداء ، وإن اختارني ، فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنْ اختارني أحداً » ، قالا : « زدتنا في النّصف وأحسنت » . ودعاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : « هل تعرف هؤلاء ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « مَنْ هما ؟ » ، قال : « هذا أبي ، وهذا عمّي » قال : « فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيتَ صُحْبَتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : « ماأنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والأم » ، فقالا : « ويحك يازيد ! أتختار العبوديّة على الحريّة وعلى أبيك وعمّك وأهل بيتك ؟ ! » ، قال : « نعم ! إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبدا » . فلما رأى رســول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك ، أخرجه إلى (الحِجْرِ) (١٥) فقال : « يامَنْ حَضَرَ ! اشهدوا أنّ زيداً ابني ، أرثُهُ ويرثني » ، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهماوانصرفا ، فدُعِيَ : زيد بن محمّد ، حتى جاء الله بالاسلام (١٦) .

ويبدو من سياق هذا الحديث ، أنّه جرى قبل مبعثه عليه الصّلاة والسّلام ، وكان قدوم حارثة وأخوه مكّة لفداء زيد قبل الاسلام أيضاً .

---

(١٥) الحجر : حجر الكعبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٢٠-٢٢١) .
(١٦) طبقات ابن سعد (٣ / ٤١-٤٢) وأنساب الأشراف (٤٦٨/١ - ٤٦٩) والاصابة (٢٥/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٦/٥-٤٥٧) .

ومما يلفت النّظر ، أنّ زيداً قال لأبيه وعمّه : « إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ، ماأنا بالذي أختار عليه أحداً أبدا » ، فما الذي رآه زيد من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؟ حسن الخلق ، وحسن المعاملة ؟ ذلك صحيح ، ولكنّه لايكفي لاختياره ، لأنّه اختيار صعب جداً ، لايكون إلاّ من أجل العقيدة وحدها ، فهي وحدها تدفع المرء المؤمن بها إلى التضحية بغير حدود .

وأرجّح أنّ قدوم حارثة وأخيه لفداء زيد ، كان بعد الاسلام ، وأنّ زيداً كان قد أعلن إسلامه وارتبط ارتباطاً مصيرياً بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فهذا هو الذي رآه زيد من هذا الرجل : « النبّوة » . . .

ولعلّ الدليل على ذلك ، ماجاء في مصدر واحد : « أنّ حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد ، ثمّ ذهب إلى قومه مسلماً » (١٧) ، فاسلام زيد هو الذي جعله يختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أبيه وأهله ، وإسلام أبيه حارثة ، هو الذي جعله تطيب نفسه فينصرف راضياً .

إسلام زيد

كان الزُهريّ يقول : « أوّلَ مَنْ أسلم زيد بن حارثة » (١٨) ، وكان يقول : « أوّلَ مَنْ أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة (١٩) ، وقال غير الزهري : إنّ أوّل من أسلم زيد بن حارثة (٢٠) .

وكان زيد وعليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ، يلزمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكان صلىّ الله عليه وسلّم يخرج إلى الكعبة أوّل النّهار ويصلي صلاة الضّحى ، وكانت قريش لا تنكرها ، وكان إذا صلّى غيرها

(١٧) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٣/١) .
(١٨) أنساب الأشراف (٤٧٠/١) . (١٩) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .
(٢٠) ابن الأثير (٥٩/٢) .

قعد عليّ وزيد بن حارثة يرصدانه (٢١) .

وقيل : إنّه أسلم بعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فكان أوّل ذكر أسلم وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب (٢٢) .

وقيل : أوّل مَنْ أسلم خديجة ، وأسلم عليّ بن أبي طالب بعد خديجة ثم أسلم بعده زيد ، ثمّ أبو بكر (٢٣) رضي الله عنهم جميعاً .

وقيل : أوّل مَنْ أسلم خديجة ، ثم آمن من الصبيان عليّ ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق ، ثم زيد بن حارثة (٢٤) .

ولا أرى تناقضاً في تلك الآراء ، فأوّل مَنْ أسلم من النّساء خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأوّل مَنْ أسلم من الرّجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأوّل مَنْ أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فهؤلاء هم الأوائل في الاسلام .

وكان هؤلاء النّفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام ، ثمّ تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكّة وتحدّث به النّاس (٢٥) .

وفي مسألة إسلام أولئك النفر السّابقين خلاف مشهور ، ولكنّ تقديم زيد على الجميع ضعيف (٢٦) ، ولا مسوّغ للخلاف ، فكأنّهم أوائل في الاسلام ، كلّ فرد منهم الأوّل على أمثاله من النّاس ، فاذا لم يكن زيد أوّل مَنْ أسلم ، فقد كان بالاجماع من أوائل مَنْ أسلم .

---

(٢١) أنساب الأشراف (١١٣/١) وابن الأثير (٥٩/٢) .
(٢٢) سيرة ابن هشام (٢٦٥/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٨/٥) .
(٢٣) أسد الغابة (٢٢٦/٢) .
(٢٤) جوامع السيرة (٤٥) .
(٢٥) ابن الأثير (٥٩/٢) .
(٢٦) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) .

في الطائف

تُوفي أبو طالب عمّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم وخديجة أمّ المؤمنين قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبعد خروجهم من الشِّعب (٢٧) - شِعب أبي أبي طالب - فتُوفي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيّام .

وعظمت المصيبة على رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم بهلاكهما ، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » ، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته ، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه ، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يُصلّي ، وكان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم يُخْرج ذلك على العود ويقول : « أيّ جوارٍ هذا بابني عبد مناف ! » ، ثمّ يلقيه بالطريق .

فلما اشتدّ عليه الأمر بعد وفاة أبي طالب ، خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقيْف يلتمس منهم النّصر . فلما انتهى إليهم في مدينة الطّائف ، عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، وهم إخوة ثلاثة : عبد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عُمَيْر ، فدعاهم إلى الله ، وكلّمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على مَنْ خالفه ، ولكنّهم ردّوه ردّاً غير كريم .

وقام النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وقد يئس من خير ثقيف ، وقال لهم : « إذا أبيتم فاكتموا عليّ ذلك » ، وكره أن يبلغ قومه خبر إخفاقه ،

---

(٢٧) الشعب : انفراج بين الجبلين . (ج) : شعاب .

فلم يفعلوا . وأغروا به سفهاءهم ، فاجتمعوا إليه وألجأوه إلى حائط لعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَيْ ربيعة ، وهو البستان ، وهما فيه . ورجع السُّفهاء عنه ، فجلس إلى ظلٍّ نخلة وقال : « اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس ! اللّهمّ يا أرحمَ الرّاحمين أنتَ ربّ المستضعَفين وأنت ربي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟ إلى بعيد يتَجهّمني ، أو إلى عدوٍّ ملّكتَه أمري ، إنْ لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكنّ عافيتك هي أوسع لي إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات وصلحَ عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تُنزل بي غضبك أو تُحلّ بي سخطك» (٢٨)

وعاد النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم أدراجه إلى مكّة ، وعاد معه زيد ، الذي كان يلازمه ملازمة الظل ، ولا يفارقه طرفة عين ، بعد أن شهد رحلة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم إلى الطّائف ، ورأى بعينيه ما لاقاه من صدود وأذى من أجل الدّعوة إلى الاسلام وفي سبيل الله .

الهجرة

لما أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالهجرة إلى المدينة المنوّرة ، هاجر زيد إليها ، فنزل على سعد بن خَيْثَمَة (٢٩) .

وقيل : نزل حمزة بن عبدالمطلب ، وحليفه أبو مَرْثَد كَنّاز بن حُصيْن الغَنَوِيّ ، وزيد بن حارثة الكَلْبِيّ مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، على كُلْثُوم بن الهِدْم ، أخي بني عمرو بن عوف بِقُباء ، ويقال : على سعد ابن خَيْثَمَة (٣٠) .

ومهما يكن الاختلاف في اسم الأنصاري الذي نزل عليه في المدينة أو في ضواحيها ، فقد وجد له في المدينة المنورة مستقراً يأوي إليه ، ليستأنف

---

(٢٨) ابن الأثير (٢/٩١-٩٢) . (٢٩) طبقات ابن سعد (٣/٤٤) .
(٣٠) جوامع السيرة (٨٩) ، وانظر طبقات ابن سعد (٣/٤٤) .

جهاده في خدمة الاسلام والمسلمين .

وفي المدينة ، آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بينه وبين أُسَيْد بن حُضَيْر (٣١) ، وقيل : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما (٣٢) . وقيل : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وحمزة وآخى بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر (٣٣)، وقيل: آخى بين زيد وحمزة (٣٤).

ويبدو أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وبين حمزة قبل الهجرة (٣٥) وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال، إن حدث به حادث الموت (٣٦) أما مؤاخاة المدينة التي كانت بعد الهجرة إليها ، فقد آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر .

أما المؤاخاة بين زيد وبين جعفر بن أبي طالب ، فقد كان جعفر مهاجراً إلى الحبشة ، وعاد منها هو وصحبه من المهاجرين ومَنْ دخل في الاسلام هناك ، وقدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خَيْبَر (٣٧) ، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السنة السّابعة الهجرية (٣٨) ، فمن المشكوك فيه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم آخى بين زيد وبين جعفر في تلك السنة المتأخرة من الهجرة ، بينما جرت المؤاخاة بعد الهجرة مبكّراً .

وهكذا أصبح لزيد في موطنه الجديد ، قاعدة المسلمين الأمينة : المدينة

---

(٣١) المحبر (٧١) .

(٣٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢) .

(٣٣) طبقات ابن سعد (٤٤/٣) .

(٣٤) الاصابة (٢٦/٢) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٧/٥) وأسد الغابة (٢٢٦/٢)

(٣٥) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٠٠) .

(٣٦) سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١٦٨/١) والاصابة (٣٧/١) .

(٣٧) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٨/١) .

(٣٨) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٣) وفي طبقات ابن سعد (١٠٦/٢) : أن الغزوة في جمادى الاولى سنة سبع الهجرية .

مستقر يأوي إليه ، وأخ يشدّ به عضده ، ومجتمع يتعاون معه في السرّاء والضرّاء .

في غزوة بدر الكبرى .

خرج رسول الله صلّى عليه وسلّم من المدينة باتجاه موقع (بَدْر) يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مُهاجَره (٣٩) ، أي في السنة الثانية الهجريّة .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً ، فكانوا يتعاقبون عليها : البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، وكان بين النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير (٤٠) ، وفي رواية أخرى كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليّ بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد وأبو كَبْشَة وأَنَسَة موالي رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلّم يعتقبون بعيراً (٤١)، والرواية الثانية هي المعتمدة ، لاجماع أكثر المؤرخين عليها .

وكان من الرماة المذكورين من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزوة بدر الكبرى (٤٢) ، وكان لهؤلاء الرماة الأثر العظيم في إحراز المسلمين النصر في هذه الغزوة الحاسمة على المشركين .

وقد قَتَلَ زيد من المشركين يوم بدر حَنْظَلَة بن أبي سفيان بن صَخْر ابن حَرْب بن أميّة ، وكان من مشاهير مشركي قريش (٤٣) .

(٣٩) طبقات ابن سعد (١٢/٢) . (٤٠) أنساب الأشراف (٢٨٩/١) .
(٤١) جوامع السيرة (١٠٨) .
(٤٢) أنساب الأشراف (٣٢٣/١) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) .
وطبقات ابن سعد (٤٥/٣) .
(٤٣) جوامع السيرة (١٤٧) .

وكان زيد البشير الذي أوفده النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى المدينة بفتح بدر(٤٤)، فقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى أهل (السّافلة) من المدينة وبعث عبدالله بن رَوَاحة إلى أهل (العالية) بشيرين بنصر المسلمين على المشركين في بدر. قال أسامة بن زيد: «فأتانا الخبر حين سوّينا التراب (٤٥) على رُقَيّة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي كانت عند عثمان بن عفّان رضي الله عنه، كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد خلّفني عليها مع عثمان – أنّ زيد بن حارثة قَدِمَ، فجئته وهو واقف بالمصلّى وقد غشيه الناس وهو يقول: قُتل عُتْبَة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، وأبو جَهْل بن هشام، وزَمْعَة بن الأسْوَد، وأبو البَخْتَرِيّ العاص ابن هشام، وأميّة بن خَلَف، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج! قلت: يا أبتِ! أحقٌ هذا؟! قال: نعم والله يابُنَيّ!» (٤٦).

وكان رجل من المنافقين قد قال لأسامة بن زيد: «قُتل صاحبكم ومَنْ معه»، وقال آخر منهم لأبي لُبَابَة: «قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لايجتمعون بعده، وقُتل محمّد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لايدري مايقول من الرُّعب». قال أسامة بن زيد: «فأتيتُ أبي، فكذّب قول المنافقين» (٤٧).

وهكذا استطاع زيد أن يبدّد مخاوف أهل المدينة، ويكذّب إشاعات المنافقين المغرضة، ويعيد الهدوء والاطمئنان إلى المدينة، ويرفع معنويات المسلمين فيها إلى عنان السماء.

لقد كان دور زيد في غزوة بدر الحاسمة دوراً بارزاً حقاً.

(٤٤) المحبر (٢٨٧) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وأسد الغابة (٢٢٦/٢).
(٤٥) يريد: دفنوها وسووا التراب على قبرها.
(٤٦) سيرة ابن هشام (٢٨٤/٢-٢٨٥).
(٤٧) أنساب الأشراف (٢٩٤/١) وانظر المغازي (١١٤/١).

قائد سرية القَرَدَة (٤٨).

هي أوّل سريّة خرج فيها زيد أميراً ، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً (٤٩) من مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه عليه وسلّم ، أي في السّنة الثالثة الهجريّة .

وكانت قريش قد حذرت طريق الشّام أن يسلكوها ، وخافوا من رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وأصحابه ، وكانوا قوماً تجّاراً ، فقال صَفْوان بن أُميّة : « إنّ محمّداً وأصحابه ، قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لايبرحون السّاحل ، وأهل السّاحل قد وادعهم ودخل عامتّهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ، مالنا بها نفَاق (٥٠) ، إنما نزلناها على التجارة : إلى الشام في الصّيف ، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة » ، فقال له الأسود بن المطّلب : « فنكّب (٥١) عن السّاحل ، وخذ طريق العراق » .

ولم يكن صفوان عالماً بطريق العراق ، فاستأجر دليلاً يدعى : فُرات ابن حيّان العِجليّ الذي قال لصفوان : « أنا أسلك بك طريق العراق ، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمّد ، إنما هي أرض نَجْدٍ وفيافٍ » ، فقال صفوان : « فهذه حاجتي ، أما الفيافي فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل » .

وتجهز صفوان، وأرسل معه أبو زَمْعَة بثلاثمائة مثقال ذهب ونُقَر (٥٢)

---

(٤٨) القردة : من أرض نجد ، بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ، انظر طبقات ابن سعد (٣٦/٣) ومعجم البلدان (٥٠/٧) .

(٤٩) مغازي الواقدي (١٩٧/١) ، أما في طبقات ابن سعد (٣٦/٢) ، فجاء : على رأس ثمانية وعشرين شهراً .

(٥٠) مغازي الواقدي (١٩٧/١) ، وفي بعض النسخ : « مالنا بها بقاء » والنفاق: جمع النفقة .

(٥١) نكب عنه : عدل وتنحى .

(٥٢) النقر : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

فضة ، وبعث معه رجال من قريش ببضائع ، وخرج معه عبدالله بن أبي ربيعة وحُوَيْطِب بن عبدالعُزّى في رجال من قريش ، وخرج صفوان بمال كثير : نُقَر فضّة ، وآنية فضّة وزن ثلاثين ألف درهم ، وخرجوا على (ذات عِرْق) (٥٣) .

وقدم المدينة نُعَيْم بن مَسعود الأشْجَعِيّ ، وهو على دين قومه ، فنزل على كنانة بن أبي الحُقَيْق في بني النّضير من يهود ، فشرب معه ، وشرب معه سَليط بن النُّعمان بن أسلم – ولم تحرّم الخمر يومئذٍ – وهو يأتي بني النّضِيْر ويصيب من شرابهم ، فذكر نُعَيْم خروج صَفوان في عِيره وما معهم من الأموال ، فخرج من ساعته إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره ، فارسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضوا عِيْر قريش وأصابوها ، وأفلت أعيان قريش وأسروا رجلاً أو رجلين .

وقدم زيد بالعِيْر على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخمّسها ، فكان الخمس يومئذٍ قيمة عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السريّة .

وكان في الأسرى ، فُرات بن حَيّان ، فأُتي به ، فأسلم (٥٤) .

وهكذا صعّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي على قريش ، فهدّد طريق تجارتهم إلى العراق أيضاً ، بعد أن هدّد طريق مكّة – الشام ، وطريق مكّة – الطائف في غزواته وسراياه السابقة .

---

(٥٣) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة .

(٥٤) مغازي الواقدي (١ / ١٩٧ – ١٩٨) وطبقات ابن سعد (٢ / ٣٦) سيرة ابن هشام (٢/٤٢٩–٤٣٠) .

سريـّة زيد إلى سُلَيْم بالجَمُوم (٥٥) .

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى بني سُلَيْم بالجَمُوم في شهر ربيع الآخر من سنة ست الهجريّة زيداً ، فسار على رأس سريته التي لا نعرف تَعداد رجالها حتى ورد الجَمُوم ناحية (بطن نَخل) (٥٦) عن يسارها ، وبطن نَخل من المدينة على أربعة بُرُد ، فأصابوا عليه امرأة من مُزَيْنَة يقال لها حليمة ، فدلتهم على محلّة من محالّ بني سُليم ، فأصابوا في تلك المحلّة نَعَماً وشاءً وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنيّة . فلما قفل زيد بما أصاب ، وهَبَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمُزَنيّة نفسَها وزوجها ، فقال بلال بن الحارث في ذلك شعراً :

لعمرُكَ ! ما أخنى المَسُول ولا وَنَتْ

حليمةُ حتى راحَ رَكبُهُما معاً (٥٧)

وكان الهدف من هذه السريّة تأمين المدينة وهي القاعدة الأمنية للاسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل التي حولها ، وتشديد وطأة الحصار الاقتصادي على قريش وحلفائها .

قائد سريـّة العِيص (٥٨)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً الى العِيْص ، وبينها وبين المدينة أربع ليالٍ ، وبينها وبين ذي المَرْوَة ليلة ، في جمادى الأولى سنة ست

(٥٥) الجموم : أرض لبني سليم ، أنظر معجم البلدان (١٤٠/٣) .
(٥٦) بطن نخل : جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة ، على طريق البصرة ، أنظر معجم البلدان (٢٢١/٢) .
(٥٧) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) .
(٥٨) العيص : موضع في بلاد بني سليم ، به ماء يقال له : ذنبان العيص ، أنظر معجم البلدان (٢٤٨/٦) ، بينها وبين المدينة أربع ليال ، وبينها وبين ذي المروة ليلة ، أنظر طبقات ابن سعد (٨٧/٢) .

الهجريّة ، فقد بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّ عيراً لقريش قد أقبلت من الشّام ، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرّض لها ، فأخذوها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضّة كثيرة لصفوان بن أُميّة ، وأسروا ناساً ممن كان في العير ، منهم أبو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وقدم زيد بهم المدينة ، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجارته . ونادت زينب في الناس حين صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفجر . « إني قد أجرتُ أبا العاص ! » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « وما علمتُ بشيءٍ من هذا ، وقد أجرنا مَنْ أجَرْتِ » ، وردّ عليه ما أُخذ منه (٥٩) .

وهكذا شدّد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الخناق في حصاره الاقتصادي ، على قريش التي تعيش على التجارة وتموت بدونها :

قائد سريّة الطَّرف (٦٠)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى الطّرف في جمادى الآخرة من سنة ست الهجريّة ، والطرف ماء قريب من المِراض دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البَقَرة على المحجّة .

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فأصاب نَعماً وشاءً ، وهربت الأعراب ، وصبّح زيد بالنّعم المدينة ، وهي عشرون بعيراً ، ولم يلق كيداً ، وغاب أربع ليالٍ ، وكان شعارهم : أمِتْ ...أمِتْ....(٦١).

---

(٥٩) طبقات ابن سعد (٨٧/٢) وانظر مغازي الواقدي (٥٥٣/٢-٥٥٥) .

(٦٠) الطرف : ماء قريب من المرقى دون النخيل ، وهو على ست وثلاثين ميلا من المدينة باتجاه العراق ، انظر معجم البلدان (٤٣/٦) .

(٦١) طبقات ابن سعد (٨٧/٢) ومغازي الواقدي (٥٥٥/٢) .

وكان هدف هذه السريّة ، تأمين المدينة القاعدة الأمنية للاسلام ، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل ، بالهجوم عليها ، لأنّ الهجوم أنجح وسائل الدفاع ، إذ أنّ الأعراب إذا لم يُهاجَموا من المسلمين ، هاجموا المسلمين ، كما هو دأبهم .

قائد سريّة حِسْمَى (٦٢)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى حِسْمَى ، وهي وراء وادي القُرى ، في جمادى الآخرة من السنة السّادسة الهجريّة .

وسبب بعث هذه السريّة ، أنّ دِحْيَة بن خليفة الكلبي – وكان مسلماً أقبلَ من عند قيصر الرُّوم وقد أجاره وكساه ، فلقيه الهُنَيْد بن عارِض وابنه عارِض بن الهُنَيد في ناس من بني جُذَام بحِسْمَى ، فقطعوا عليه الطّريق ، ولم يتركوا عليه إلاّ سَمَل ثوب ، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضُّبَيْب ، فنفروا إليهم ، واستنقذوا لدحية متاعه .

وقدم دِحية على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ، وردّ معه دِحية .

وكان زيد يسير اللّيل ويكمن النّهار ، ومعه دليل من بني عُذْرَة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصُّبح على القوم ، فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونَعمهم ونسائهم ، فأخذوا من النّعم ألف بعير ، ومن الشّاء خمسة آلاف شاة ، ومن السّبي مائة من النساء والصبيان .

ورحل زيد بن رِفاعة الجُذاميّ في نفرٍ من قومه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدفع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كتابه الذي

(٦٢) حسمى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٣) .

الذي كان كتب له ولقومه ليالِيَ قدم عليه فأسلم ، وقال : « يا رسول الله ! لا تُحَرِّمْ علينا حلالاً ولا تُحِلّ لنا حراما » ، فقال : « كيف أصنع بالقتلى ؟ » ، قال أبو يزيد بن عمرو : « اطلِقْ لنا يا رســول الله مَنْ كان حيّاً ، ومَنْ قُتِل فهو تحت قدمَيّ هاتين » ، فقال رسول الله صلّى الله الله عليه وسلّم : « صدق أبو يزيد » .

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن حارثة ، يأمره أن يخلّي بينهم وبين حُرمهم وأموالهم ، فتوجّه عليّ ، فلقي رافع بن مَكِيْث الجُهَنِي بشيرَ زيد بن حارثة على ناقة من من إبل القوم ، فردّها عليٌّ الى القوم ، ولقي زيداً بالفَحْلَتَيْن ، وهي بين المدينة وذي المَرْوَة ، فأبلغه أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فردّ إلى الناس كلّ ما كان أخذ لهم (٦٣) .

وكان الهدف من هذه الســرية ، تأديب بني جُذام الذين اعتدوا على دِحية بن خليفة الكلبيّ ، وهم يعلمون أنّه أحد المسلمين ، وليس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالذي يرضي باعتداء أحد على مسلم من المسلمين ، لأنّ الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة .

قائد سريّة وادي القُرى (٦٤)

بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة على رأس ســرية إلى وادي القُرى في رجب من السنة السادســة الهجريّة (٦٥) ، لتأديب بني فَزارة ، فأصيبت هذه السريّة وتسلّل زيد من بين القتلى وعــاد إلى المدينة ، فآلى على نفسه ألاّ يمسّ رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فَزارة (٦٦) .

---

(٦٣) طبقات ابن سعد (٨٨/٢) ومغازي الواقدي (٥٥٥/٢–٥٦٠) .

(٦٤) وادي القرى : واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٨) .

(٦٥) طبقات ابن سعد (٨٩/٢) . (٦٦) عيون الأثر (١٠٨/٢) .

وفي رواية، أنّ زيداً خرج في تجارة إلى الشّام، ومعه بضائع لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه ، لقيه ناس من بني فَزارة من بني بدر ، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنّوا أن قد قُتلوا ، وأخذوا ما كان معه . ثم استبلّ (٦٧) زيد ، فعاد إلى المدينة (٦٨) ، وهذه الرواية أقرب إلى المنطق والعقل وسير الحوادث .

ويبدو أنّ المسلمين لم يكتفوا بقطع الطريق التجاريّة : مكة — الشّام على تجارة قريش ، بل أرادوا استغلال هذه الطريق لتجارتهم بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصاديّة ، ولكنّهم أخفقوا في ذلك ، إذ تبيّن لهم أنّ الوقت لا يزال مبكّراً لاستغلال هذه الطريق .

قائد سريّة أم قِرفة بوادي القُرى

بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم زيداً على رأس سريّة إلى أم قِرْفة بوادي القرى على سبع ليالٍ من المدينة ، في شهر رمضان من السّنة السّادسة الهجريّة ، وهي من فَزارة من بني بدر .

وخرج المسلمون من المدينة ، يكمنون النهار ويسيرون اللّيل ، وخرج بهم دليلٌ لهم. ونذرت بهم بنو بدر من فَزارة ، فكانوا يجعلون ناطورا(٦٩) لهم حين يُصبحون ، فينظر على جبل لهم مشرفٍ وجهَ الطريق الذي يرون أنّهم يأتون منه ، فينظر قدر مسيرة يوم ، فيقول: اسرحوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم !

فلما كان زيد وأصحابه على مسيرة ليلة ، أخطأ بهم دليلهم الطريق ، فأخذ

---

(٦٧) استبل : أي برأ .
(٦٨) مغازي الواقدي (٥٦٤/٢) وطبقات ابن سعد (٩٠/٢) .
(٦٩) الناطور : حافظ الكرم ، والمعنى هنا : الراصد .

بهم طريقاً أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ . وعرفوا خطأهم ، ثم صمدوا (٧٠) لهم في الليل حتى صبّحوهم ، وكان زيد نهاهم عن المطاردة ، ثم أمرهم ألاّ يتفرّقوا ، وقال : « إذا كبّرتُ فكبّروا » ، ثم أحاطَ بفزارة في بيوتهم ، وكبّر و كبّروا ، فخرج مَسْلَمَة بن الأكْوَع . فطلب رجلاً منهم حتى قتله ، وأخذ جارية بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر وجدها في بيت من بيوتهم ، وهي ابنة أمّ قِرْفة ، واسم ام قِرْفَة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كما أخذوا أم قِرْفة فقتلها قيس بن المحسِّر ، وقتل النعمان وعبيدالله ابني مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر (٧١) .

وكانت العرب تقول : « لو كنت أعزّ من أم قرفة » (٧٢) ، لأنها كانت يُعَلّق في بيتها خمسون سيفاً كلّهم لها ذو محرم (٧٣) .

وعاد زيد إلى المدينة ، فقرع باب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج اليه مسرعاً واعتنقه وقبّله ، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه .

أما جارية ابنة أم قِرفة ، فقد وهبها مَسْلَمَة بن الأكْوَع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوهبها لحَزْن بن أبي وَهْب خال النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها (٧٤) .

وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فَزارة ، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة ، ولقّن فزارة درساً لاينسونه أبداً كما لقن غيرها من القبائل مثل هذا الدّرس .

---

(٧٠) صمدوا لهم : أي ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم ، انظر النهاية (٣٧٤/٢) .
(٧١) طبقات ابن سعد (٩٠/٢-٩١) ، وفي مغازي الواقدي (٥٦٥/٢) :
قتل عبدالله بن مسعدة ، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر.
(٧٢) عيون الأثر (١٠٨/٢) . (٧٣) عيون الأثر (١١٠/٢) .
(٧٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٩٠-٩١) ومغازي الواقدي (٢ / ٥٦٤-٥٦٥) وانظر عيون الأثر (١٠٧/٢-١٠٨) .

قائد سريّة مُؤْتَة (٧٥)

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على سرية إلى مُؤْتَة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية ، وكان سبب بعث هذه السريّة ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث الحارث بن عُمَيْر الأَزْدِيّ أحد بني لِهْب إلى ملك بُصْرَى (٧٦) بكتاب ، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغَسّاني فقتله ، ولم يُقْتَل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رسولٌ غيره ، فاشتدّ ذلك عليه ، وندب الناسَ فأسرعوا وعسكروا بالجُرْف (٧٧) ، وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أمير النّاس زيد بن حارثة ، فان قُتِل فجعفر بن أبي طالب ، فان قُتِل فعبد الله ابن رَوَاحة ، فان قُتِل فليرتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم » .

وعقد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد ، وأوصاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فان أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم . وخرج مشيّعاً لهم حتى بلغ (ثِنيّة الوَدَاع)(٧٨) ، فوقف وودّعهم ، فلما ساروا من مُعَسكرهم نادى المسلمون : دفعَ الله عنكم وردّكم صالحين غانمين ! فقال عبد الله بن رَوَاحة :

---

(٧٥) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٠/٨) ، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ، انظرطبقات ابن سعد (١٢٨/٢). والبلقاء ، هي الأردن الحالية .

(٧٦) بصرى : مدينة من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، أنظر التفاصيلفي معجم البلدان (٢٠٨/٢) .

(٧٧) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، انظـر التفاصيل في معجم البلدان (٨٦/٣) .

(٧٨) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديـع المسافرين ، انظر معجم البلدان (٢٥/٣) .

لكنّني أسأل الرحمنَ مغفرةً

وضَرْبةً ذات فرع تقذف الزّبدا(٧٩)

ولما فصلوا من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرَحْبيل بن عمرو ، فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطلائع أمامه .

ونزل المسلمون (مُعَان) (٨٠) من أرض الشّام ، وبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل (مَآب) (٨١) من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووائل وبَكْر ولَخْم وجُذَام .

وأقام المسلمون ليلتين لينظروا في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنخبره الخبر . . . فشجّعهم عبد الله بن رَواحة على المُضِيّ ، فمضوا إلى مُؤْتَة .

ووافاهم المشركون ، فجاء ما لا قِبَل لأحدٍ به من العدد والسّلاح والكُراع والديباج والحرير والذّهب ، فالتقى المسلمون والمشركون ، وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم ، فأخذ اللّواء زيد بن حارثة فقاتل ، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم ، حتى قُتِل طعناً بالرِّماح رحمه الله . ثمّ أخذ اللواءَ جعفر بن أبي طالب ، فنزل عن فرس له شقراء ، فعرقبها (٨٢) ، فكانت أوّل فرس عُرْقِبت في الاسلام ، وقاتل حتى قُتل ، رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين ، فوُجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد في بَدَن جعفر اثنتان وسبعون ضربةً بسيف وطعنةً برمح .ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة ، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه .

---

(٧٩) ذات فرع : أي ذات سعة .

(٨٠) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٩٣/٨) .

(٨١) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٤٩/٧) .

(٨٢) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .

واصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة ، وحمى بالسّاقة انسحابهم ، فكانت عملية الانسحاب التي طبقها خالد من العمليات الانسحابية الفذة في تاريخ الحروب .

ولما سمع أهل المدينة بجيش مُؤتة قادمين ، تلقَوْهم بالجرْف ، فجعل الناس يحثُون في وجوههم التراب ويقولون : يافُرّار ! أفررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليسوا بفُرّار ، ولكنّهم كُرّار إن شاء الله (٨٣) .

وهكذا ضحّى زيد بروحه رخيصة في سبيل الله مُقبلاً غير مدبر ، رافعاً لواء الاسلام عالياً ، لم يعفّره بالتراب في حياته ، فلما استُشهد لم يُعفّر بالتراب المجبول بدم الشهيد ، بل رفعه فوراً القائد الجديد .

الإنسان

استُشهد زيد في مُؤْتة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجريّة (٨٤) (٦٢٩ م) ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أكبر من زيد بعشر سنين (٨٥) ، أي أن زيداً ولد سنة (٥٨١ م) ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولد عام الفيل وهو سنة (٥٧١ م) ، ومعنى ذلك أنّ زيداً عاش ثمانياً وأربعين سنة شمسيّة ونحو خمسين سنة قمرية (٨٦) .

وهناك نصوص على أنّه أستُشهد وله من العمر خمس وخمسون سنة (٨٧) ، والرواية الأولى أرجح ، لأنها المعتمدة عند أكثر المؤرخين المعتمدين .

---

(٨٣) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨-١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٢/٧٥٥-٧٦٩)
(٨٤) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٧) .
(٨٥) الاستيعاب (٢ / ٥٤٣) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٤٥٧) وأنساب الأشراف (١/٤٧٠) .
(٨٦) أنساب الأشراف (١/٤٧٣) .
(٨٧) الاصابة (٣/٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦١) .

وكان زيد رجلاً قصيراً ، آدم شديد الأدمة ، في أنفه فطس (٨٨) ، وفي رواية أنّه كان أبيض أحمر (٨٩) ، والتناقض بين الروايتين واضح ، والرواية الأولى هي الصحيحة ، لاعتمادها من أكثر المؤرخين الثقات .

ولما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال : « أخواي ومؤنساي ومحدّثاي » ، وشهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالشهادة .

ولما أصيب زيد ، أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أهله ، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه ، فبكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عُبادة : « يارسول الله ! ماهذا ؟ » ، قال : « هذا شوق الحبيب إلى حبيبه » (٩٠) ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان زيد حِبّ رسول الله ومولاه (٩١) .

وقد دعا النبيّ صلّى الله عليه وسلم لزيد وجعفر وابن رَواحة بعد استشهادهم ، فقال : « اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لزيد ، اللّهمّ اغفر لجعفر وعبدالله بن رَواحة (٩٢) .

وقال حسّان بن ثابت يرثي زيداً :

عَيْنِ جودي بدمعكِ المَنْزُورِ
واذكُري في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ (٩٣)

واذكري مُؤْتَةً وما كانَ فيهـا
يومَ راحُوا في وقْعَةِ التَّغْويرِ (٩٤)

---

(٨٨) أنساب الأشراف (٤٧٠/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٧/٥) وطبقات ابن سعد (٤٤/٣) .
(٨٩) أسد الغابة (٢٢٧/٢) .
(٩٠) أنساب الأشراف (٤٥٣/١) .
(٩١) تهذيب ابن عساكر (٤٥٤/٥) .
(٩٢) طبقات ابن سعد (٤٦/٣) .
(٩٣) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .
(٩٤) التغوير : الاسراع ، يريد الانهزام .

حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسور(٩٥)
حِبَّ خير الأنام طرّاً جميعاً
سيِّد الناسِ حبّه في الصدور
ذاكمُ أحمدُ الذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزني له معاً وسروري
إنّ زيداً قد كان مِنّا بأمْرٍ
ليس أمْرَ المكَذَّبِ المغرور
ثم جودي للخزرجيِّ بدمعٍ
سيِّداً كان ثَمَّ غيرَ نَزُورِ (٩٦)
قد أتانا من قتلهم ماكفانا
فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غيرِ سرور (٩٧)

وقد كان لزيد صلة مباشرة متينة بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد آثره زيد على أهله ، كما ذكرنا في قصّة محاولة فدائه ، فتبنّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال عبدالله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في زيد : « ماكنّا ندعوه إلاّ زيد بن محمّد ، حتى نزلت : (ادْعُوهُم لآبائِهم)(٩٨) ، فدُعي : زيد بن حارثة (٩٩) » ودُعي الأدعياء إلى آبائهم ، فدعى المِقداد ابن عمرو ، وكان يقال له قبل ذلك المِقداد بن الأسود ، لأنّ الأسود بن عبد يَغوث كان قد تبنّاه (١٠٠) .

(٩٥) الضريك : الفقير .
(٩٦) أراد بالخزرجي : عبدالله بن رواحة والنزور : القليل العطاء .
(٩٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٦٢) .
(٩٨) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٥) .
(٩٩) طبقات ابن سعد (٣/٤٣) وأسد الغابة (٢/٢٢٦) والاصابة (٣/٢٥) .
(١٠٠) الاستيعاب (٢/٥٤٥) .

وكان زيد يسمى : زيد الحِبّ ، لأنّه حبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٠١) وأبو حِبّه (١٠٢) « أُسامة بن زيد الذي فرض له عمر في العطاء أكثر مما فَرض لابنه عبد الله بن عمر ، وعلّل ذلك عمر لابنه : « إنّه كان أحبّ إلى رسول الله منك ، وإنّ أباه كان أحبّ إلى رسول الله من أبيك » (١٠٣) .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « يا زيد ! انت مولايّ ومني وإليّ وأحبّ القوم إليّ » (١٠٤) ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » ، وقال : « أنت مولاي ، ومني ، وأحبّ القوم إليّ » (١٠٥) .

وكانت عائشة أم المؤمنين تقول : « ما بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة في جيش قط إلاّ آثره عليهم ، ولو بقي بعده استخلفه » (١٠٦) .

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا لم يَغْزُ لم يعطِ سلاحه إلاّ لعليّ أو لزيد (١٠٧) .

ذلك مبلغ حبّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لزيد وتقديره له ، ولن يكون هذا الحبّ وهذا التقدير إلاّ لشخصيّة لها سجاياها المتميِّزة وإخلاصها النّادر وإيمانها العميق .

وزوّج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابنة عمّته زينب بنت جَحْش زيداً وهي التي تزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد زيد (١٠٨) ، فتكلّم المنافقون والمشركون وقالوا : « محمّد يحرِّم نساء الولد ، وقد تزوّج امرأة

(١٠١) أنساب الأشراف (٤٦٩/١).
(١٠٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١).
(١٠٣) تهذيب ابن عساكر (٤٦١/٥) .
(١٠٤) طبقات ابن سعد (٤٤/٣) .
(١٠٥) أنساب الأشراف (٤٧٠/١) .
(١٠٦) طبقات ابن سعد (٤٦/٣) .
(١٠٧) تهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) .
(١٠٨) أسد الغابة (٢٢٦/٢) .

ابنه » ، فأنزل الله عزّ وجلّ : (ما كانَ محمدٌ أبا أحَدٍ من رِجالِكُمْ ولكِنْ رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيِّيْنَ ، وكانَ اللهُ بكلِّ شيءٍ علِيْما)(١٠٩) ، ونزلت : (ادْعُوْهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عند اللهِ ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فاخوانُكُمْ في الدِّيْنِ ومَواليْكمْ)(١١٠)، فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة ، ونُسب كلّ مَنْ تَبنّاه رجل من قريش إلى أبيه (١١١) .

وكانت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها تقول : « لو كان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية : (وإذْ تَقُوْلُ للّذي أنْعَمَ اللهُ عليهِ وأنْعَمْتَ علَيْه : أمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ واتّقِ اللهَ ، وتُخْفي في نَفْسِكَ مااللهُ مُبْديه ، وتَخْشَى النّاسَ واللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ ، فلمّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وطَرا زَوَّجْناكَهَا لِكَيْ لا يَكُونُ على المؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ في أزْواجِ أدْعيائِهِم إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ، وكانَ أمرُ اللهِ مَفْعُوْلا) (١١٢) ، فانّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم لما تزوّجها – يعني زينب بنت جحش – قالوا : « إنّه تَزَوج حليلة ابنه » (١١٣) ، فانّ العرب إذا تبنّت غلاماً أنزلته منزلة الولد حتى في الارث وتحريم نكاح زوجته ، وكان من سُنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وطريقته ، إذا نسخ الله شيئاً من أمرِ الجاهليّة أن يُسرع صلّى الله عليه وسلّم إلى الفعل ، ليقتدى به ، فلما زوّج زينب بنت جحش من زيد وأذن الله بنسخ عادة الجاهليّة ، أمر الله أن يطلّقها زيد ويتزوّجها رسول الله صلّى الله عليه

(١٠٩) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٤٠) .
(١١٠) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٥) .
(١١١) أنساب الأشراف (٤٦٩/١) .
(١١٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٣٧) .
(١١٣) أسد الغابة (٢٢٦/٢) .

وسلّم ليبطل عادة الجاهلية بالفعل ، للعلّة التي ذكرها الله في كتابه العزيز ؛ : (لِكَيْ لايَكُونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم) (١١٤) .

وروي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : « أحبُّ النّاس إليّ مَنْ أنعَمَ الله عليه وأنعَمتُ عليه » — يعني زيد بن حارثة — أنعم الله عليه بالاسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعِتْق (١١٥) .

ومن الواضح ، أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم زوّج زيداً زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمّته ، ليبطل عادة جاهليّة في الترفّع على الموالي وعدم تزويجهم الحرائر وبنات الأشراف ، وكان زواجها بزيد شديداً على نفسها ، قالت زينب رضي الله عنها : « خطبني عدّة من قريش ، فأرسلت أختي حَمْنَةَ إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم استشيره ، فقال : أين هي ممن يعلّمها كتاب الله وسنّة نبيّها ؟ قالت : ومَنْ هو يارسول الله ؟ قال : زيد ! فغضبت حمنة غضباً شديداً وقالت : يارسول الله ! أتزوّج ابنة عمّتك مولاك ! ! فجاءت فأخبرت زينب ، فغضبت أشدّ من غضب أختها وقالت أشدّ من قولها ، فأنزل الله تعالى : (ماكانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ تكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم) (١١٦) ، فأرسلت زينب إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم تقول : زوّجني مَنْ شئت ، فزوّجني من زيد) (١١٧) .

لقد أبطل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تقاليد الترفّع عن تزويج الموالي بالحرائر من بنات الأشراف وتقاليد تحريم الزواج بامرأة الابن بالتبني ، وأعتقد أنّه

(١١٤) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٨-٤٥٩) .
(١١٥) الاستيعاب (٢/٥٤٦) .
(١١٦) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٦) .
(١١٧) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٨) .

لو لم يطبِّق إبطال تلك التقاليد عملياً بنفسه وعلى نفسه لصعب على غيره، وهي تقاليد جاهليّة بالية أبطلها الاسلام ، فجعل التفاضل بالتقوى لا بالأحساب وبالتمسّاك بالدين لا بالتمسّك بالأنساب .

ولست أنسى حديثاً سمعته في المدينة المنورة من شيخ معروف من الشيوخ المسلمين ، يستنكر فيه إقدام شخصيات من عوائل عريقة في المدينة على تزويج قسم من بناتهم الشريفات برجالٍ قدّمهم علمهم ومناصبهم الحكومية وأخرهم نسبهم وحسبهم ، وقد مضى على الأسلام خمسة عشر قرناً ، وذهبت تقاليد الجاهلية إلى غير رجعةٍ ، وهذا يدل على مبلغ التضحية التي أقدم عليها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعظم الشجاعة التي حقّقها باقدامه على زواج زينب من مولاه ، وزواجها بعد أن طلّقها مولاه .

إنّ التضحية والشجاعة المعنويتين اللتين تحمّلهما الرسول الأعظم عليه عليه أفضل الصّلاة والسّلام في قصّة زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تقلاّن عن أي تضحية وشجاعة ماديتين إن لم تكونا أعظم أثراً وأبلغ تأثيراً ، فكان القدوة الحسنة والمثال الشخصي في تطبيق أصعب تشريعات الاسلام على نفسه قبل غيره ، فاجتث بذلك تقاليد جاهلية بالية ، ولكن لاتزال آثارها باقية بين العرب المسلمين حتى اليوم ولا يطبق تطبيق اجتثاثها على نفسه من العرب المسلمين غير المؤمنين حقّاً من الطيبين الأخيار .

وما دمنا قد تطرّقنا إلى زواج زيد بالسيدة زينب ، فلا بد من إكمال الحديث عن زواجه بنسائه الأخريات .

فقد زوّجه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مولاته أم أيْمَن ، فولدت له أُسامة بن زيد (١١٨) حِبّ رسول الله وابن حِبِّه وهي حاضنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومولاته ، وكان اسم أم أيمن : بَرَكة ، كانت قد

(١١٨) أسد الغابة (٢٢٦/٢) والاستيعاب (٥٤٦/٢) والاصابة (٢٥/٣) .

تزوجّت بمكّة في الجاهلية عُبَيْد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس ابن مالك بن ثعلبة بن جَشَم بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، فولدت له : أيمَن بن عُبَيْد ، فكنّيت به . واستُشهدَ أيمن يوم حُنَيْن ، ومات عُبَيْد عن أم أيمن ، فكانت فارغةً لازوج لها ، فزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيداً (١١٩) .

وتزوّج زيد أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط (١٢٠) ، فقد أقبلت أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، وأمّها أرْوَى بنت كُرَيْز بن ربيعة ، وأمّ أروى هي أم حكيم البيضاء ، بنت عبدالمطّلب — مهاجرة إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فخطبها الزُّبير بن العوّام ، وزيد بن حارثة ، وعبدالرحمن بن عَوْف ، وعمرو بن العاص ، فاستشارت أخاها لأمّها عثمان ابن عفان ، فأشار أن تأتيَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأتته ، فأشار عليها بزيد بن حارثة ، فتزوّجته ، فولدت له زيداً ورُقَيّة ، فهلك زيد وهو صغير ، وماتت رقَيّة في حجر عثمان . وطلّق زيد أمّ كلثوم ، فخلف عليها عبدالرحمن بن عوف ، ثمّ الزُّبير ، ثمّ عمرو بن العاص (١٢١) . وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير (١٢٢) ، وكان قد تزوج قبلها دُرَّة بنت أبي لَهَب ثم طلّقها (١٢٣) .

وتسلسل زوجات زيد بحسب الأقدميّة في زواجه بهن : أم أيمن مولاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحاضنته ، ثم زينب بنت جحش ، ولما طلّق زينب زوّجه أمّ كلثوم بنت عُقْبَة ، ثم طلّق أمّ كلثوم وتزوّج دُرَّة بنت

(١١٩) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .
(١٢٠) المحبر (٤٤٦) وجمهرة أنساب العرب (١١١) .
(١٢١) أنساب الأشراف (٤٧١/١) وانظر المحبر (٤٤٦) .
(١٢٢) الاصابة (٢٥/٣) .
(١٢٣) أنساب الأشراف (٤٧١/١) .

أبي لَهَب بن عبدالمطّلب، ثم طلّقها وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير (١٢٤) وهكـذا سعى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ يزوّج زيداً كرائم النساء وأقربهن نسباً به، لأنّه حِبّه ومؤتمنه وموضع ثقته، ولكي يجتث تقاليد جاهلية بالية في الزواج، ولكنّ بعض المسلمين عادوا إلى تلك التقاليد الجاهلية البالية، فعادت إلى الحياة من جديد.

وقد استخلف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم زيداً على المدينة المنوّرة مرتين: المرة الأولى في خروجه إلى غزوة (بُواط) (١٢٥) في شهر ربيع الأول سنة اثنتين الهجريّة (١٢٦) . والمرّة الثانية في غزوة بني المُصْطَلق من خُزاعة في (المُرَيْسِيْع) (١٢٨) قرب مكة (١٢٨) التي كانت في شهر شعبان سنة خمس الهجريّة (١٢٩) ، وهذا دليل على اعتماد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على كفاية زيد الاداريّة .

وأوفده النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من المدينة إلى مكّة مع أبي رافع مولاه، فحملا سَوْدة بنت زَمْعَة ، وفاطمة بنت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأمّ كلثوم ابنة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقدم زيد وأبو رافع بزوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وابنتيه المدينة والمسجد يُبْنى (١٣٠) . وأوفده مع رجل من الأنصار إلى مكّة لحمل زينب ابنة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى المدينة ، وقال لهما : « كونا ببطن (يَأجِج) (١٣١) حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها

---

(١٢٤) الأصابة (٢٦/٣).

(١٢٥) بواط : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٧/٢) .

(١٢٦) أنساب الأشراف (٢٨٧/١) .

(١٢٧) المريسيع : اسم ماء من ناحية قديد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٨) .

(١٢٨) أنساب الأشراف (٣٤٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) .

(١٢٩) أنساب الأشراف (٣٤١/١) .

(١٣٠) أنساب الأشراف (٤١٤/١) .

(١٣١) يأجج : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة .

حتى تأتياني بها » ، فخرجا إلى مكّة بعد غزوة بدر الكبرى بشهر أو قريب منه، فاستلمها زيد وصاحبه ، وقدما بهاعلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم(١٣٢) وهــذا دليل على ثقته العاليــة بأمانة زيد وحسن تصرّفــه ورجاحة عقلــه وشجاعته النادرة .

ولم يُسَمّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحاب غيره من الأنبياء إلاّ زيد بن حارثة ، قال تعالى : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا » (١٣٣) .

روى أربعة أحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١٣٤) ، وفي رواية أخرى أنه روى حديثين (١٣٥) فقط .

ومضى أبو أسامة حِبّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وأبو حِبّه إلى جوار ربه بعد أن عاش خمسين سنة قمرية ، كان فيها منذ عقل إلى جوار رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم المولى والأخ والحبيب ، فأدىّ ماعليه من واجبات جسام كأحسن مايكون الأداء ، فاستحق تقدير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحبه ورضاه ، وتقدير المسلمين وحبّهم ورضاهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وكان ولايزال وسيبقى أسوة حسنة للمؤمنين المخلصين الصادقين(١٣٦)

وقد ترك زيد آثاره الباقية في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأهل بيته ، كما ترك آثاره الباقية في خدمة الدين الحنيف داعياً ومجاهداً ، وكان مع

---

(١٣٢) أنظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/٢٩٧-٢٩٩) وأنساب الأشراف ١/٣٩٧-٣٩٨ وابن الأثير (٢/١٣٤) .

(١٣٣) أسد الغابة (٢/٢٢٧) وتهذيب الاسماء واللغات (١/٢٠٢) .

(١٣٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٣٧) .

(١٣٥) أسماء الصحابة الرواة (٢٩١) .

(١٣٦) تهذيب الأسماء واللغات .

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في السرّاء والضرّاء وفي السّلام والحرب ، رضي الله عنه وأرضاه .

القائد

بعد عودة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حَجّة الوَداع ، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر من السنة الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م) ، فأمر بتجهيز جيش كبير فيه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وسعد بن أبي وقّاص وأبو عُبَيْدَة بن الجرّاح رضي الله عنهم ، وجعل هذا الجيش بامرة أسامة بن زيد ، فتجهّز الناس ، وأوعب (١٣٧) مع أسامة المهاجرون الأولون (١٣٨) ، وأمر رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم أسامة أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقاء والدّاروم (١٣٩) من أرض فلسطين .

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم قال ، : « أيها الناس ! انفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للامارة ، وإنْ كان أبوه لخليقاً لها » (١٤٠) ، وفي رواية الامام البخاري ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « بعث بعثاً وأمّرَ عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض النّاس في إمارته، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم « أن تَطْعَنُوا في إمارته ، فقد كنتم تَطْعَنُون في إمارة أبيه من قبلُ . وأيْمُ اللهِ ، إنْ كان لخليقاً للامارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ ، وإنّ هذا

---

(١٣٧) أوعبوا معه : أي خرجوا جميعهم للغزو .

(١٣٨) سيرة ابن هشام (٣١٩/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٢) .

(١٣٩) الداروم : قلعة بعد مدينة غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر ، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، انظر معجم البلدان (١٣/٤) .

(١٤٠) طبقات ابن سعد (٦٨/٤) . (١٤١) فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) ، وانظر الاصابة (٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦٠/٥) .

لمن أحبّ النّاس إليّ بعده » (١٤١) ، وهذا تقويم لكفاية زيد القيادية وكفاية ابنه أسامة القيادية أيضاً ، يفوق كلّ تقويم ، لأنـّه تقويم النبيّ صلىّ الله عليه وسلـّم الذي لايعادله ولا يقاربه أيّ تقويم آخر .

وقد كانت عائشة أمّ المؤمنين أقرب المقرّبين للنبيّ صلـّى الله عليه وسلـّم وأعرفهم به تقول : « مابعث رسول الله صلـّى الله عليه وسلـّم زيد بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمـّره عليهم » (١٤٢) ، وتقول : « مابعث رسول اللهصلـّى الله عايه وسلـّم زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمـّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه » (١٤٣) .

ذلك هو مبلغ تقدير النبيّ صلـّى اللهعليه وسلـّم لكفاية زيد القياديـّة وثقته الكاملة به واعتماده المطلق عليه ، وهو تقدير عظيم وثقة بالغة واعتماد هائل ، استحقـّه زيد بمزاياه القياديـّة أولاً وقبل كل شيءٍ فما كان النبيّ صلـّى اللهعليه وسلـّم يولي ثقته الكاملة إلاّ لمن يستحقها بجدارة ، وكان يبني الانسان المسلم بالعقيدة الرّاسخة ، والأسوة الحسنة التي يضربها للمسلمين كافة بشخصه الكريم ، وبتولية الرجل المناسب للعمل المناسب ليقود الأمة أفضل رجالها عقيدة واقتداراً بالنسبة للواجبات والمسؤوليات التي يتقلـّدونها .

فما الذي يستطيع القادة أن يتعلموه من سجايا زيد القياديـّة ؟

كان من الرماة المعدودين المذكورين (١٤٤) من بين أصحاب النبيّ صلىّ الله عليه وسلـّم ، أي أنـّه كان هدّافاً من الهدّافين كما نطلق على أمثاله في المصطلحات العسكريـّة الحديثة ، وقد استغلّ هذه المزية في غزوة بدر

---

(١٤٢) رواه النسائي ، أنظر فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) .
(١٤٣) طبقات ابن سعد (٤٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٤٦١/٥) .
(١٤٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩/٥) وطبقات ابن سعد (٤٥/٣) .

الكبرى ، فقتل أحد أبرز سادات قريش ممن ذكرهم المؤرخون ، وقتل غيره ممن أغفل التاريخ ذكرهم . كما استغلّ هذه المزيّة في الغزوات التي شهدها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهي غـزوة بدر والخندق والحُدَيْبيَة وخَيْبَر (١٤٥) وغيرها ، كما استغلها في السّرايا التي قادها بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهي تسع سرايا (١٤٦) ورد ذكرها في هذا البحث .

وكان من الفرسان الماهرين ، تدرّب على الفروسيّة كأيّ عربيّ آخر في محيطه ، فبرع بها وأتقنها إتقاناً متميزاً .

ومن دراسة السرايا التي قادها زيد ، تظهر لنا بوضوح أنّها (غارات) لها تأثير معنوي على الأعداء بالدرجة الأولى ، وكان النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم يتوخّى من تلك السرايا إثبات قوّة المسلمين عمليّاً ، حتى يحول دون مهاجمة المسلمين من أولئك الأعداء ، وكان بهذه السّرايا ليطبّق الفكرة السوقيّة المعروفة : « الهجوم أنجع وسائل الدّفاع » (١٤٧) .

لقد كان واجب زيد في سراياه ، هو خوض معركة معنويات بالدّرجة الأولى ، تعتمد على المباغتة والاندفاع والحرب الخاطفة ، ومثل هذا الواجب بحاجة إلى قائد يتميّز بالشّجاعة الخارقة التي تضمن الاقدام والاندفاع ، ويتميّز بالعقيدة الرّاسخة التي تستهين بالاخطار . ويتميّز بالعقليّة الرّاجحة التي تتبصّر بالعواقب ، ويتميّز بعد كلّ ذلك بالفتوّة التي تتحمّل المشاق ولا تبالي بالأهوال .

وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفي سراياه التي قادها ، ولمسنا شجاعته في الواجبات الأخرى التي

(١٤٥) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩) . (١٤٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩) .
(١٤٧) انظر الكتب العسكرية الرسمية حول القضايا السوقية والتعبوية .

ألقاها في عاتقه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة ، في وسط يعجّ بالأعداء والحاقدين والموتورين من المشركين .

وقد نشأ زيد في بيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فآمن به أوّل مَنْ آمن أو مع أوّل من آمن ، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيءٍ في سبيل عقيدته التي آمن بها .

أما عقليته الرّاجحة ، فقد ظهرت بوادرها منذ نعومة أظفاره ، وما تفضيله النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم على أبيه وإخوته وعمّه وآل بيته ، إلاّ نموذجاً من نماذج عقليته الرّاجحة الحصينة وطالما استشاره النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم في معضلات الحرب والسّلام .

أما شبابه وفتوته ، فيكفي أن نذكر أنّه مات في الخمسين من عمره ، وهو في أوج قوّته وعطائه .

وما أشبه سماته القياديّة تلك ، بسمات قيادة ابنه أسامة بن زيد (١٤٨) ، حِبّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم وابن حِبّه .

لقد قضى الاسلام — مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهليّة ، على الأنفة من تأمير مَنْ لم تُقدِّمه السِنّ ، والاستمساك بعُرى التّفاضل بالانساب والاحساب والعشائر والقبائل . . . . إنّ التفاضل في الاسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال بالاضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب .

وقد رفعت مزايا زيد القياديّة وإيمانه الرّاسخ العميق إلى الامارة .

لقد كان لزيد قابلية فذّة لاعطاء قرار سريع صحيح في الوقت والمكان المناسبين ، وكانت كلّ سراياه بحاجة ماسة إلى إصـــدار قررات سريعة وصحيحة ، وحين وجد العدو في سريّة مُؤْتَة قد حشد له مالا قِبَلَ للمسلمين

(١٤٨) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣-٥١) .

به ، عزم أن يتريث في قبول المعركة غير المتكافئة ويستشير النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم في الموقف الجديد ، ولكنّ المتحمّسين من المجاهدين الذين خرجوا للجهاد طلباً للشهادة وعلى رأسهم عبدالله بن رَواحة ، أرادوا لقاء العدو مهما تكن نتائج هذا اللقاء ، فانصاع زيد لنداء العاطفــة ، ويبدو أنّ الأحداث تطوّرت بسرعة عظيمة فاضطرّت المسلمين إلى قبول المعركة، ثم كانت سرية مُؤْتة إخفاقاً تعبوياً ولكنّها كانت نصراً سَوْقياً ، جعلت الرّوم جيران المسلمين في الشمال، يلمسون عملياً بأن العرب بالاسلام اصبحوا خلقاً جديداً ، فأصبحت حربهم ليست حرباً عابرة ، بل حرب لها مابعدها كأية حرب نظاميّة تتميّز بارادة القتال وبالنظام والتنظيم والاستمراريّة .

وكان زيد ذا إرادة قويّة ثابتة ، استطاع أن يتغلّب بها بسهولة ويسرٍ على كثير من المصاعب والعقبات في سراياه ، التي كان أكثرها يتسم بالمغامرة والمشاق ، فنجح بفضل إرادته على ماصادفه من معضلات ومشاق .

وكان من أولئك القادة الذين يتحملون المسؤولية ويتقبلونها قبولاً حسناً ، ولا يتملّصون منها بالقائها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسيّة ثابتة لا تتبدل: لا يطربها النصر فيؤدي بها إلى مزالق الشّطط ، ولا يقلقها الاندحار فيحملها الى مهاوي الانهيار ، والشّطط والانهيار تلحق الكوارث بالقائد ورجاله .

ومادام المرء لايعمل لنفسه ، بل يعمل للمصلحة العامة ، وتكون نيته خالصة لوجه الله ، فأنّ نفسيته تكون ثابتة لاتتغيّر .

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنّه نشأ بينهم وعمل معهم ، وعايشهم طويلا في حالتي الحرب والسّلام ، إلى جانب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه المقرّبين وآل بيته الطّاهرين ، فكان يكاف كلّ فرد منهم بما يناسب نفسيّته وقابليّته .

وكان يثق برجاله ثقة مطلقة ، ويثق به رجاله ثقة مطلقة ، والثقة هي الأساس القوي للتعاون بين القائد وجنوده ولا تعاون بدون ثقة متبادلة .

وكان يحب رجاله حبّ الأخ لأخيه ، ويحبّه رجاله حبّاً لامزيد عليه ، والحبّ المتبادل هو العامل الحيوي لارساء أسس التعاون الوثيق الذي يقود إلى النصر .

وكان يتمتّع بشخصيّة قوّية نافذة ، جعلت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوليه السرايا التي فيها أمثال أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقّاص وأبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهم ، ويوليه إمرة المدينة المنوّرة في بعض غزواته ، مما يدّل على شخصيته القويّة النّافذة .

وكانت له قابلية بدنيّة فائقة ، ساعدته على قطع المسافات الشاسعة بسرعة ، وتحمل اعباء السفّر والقتال ، دون كلل ولا ملل ولا تعب ولا إنهاك .

وكان له ماضٍ ناصعٌ مجيد في خدمة الاسلام والمسلمين ، وخدمة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

وكان يساوي بينه وبين رجاله ، لايستأثر دونهم بالخير ، ويترك لهم المتاعب ، بل يؤثرهم بالأمن والدّعة والاطمئنان ، ويستأثر دونهم بالأخطار والمصاعب والمشاق .

وكان يستشير أصحابه ، وبخاصة ذوي الرأي منهم ، ويأخذ بآرائهم ويضعها في حيِّز التطبيق العملي .

واستناداً إلى مبادىء الحرب ، فقد كان زيد يختار مقصده ويديمه ، ويفكر في أقوم وسيلة للوصول إليه ، ثم يقرِّر الخطّة المناسبة للحصول عليه .

وكانت سرايا زيد كلّها تعرضيّة ، تشيع فيها روح المباغتة ، وكانت جميع سراياه عدا سريّة مُؤْتَة مباغتة كاملة لأعداء المسلمين ، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلّة قوّاته بالنسبة إلى كثرة قوّاتهم ، وبالرغم من

وجودهم في بلادهم بينما كانت خطوط مواصلات زيد بعيدة عن المدينة قاعدة عمليات المسلمين الرئيسة .

كما أنّ زيداً كان يحشد قوّاته قبل الاقدام على خوض المعركة ، وكان يديم معنويات لكل القوات ، ويمكن اعتبار سراياه في هدفها الرئيسي سرايا معنويات بالدرجة الأولى كما ذكرنا من قبل .

وكان يطبّق مبدأ الأمن ، فلم يستطع العدو مباغتة سرايا زيد في أيّة معركة خاضها ، وحتى سرية مُؤْتَة لم يُبَاغَت بتفوّق القوات المعادية على قوّات المسلمين عَدَداً وعُدَداً ، ولكنّه اختار لنفسه الشّهادة ، فكان له ما أراد .

وكانت سرايا زيد تتحلّى بالطّاعة المطلقة ، وهي مانسميه اليوم : الضبط المتين ، كما امتازت سراياه بالشّجاعة والاقدام والجلد والصبر والمصابرة وتحمّل المشاق ، وهي الصّفات المعنوية الباقية على الزمان لكل جيش متماسك في كل زمان ومكان .

وكان زيد يتحلّى بنفس مزايا جيشه المعنويّة ، وكان مثالاً شخصياً رائعاً لسراياه في كلّ تلك المزايا والصفات .

لقد كان زيد قائداً متميّزاً حقّاً .

زيد في التاريخ

يذكر التاريخ لزيد ، أنّه أصابه سِباء في الجاهليّة ، فطوّحت به الأقدار بعيداً عن أهله ليصبح في كنف النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قبل مبعثه .

وأنّ أباه وعمّه وإخوته أردوا فداءه ، فاختار النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم على أبيه وعمّه وإخوته ، فارتبط مصيره بالاسلام والمسلمين .

وأنّه كان أوّل مَنْ أسلم ، أو من أوّل مَنْ أسلم ، فكان أوّل مَن أسلم من الموالي بدون خلاف .

وأنّه رافق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى مدينة الطّائف لدعوة بني ثقيف إلى الاسلام ، فشهد أقسى ما لاقاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من ثقيف في رحلته الصّعبة الشاقة .

وأنّه هاجر إلى المدينة المنوّرة ، وحمل معه بعضاً من بنات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وزوجاته .

وأنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأبلى فيها أعظم البلاء .

وأنّه تولى قيادة تسع سرايا من سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أكثر قادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قيادة سراياه .

وأنّه الوحيد الذي ذكر بالاسم من بين صحابة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحاب النبيين والمرسلين في القرآن الكريم .

وأنّه كان حِبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبا حِبّه أسامة بن زيد الكلبي .

وأنّه توّج حياته الحافلة بالجهاد المتواصل بالشّهادة ، فضحىّ بنفسه فداءً لعقيدته ، ولم يُضَحِّ بعقيدته فداءً لنفسه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، الاداري الحازم ، حِبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، زيد بن حارثة الكلبيّ .

جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي

أوّل سفير في الإسلام والقائد الشهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو جعفر بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مَنَاف، بن عبد المُطّلب ابن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الهاشِميّ، وهو ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأخو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأبويه (١)، يكنى: أبا عبدالله بابنه عبدالله (٢).

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ (٣)، وكان جعفر الثالث من أولاد أبيه أبي طالب، وكان طالِب أكبرهم سِنّاً، ويليه عَقِيل، ويلي عَقِيلاً جعفر، ويلي جعفراً عَلِي، وكلّ واحد منهم أكبر من شقيقه بعشر سنين، وعَلِيّ أصغرهم سِنّاً، وأمهم جميعاً: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ (٤)، وفاطمة أمهم أوّل هاشميّة تزوّجها هاشِميّ، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتُوفِّيت في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ونزل عليه الصّلاة والسّلام في قبرها، وكان يكرمها (٥).

( ) أسد الغابة (١/٢٨٦-٢٨٧) والاصابة (١/٢٤٨) والاستيعاب (١/٢٤٢)، وانظر نسب قريش (١٧) وجمهرة أنساب العرب (١٤-١٥).

(٢) الاستيعاب (١/٢٤٢) والاصابة (١/٢٤٨) وطبقات ابن سعد (٤/٣٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٤) ومقاتل الطالبيين (٥).

(٤) مقاتل الطالبيين (٥)، وانظر أسد الغابة (١/٢٨٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٩).

أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله صلىّ الله عليه وسلـّم دار الأرقم ابن أبي الأرقم يدعو إلى الاسلام فيها (٦) ، وقد أسلم بعد إسلام شقيقه عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه بقليل ، وروي أنّ أبا طالب رأى النبيّ صلـّى الله عليه وسلـّم وعَلـيـّاً رضي الله عنه يُصَلـّيان ، وعليّ على يمينه ، فقال لجعفر : « صِلْ جناح ابن عمّك ، وصَلّ على يَساره » ، وقيل : أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً ، وكان هو الثاني والثلاثين (٧) .

لقد كان جعفر من السّابقين الأولين إلى الاسلام (٨) .

المهاجر السّفير

١- لما رأى رسول الله صلـّى الله عليه وسلـّم مايصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، وأنّه لايقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد ، وهي أرض صِدْقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » (٩) ، وكان بالحبشة مَلِك صالح يقال له النّجاشيّ ، لا يُظْلَم أحد بأرضه ، وكان يُثْنَى عليه وفيه صلاح (١٠) ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلـّى الله عليه وسلـّم إلى أرض الحبشة (١١) ، وكان ذلك في السنة الخامسة من النبوّة (١٢) ، أي في السنة الثامنة قبل الهجرة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى

---

(٦) طبقات ابن سعد (٣٤/٤) .

(٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) ، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١ / ٢٦٥-٢٧١) وجوامع السيرة (٤٤-٤٨) والدرر (٣٩-٤١) .

(٨) الإصابة (٢٤٨/١) .

(٩) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) ، وانظر جوامع السيرة (٥٥) والدرر (٥٠) .

(١٠) الطبري (٣٢٨/٢) .

(١١) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) . (١٢) الطبري (٣٢٩/٢) .

الله بدينهم ، فكانت هذه الهجرة أوّل هجرة في الاسلام (١٣) ، وهي الهجرة الأولى إلى إرض الحبشة (١٤) .

وكما كان جعفر أحد السّابقين الأولين إلى الاسلام (١٥) ، كان أحد المهاجرين الأولين إلى الحبشة (١٦) ، فقد هاجر إليها ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمَان بن كَعْب بن مالِك بن قُحَافَة بن خَثْعَم الخَثْعَمِيّة (١٧) ، فولدت له هناك : عبدالله ، وعَوْناً ، ومحمّداً (١٨) .

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتاباً إلى النّجاشيّ مع جعفر هذا نصّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من : محمّد رسول الله .

الى : النّجاشي الأصحم (١٩) ملك الحبشة .

سِلْمٌ أنت ، فأني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلاّ هو ، الملك ، القُدّوس ، السّلام ، المؤمن ، المُهَيْمِن ، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمتُه ، ألقاها إلى مريمَ البتُولِ الطيّبة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونَفْخِهِ ، كما خلق آدمَ بيده ونَفْخِهِ .

وإني أدعوك إلى اللهِ وحده لا شريك له ، والموالاة له على طاعته ، وأنّ تَتّبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله .

وقد بعثتُ إليك ابن عمّي جعفراً ، ونفراً معه من المسلمين ، فاذا جاءك ،

---

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) . (١٤) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) .
(١٥) الاصابة (٢٤٨/١) .
(١٦) أسد الغابة (٢٨٧/١) والاصابة (٢٤٨/١) والاستيعاب (٢٤٢/١) .
(١٧) سيرة ابن هشام (٣٤٥/١) .
(١٨) جوامع السيرة (٥٧) والدرر (٥١) .
(١٩) اسم النجاشي : أصحمة وليس الاصحم ، انظر البداية والنهاية (٧٧/٣) .

فأقْرِهم ، ودَعْ التّجبّر ، فاني أدعوك وجنودَك إلى الله، فقد بلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نُصحي .

والسّلام على من اتّبَعَ الهدَى » (٢٠) .

وقد أعطى النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ابن عمّه جعفراً هذا الكتاب إلى النّجاشي وقت هجرة جعفر إلى الحبشة ، طالباً من النّجاشي العادل الاعتناء بحال الّلاجئين الغرباء في بلاده (٢١) من المسلمين ، وهم المهاجرون الأولون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، كما دعاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الاسلام .

وذكر العبارة : « . . . وقد بعثت إليك ابنَ عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فاذا جاءك ، فأقْرِهِمْ . . . » ، لايمكن أن تتعلّق بالكتاب المرسَل في السنة السّادسة الهجريّة مع عمرو بن أميّة الضَّمْرِيّ ، حيث كان قد مضى خمس عشرة سنة على هجرة جعفر إلى الحبشة ، وكان على وشك الرّجوع إلى دار الاسلام .

والمصادر التي لم تذكر هذه العبارة في متن الكتاب النبوي متأخرة عن الطبري الذي ذكرها ، فليس ذكرها سهو من الطبري ، بل عدم ذكرها سهو من المتأخرين .

٢ــ ولما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمِنوا وأطمأنّوا بأرض الحبشة ، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النّجاشي فيردّهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التي أطمأنوا بها وأمنوا فيها ،

---

(٢٠) الطبري (٦٥٢/٢) وصبح الأعشى (٣٧٩/٦) ، وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٤٣-٤٤) في الوثيقة رقم (٢١) .

(٢١) مجموعة الوثائق السياسية (٣) .

فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما الهدايا للنجاشي وبطارقته (٢٢) ، ثمّ بعثوهما إليه فيهم ، وأمروهما أن يدفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن يُكَلّما النجاشي في المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة .

وخرجا حتى قدما على النجاشي ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلاّ دفعا إليه هديته قبل أن يُكلّما النجاشي وقالا لكلّ بطريق منهم : «إنّه قد ضَوَى (٢٣) إلى بلد الملك منا غِلْمَان سُفَهَاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مُبْتَدَع لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فاذا كلّمنا الملكَ فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يُكَلّمهم ، فانّ قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم » ، فقالوا لهما : « نعم » (٢٤) .

وكان أمير المؤمنين على المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب .

وقدّم عمرو بن العاص وصاحبه هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، فكلّماه في المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده ليردّهم إلى قريش ، فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما جاؤوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته (٢٦) ، فنشروا مصاحفهم حوله ، فسألهم وقال لهم : « ماهذا الدّين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فأجابه جعفر عن المسلمين المهاجرين فقال له : « أيها الملك ! كنا أهل جاهليّة ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحشَ ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل

(٢٢) البطارقة : فسره أبو ذر بالوزراء .
(٢٣) ضوى : أوى ولجأ ولصق . (٢٤) سيرة ابن هشام (١/٣٥٦-٣٥٨) .
(٢٥) طبقات ابن سعد (٣٤/٤) .
(٢٦) الأساقفة : جمع أسقف ، وهو العالم في النصرانية .

القويّ منّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث اللهُ إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدْق الحديث وأداء الأمانة ، وصِلة الرَّحِم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذْف المُحصنَة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانُشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصيام — وعَدّد عليه أمور الاسلام — فصدّقناه وآمنّا به واتّبعْناه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً ، وحرّمنا ماحرّم علينا ، وأحللنا ماأحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحلّ ماكنّا نستحلّ من الخبائث ، فلما قَهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على مَنْ سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألاّ نُظلَم عندك أيها الملك » ، فقال له النجاشي : « هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟» ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) (٢٧) ، فبكى النجاشي حتى اخْضَلّت (٢٨) لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحِفهم حين سمعوا ماتلا عليهم(٢٩) .

ثم قال النجاشي : « إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخْرُج من مشكاة (٣٠) واحدة ، فلا والله لاأسامهم إليكما ، ولا يُكادون » .

---

(٢٧) هي سورة مريم – مكية إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان ، وآياتها ٩٨ ، نزلت بعد سورة فاطر – ١٩ .

(٢٨) اخضلت : ابتلت . وفي بعض النسخ : (أخضل لحيته) ، كما هو كذلك في النهاية لابن الأثير ، فأخضل على هذا مثل أكرم ، ومعناه بلها ، ولحيته على هذا مفعول ، مثل قوله : أخضلوا مصاحفهم . تقول : أخضل المطر الأرض : إذا بلها .

(٢٩) سيرة ابن هشام (١/٣٥٨–٣٥٩) .

(٣٠) المشكاة : الثقب الذي يوضع فيه الفتيل والمصباح ، وهي الكوة غير النافذة .

ولما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : « والله لآتينه غداً عنهم ، أستأصل به خضراءهم (٣١) » ، فقال عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرّجلين : « لاتفعل ، فانّ لهم أرحاماً ، وإنْ كانوا قد خالفونا » ، فقال : « والله لأخبرنّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد » .

وغدا على النجاشي من الغد ، فقال : « أيّها الملك ! إنّهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسِلْ إليهم فسَلْهُم عمّا يقولون فيه » .

وأرسل النجاشي إلى المسلمين المهاجرين ليسألهم عن عيسى ، فلما دخلوا عليه قال لهم : « ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ » ، فقال جعفر : « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلّى الله عليه وسلّم : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » ، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : « والله ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا (٣٢) العودَ . اذهبوا فأنتم الآمنون ، مَنْ سبّكم غرم ، ماأحبّ أنّ لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم ... ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها » فخرجا — عمرو ابن العاص وصاحبه — من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ماجاءا به ، وأقام المسلمون في أرض الحبشة عندالنجاشي في خير دار مع خير جار (٣٣) .

وهكذا أدّى جعفر واجبه في الدفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة وفي شرح تعاليم الاسلام للنجاشي ورجاله ، فنجح في إخفاق عمرو ابن العاص وصاحبه في مهمته إلى أرض الحبشة ، فعادا أدراجهما خائبَيْن .

٣- ولما هاجر النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة ، وأذن للمسلمين بالهجرة إليها ، وبدأ بوضع أسس المجتمع الاسلامي بالمؤاخاة ،

---

(٣١) أستأصل به خضراءهم : يعني جماعتهم ومعظمهم .

(٣٢) قال أبو ذر : تقديريه ماجاوز مقدار هذا العود أو قدر هذا العود » أه .

(٣٣) سيرة ابن هشام (١/٣٦٠-٣٦١) وحلية الأولياء (١/١١٤-١١٦) وانظر عيون الأثر (١/١١٨-١١٩) .

آخى بين جعفر ومُعَاذ بن جَبَل من بني سَلِمَة الأنصار ، وكان جعفر غائباً بالحبشة (٣٤) .

وأكثر الذين أرّخوا لجعفر لم يذكروا هذه المؤاخاة بينه وبين مُعَاذ ابن جَبَل ، فقد كانت المؤاخاة بعد قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وقبل غزوة بدر الكبرى ، فلما كان يوم بدر نزلت آية الميراث وانقطعت المؤاخاة وجعفر غائب يومئذٍ بأرض الحبشة (٣٥) .

وأرسل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرِي سفيراً الى النجاشي (٣٦) يدعوه إلى الاسلام سنة ست الهجريّة ، وكتب إلى النجاشي ، فأسلم النجاشي ، وأمره أن يزوّجه أمّ حَبِيْبَة بنت أبي سُفْيان بن حَرْب ويرسلها ويرسل مَنْ عنده من المسلمين (٣٧) .

فقد آمن النجاشي بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم واتّبعه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب ، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة ، فغرقوا في البحر (٣٨) ، وبعث النجاشي بكسوة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(٣٩).

وأرسل النّجاشي إلى النَّوَاتيّ (٤٠) فقال : « انظروا مايحتاج فيه هؤلاء القوم من السُّفن ؟ » ، فقالوا : « يحتاجون إلى سفينتين ، فجهّزهم .

وكلّم قوم النّجاشيّ من الحبشة أسلموا ، في أن يبعث بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُسَلِّموا عليه ، وقالوا : نصاحب هؤلاء ، فنجذف بهم في البحر ، وتعِينُهم ، فأذن لهم ، فشخصوا مع عمرو بن أُمَيّة ، وأمّر

---

(٣٤) سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) والدرر (٩٩) وجوامع السيرة (٩٦) والاصابة (٢٤٨/١) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .

(٣٦) سيرة ابن هشام (٢٧٩/٤) وجوامع السيرة (٢٩) .

(٣٧) أسد الغابة (٨٦/٤) .

(٣٨) ابن الأثير(١١٣/٢) .

(٣٩) المحبر (٧٦) .

(٤٠) النواتي : مفردها نوتي ، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر .

عليهم جعفر بن أبي طالب (٤١) .

ويبدو أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، أرسل عمرو بن أُميّة إلى النّجاشي في أواخر سنة ست الهجريّة ، فعاد من سفارته في أوائل سنة سبع الهجريّة ، لأنّ مهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر ، عادوا من أرض الحبشة إلى المدينة المنوّرة ، في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة (٤٢) .

وقدم جعفر في جماعة من المسلمين من أرض الحبشة بأثر فتح خَيْبَر (٤٣) ، فالتزمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقبّل ما بين عينيه واعتنقه (٤٤) ، وقال : « والله ما أدري بأيهما أنا أسَرّ ! أبقدوم جعْفر ، أم بفتح خيبر » (٤٥) ، أو قال : « والله ماأدري ، أبقدوم جعفر أنا أُسَرّ وأفرح ، أم بفتح خيبر » (٤٦) وأنزله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جنب المسجد (٤٧) ، وقسم له من غنائم خيبر (٤٨) ، واختطّ له إلى جنب المسجد (٤٩) .

وهكذا كانت لجعفر هجرتان : هجرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة (٥٠) وقد استقرّ في المدينة المنوّرة قاعدة المسلمين الرئيسة ، بعد أن طال غيابه عن وطنه ردحاً طويلاً من الزّمن ، استمرّ أكثر من أربع عشرة سنة في بلاد الحبشة ، من السنة الثامنة قبل الهجرة إلى أوائل السنة السّابعة الهجرية ،

(٤١) أنساب الأشراف (٢٢٩/١).
(٤٢) جوامع السيرة (٢١١) والدرر (٢١٧) .
(٤٣) الدرر (٢١٨) .
(٤٤) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .
(٤٥) سيرة ابن هشام (٤١٤/٣) .
(٤٦) الدرر (٢١٨) ، وفي طبقات ابن سعد (٣٥/٤) ماأدري بأيهما أنا أفرح ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر .
(٤٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) .
(٤٨) طبقات ابن سعد (٣٥/٤) .
(٤٩) الاستيعاب (٢٤٢/١) .
(٥٠) أسد الغابة (٢٨٧/١) .

كان خلالها المسؤول الأول عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة ،فأسلم على يديه النجاشي وغيره من الحبشة ، كما أسلم غير النجاشي وغير الذين أسلموا على يدي جعفر من الأحباش على أيدي غيره من المسلمين المهاجرين .

ولا مجال للشكّ في إسلام النّجاشي ، ولا محال للتشكيك في إسلامه ، ولا يقبل الشك في إسلامه ولا التشكيك فيه مسلم حقّ ، لأنّ إسلام النّجاشي ثابت ، فقد صلىّ عليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صلاة الغائب حين بلغه موته ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٥١) ، ومسلم (٥٢) والنسائي (٥٣) وفي جميع مصادر الحديث الشريف والفقه الاسلامي (٥٤) ، ولا تُصلّى صلاة الغائب إلاّ على المسلمين حسب ، وكان اسم النّجاشي الذي أسلم وصلّى عايه النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم صلاة الغائب : أَصْحَمَة (٥٥) .

في سَرِيّة مُؤْتَة (٥٦)

بعث النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم سرية مُؤْتَة في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية ، وكان سبب بعث هذه السرّية أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم بعث الحارث بن عُمَيْر الأزْديّ أحد بني لهْبٍ إلى ملك بُصْرَى (٥٧) بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام ، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو

---

(٥١) فتح الباري بشرح البخاري (٣/٩٢) و (٣//١٦٤) في باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه ، وباب التكبير على الجنازة أربعاً .

(٥٢) صحيح مسلم (٣/٥٤) في باب التكبير على الجنازة .

(٥٣) النسائي (٢/٣٣٧) في باب التكبير على الجنازة .

(٥٤) انظر التفاصيل في بحث : إسلام النجاشي ، في هذا الكتاب .

(٥٥) المحبر (٧٦) والبداية والنهاية (٣/٧٧) .

(٥٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء (الأردن) في حدود الشام ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان . (٨/١٩٠) ، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق ، انظر طبقات ابن سعد (٢/١٢٥)

(٥٧) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٠٨) .

الغَسّانى فقتاه ، ولم يُقْتَل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رسولٌ غيره ، فاشتدّ ذلك عليه ، وندب النّاس ، فأسرعوا ، وعسكروا خارج المدينة المنوّرة بالجُرْف (٥٨) ، وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم : « أمير الناس زيد بن حارثة ، فان قُتِل فجعفر بن أبي طالب ، فان قُتِل فعبدُالله بن رَوَاحة ، فان قُتِل فلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً ، فيجعلوه عليهم » .

وعقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتوا مقتل الحارث ابن عُمَيْر ، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الاسلام ، فان أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم الله وقاتلوهم. وخرج عليه الصلاة والسلام مشيِّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيّة الوَداع) (٥٩)،فوقف وودّعهم،فلما ساروامن معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردّكم صالحين غانمين !

فقال عبدالله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمــن مغفرةً
وضربة ذات فرعٍ تقذف الزَّبدا (٦٠)

ولما فصل المسلمون من المدينة ، سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شُرَحْبِيْل بن عمرو ، فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطّلائع أمامه .

ونزل المسلمون (مُعَان) (٦١) من أرضِ الشّام ، وبلغ الناس أنّ

---

(٥٩) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، انظر معجم البلدان (٨٧/٣) .

(٦٠) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، سميت لتوديع المسافرين منها ، انظر معجم البلدان (٢٥/٣) . (٦٠) ذات فرع : أي ذات سعة .

(٦١) معان : مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، انظر معجم البلدان (٩٣/٨).

هِرقْل قد نزل (مَآب) (٦٢) من أرض البَلْقَاء في مائة ألف من بَهْراء ووائِل ولَخْم وجُذَام .

واقام المسلمون في مُعَان ليلتين لينظروا في أمرهم،وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنخبره الخبر . . . . ولكنّ عبدالله بن رَوَاحة شجّع المسلمين على المُضِيّ قُدُماً إلى هدفهم تنفيذاً لأوامر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فمضوا إلى مُؤْتَة.

ولما وصل المسلمون إلى (مُؤْتَة) ، وافاهم المشركون هناك ، فجاءهم ما لاقِبَلَ لأحدٍ به من العَدَد والسّلاح والكُرَاع والديباج والحرير والذّهب ، فالتقى المسلمون بالمشركين ، وقاتل الأمراء يومئذٍ على أرجُلهم .

وأخذ اللِّواء زيد بن حارثة ، فقاتل ، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم ، حتى قُتل طعناً بالرِّماح رحمه الله .

وأخذ اللّواء ، جعفر بن أبي طالب ، فترجّل عن فرس له شقراء ، فعرقبها (٦٣) ، فكانت أوّل فرسٍ عُرْقِبَت في الاسلام ، وقاتل حتى استُشهدَ رضي الله عنه ، ضربه رجل من الروم ، فقطعه بنصفين ، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً ، ووجد فيما أقبل من بَدَن جعفر مابين منكبيه تسعون ضربة بين طعنة برمحٍ وضربة بسيف، وفي رواية أخرى اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح (٦٤) .

وأخذ اللواء عبدالله بن رَوَاحة ، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة وحمى بالسّاقة انسحابهم ، وعاد بهم إلى المدينة (٦٥) .

---

(٦٢) مآب : مدينة في طرف الشام بنواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٧/٢٤٩) .

(٦٣) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة في رجلها .

(٦٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤/٣٨-٣٩) .

(٦٥) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨-١٣٠) وانظر مغازي الواقدي (٢/٧٥٥-٧٦٩)؟ =

وهكذا مضى جعفر إلى ربِّه شهيداً ، مقبلاً غير مدبر ، يقاتل الرّوم وحلفاءهم من الغساسنة وهو يقول :

يا حبّذا الجنّةُ واقترابُها
طيِّبةً وبارداً شرابُها
والرُّوم رُوْمٌ قد دنا عذابُها
كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليّ إذْ لاقيتُها ضرابُها

فأخذ جعفر اللِّواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه (٦٦) بعضُديه حتى قُتل (٦٧) ، فسقط مضرجاً بدمائه دون أن يسقط اللِّواء ، فقد رفعه أحد المسلمين عالياً وتلك شجاعة فذّة ، وبطولة نادرة ، وإقدام لايتكرّر إلاّ قليلاً .

الإنسان

كانت سنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصحّ ماورد من الأخبار في إسلامه ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل : سبع سنين ، والثابت إحدى عشرة سنة ، لأنّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم بُعث وهذه سُنُوُّه ، فأقام معه بمكة ثلاث عشرة سنة (٦٨) ، أي أنّ عليّاً كان في الرّابعة والعشرين من عمره حين هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة .

= وسيرة ابن هشام (٣/٤٢٧-٤٤٧) وجوامع السيرة (٢٢٠-٢٢٣) والدرر (٢٢٢-٢٢٣) وابن الاثير (٢/٢٣٤-٢٣٨) وعيون الأثر (٢/١٥٣-١٥٦) .

(٦٦) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل .

(٦٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٣٤) . (٦٨) مقاتل الطالبيين (١٧) .

وكان جعفر أكبر من عليّ بن أبي طالب بعشر سنين (٦٩) ، أي أنّ جعفراً كان في الرّابعة والثلاثين من عمره حين هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة المكرّمة الى المدينة المنوّرة .

وقد استُشهدَ جعفر بمُؤْتَة من أرض الشام مُقْبلاً غير مُدْبرٍ مجاهداً للروم في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم في شهر جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية (٧٠) (٦٢٩ م) ، أي أنّه استشهد وكان له من العمر اثنتان وأربعونَ سنة (٧١) .

وولدَ جعفرُ : عبدَالله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، أمّهم : أسماء بنتُ عُمَيْس الخثْعَميّة (٧٢) ، ولما هاجر جعفر إلى أرض الحبشة ، حمل امرأته أسماء بنت عُمَيْس ، فولدت له هناك : عبدالله ، ومحمّداً وعَوْناً . ثمّ وُلد للنجاشي بعدما ولدت اسماء بنت عُمَيْس ابنها عبدالله بأيام ، فأرسل إلى جعفر : « ماسمّيتَ ابنَك ؟ » ، قال : « عبدالله » ، فسمى النجاشي ابنه عبدالله ، فأخذته أسماء وأرضعته حتى فطمته بِلَبَن عبدالله بن جعفر ، ونزلت بذلك عندهم منزلةً ، فكان مَنْ أسلم بالحبشة يأتي أسماء بَعْدُ ، يخبرُ خبَرَهم . فلما ركب جعفر بن أبي طالب مع أصحاب السفينتين ، مُنْصرَفهم من عند النجاشي ، حمل معه أسماء بنت عُمَيْس وَوَلَده الذين ولدوا هناك : عبدَالله ، ومحمّداً ، وعَوْناً ، حتى قدم بهم المدينة ، فلم يزالوا بها حتى وجّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم جعفراً إلى مُؤْتَة ، فمات بها شهيداً (٧٢) .

(٦٩) أسد الغابة (٢٨٧/١) والاستيعاب (٢٤٢/١) والاصابة (٢٤٨/١) .

(٧٠) الاصابة (٢٤٨/١) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٤٩/١) والعبر (٩/١) . وتهذيب التهذيب (٩٨/٢)

(٧١) في تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١) ، وكان لجعفر يوم توفي إحدى وأربعون سنة . أما في سيرة ابن هشام (٤٣٦/٣) فقد جاء : أنه قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

(٧٢) انظر نسبها في نسب قريش (٨٠-٨١) وجمهرة أنساب العرب (٣٩٠-٣٩١) .

ولجعفر ثلاثة أبناء من أسماء بنت عُمَيْس ، انقرض عقب محمّد من قِبَل ابنه القاسم ، ولم يكن له غيره ، ولعَوْن عقب غير مشهور ، وولد عبدالله بن جعفر ، وأولهم عليّ بن عبدالله بن جعفر ، وفيه الكثرة والعدد ، وأمه زينب بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٧٤) .

ولما استُشهد حمزة بن عبدالمطلب ، خلّف ابنة واحدة ، فرآها علي بن أبي طالب تطوف حول الكعبة بين الرجال ، فأخذ بيدها وألقاها إلى فاطمة في هَوْدَجها . واختصم فيها عليّ بن أبي طالب ، وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة حتى ارتفعت أصواتهم ، فأيقظوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من نومه ، فقال : « هلُمّوا أَقْضِ بينكم فيها وفي غيرها » ، فقال عليّ : « ابنة عمّي ، وأنا أخرجتها ، وأنا أحقّ بها » ، وقال جعفر : « ابنة عمّي ، وخالتها عندي » ، وقال زيد : « ابنة أخي » (٧٥) ، فقال في كلٍّ واحدٍ قولاً رضيه ، فقضى بها لجعفر ، وقال : « الخالة والدة » ، فقام جعفر فحجل (٧٦) حول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، دار عليه ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « ما هذا ؟ » ، قال : « شيءٌ رأيتُ الحبشةَ يصنعونه بملوكهم » ، وخالة بنت حمزة أسماء بنت عُمَيْس ، وأمّها سَلْمَى

---

(٧٣) نسب قريش (٨١) .

(٧٤) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٦٨–٦٩) ونسب قريش (٨٠–٨٣) وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٩) .

(٧٥) آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين حمـــزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة في مؤاخاة مكة ، انظر المحبر (٧٠) .

(٧٦) حجل – حجلا وحجلاناً : مشى على رجل ، رافعاً الأخرى . ويقال : مر يحجل في مشيته: إذا تبختر .

بنت عُمَيْس (٧٧) .

وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لجعفر حين تنازع هو وعليٌّ وزيد في ابنة حمزة : « أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقِيْ ، وخُلُقُكَ خُلُقِيْ » ، وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلْقِيْ وخُلُقِي » ، وفي رواية ثالثة : « إنّكَ شَبِيْهُ خَلْقِي وخُلُقِي » (٧٨) » ، فهو أحد المعدودين من المشبَّهين بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (٧٩) .

وكان اسم ابنة حمزة رضي الله عنه : أُمَامَة ، زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سَلَمَةَ ابن أبي سَلَمَةِ ، وكان يقول : « هل جزيت سَلَمَةَ ؟ » ، يعني حين زوّجه بنت حمزة بتزويجه إياه أمّه أمّ سَلَمَةَ (٨٠) .

وقد تزوّج أسماء بنت عُمَيْس بعد جعفر أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، ثم تزوجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (٨١) .

ولما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتلُ جعفر كما روت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقالت : « عرفنا في وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحزن » (٨٢) . ثم أمهل عليه الصلاة والسلام آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لاتبكوا على أخي بعد اليوم » ، ثم قال : « إئتوني ببني أخي » ، فجيء بنا كأننا أفراخ ، فقال : « ادْعوا إليّ الحلاّق » ، فدُعيَ ، فحلق رؤوسنا » ، ثم قال : « اللّهم اخْلُف جعفْراً في أهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه » ثلاث مرّات ، فجاءت أسماء وذكرت يُتْم أولادها ، فقال : « آلْعَيْلَةَ تخافين عليهم ، وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟ » (٨٣) .

---

(٧٧) طبقات ابن سعد (٤/٣٥-٣٦) وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٩٠) حول نسب أسماء وسلمى ابنتي عميس .

(٧٨) طبقات ابن سعد (٤/٣٦) .

(٧٩) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦-٤٧)

(٨٠) المحبر (١٠٧) .

(٨١) المحبر (٤٤٢-٤٤٣) .

(٨٢) الاصابة (١/٢٤٩) .

(٨٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٧) .

وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على جعفر ، ودعا له ، ثمّ قال : « استغفروا لأخيكم جعفر ، فانّه شهيد ، وقد دخل الجنّة ، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة » (٨٤) .

وذُكر عن عبدالله بن جعفر أنّه قال : « أنا أحْفَظُ حين دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أُمّي ، فنعى لها أبي ، فأنْظُرُ إليه ، يمسح على رأسي ، وعيناه تهرقان بالدموع ، حتى تقطر لحيَتُهُ ، ثمّ قال : « اللّهُمّ إنّ جعفراً قدم إلى احسن الثّواب ، فاخلفْه في ذرّيته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك في ذُرِّيّته » ، ثمّ قال : « ياأسْماءُ ! ألاَ أُسَرِّكِ ؟ » ، قالت : « بَلى ، بأبي أنتَ وأُمّي » ، قال : « إنّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة » ، قالت : « بأبي أنت وأُمّي يارسول الله ، فأعْلِم الناس ذلك » ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأخذ بيدي حتى رَقِيَ المِنْبَر ، وأجلسني أمامه على الدّرجة السُّفلى ، والحُزْنُ يُعْرَف عليه ، فتكلّم ، فقال : « إنّ المرءَ كثير بأخيه وابن عمّه ، ألاَ إنّ جعفراً قد استُشْهِدَ ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنّة » ، ثمّ نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل بيته ، وأدخلني معه ، وأمر بطعام فصُنع لأهلي ، وأرسل إلى أخي ، فتغدّينا عنده ، والله غداءً طيّباً مباركاً : عمدَتْ سَلْمَى خادمُه إلى شعير ، فطحنته ، ثم نسفته ، فأنضجَتْه ، وأدَمَتْهُ بزيتٍ ، وجعلت عليه فُلْفُلاً ، فتغدّيت أنا وأخي معه ، فأقمنا ثلاثة أيام في بيته ، ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه ، ثمّ رجعنا إلى بيتنا (٨٥) .

وفي صحيح البخاري أن عبدالله بن عمر بن الخطاب كان إذا سلّم على ابن جعفر قال : « السلام عليك يا ابن ذي الجناحين (٨٦) » ، لانّه قاتل

---

(٨٤) طبقات ابن سعد (٣٨/٤) . (٨٥) نسب قريش (٨١-٨٢) .

(٨٦) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١) والاصابة (٢٤٩/١) .

في مُؤْتَة فقطعت يداه والراية معه لم يُلقها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنة » .

ولما نعى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعفراً إلى زوجه أسماء بنت عُمَيْس ، قامت وصاحت وجمعت النساء ، فدخلت عليها فاطمة بنت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهي تبكي وتقول : « واعمّاه ! » فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « على مثل جعفر فَلْتَبْكِ التواكي » ، ودخله من ذلك همٌّ شديد . ولما رجع عليه الصّلاة والسّلام إلى أهله قال : « لاتغفلوا آلجعفر ، فانّهم قد شُغلوا » (٨٨) ، فأعدوا لآل جعفر طعاماً ، وأوصى أسماء زوج جعفر بقوله : « لاتقولي هُجْراً ، ولا تضربي صدراً » (٨٩) .

وكان ممّا بُكِيَ به شهداء مُؤْتَة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قول حسان بن ثابت :

تأوّبني لَيْلٌ بيَثْرِبَ أعْسَرُ
وَهَمٌّ إذا ماَنَوّمَ النّاسُ مُسْهِرُ (٩٠)

لِذِكْرى حَبِيْب هَيّجَتْ لِي عَبْرَةً
سَفُوحاً وأسبابُ البكاء التذكّرُ (٩١)

بَلَى إنّ فُقْدانَ الحبيْبِ بَلِيّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ يُبْتَلَى ثُمّ يَصْبِرُ

---

(٨٧) أسد الغابة (٢٨٨/١) . (٨٨) أسد الغابة (٢٨٩/١) .

(٨٩) انساب الأشراف (٣٨٠/١) .

(٩٠) تأوبني : عادني ورجع إلي ، وأصله آب يؤوب : رجع وأعسر : شديد العسر . ومسهر : داع إلى السهر ، ومانع من النوم .

(٩١) العبرة : الدمعة . والسفوح : السائلة أو الشديدة السيلان .

رَأَيْتُ خِيَارَ المُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا
شَعُوبَ وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ(٩٢)
فلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا
بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذو الجناحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وعَبْدُاللهِ حِينَ تَتَابَعُوا
جميعاً وأسبابُ المَنِيَّةِ تَخْطُرُ (٩٣)
غَدَاةَ مَضَوا بالمؤمنينَ يَقُودُهُمْ
إلى المَوْتِ مَيْمُونُ النَقِيبَةِ أزْهَرُ(٩٤)
أغَرُّ كضَوْءِ البَدْرِ من آلِ هاشِمٍ
أَبِيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجْسَرُ (٩٥)
فَطَاعَنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ
بِمُعْتَرَكٍ فيه قَنَاً مُتَكَسِّرُ (٩٦)
فصارَ مع المُسْتَشْهِدِينَ ثَوابُهُ
جِنَانٌ ومُلْتَفُ الحدائِقِ أخْضَرُ(٩٧)
وكُنَّا نَرى في جَعْفَرٍ من مُحَمَّدٍ
وَفَاءً وأمْراً حازماً حينَ يَأمُـــرُ
ومازال في الاسلامِ من آلِ هاشِمٍ
دَعَائِمُ عِزٍّ لايَزُلْنَ ومَفْخَـــرُ

(٩٢) شعوب : تروى بضم الشين فهي جمع شعب ، وهو القبيلة ، ويقال : هو أكبر منها ، ويجب حينئذ نصبها منونة ، وتروى بفتح الشين ، فهي المنية ، فعول ، بمعنى فاعل سميت بذلك لأنها تشعب الأحباب ، أي تفرقهم . وخلفاً : تروى بالفاء ، ومعناه الذي يأتي بعدهم ، وتروى بالقاف ، وهوظاهر المعنى .

(٩٣) تخطر : تقول : خطر فلان في مشيته : إذا اختال فيها وتبختر وتحرك واهتز .

(٩٤) ميمون النقيبة : يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه . وأزهر : أبيض .

(٩٥) الأبي : العزيز الذي يأبى الضيم ، أي يمتنع من قبوله . سيم : كاف . المجسر : الشديد الجسارة .

(٩٦) المعترك : موضع الحرب .

(٩٧) الحدائق : جمع حديقة ، وهي الجنة .

هُمُ جَبَلُ الاسلامِ والنّاسُ حَوْلَهُمْ
رِضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ (٩٨)
بَهَالِيلُ مِنْهُم جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ
عَلِيٌّ ومنهم أَحْمَدُ المُتَخَيَّرُ (٩٩)
وحَمْزَةُ والعبّاسُ مِنْهُمْ ومنهمُ
عَقِيلٌ وماءُ العُودِ من حيثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفْرَجُ اللأْواءُ في كلِّ مَأزِقٍ
عَمَاسٍ إذا ماضاق بالنّاسِ مَصْدَرُ (١٠٠)
هُمُ أولياءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
عليهم وفيهم ذا الكتاب المُطَهَّـــــرُ

وقال كعب بن مالك يرثي جعفر بن أبي طالب:

هَدَتِ العيون ودَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ
سَحّاً كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ المُخْضِلُ (١٠١)
في لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُها
طَوْراً أَحِنُّ وتَارَةً أَتَمَلْمَلُ (١٠٢)

---

(٩٨) الرضام: جمع رضم، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض. والطود: الجبل. ويروق: يعجب. (٩٩) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد.

(١٠٠) اللأواء: الشدة. والمأزق: المكان الضيق. والعماس: المظلم، يريد عند ارتفاع الغبار فيه.

(١٠١) يهمل: يسيل، تقول: همل الدمع: إذا سال. وسحا: صبا. ووكف: قطر. والطباب: ثقب في خرز المزادة التي يجعل فيها الماء. والمخضل اسم فاعل من أخضل: إذا تندى.

(١٠٢) في البداية والنهاية (٢٦١/٤): اتمهل، وورد كذلك في سيرة ابن هشام (٤٤٣/٣): كما في أعلاه، وأحن: مضارع من الحنة، وهي صوت يخرج من الأنف مع بكاء، أتململ: اتقلب.

واعتَادني حَزْنٌ فَبِتّ كأنني
بِبنَاتِ نَعْشٍ والسِّمَالُ مُوكّلُ (١٠٣)
وكأنّمَا بينَ الجَوانِحِ والحَشَا
ممّــا تأوّبني شِهَابٌ مُدْخَلُ (١٠٤)
وَجْداً على النّفَرِ الذينَ تَتابَعُوا
يوماً بمُؤْتَةَ أسْنِدُوا لم يُنْقَلـــوا
صَلّى الإلهُ عليهمُ من فِتْيَةٍ
وسَقَى عِظَامَهُمُ الغَمَامُ المُسْبِلُ (١٠٥)
صَبَروا بمُؤْتَةَ للإلَه نفوسَهُمْ
حَذَرَ الردى ومَخَافَةً أنْ يَنْكُلوا (١٠٦)
فَمَضَوْا أمَامَ المسلمين كأنّهم
فَنَقٌ عليْهِنَّ الحَديدُ المُرْفَلُ (١٠٧)
إذْ يَهْتَدونَ بجعفرٍ ولوائِه
قُدَّامَ أوّلهم فَنِعْـــمَ الأوّلُ
حتى تَفَرّجَتِ الصُّفوفُ وجعفـرٌ
حيثُ التَقَى وَعْثَ الصُّفوفِ مُجَدّلُ (١٠٨)

---

(١٠٣) بنات نعش: من النجوم المعروفة .
(١٠٤) الجوانح : عظام اسفل الصدر . والشهاب : القطعة من النار . ومدخل اسم مفعول من أدخل .
(١٠٥) المسبل : الممطر ، ويقال للمطر سبل .
(١٠٦) ينكلوا : يرجعوا عن عدوهم هائبين .
(١٠٧) فنق : جمع فنيق ، وهوالفحل من الأبل . والمرفل : الذي تجر أطرافه على الأرض .
(١٠٨) الوعث : الرمل الذي تغيب فيه الأرجل . ومجدل : مطروح على الجدالة ،وهي الأرض .

فَتَغَيَّرَ القَمَرُ المنيرُ لفَقْدِه
والشَّمْسُ قد كَسِفَتْ وكادتْ تأفِلُ (١٠٩)

قَرْمٌ علا بُنْيانُهُ من هاشِمٍ
فَرْعاً أَشَمَّ وسُؤْدَداً مايُنْقَلُ (١١٠)

قَوْمٌ بهمْ عَصمَ الأله عِبادَهُ
وعليهمُ نَزَلَ الكتابُ المُنْـــــزَلُ

فَضَلُوا المَعاشِرَ عِزَّةً وتَكَرماً
وتَعَمَّدَتْ أَحْلامُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ (١١١)

لايُطْلِقُوْنَ إلى السِّفاهِ حُباهُمُ
وتَرىَ خَطِيبَهُمُ بِحَقٍ يَفْصِلُ (١١٢)

بِيْضُ الوجوهِ تَرى بُطُونَ أَكُفِّهِمْ
تَنْدَى إذا اعْتَذَرَ الزَّمانُ المُمْحِلُ (١١٣)

وبِهَدْيِهِمْ رَضِيَ الأله لخَلْقِه
وبِجَدِّهم نُصِرَ النبيِّ المُرْسَلُ (١١٤)

---

(١٠٩) تأفل تغيب .

(١١٠) القرم : أصله الفحل من الأبل ، وأراد منه هنا : السيد . وقوله وماينقل يروى بالقاف ، ومعناه ظاهر ويروى بالفاء ، ومعناه : لايحجر .

(١١١) تغمدت أحلامهم من يجهل : أي سترت أهل الجهل .

(١١٢) الحبى : بضم الحاء مقصوراً ، جمع حبوة ، مثل خطوة وخطى ، والحبوة أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها ويجعلها في ركبتيه إذا جلس ، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها .

(١١٣) الممحل : هو من المحل ، وهو الشدة والقحط وكلب الزمان والجدب .

(١١٤) بجدهم : يروى بالحاء المهملة والجيم مكسورة ، فأما من رواه بالمهملة ، فقد أراد به =

وقال حسّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

ولقد بَكَيْتُ وعزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ
حِبُّ النبيِّ على البَرِيّة كُلِّهـــــا

ولقد جَزِعْتُ وقلتُ حين نُعِيْتَ لي
مَنْ للجِلادِ لَدَى العُقَابِ وظِلِّها(١١٥)

بالبِيْضِ حين تُسَلُّ من أَغْمادِها
ضَرْباً وإنْهَالِ الرِّماحِ وعَلِّها (١١٦)

بعدَ ابن فاطِمَةَ المباركِ جَعْفَرٍ
خيرِ البَرِيّةِ كُلِّها وأجلِّها (١١٧)

رُزْءاً وأكرمِها جميعاً مَحْتِداً
وأعزِّها مُتَظَلَّماً وأذَلِّهـــــا

للحق حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ
كذِباً وأنداها يَداً وأقلِّها (١١٨)

فُحْشاً وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى
فَضْلاً وأنداها يداً وأبلِّها (١١٩)

= إقدامهم وشجاعتهم وجرأتهم في أوقات النزال . وأما من من رواه بالجيم المكسورة ، فهو الاجتهاد .

(١١٥) العقاب في هذا المكان : الراية .

(١١٦) الانهال : أن تسقى الناس بعد الشراب الأول ، وهو معطوف على قوله الجلاد في البيت السابق . والعل : الشرب الثاني .

(١١٧) فاطمة ههنا : هي أم جعفر وعلي وعقيل أبناء أبي طالب ، وهي أول هاشميةولدت لهاشمي .

(١١٨) التنحل : الانتحال ، والتنحل : الكذبأيضاً .

(١١٩) يجتدى : تطلب جدواه ، والجدوى بفتح الجيم : المنحة والعطية .

بالعُرْفِ غيرَ مُحَمَّدٍ لا مِثْلُهُ
حَيٌّ مِنَ احياءِ البَرِيَّةِ كلِّها (١٢٠)

والشِّعر في رثائه كثير ، اكتفينا بجزء منه .

لقد كانت لجعفر مواقف مشهورة ،ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقال فيه أبو هُريرة : « مااحتذى النِّعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أفضـــل من جعفر بن أبي طالب » ، وكأنّه إنّما يفضِّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينيّة ، فمعلوم أنّ الصدِّيق والفاروق بل وعثمان بن عفّان أفضل منه . وأما أخوه عليّ بن أبي طالب فالظّاهر أنّهما متكافئان أو عليٌّ أفضل منه ، وإنّما أراد أبو هريرة تفضيله بالكرم ، بدليل مارواه البخاري عن أبي هريرة : « كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ماكان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكّة (١٢١) التي ليس فيها شيء ، فنشقّها ، ونلعق مافيها » تفرّد به البخاري (١٢٢) ، فهو الجواد أبوالجواد (١٢٣) بحق . وكان أبو هريرة كما روي البغوي يقول : « كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه (يحدّثهم ويحدّثونه) ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكنيه : أبا المساكين(١٢٤) .

ولما عاد جعفر من أرض الحبشة مهاجراً إلى المدينة ، وقدم مع المسلمين في السفينتين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في خَيْبَر ، أسهم لهم من

(١٢٠) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٠-٤٤٥) وانظر البداية والنهاية (٤/٢٥٧) و (٤/٢٦٠-٢٦٢) ومقاتل الطالبيين (١٠-١١) .
(١٢١) : العكة زق صغير للسمن ، جمعها : عكاك ، وعكاك .
(١٢٢) البداية والنهاية (٤/٢٥٦-٢٥٧) .
(١٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨) وتهذيب التهذيب (٢/٩١) .
(١٢٤) الاصابة (١/٢٤٨) .

غنائم خيبر ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين (١٢٥) ، فكانت حصة جعفر خمسين وسقاً من تمرٍ في كلّ سنة (١٢٦) .

وقد ورد ذكر جعفر في (المختصر) وفي مواضع من (المهذّب) ، منها : باب التكبير في العيد ، والتعزية ، والشّرط في الطلاق ، والحضانة (١٢٧) . روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وروى عنه ابنه عبدالله وبعض أهله وأمّ سَلَمَة وعمرو بن العاص وابن مسعود، وروى له النسائي في اليوم والليلة حديثاً واحداً من رواية ابنه عبدالله عنه في كلمات الفرح والمحفوظ عن عبدالله بن جعفر عن عليّ بن أبي طالب (١٢٨) .

وكان عبدالله بن جعفر يقول : « ماسألت عليّاً فامتنع ، فقلت له : بحق جعفر ، الاّ أعطاني (١٢٩) .

وكان عليّ بن أبي طالب يقول : « قال رسول الله صلّى الله عليه سلّم لم يكن قبلي نبيّ إلاّ قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أُعطيت أربعة عشر » ، وعدّد أسماءهم ومنهم جعفر (١٣٠) .

وكان احد حواري رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عُبَيْدَة بن الجرّاح ، وعثمان ابن عفّان ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعبدالرحمن بن عَوْف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وطلحة بن عُبَيْد الله ، والزبير بن العوّام رضي الله عنهم ، وقيل : للزبير بن العوّام وحده (١٣١) حواري رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

---

(١٢٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨) .

(١٢٦) طبقات ابن سعد (٤/٤١) .

(١٢٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨) .

(١٢٨) تهذيب التهذيب (٢/٩٨) وانظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٦٣).

(١٢٩) الاصابة (١/٢٤٨) والاستيعاب (١/٢٤٤) وأسد الغابة (١/٢٨٩) .

(١٣٠) أسد الغابة (١/٢٨٧-٢٨٨) . (١٣١) المحبر (٤٧٤) .

وصدقت زوجه أسماء بنت عُمَيْس حيث وصفته بعد موته قائلة: « مارأيتُ شاباً من العرب كان خيراً من جعفر، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكر » (١٣٢).

وصدقت في رثائه حين قالت:

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً
عليك ولا ينفكّ جلدي أغْبَرا

فللّه عَيْناً مَنْ رأى مثله فتىً
أكرّ وأحمى في الهياجِ وأصبرا (١٣٣)

ومناقب جعفر كثيرة مشهورة (١٣٤).

القائد

عاد جعفر إلى المدينة المنوّرة مهاجراً اليها من هجرته إلى أرض الحبشة في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة، كما ذكرنا من قبل.

وكانت غزوة مُؤْتَة في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية، فمكث مع النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم سنة وثلاثة أشهر، لم يكن فيها من الاحداث المهمّة غير عُمْرَة القضاء التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السنة السّابعة الهجريّة التي شهدها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغير بعض السرايا التي قادها أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ثم جاءت سريّة مُؤْتَة، وهي من أهم سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لأنها كانت على الرّوم في ارض الشّام وحلفائهم من العرب الغساسنة النصارى

(١٣٢) طبقات ابن سعد (٤١/٤). (١٣٣) البداية والنهاية (٢٥٣/٤).
(١٣٤) تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/١).

وحلفاء الغساسنة من العرب النصارى والمشركين ، فكانت أوّل سريّة تتعرّض بالدولة البيزنطية وهي أكبر دولتين في العالم حينذاك : الرّوم والفُرْس ، كما كانت أوّل سريّة تنهض بتعرّض خارجيّ على نطاق دولي لا على نطاق محليّ قَبَلِيّ ، لذلك احتفل النبيّ بهذه الغزوة ، وحشد لها ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين وَوَلّى قيادتها : زيد بن حارثة الكلبي ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رَوَاحة .

وبالرغم من قِصَر المدّة التي بقي فيها جعفر إلى جانب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ أنّه شارك في سرية مُؤْتَة قائداً ، فخاض معركة مهمّة جداً من معارك المسلمين على الرّوم وحلفائهم ، وهي المعركة التمهيديّة الحقيقيّة لفتح بلاد الشّام التي حملت المسلمين على تأسيس أوّل ركن لدولة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة ، على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقيّة . ذلك أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته ، كان قائداً ماهراً يقظاً لايغضّ الطرف يقف ساكناً أزاء استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في بُصْرَى ، فأرسل سرية مُؤْتَة للأخذ بثأر رسوله الشهيد . وهناك عند مُؤْتَة على حدود البَلْقَاء إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، التقى المسلمون بقوّات الرّوم .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها سرية مُؤْتَة، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الرّوم تلك السريّة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنّهب والسّلْب ، كانت تلك السريّة في الواقع ومعركتها من نوع جديد لم تقدِّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمّة خاصة ، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً لفتح أرض الشّام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعة الهجريّة (٦٣٠ م) ، قاد النبيّ

صلّى الله عليه وسلّم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوّة المسلمين ، وعاد الى المدينة منتصراً .

لقد قدّر الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بعمق ودقّة أهمية سريّة مُؤْتَة وأهمية المعركة التي تخوضها ، وخطورتها على حاضر المسلمين ومستقبلهم ، لذلك جعل على تلك السريّة ثلاثة قادة من أبرز قادته وألمعهم ، إذا سقط الأول شهيداً ، تولّى القيادة الثاني ، فاذا استُشهدَ الثاني تولاّها الثّالث ، فاذا استُشهدَ اصطلح المسلمون على قائد يختارونه . وما ولّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل سرية مُؤتة ولا ولّى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة ، ولكن بُعْدَ نظره عليه الصّلاة والسّلام ، وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولي ثلاثة قادة على سرية واحدة ، مرّة واحدة فقط في حياته العسكرية كلِّها ، وقد صدقت الأحداث ماتوقعه ، فانهزمت السرية تعبوياً ولكنّها انتصرت سَوْقياً ، وأثرت في معنويات الرّوم تأثيراً عظيماً .

والهزيمة التعبوية لاتُعَدُّ شيئاً بالنسبة للانتصار السّوْقي كما هو معلوم.

وتولية جعفر القيادة في سرية مُؤْتَة على أهميتها وخطورتها ، دليل على كفايته القيادية وأنّه قائد من طراز فريد .

وليس من الصعب اكتشاف سمات جعفر القياديّة ، فقد كان من أولئك القادة ذوي العقيدة الراسخة ، الذين يضحّون أرواحهم من أجل عقيدتهم ، ويعتبرون الشّهادة فوزاً عظيماً .

وحين رفع اللّواء جعفر بعد استشهاد سلفه زيد بن حارثة ، كان يعلم بالتأكيد أنّه يسلك طريق الشهادة ، فأقبل على مصيره المرتقب مُقْبلاً غير مدبر باصرار وعناد واستقتال ، وهو دليل على شجاعته النادرة التي لاتتكرّر إلاّ في المجاهدين الصّادقين المحتسبين من ذوي العقيدة الرّاسخة والايمان العميق.

وكان يتمتّع بعقل سديد ومنطق صائب وذكاء وقّاد ، مما يؤدي إلى أن تكون قراراته سريعة صحيحة .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، يتحمّل المسؤولية ويحبّها ولا يتهرّب منها أويلقيها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسية لاتتبدّل في حالتي النصر والاندحار ، ثابتة على الخطوب والاحداث ، والايمان بالقضاء والقدر يقوّي هذا الاتجاه .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، ويكلّف كلّ فرد منهم مـا يستطيع أن يؤديه بكفاية وإتقان .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، وكان موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وثقة أصحابه الكاملة ، وكان يحبّ رجاله ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه .

وكان ذا شخصية نافذة ، يضبط رجاله ويسيطر عليهم ، ويتحلّى بالطّاعة التي هي الضبط المتين في أجلى مظاهره .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد نسباً وفي خدمة الدّين الحنيف .

وكان عارفاً بمبادئ الحرب : يختار مقصده ويديمه ، يتّخذ مبدأ التعرّض سبيلاً لمعركته ، يحشد قوّته ، ويقتصد بمجهوده ، ويطبّق مبدأ الأمن على قوّته ، ويديم معنوياتها ، ويرعى قضاياها الاداريّة .

ولم يطبّق مبدأ : المباغتة في هذه السريّة ، فقد كان من الصعب إخفاء حركتها في تلك الظروف التي كان العدو يتوقع أن يهاجمهم المسلمون بعد مقتل رسول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أمير الغساسنة ، إذ من الصّعب السكوت عن قتله أو إهماله ، وهو رسول من رُسل الدعوة والرُّسل لاتُقْتَل أبداً ، بل تُكرّم بموجب العُرْف السائد حينذاك حتى بين القبائل العربيّـة التي تسكن الصحراء البعيدة عن معالم الحضارة .

لقد كان قائداً متميّزاً ، وحسبه أن يكون من خريجي مدرسة الرسول القائد العظيمة عليه الصّلاة والسّلام في القيادة . . . والعقيدة .

السّفير

كانت مزايا جعفر سفيراً واضحة المعالم ، أهّلته للنهوض بواجبه في تبليغ رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للنجاشي ملك الحبشة على أحسن وجه ، وأهّلته للنهوض بواجب الدعوة إلى الله في أرض الحبشة ، فآمن على يديه النجاشي وكثير من بني قومه ، وأهّلته للدّفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة تجاه مكايد سفيري مشركي قُريش اللذين كانا أثيرين لدى النجاشي ولدى المقرّبين إليه من رجال الدين والسّلطة ، ولديهما الهدايا والمال الذي يغرون به النجاشي ورجاله المقربين ، بينما لم يكن لدى جعفر مايتقرّب به من الهدايا والمال للنجاشي وغيره من أصحاب السلطان ، وكان يعاني الفقر والعوز والحرمان .

كما أهّلته تلك المزايا لقيادة المسلمين المهاجرين الذين قدموا معه أرض الحبشة من مكّة ، وقيادة المسلمين الجُدُد من الأحباش الذين اعتنقوا الاسلام على يديه وعلى ايدي اخوانه المهاجرين الآخرين ، فقد كان جعفر أمير المؤمنين على المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعلى المسلمين في أرض الحبشة كافةً ، مادام مهاجراً في أرض الحبشة حتى التحق بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة ، فكان جعفر نِعْمَ السفير القويّ الأمين ، ونِعْمَ الداعية الحصيف الحكيم ، ونعم المدافع الجريء البليغ ، ونِعْمَ القائد الحازم المقتدر .

أوّل هذه المزايا ، الانتماء والايمان ، فقد كان انتماؤه للاسلام حاسماً جازماً ، وكان من الذين سارعوا إلى اعتناق هذا الدين ، فكان من السّابقين الأولين ، ولعلّ الدليل القاطع على إيمانه العميق هجرته إلى أرض الحبشه ، مخلّفاً أهله وماله وبلده من أجل عقيدته ، وصبره الجميل على الغربة سنين

طويلة في ظروف معاشية قاسية أو غير مريحة على أقلّ تقدير . وانتماؤه وإيمانه ، هو الذي حفّزه لرعاية إخوانه في الدِّين ، فكانت رعايته لهم لا تقلّ في حال من الأحوال عن رعاية أهله وزوجه وبنيه ، وادّى إلى الانسجام معهم في حياتهم الجديدة انسجاماً خفّف عليهم معضلات الغُربة في ديار الغُربة ، ذلك لأنّ الثقة الكاملة كانت متبادلة بين جعفر والمسلمين المهاجرين ، وبين المسلمين المهاجرين وجعفر ، فكان بحقّ الأب والأخ والقائد والأمير للمسلمين المهاجرين وللمسلمين غير المهاجرين من الأحباش أيضاً .

كما أنّ الانتماء المطلق للاسلام والعقيدة الراسخة بتعاليمه ، أشاع الانسجام الفكريّ بين المجتمع أفراداً أوجماعات ،وهذا يؤدي إلى التعاون المثمر بغير حدود .

وكان جعفر يتميز ، بالفصاحة ، فهو رجل من قريش أفصح العرب ، ومن بني هاشم أفصح قريش ، وعرضه قضيّة المسلمين المهاجرين أمام النجاشي وبحضور عمرو بن العاص وصاحبه ، خير دليل على فصاحته المتميزة ومنطقه الواضح السّليم .

لقد كان أسلوبه البياني من ذلك السّهل الممتنع ، الذي لايشق فهمه على أحد ، ولكن الاتيان بمثله على كل أحد إلاّ نادراً .

وكان عالماً في الدِّين ، يحفظ مانزل من القرآن الكريم ، ويتلوه على أسماع الآخرين دليلاً على شرح الاسلام ، وجواباً على اعتراض المعترضين وتساؤل المتسائلين .

وكان على جانب عظيم من حسن الخُلُق ، فقد كان أخير الناس للمسكين (١٣٥) ، وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكَوْر(١٣٦)

(١٣٥) أسد الغابة (٢٨٨/١).   (١٣٦) الكور : الجماعة الكثيرة من الأبل .

بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أفضل من جعفر (١٣٧) ، وقال عليه الصّلاة والسّلام : « أما أنت ياجعفر ، فأشبهت خَلقي وخُلُقي » (١٣٨) ، وحسبه بذلك دليلاً على أنّه كان على خُلقٍ عظيم .

ولا شيء كالخُلق الكريم يؤدي إلى نجاح السّفير في سفارته ، لأنّه يستقطب القلوب حوله ، ويشدّ الناس اليه ، ويجعله موضع ثقتهم ، فيحقق مايصبو اليه من أهداف دون عناء .

لقد كان جعفر ومَنْ معه من المسلمين المهاجرين إلى ارض الحبشة لاجئين ، فلما تأكد النجاشي أنّهم على حقّ ، وأنّهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنّ يقولوا ربنا الله ، بسط حمايته عليهم ومنعهم من أعدائهم مشركي قريش ، وبالتدريج تطوّر حال جعفر من حال إلى حال ، حتى أصبح النّجاشي رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ، وانتهى الأمر بالمسلمين المهاجرين أن عادوا إلى وطنهم مكرّمين معزّزين برعاية النّجاشي الكاملة وحمايته ، ولم يكن هذا التطور من حسن إلى أحسن إلاّ ثمرة من ثمرات الخُلق الكريم لجعفر بخاصة وللمسلمين المهاجرين بعامة .

وكان جعفر يتميّز بالصبر والحكمة ، وقد برز صبره الجميل في تحمل أخطار الهجرة من مكة إلى أرض الحبشة ، والتسلّل من مجتمع مشركي قريش الذين كانوا يناصبون أشدّ العداء للاسلام والمسلمين ، ويحرصون على بقاء المسلمين في مكة . لينصرّف كلّ مشرك بما يشاء حين يشاء في إلحاق الأذى بالمسلمين القادرين على إلحاق الأذى بهم والذين لايقدرون على الدفاع عن أنفسهم ، وحتى لاينجو المسلمون من أذى مشركي قريش ورقابتهم . وكان

---

(١٣٧) أسد الغابة (٢٨٧/١) .

(١٣٨) مقاتل الطالبيين (١٢) وأسد الغابة (٢٨٧/١) .

مشركو قريش يطاردون المسلمين المهاجرين ، ويمنعونهم بشتى الوسائل من الهجرة ، والذين يلقون القبض عليهم من المسلمين المهاجرين ، لايفلتون من العقاب الصارم .

وبرز صبره الجميل في غربته الطويلة التي امتدّت أكثر من أربع عشرة سنة ، بعيداً عن أهله وقومه ووطنه .

كما برز صبره الجميل في مصاولة سفيري المشركين من قريش : عمرو ابن العاص وصاحبه ، ومصاولة أشياعهما الأحباش المقربين من النّجاشي ، والذين كان هواهم مع المشركين على المسلمين .

لقد كان في محنة طاحنة متّصلة ، تغلّب عليها بالصبر الجميل ، واجتازها بنجاح يدعو إلى الاعجاب ، ولكن بعناء شديد .

أما حكمته فتتجلّى في مناقشة عمرو بن العاص وصاحبه بحضور النجاشي ورجالاته ، وعمرو من دهاة العرب المعدودين ، وقد ضمن بهداياه وأمواله حاشية النّجاشي إلى جانبه ، ولكن حكمة جعفر ومنطقه السديد ، فوّت الفرصة على عمرو وصاحبه ، وجعل كيدهما ومَنْ معهما من حاشية النّجاشي هباءً تذروه الرياح ، فحاق المكر السيّىء بأهله ، وانتصر الحقّ على الباطل ، وجاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطلَ كان زهوقا .

ولم يكن موقف جعفر في مناقشته الرائعة سهلاً على كلّ حال .

وكان جعفر ألمعيّ الذكاء ، لذلك كان واسع الحيلة ، وطالما صادفته المشاكل والعراقيل ، منذ هاجر إلى الحبشة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ولكنّه كان يجد لمشاكله ومعضلاته حلاً مناسباً ومخرجاً ملائماً .

وكان يتحلّى برواء المظهر ، فكان يملأ الأعين قَدْراً وجلالاً ، وقدقال فيه النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم : «أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقي ، وخُلُقُكَ خُلُقي » ،

وفي رواية أخرى : « أَشْبَهْتَ خَلقي وخُلُقِي » وفي رواية ثالثة : « إنّكَ شَبِيهُ خَلْقِي وخُلُقِي » (١٣٩) ، فهو أحد المعدودين من المشبّهين بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١٤٠) .

ومن المعروف أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، كان متميِّزاً برواء مظهره ، لا اختلاف في ذلك .

وما أصدق وصف زوجه أسماء بنت عُمَيْس له حين قالت : « ما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر » (١٤١) ، وقد قالت ماقالت بعد استشهاده وبعد أن تزوّجت غيره وكانت في عصمة زوجها الجديد .

لقد كان جعفر يتحلىّ بمزايا السّفير النبويّ : الانتماء المطلق والايمان العميق ، والفصاحة العالية والعلم المتين وحسن الخلق ، والصبر الجميل والحكمة النّادرة ، وسعة الحيلة التي تستسهل الصعب وتحلّ المعضلات ، ورواء المظهر الذي يخلب العقول والقلوب معاً .

لذلك نجح في مهمته سفيراً نجاحاً باهراً ، كما نجح في مهماته الأخرى التي لاتقلّ أهمية عن سفارته .

جعفر في التّاريخ

يذكر التاريخ لجعفر ، أنّه كان من السّابقين الأولين إلى الاسلام ، وأنّه أسلم قبل أن يدخل الرسول صلّى الله عليه وسلّم دار الأرقم بن أبي الأرقم .

ويذكر له ، أنّه هاجر الهجرتين : إلى أرض الحبشة من مكّة في الهجرة الأولى وإلى المدينة من ارض الحبشة .

ويذكر له ، أنّه كان من أوائل المهاجرين إلى أرض الحبشة ، ومن أواخر مَنْ عاد منها إلى المدينة من المهاجرين .

---

(١٣٩) طبقات ابن سعد (٣٦/٤) .
(١٤٠) انظر أسماءهم في المحبر (٤٦-٤٧)
(١٤١) طبقات ابن سعد (٤١/٤) .

ويذكر له ، أنّه كان أمير المؤمنين لمهاجري الحبشة منذ هجرته ، إليها من مكة ، إلى عودته منها إلى المدينة .

ويذكر له ، أنّه كان أوّل سفير نبويّ في الاسلام ، وأنّه أوّل مَنْ حمل رسالة من رسائل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك العصر وحكامه .

ويذكر له ، أنّ النّجاشي ملك الحبشة ، أسلم على يديه ، كما أسلم على يديه قسم من الأحباش .

ويذكر له ، أنّه دافع عن الأسلام والمسلمين أمام النّجاشي دفاعاً منطقياً مُقْنِعاً ، فجعل النّجاشي مع المسلمين على أعدائهم المشركين .

ويذكر له ، أنّه كان أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، ومن أحبّ الناس إليه واقربهم إلى قلبه .

ويذكر له ، أنّه كان جواداً من أجواد العرب المشهورين ، وأنّه كان خير الناس للمساكين من فقراء المسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان من قادة النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم ، وأنّه قاد سرية مُؤْتَة في موقف حرج عصيب ، فاستقبل السيوف والرِّماح مقبلاً غير مُدْبِر ، يتقدّم باللِّواء الذي يحمله إلى أمام .

ويذكر له ، أنّه سقط شهيداً في ساحة المعركة ، دون أن يسقط لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي رفعه بأسنانه بعد أن قطعت يداه .

رضي الله عن السفير الخطير ، الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، جعفر الطيّار بن أبي طالب الهاشِميّ القُرَشِيّ .

عبدالله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

النقيب الشّاعر القائد الشّهيد

نسبه وأيّامه الأولى

هو عبدالله بن رَوَاحَة بن ثَعْلَبَة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كَعْب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخَزْرَج (١) .

وأمّه : كَبْشَة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة بن زيد مَنَاة بن مالك الأغر (٢) ، من الخزرج أيضاً ، يلتقي نسب أمه وأبيه بمالك الأغرّ .

وكان ابن رواحة يكنى : أبا محمّد ، وقيل : يكنى أبا رواحة (٣) ، ولعلّه كان يكنى بهما جميعاً (٤) ، وليس له عقب (٥) ، وهو خال النُّعمان ابن بشير (٦) ، لأنّ عَمْرَة بنت رواحة هي زوج بشير بن سعد وأم النُّعمان ابن بشير (٧) .

وكان عبدالله بن رواحة يكتب في الجاهليّة ، وكانت الكتابة في العرب قليلة (٨) يومذاك ، فكان من العرب القلائل الذين يكتبون في الجاهليّة .

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٦٣) وطبقات ابن سعد (٥٢٥/٣) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥٢٥/٣) .
(٣) أسد الغابة (١٥٦/٣) والإصابة (٦٦/٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٥) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) ، وفيه أنه خال بشير بن سعد ، والصحيح أن بشيراً زوج أخت عبدالله بن رواحة .
(٦) أسد الغابة (١٥٧/٣) .
(٧) الاستبصار (١١٢) .
(٨) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

أسلم قديماً (٩) وشهد بيعة العَقَبَة الآخرة ، وبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها ، وكان الذين شهدوها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين (١٠) ، وقيل كانوا سبعين وامرأتين (١١) . واختار النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم اثني عشر نقيباً ، كان منهم عبدالله بن رواحة (١٢) ، فهو خزرجيّ أنصاري نقيب .

ولما هاجر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة صلى الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي في بني سالم بن عوف ، فكانت أوّل جمعة صلاّها في المدينة ، فأتاه رجال من بني سالم بن عَوْف ، فقالوا : « يارسول الله ! أقم عندنا في العَدد والعُدّة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فانّها مأمورة » لناقته ، فخلّوا سبيلها ، فانطلقت ، فمرّت بدار الحارث بن الخزرج ، فاعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : « يارسول الله ! هَلُمّ إلينا إلى العَدَد والعُدّة والمَنْعة » ، فقال : « خلّوا سبيلها فانّها مأمورة » (١٣) ، يريد : خلّوا سبيل ناقته .

وفي المدينة آخى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين عبدالله بن رواحة والمقداد ابن عمرو (١٤) ، فأصبح ابن رواحة أحد أفراد المجتمع الاسلاميّ الجديد في المدينة المنوّرة ، قاعدة المسلمين الرئيسة الأولى .

---

(٩) البداية والنهاية (٢٥٦/٤) . (١٠) سيرة ابن هشام (٦٣/٢) و(٦٧/٢) .

(١١) الدرر (٧٥) .

(١٢) سيرة ابن هشام (٦٧/٢) وأنساب الأشراف (٢٤٤/١) والدرر (٧٥) وجوامع السيرة (٧٦) والمحبر (٢٦٩) .

(١٣) سيرة ابن هشام (١١٢/٢) والدرر (٩٣) وجوامع السيرة (٩٤) .

(١٤) الدرر (٩٩) .

في الجهاد

١- مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

أ. في غزوة بدر الكبرى، خرج عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج اليهم فتيــة من الأنصار ثلاثة، وهم عَوْف ومعوِّذ ابنا عَفْراء، وعبدالله بن رواحة، فقالوا: لستُم لنا بأكْفاء». وأبوا إلاّ قومهم وخرج اليهم حمزة بن عبدالمطلب وعُبَيْدة ابن الحارث، وعليّ بن أبي طالب، فبارز عُبَيْدَةُ وكان أسنّ القوم عُتْبَة ابن ربيعة. وبارز حمزةُ شيْبَةَ بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتْبَة واما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، وأما عبيدة وعتبة فقد اختلفا ضربتين، كلاهما جرح صاحبه، فكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتْبَة، فقتلاه واحتملا عُبَيْدة إلى أصحابه (١٥).

ولما انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر الكبرى، بعث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عبدالله بن رواحة بشيراً بالنّصْرِ إلى أهل (العالية) (١٦)، وبعث زيد بن حارثة الكَلْبيّ إلى أهل (السّافلة) (١٧)، فجعل عبدالله ينادي على راحلته: «يامعشرَ الأنصار! أبشروا بسلامة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقَتْل المشركين وأسرهم! قُتل ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج، وأبو جَهْل، وقتل زَمْعَة بن الأسود، وأميّة بن خلف، وأُسر سُهَيْل ابن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة»، قال عاصم بن عَديّ: «فقمت اليه، فنحوته، فقلت: أحقّاً ماتقول؟ قال: إي والله، وغداً يقدُم رسول

---

(١٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٥) والدرر (١١٤) وجوامع السيرة (١١٢-١١٣).

(١٦) العالية اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامــة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٠٠-١٠١).

(١٧) انظر المادة (٢) في الهامش أعلاه، وانظر سيرة ابن هشام (٢/٢٨٤-٢٨٥).

الله صلّى الله عليه وسلّم إن شاءالله ومعه الأسرى مقرّنين » ، ثمّ اتّبع دور دور الانصار بالعالية – العالية بنو عمرو بن عوف وخَطْمَة ووائل ، منازلهم بها – فبشّرهم داراً داراً ، والصبيان يشتدّون معه (١٨) .

وكانت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية (١٩) .

ب– وشهد عبدالله بن رواحة غزوة (أُحُد)(٢٠) ، فلما استُشهدَ حمزة ابن عبدالمطلب عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعاد النبيّ أدراجه مع المسلمين إلى أهله ، ساق عبدالله بن رواحة نساء بني الحارث بن الخزرج إلى قرب دار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فَنَدَبْنَ حمزةَ مع نساء الأنصار . فأمر النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم أن يَعُدْنَ إلى منازلهن بعد أن دعا لهنّ ونهاهنّ الغد عن النّوح أشدّ النّهي (٢١) .

وكانت غزوة (أُحُد) في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة (٢٢) .

ج – وفي غزوة بدر الآخرة التي كانت في شهرشعبان (٢٣) من السنة الرابعة الهجرية ، استُخلف عبدالله بن رواحة على المدينة (٢٤) ، فأقام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ماء (بَدْر) ثمانية أيام ، ولكنّ أبا سفيان بن حرب لم يحضر مع قريش لقتال المسلمين كما وعد ، فعاد المسلمون إلى المدينة دون أن يلقوا كيداً (٢٥) .

د – وفي غزوة الخَنْدَق ، وهي غزوة الأحزاب التي كانت في شهر شوال من سنة خمس الهجريّة (٢٦) ، انضمّت يهود بني قُرَيْظَة إلى الأحزاب

(١٨) مغازي الواقدي (١/١١٤–١١٥) .
(١٩) ابن الأثير (٢/١١٦) وتاريخ خليفة بن خياط (١/١٥) والعبر (١/٢) .
(٢٠) طبقات ابن سعد (٣/٥٢٦) . (٢١) مغازي الواقدي (١/٣١٧) .
(٢٢) تاريخ خليفة بن خياط (١/٢٦) والعبر (١/٥) .
(٢٣) سيرة ابن هشام (٣/٢٢١) . (٢٤) مغازي الواقدي (١/٣٨٤) .
(٢٥) سيرة ابن هشام (٣/٢٢١–٢٢٢) . (٢٦) سيرة ابن هشام (٣/٢٢٩) .

ونقضت عهدها ، فلما علم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بانتقاض قُرَيْظَة ، بعث سعد بن مُعَاذ بن النُّعمان وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعد بن عُبَادة ابن دُلَيْم أحد بني ساعدة بن كَعب بن الخزرج وهو يومئذٍ سيِّد الخزرج ، ومعهما عبدالله بن رَواحة وخَوَّات بن جُبَير أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : « انطلقوا حتى تنظروا أحقّ مابلغنا من هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقّاً ، فالحنوا لي لحناً أعرفه (٢٧) ، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس (٢٨) ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس » . وخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم ، فأقبلوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فسلّموا عليه ثمّ قالوا : عَضَلٌ والقَارة ، أي كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرَّجِيع : خُبَيْب وأصحابه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الله أكبر ، أبشروا يامعشر المسلمين » (٢٩) .

وانتهى الخبر حول نقض بني قريظة العهد ، فاشتدّ الخوف وعظم البلاء (٣٠) .

وبعثت عَمْرَة بنت رواحة ابنتها بحفنَة تمر عَجْوَة في ثوبها وكان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون اليهم بما قدروا عليه . وقالت عَمْرَة لابنتها : « يابُنَيّة ! إذهبي إلى أبيك بشير بن سعد ، وخالك عبدالله بن رواحة . بغدائهما » ، فانطلقت الجارية حتى أتت الخندق ، فوجدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالساً في أصحابه ، فقال : « تعالي يابُنَيّة ، ماهذا معك ؟ » ، فقالت : بعثتني أُمّي إلى أبي وخالي بغدائهما » ،

---

(٢٧) فالحنوا لي لحناً : اللحن : أن يخالف ظاهر الكلام معناه ، قال الشاعر :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يفهمه ذوو الألباب

(٢٨) يقال فت في عضده : إذا ضعفه وأوهنه .

(٢٩) سيرة ابن هشام (٣/٢٣٧-٢٣٨) وانظر مغازي الواقدي (٢/٤٤١) .

(٣٠) مغازي الواقدي (٢/٤٥٩) والدرر (١٨٣) وجوامع السيرة (١٨٨) .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « هاتيه » . ثم أمر بثوب فبُسط له ، وجاء بالتمر فنثره عليه فوق الثّوب ، ونادى أهل الخندق للغداء . فاجتمعوا عليه يأكلون منه (٣١) .

٢ـ قائد السريّة

كانت هذه السرية في شوال سنة ست الهجرية إلى أُسَيْر بن رازم اليهودي ، فلما قُتل سَلاّم بن أبي الحُقَيْق اليهودي ، أمّرت يهود عليهم ابن رازِم ، فسار في غَطَفَان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوجّه ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً ، فسأل عن خبره وغِرّته ، فأُخبر بذلك . وقدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر ، فندب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلاً . فبعث عليهم عبدالله بن رواحة .

وقدموا على أسير فقالوا : « نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئنا له ؟ » قال : « نعم ، ولي منكم مثل ذلك ؟ » ، فقالوا : « نعم » .

وقالوا لأسير : « إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، بعثنا إليك لتخرج اليه ، فيستعملك على خَيْبَر ويُحسِن اليك » . فطمع في ذلك ، وخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين . حتى إذا كانوا بـ (قَرْقَرة ثِبَار) (٣٢) ، ندم أُسير ، وفكر بالخيانة . قال عبدالله ابن أُنَيْس ـ وكان في السريّة : « وأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ، ودفعت بعيري ، وقلت : غدراً أيْ عدوَّ الله ! فعل ذلك مرتين ، فنزلت فسُقْتُ بالقوم حتى انفرد لي أسير ، فضربته بالسيف فأندرتُ عامة فَخِذِه

---

(٣١) مغازي الواقدي (٤٧٦/٢) .

(٣٢) قرقرة ثبار : موضع على ستة أميال من خيبر باتجاه المدينة، انظر معجم البلدان (٥/٣).

وساقه وسقط عن بعيره ، وبيده مِخْرَش (٣٣) من شَوْحَط (٣٤) فضربني فشجّني ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلّهم غير رجل واحد أعجزنا شدّاً ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ . ثم أقبلنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحدّثناه الحديث ، فقال : « نجّاكم الله من القوم الظالمين » (٣٥) .

وهكذا أدىّ عبدالله بن رواحة واجبه على أحسن الوجوه ، دون أن يتكبّد المسلمون خسائر مادّية بالأرواح والمواد .

٣– قبل سريّة مؤتة (٣٦)

أ– شهد عبدالله بن رواحة بعد عودته من سريته إلى خَيْبَر ، غزوةَ الحُدَيْبِيَة (٣٧) وغزوة خَيْبَر ، وفي الطريق إلى خيبر ، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعبدالله بن رواحة : « ألا تُحَرِّك بنا الرَّكْب ؟ » ، فنزل عبدالله عن راحلته وقال :

والله لولا أنتَ ما اهتدَينا
ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا
فأنزِلنْ سَكِينَةً علينا
وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَينا
والمشركون قد بغوا علينا

(٣٣) المخرشة : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٣٤) شوحط : ضرب من شجر جبل السراة تتخذ منه القسي . واحدته : شوحطة .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٢/٩٢–٩٣) ومغازي الواقدي (٢/٥٦٦–٥٦٨) وسيرة ابن هشام (٤/٢٩٢–٢٩٣) وعيون الأثر (٢/١١١) . وأنساب الأشراف (١/٣٧٨) .

(٣٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام على اثني عشر ميلا من أذرح ، انظر معجم البلدان (٨/١٩٠) .

(٣٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٢٦) .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « اللهمَّ ارحمهُ » ، فقال عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه : « وَجَبَتْ يارسول الله ! » ، فقُتل يوم مُؤْتَة شهيداً (٣٨) .

ولما قسم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أرض خيبر على المسلمين ، تسلّم عبدالله سهم بني الحارث بن الخزرج ، إذ كان لكلّ مائة رأس، منهم رأس يُعْرَف، يَقْسِّم على أصحابه ماخرج من غلّتها ، وكان رأس بني الحارث ابن الخزرج عبدالله بن رواحة (٣٩) .

وكان رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم يبعث ابن رواحة إلى أهل خيبر خارِصاً (٤٠) بين المسلمين ويهود ، فيَخْرِص عليهم ، فاذا قالوا : تعَدَّيتَ علينا ، قال : « إن شئتم فلنا ، وإن شئتم فلكم » ، فتقول يهود : « بهذا قامت السموات والأرض » ، وإنما خرص عليهم ابن رواحة عاماً واحداً ، ثم أُصيب بمؤتة (٤١) .

ب – وشهد عُمْرَة القضاء (٤٢) ، التي كانت في شهر ذي القعدة من سنة سبع الهجريّة (٤٣) ، وحين دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة في تلك العُمْرَة ، دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلّوا بَنِي الكُفّار عن سَبِيْلِه
خلّوا فكلُّ الخَيْر في رسوله (٤٤)

(٣٨) مغازي الواقدي (٦٣٩/٢) وانظر طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٣٩) مغازي الواقدي (٦٨٩/٢–٦٩٠) و (٧١٨/٢) .
(٤٠) الخارص : الذي يقدر التمر وهوعلى النخيل قبل أن ينضج ، والخرص هنا هو التقدير.
(٤١) سيرة ابن هشام (٤٠٩/٣) وانظر مغازي الواقدي (٦٩١/٢) .
(٤٢) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) .
(٤٣) تاريخ خليفة بن خياط (٤٨/١) والعبر (٨/١) .
(٤٤) سبيله : طريقه التي انتهجها له الله تعالى .

يارب إنّي مُؤْمِنٌ بِقِيْلِهِ
أعرفُ حَقَّ اللهِ في قَبُولِهِ (٤٥)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تأويلِهِ
كما قتلناكم على تنزيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيْلِهِ
وَيُذْهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ (٤٦)

فقال عمر بن الخطّاب : « ياابن رواحة ! حرم الله ، وبين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وتقول هذا الشعر ؟ ! » ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « خَلِّ عنه ياعمر ! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النَّبْل » (٤٧) .

لقد كان مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في غزواته كافة ، وكان أثره واضحاً فيها .

٤- في سَرِيّة مُؤْتَة

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجريّة بعثه إلى الشّام في ثلاثة آلاف مجاهد ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أُصيب جعفر فعبدالله ابن رواحة على الناس » ، فتجهز الناس ثم تهيّأوا للخروج .

---

(٤٥) قيله : القيل بكسر القاف ، والقول بفتح وسكون ، والقال بالفتح وقلب الواو ألفاً ، كل ذلك عند جماعة من أهل اللغة بمعنى واحد ، ويقال : القول هو المصدر ، والقيل الاسم .

(٤٦) الهام : جمع هامة ، والمراد هنا الرأس ، ومقيل الهام الأعناق . ويذهل : يشغل ، انظر سيرة ابن هشام (٤٢٥/٣) .

(٤٧) الاصابة (٦٧/٤) وانظر مغازي الواقدي (٧٣٦/٣) وطبقات ابن سعد (٥٢٧/٣) .

ولما أكملت السرية استحضاراتها للحركة ، ودّع النّاس أمراءَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسلّموا عليهم ، فلما وُدع عبدالله بن رواحة مع مَنْ وُدِّع من أمراءَ رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم بكى ، فقالوا : مايبكيك ياابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلّى الله عليهوسلّم يقرأ آية في كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار : (وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها ، كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَقْضيّا) (٤٨) ، فلست أدري كيف لي بالصُّدور بعد الوُرُود . ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين . فقال عبدالله بن رواحة :

لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْعٍ تَقْذِفِ الزَّبَدا(٤٩)
أو طعنةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا(٥٠)
حتى يُقالَ إذا مرّوا على جَدَثي
أرْشَدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا (٥١)

وخرج القوم ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشيِّعهم ، حتى إذا ودّعهم وانصرف ، قال عبدالله بن رواحة :

خَلَفَ السّلامُ على امْرِئٍ ودَّعْتُهُ
في النّخلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وخَليلِ

---

(٤٨) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩ : ٧١) .

(٤٩) ذات الفرع يريد واسعة . والزبد أصله ما يعلو الماء ، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .

(٥٠) مجهزة : سريعة القتل : أجهز على الجريح ، إذا أسرع في قتله وتنفذ الأحشاء : تخرقها وتصل إليها .

(٥١) الجدث بفتح الجيم والدال المهملة وآخره ثاء مثلثة : القبر .

ثم مضوا حتى نزلوا (مُعَان) (٥٢) من أرض الشّام ، فبلغ الناسَ أنَّ هِرَقْل ملك الرومَ قد نزل (مَآب) (٥٣) من أرض (البَلْقَاء) (٥٤) في مائة ألفٍ من الروم ، وانضمّ اليهم من لَخْمٍ وجُذَام وبَلْقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بَلِيّ ثم من أحد إرَاشَة يقال له : مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكّرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ، ونخبر به بعَدَد عدوّنا ، فاما أن يمدّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فَنَمْضِيَ » ، فشجّع الناسَ عبدالله بن رواحة ، وقال : « ياقوم ! والله إنّ التي تكرهونَ للتي خرجتم تطلبون : الشّهادة . وما نقاتل الناسَ بعَدَد ولا قوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانّما هي إحدى الحُسْنَيَيْنِ : إما ظهور ، وإما شهادة » ، فقال الناس : « قد واللهِ صَدَقَ ابنُ رواحة » ، فمضى الناس ، فقال عبدالله بن رواحة في مَحْبَسِهم ذلك :

جَلَبْنَا الخيلَ من أجأ وفَرْعٍ
تُغَرّ من الحشيشِ لها العُكُومُ (٥٥)
حَذَوْناهُمْ من الصَّوّانِ سِبْتاً
أزَلّ كأنّ صَفْحَتَهُ أديمُ (٥٦)

---

(٥٢) معان : بلد في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٩٣/٨) ، وهي مدينة أردنية في الوقت الحاضر .

(٥٣) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، انظر معجم البلدان (٣٤٩/٧).

(٥٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، انظر معجم البلدان (٢٧٦/٢-٢٧٧) .

(٥٥) اجأ - بفتح الهمزة والجيم وآخره همزة : أحد جبلي طيْ والآخر سلمى. وفرع، يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة : اسم موضع . وتغر : تطعم شيئاً بعد شيء ، تقول : غررت الطائر : إذا أطعمته . والعكوم : الجنوب وفي رواية : جلبنا الخيل من آجام قرح . وقرح : اسم موضع أيضاً .

(٥٦) حذوناهم : أي جعلنا لها حذاء ، والحذاء : النعل . والصوان والحجارة الملس ، =

أقامتْ ليلتين على مُعَــان
فأُعْقِبَ بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ (٥٧)
فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّماتٌ
تَنَفَّسَ في مناخرها السَّمــومُ (٥٨)
فلا وأبي (مَآبَ) لآتِيَنْهَــا
وإنْ كانت بها عَــرَبٌ وروم
فَعَبَأنا أعنّتَهــا فجــاءتْ
عوابِسَ والغُبَارُ لها بَرِيمُ (٥٩)
بذي لَجَبٍ كأنَّ البِيْضَ فيــه
إذا بَرَزَتْ قَوانِسُها النجــومُ (٦٠)
فَرَاضِيَةُ المَعِيْشَةِ طَلَّقَتْهَــا
أَسِنَّتُها فَتَنْكِحُ أو تَئِيْمُ (٦١)

ومضى الناس قُدُماً إلى هدفهم ، وكان زيد بن أرقم يتيماً لعبدالله بن رواحة في حِجْرِهِ ، فخرج به في سفره ذلك وقد أردفه على حقيبة (٦٢) رَحْلِهِ ، فسمعه ينشد في ليلة من اللّيالي هذه الأبيات :

= واحدتها صوانة والسبت بكسر السين : النعال التي تصنع من الجلد المدبوغ ، وأزل : املس ظاهر الصفحة . والأديم : الجلد .

(٥٧) الجموم : استراحة الفرس ، وأراد هنا استعداده ونشاطه .

(٥٨) مسومات : مرسلات ، أو معلمات . والسموم : الريح الحارة .

(٥٩) بريم : هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها ، وأراد ههنا الحزام .

(٦٠) بذي لجب ، اللجب : كثرة الاصوات واختلاطها ، وذو اللجب : الجيش . والقوانس: جمع قونس ، وهو أعلى البيضة. والنجوم : خبر كأن ، وجملة الشرط وجواب المحذوف معترضة .

(٦١) تئيم : تبقى بغير زوج .

(٦٢) الحقيبة : مايجعله الراكب وراءه إذا ركب .

إذا أدَّيْتني وحَمَلْتِ رَحْلِي
مَسِيْرَةَ أربعٍ بعد الحِسَاء (٦٣)
فَشَأنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ
ولا أَرْجِعْ إلى أهْلِي ورائي (٦٤)
وجــاء المسلمون وغَــادَرُوْني
بأرضِ الشّامِ مُشْتَهِيَ الثّواء(٧٥)
وردَّك كلُّ ذي نَسَبٍ قَرِيْبٍ
إلى الرحمنِ مُنْقَطِعَ الإخَـــاء
هنالك لا أُبالي طَلْعَ بَعْـلٍ
ولا نَخْلٍ أسافِلُها رِواءُ (٦٦)

فما سمعها زيد بن أرقم حتى بكى ، فخفقه (٦٧) عبدالله بن رواحة بالدرّة وقال : « ماعليك يالُكَعْ (٦٨) أن يرزقني الله شهادة ، وترجع بين شُعْبَتي الرَّحْل (٦٩) ؟ » .

وقال زيد بن أرقم : « قال عبدالله بن رواحة في سفره ذلك وهو يرتجز » :

---

(٦٣) أصل الحساء جمع حسى ، والحسي : ماء يغور في الرمل ، فاذا بحثت عنه وجدته .

(٦٤) ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء ، يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه السرية ولا يرجع إلى أهله .

(٦٥) الثواء بفتح الثاء المثلثة : الاقامــة ، وتقول : ثوى المكان يثوى – من باب ضرب – إذا أقام .

(٦٦) البعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض ، والعذى : الذي يشرب من ماء السماء ، وقوله : أسافلها رواء : أظهر مافيه أنه مبتدأ وخبر ، ففي هذا البيت الاقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .

(٦٧) خفقني : ضربني . والدرة : العصا .

(٦٨) لكع : اللئيم . (٦٩) شعبتا الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر .

يازَيْدُ زَيْدُ اليَعْمَلاتِ الذُّبّـل

تَطاوَلَ اللّيْلُ هُدِيتَ فانزِلِ (٧٠)

ومضى النّاس ، حتى إذا كانوا بتُخوم (٧١) البَلْقاء ، ثمّ دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى برية مُؤْتَة ، فالتقى الناس عندها .

وتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له : قُطْبَة بن قَتَادَة ، وعلى مَيْسَرَتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عبَادَة بن مالك .

والتقى الناس ، ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى شاطَ في رماح القوم (٧٢) .

وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل بها حتى إذا أَلْحَمَه القتال اقتحم عن فرس (٧٣) له شقراء ، فعقرها ، ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل ، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عَقَرَ في الاسلام .

وكان جعفر يردِّد حين كان يقاتل :

ياحبّذا الجنّةُ واقترابُهـا

طيّبةً وبارداً شـرابُهـا

والرُّوم رُومٌ قد دنا عذابُهـا

كافِرَةً بعيدةً أنسابُهـا

عَليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُهـا

وأخذ جعفر اللِّواء بيمينه ، فقطعت ، فأخذه بشماله ، فقطعت ، فاحتضنهُ

(٧٠) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة . والذبل : التي اضعفها السير فقل لحمها .
(٧١) تخوم : حدود الأرضين التي تقع بين ارض وأرض ، ويقال بفتح التاء أو ضمها .
(٧٢) شاط في رماح القوم : أي هلك ، تقول : شاط الرجل ، إذا سال دمه فهلك .
(٧٣) اقتحم عن فرس له : أي رمى بنفسه عنها ، يريد أنه كان فارساً فترجل .

بعَضُدَيه (٧٤) حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ويقال : إنّ رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه (٧٥) نصفين .

وأخذ الرّاية عبدالله بن رواحة ، فتقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّه
لَتَنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّه
إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّه
مالي أراكِ تَكْرَهِيْنَ الجنَّه (٧٦)
قد طَالمَا قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّه
هَلْ أنتِ إلاّ نُطْفَةٌ في شَنَّه (٧٧)

وقال أيضاً :

يانَفْسُ إلاّ تُقْتَلِيْ تَمُوتي
هذا حَمِامُ الموتِ قد صَلِيْتِ
وما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيْتِ
إنْ تَفْعَلي فعْلَهُما هُدِيْتِ

يريد : صاحبيه زيداً وجعفرا ، ثمّ نزل .

وأتاه ابن عَمّ له بِعَرْقٍ (٧٨) من لحم ، فقال : « شُدَّ بهذا صُلْبَكَ ، فانّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت » ، فأخذه من يده ، ثمّ انْتَهَس(٧٩)

---

(٧٤) احتضنه : أخذه في حضنه ، وحضن الرجل : ماتحت العضد إلى أسفل .
(٧٥) فقطعه : يروى في مكانه فقطه – بتشديد الطاء ، وقطه وقطعه بمعنى واحد .
(٧٦) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .
(٧٧) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القربة القديمة .
(٧٨) العرق : العظم الذي عليه بعض اللحم .
(٧٩) انتهس : أخذ بفمه منه يسيراً .

منه نَهْسَةً ، ثمّ سمع الحَطَمَةَ (٨٠) في ناحية الناس ، فقال : « وأنتِ في الدنيا ! ! » ، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم ، فقاتل حتى قُتِلَ .

ثمّ أخذ الراية ثابت بن أرْقَم أخو بني العَجْلان ، فقال : « يامعشر المسلمين ! اصْطَلِحُوا على رجلٍ منكم » ، قالوا : « أنت ! » ، قال : « ماأنا بفاعل » ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الرّاية دافعَ القومَ وحاشى بهم (٨١) ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس ، وأقْبَلَ بهم قافلاً .

فلما دنوا من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدّون ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقبل مع القوم على دابّة ، فقال : « خذوا الصّبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » ، فأُتيَ بعبدالله ، فأخذه فحمله بين يديه . وجعل الناس يَحْثُون على الجيش التراب ويقولون : يافُرّار ! فَرَرْتُمْ في سبيل الله ! ! فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لَيْسُوا بالفُرّار ، ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى » (٨٢) .

وأخيراً استراح الراحة الأبدية مَنْ كان لايَستريح ولا يُريح ، يجاهد بلسانه ويده وسيفه ، وظلّ يجاهد حتى اللّحظات الأخيرة من حياته ، وهو يحمل لواء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويستقتل دفاعاً عنه وعن مُثُله

---

(٨٠) الحطمة : الكسرة .

(٨١) قيل : هو بالحاء المهملة من المحاشاة ، وقيل : هو بالخاء المعجمة ، وأصله الخشية ، أي أن فعله معهم كانه فعل من يخشى .

(٨٢) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (٣/٤٢٧-٤٤٧) ومغازي الواقدي (٢/٧٥٥-٧٦٩) وجوامع السيرة (٢٢٠ - ٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٢/١٢٨ - ١٣٠) والدرر (٢٢/-٢٢٣) وأنساب الأشراف (١/٣٨٠) والبداية والنهاية (٤/٢٤١-٢٥٣) والبخاري (٣ / ١٤٣) والطبري (٣ / ٣٦-٤٢) وابن الأثير (٢/٢٣٤-٢٣٨) وعيون الأثر (٢/١٥٣-١٥٦) ونهاية الأرب (١٧)(٢٧٧-٢٨٣) .

العليا ، فسقط ابن رواحة شهيداً مضرجاً بدمائه ، دون أن يسقط لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد تلقّفه مجاهد جديد يسعى إلى الشّهادة دونه ، فضحّى ابن رواحة بروحه من أجل دينه ، ومات الذين حرصوا على الحياة ، كما مات ابن رواحة ،ولكن شتان بين الميتتين .

الإنسان

١. الشّاعر

كان عبدالله بن رواحة أحد شعراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذين يذبّون عن الاسلام بألسنتهم : كعب بن مالك السلمي ، وعبدالله بن رواحة ، وحسّان بن ثابت من بني النّجار ، وكلّهم من الخزرج من الأنصار (٨٣) ، وكان من شعراء الصحابة المشهورين (٨٤) .

وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق ينقل التراب ، حتى وارى التراب شعر صدره ، وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تاالله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا وثَبِّتِ الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا (٨٥)

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : « سمعت أبي يقول : ماسمعت أحداً أجرَأ ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول له يوماً : قُلْ شعراً تقتضيه السّاعة وأنا أنظر إليك ، فانبعث مكانه يقول :

إني تفرّست فيك الخير أعرفُه
والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ

(٨٣) جوامع السيرة (٢٨) . (٨٤) البداية والنهاية (٢٥٨/٤) .
(٨٥) تهذيب ابن عساكر (٣٩٤/٧) .

أنتَ النبيُّ ومَن يُحرم شفاعتــهُ
يومَ الحساب لقد أزْرَى بــه القَــدَرُ
فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مــن حــسن
تثبيتَ موسى ونصــراً كالــذي نُصروا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وانت فثبّتكَ اللهُ ياابنَ رواحة » . قال هشام بن عروة : « فثبّته الله عزّ وجل أحسن الثبات ، فقُتل شــهيداً وفتحت له الجنّة ، فدخلها » .

وفي رواية ابن هشام :

إني تفرّستُ فيــك الخير نافلــةً
فراسة خالفت فيك الذي نظــروا
أنتَ النبيّ ومَنْ يُحرم نوافلــهُ
والوجْهَ منك ، فقد أزرى به القَدَرُ (٨٦)

وتمام القصيدة هي :

إني توسّمت فيك الخير نافلةً
والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ (٨٧)
فثبّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ
تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا
يا آل هاشم إنّ اللهَ فضَّلكــم
على البريّةِ فضلاً ما لــه غيَــــرُ

---

(٨٦) الاستيعاب (٩٠١/٣) والاستبصار (١٠٩-١١٠) .
(٨٧) في تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٣) : والله يعلم أني ثابت البصر » ، وما أثبتناه في أعلاه أصح ، والسبب واضح .

ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضهم
في جُلِّ امرك ما آووا ولا نصروا
فَخَبِّروني أثمان العَباء متى
كنتم بطاريق أو دانتْ لكم مُضَرُ
نُجَالِدُ الناسَ عن عرضٍ فنأسرهم
فينا النبيّ وفينا تنزلُ السُورُ
وقد علمتم بأنّا ليس يغلبنا
حيٌّ من النّاس إن عزّوا وإن كثُروا

وروي أنه لما قال : فثبّت الله ما آتاك من حسن » ، قال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : « وإياك ياسيِّد الشعراء » (٨٨) .

وعن أبي هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قل : « إنّ أخاً لكم لايقول الرّفث – يعني ابن رواحة وذلك لقوله :

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه
إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيتُ يُجافي جنبُه عن فراشِه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
وأعلم علماً ليس بالظنِّ أنني
إلى الله محشورٌ هناك وراجع (٨٩)

---

(٨٨) تهذيب ابن عساكر (٣٩٥/٧) وانظر طبقات ابن سعد (٥٢٨/٣) .
(٨٩) تهذيب ابن عساكر (٣٩٥/٧) .

وقال يبكي حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه الذي استُشهد في غزوة أحُد :

بكتْ عَينْي وحُقَّ لـها بُكاها
وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيلُ (٩٠)

على سدِ الاّله غَداةَ قالوا :
أحمزةُ ذاكُمُ الرجل القتيلُ

أصيب المسلمون بـه جميعاً
هناكَ وقـد أُصيبَ بـه الرَّسولُ

أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ
وأنت الماجِدُ البَرُّ الوَصولُ (٩١)

عليك سلامُ ربِّك في جِنَـانٍ
مُخَالِطِها نَعْيمٌ لايَـزُول

ألا يا هاشمْ الأخيـار صبـراً
فكـلُّ فَعَالكُمْ حَسَنٌ جميـل

رسـول الله مُصْطَبرٌ كريـمٌ
بأمر الله ينطقُ إذ يقـول

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنى لُؤَيّـاً
فبعدَ اليومِ دائلـةٌ تـدول (٩٢)

---

(٩٠) العويل : البكاء مع ارتفاع صوت .

(٩١) أبو يعلى : هي كنية حمزة رضي الله عنه ، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وكان كذلك يكنى : أبا عمارة ، وعمارة بنت له . والماجد : الشريف .

(٩٢) دائلة تدول : يريد دائرة الحرب .

وقَبْلَ اليومِ ماعرَفُوا وذاقــوا
وقائعُنا بها يُشْفَى الغليلُ (٩٣)
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بقَلِيبِ بَدْرٍ
غداةَ أتاكُمُ الموتُ العَجِيلُ (٩٤)
غداةَ ثَوَى أبو جَهْلٍ صَرِيعاً
عليه الطَّيْرُ حائمةً تَجُــولُ (٩٥)
وعُتْبَةُ وابنُهُ خرّا جميعــاً
وشَيْبَةَ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ (٩٦)
ومَتْرَكُنَا أُميَّةَ مُجْلَعِبّــاً
وفي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ (٩٧)
وهامَ بني رَبِيعَةَ سائِلُوهَــا
ففي أسيافنــا منهــا فُلُــولُ
ألا ياهِنْد فابْكِي لا تَمَــلِّي
فأنتِ الواله العَبْرى الهَبولُ (٩٨)
ألا ياهِنْدُ لا تُبْدِي شَمَاتــاً
بحمزة ، إن عِزَّكُمُ ذليــلُ (٩٩)

---

(٩٣) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو حزن . (٩٤) العجيل : العاجل السريع .

(٩٥) حائمة : تدور حوله ، تقول : حام الطائر حول الماء : إذا دار حوله . وتجول تجيء وتذهب . (٩٦) خرا جميعاً : سقطا على الأرض .

(٩٧) مجلعباً : معناه أنه ممتد مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الريح اللين . والنبيل : العظيم .

(٩٨) الواله : الشديد الحزن ، أو هي الفاقد . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : التي فقدت عزيزها .

(٩٩) سيرة ابن هشام (٣/١٤٨-١٤٩) ، وقال ابن هشام : أنشد فيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك « ولكن ابن إسحق نسبها لابن رواحة » .

وقال يبكي نافع بن بُدَيل بن وَرْقاء التي استشهد في سرية بئر معونة :

رَحِمَ اللهُ نافِعَ بنَ بُـدَيْلٍ
رحمةَ المُبْتَغِي ثوابَ الجِهـادِ

صابِرٌ صادقٌ وفِيٌّ إذا مـا
كثرَ القومُ قالَ قولَ السّدادِ (١٠٠)

وقال في بدرِ الآخرة :

وعَدْنا أبا سُفْيَانَ بَدْراً فلم نَجِـدْ
لميعاده صِدْقاً ومـا كانَ وافِيـا

فأقْسِمُ لو وافيتَنا فَلَقِيْتَنـا
لأبْتَ ذَميْماً وافْتَقَدتَ المَوَاليا (١٠١)

تركْنَا به أوصالَ عُتْبَةَ وابنِـه
وعَمْراً أبا جَهْلٍ تَرَكناهُ ثاويا (١٠٢)

عَصَيْتُمْ رسولَ اللهِ أُفٍ لدينكُمُ
وأمرِكُمُ السّيْءِ الذي كان غاوياً (١٠٣)

فاني وإنْ عَنّفْتُـوني لقائِـلٌ
فِدىً لرسولِ اللهِ أهلي ومـاليا(١٠٤)

---

(١٠٠) سيرة ابن هشام (١٨٩/٣) . (١٠١) افتقدت : فقدت. والموالى جمع مولى، ولها معان كثيرة ، منها ابن العم ، ومنها الناصر والمعين .

(١٠٢) الثاوي : المقيم ، تقول : ثوى بالمكان يثوى : إذا أقام به .

(١٠٣) أف : كلمة تقال عند استقباح الشيء وعند تعذره . وقوله : وأمركم السيء بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخففه ، كما قالوا ، هين، ولين ، وميت ، وقيل : الأصل في جميعها تشديد الياء .

(١٠٤) عنفتموني : لمتموني .

أطَعْنَاه لم نَعْدِلْهُ فينا بغيرِهِ
شِهَاباً لنا في ظُلْمَةِ اللّيْلِ هادِيا (١٠٥)

لقد كان شاعراً مجيداً ، حاضر البديهة ، يرتجل الشعر القويّ الرصين ، ويوظّف شعره في خدمة الاسلام والمسلمين ، فكان من شعراء الدّعوة المعدودين ، ومن أبرز شعراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والشعراء الاسلاميين.

٢. العالم

كان ابن رواحة يكتب في الجاهليّة ، وكانت الكتابة في العرب قليلة (١٠٦) كما ذكرنا ، وقد روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً (١٠٧) ، وروى عنه أيضاً : « نهانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب » (١٠٨) . وقال : « توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسح على الموقين (الخُفّين)»(١٠٩).

روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعن بلال المؤذّن ، وروى عنه ابن أخته النّعمان بن بشير بن سعد وأبو هُرَيرة وابن عبّاس وأنس ، وأرسل عنه عبدالرحمن بن أبي ليلى وقيس بن أبي حازم وعُرْوَة بن الزُّبير وعَطاء بن يَسار وزيد بن أسلم ، وعكرمة وأبو الحسن مولى بني نوفل وأبوسَلَمَة بن عبدالرحمن (١١٠) .

(١٠٥) قوله ولم نعدله : يريد لم نعدل به ، أي لم نجعله مع غيره سواء ، انظر سيرة ابن هشام (٢٢٣/٣) .

(١٠٦) طبقات ابن سعد (٥٢٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

(١٠٧) انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ٣٤٣) ، حديث صحيح ، وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

(١٠٨) أسند اليه الحافظ وإلى أسامة بن زيد عن بلال ، انظر تهذيب ابن عساكر(٣٩٠/٧) .

(١٠٩) تهذيب ابن عساكر (٣٩٠/٧) .

(١١٠) تهذيب التهذيب (٢١٢/٥) وانظر الاستيعاب (٨٩٨/٣) .

وحديثه في البخاري وسنن النسائي وسنن ابن ماجة ، انفرد له البخاري بحديث موقوف (١١١) ، روى حديثاً واحداً عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم (١١٢)، وكان من أصحاب الفُتْيَا من الصّحابة عليهم رضوان الله (١١٣) ، وكان يكتب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١١٤) .

٣- التّقيّ

كان ابن رواحة أحد شعراء رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم المحسنين ، الذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويردّون الأذى عنه، وفيه وفي صاحبيه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت: (إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصّالحاتِ ، وذَكَرُوا اللهَ كَثِيْراً ، وانْتَصروا منْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا) (١١٥) .

وروي عن أبي الدّرْداء أنّه قال : « رأيتنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في بعض أسفاره ، في اليوم الحار الشديد الحر ،حتى انّ الرجل ليضع يده على رأسه من شدّة الحر ، وما في القوم صائم إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعبدالله بن رواحة » (١١٦) .

وبكى يوماً ابن رواحة ، فبكت امرأته ، فقال : « مايبكيك ؟ » ، فقالت : « رأيتك بكيْتَ فبكيتُ » ، فقال : « إني قد علمتُ أني وارد النار فلا أدري أخارج منها أم لا » (١١٧) .

---

(١١١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٩٧) .
(١١٢) أسماء الصحابة الرواة – ملحق بجوامع السيرة (٣١٠) .
(١١٣) أصحاب الفتيا من الصحابة – ملحق بجوامع السيرة (٣٢٢) .
(١١٤) الاصابة (٤/٦٦) . (١١٥) الآية الكريمة من سورة الشعراء . (٢٢٦و٢٢٧) ، انظر الاستبصار (١٠٨) والاستيعاب (٣/٨٩٨) .
(١١٦) الاستيعاب (٣/٩٠٠) والاستبصار (١١٠) . (١١٧) الاستبصار (١١٠) .

وروى أبو هُرَيرة ، أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قال : « نِعْمَ عبدالله ابن رواحة » ، وعن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدركته الصّلاة َناخ (١١٨) » .

وكان ابن رواحة ، إذا دخل بيته صلّى ، وإذا خرج صلّى (١١٩) .

وعن أنس بن مالك ، قال : « كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفرٍ ، فأصابنا مطر ورداَغ (١٢٠) ، فأمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن نصلّي على ظهور رواحلنا ، ففعلنا . ونزل ابن رواحة ، فصلّى في الأرض ، فسعى به رجل من القوم ، فقال : يارسول الله ! أمرتَ الناس يصلّون على ظهور رواحلهم ففعلوا ، ونزل ابن رواحة فصلّى في الأرض ، فبعث اليه ، فقال : ليأتينكم وقد لقي حجّته ، فأتاه فقال له : ياابن رواحة ! أمرتُ النّاس أن يصلّوا على ظهور رواحلهم ، فنزلت فصليت في الأرض فقال : يارسول الله ! لأنّك تسعى في رقبة قد فكّها الله ، وإنما أنا نزلت لأسعى في رقبة لم تُفَكّ ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألم أقل لكم إنّه سيلقي حُجّته » ، وفي رواية أخرى أنه قال : « يارسول الله ! أنا لستُ مثلك ، أنت تسعى في عتق ، ونحن نسعى في رق » ، فلم يُعب عليه ما صنع (١٢١) .

وقال أبو الدَّرْداء : « أعوذ بالله أن يأتيَ يوم عليّ لاأذكر فيه عبدالله بن رواحة ، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثدييّ ، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفيّ ، ثم يقول : ياعُوَيْمر ! اجلس فلنؤمن ساعة ، فنجلس فنذكر الله ماشاء ، ثم يقول : ياعويمر ! هذه مجالس الايمان » (١٢٢) .

---

(١١٨) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٠).
(١١٩) الاستبصار (١١٠) .
(١٢٠) رداغ : جمع ردغة . الوحل الكثير .
(١٢١) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٠-٣٩١) .
(١٢٢) أسد الغابة (٣/١٥٧) .

وكان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : « تعال نؤمن بربنا ساعة » ، فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: « يارسول الله ! ألا ترى أنّ ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى ايمان ساعة » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « يرحم الله ابن رواحة ، إنّه يحبّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » (١٢٣) .

وأتى ابن رواحة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول : « اجلسوا » ، فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من خطبته ، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: « زادك الله حرصاً على طواعيّة الله وطواعيّة رسوله » (١٢٤) .

وتزوّج رجل امرأة عبدالله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه فقالت : « كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلّى ركعتين ، وإذا دخل بيته صلّى ركعتين لايدع ذلك » (١٢٥) .

ودفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى نفرٍ من أصحابه فيهم عبدالله ابن رواحة يذكّرهم بالله ، فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سكت ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ذكّر اصحابك» ، فقال: يارسول الله أنت أحقّ مني » ، قال : « أما إنّكم الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معهم » ، ثم تلا عليهم: (واصْبِر نَفْسَكَ مع الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) (١٢٦) ... الآية إلى آخرها ، ثم قال : « وما قعدَ عدّتكم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عددهم من الملائكة ، فان حمدوا الله حمدوه ، وإن سبّحوا الله

(١٢٣) تهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧) وانظر الاصابة (٦٦/٤) .
(١٢٤) أسد الغابة (١٥٧/٣) والاصابة (٦٦/٤) وتهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧) .
(١٢٥) الاصابة (٦٦/٤) .
(١٢٦) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ و ٢٨) .

سبّحوه ، وإن كبّروا الله كبّروه ، وإن استغفروا الله آمنوا، ثم عرجوا على ربهم فسألهم وهو أعلم منهم ، فقال : أين ومن أين ؟ فقالوا : ربنا عبيد لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك، قال : ويقولون ماذا ؟ قالوا : ربنا حمدوك فقال : أوّل مَن عبد ، وآخر مَنْ حمد ، قالوا : وسبّحوك ، قال : مدحي لا ينبغي لأحدٍ غيري ، قالوا ربّنا كبّروك ، قال : لي الكبرياء في السموات والأرض ، وأنا العزيز الحكيم ، قالوا : ربنا استغفروك، قال : إني أشهدكم أني قد غفرت لهم، قالوا : ربنا فيهم فلان وفلان ، قال : هم القوم لايشقى بهم جليسهم » (١٢٧) .

وقال ابن رواحة لصاحب له : « تعالَ حتى نؤمن ساعةً » ، قال : « أو لسنا بمؤمنين ؟ » ، قال : « بلى ، ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً » ، وكان يأخذ بيد الرّجل من أصحابه فيقول : « قم بنا نؤمن ساعة ، فنجلس في مجلس ذكر » (١٢٨) .

وقد نزلت الآيات الكريمة : (ياأيّها الذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولونَ مَالاَ تَفْعَلُون . كَبُرَ مَقْتَاً عندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُون . إنْ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقَاتِلونَ في سَبِيْلِهِ صَفَاً كأنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوْص) (١٢٩) في نفر من الأنصار، فيهم عبدالله بن رواحة ، قالوا في مجلسٍ : « لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت » ، فلما نزلت فيهم هذه الآيات قال ابن رواحة : « لاأزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » ، فقُتل شهيداً (١٣٠) .

---

(١٢٧) تهذيب ابن عساكر (٣٩١/٧-٣٩٢) .
(١٢٨) البداية والنهاية (٢٥٨/٤) .
(١٢٩) الآيات الكريمة من سورة الصف (٦١ : ٢-٤) .
(١٣٠) تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٧) .

وكانت له أَمَةٌ سوداء ، فغضب عليها ، فلطمها ، ثم إنّه فزع فأتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره خبرها ، فقال له : « ماهي ياعبدالله ؟ » ، فقال : « إنها تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّكَ رسوله » ، فقال : « ياعبدالله ! هذه مؤمنة » ، فقال عبدالله : « فوالذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها » ، ففعل ، فطعن عليه ناس من المشركين وقالوا : « نكح أَمَةً ! » ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم ، فأنزل الله فيهم : (وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ولو أَعْجَبَتْكُمْ) (١٣١) .

وبعث رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم ابن رواحة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة ، فقدّم أصحابه وقال لهم : « أتخلّف فاصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجمعة ثم « ألحقكم » ، فلما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رآه فقال : ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟! » ، فقال : « أردت أن أصلّي معك الجمعة ثّم ألحقهم » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم » ، وفي رواية قال: « لغدوة (١٣٣) في سبيل الله أو روحة (٣٣) ، خير من الدنيا وما فيها » ، وكان ذلك في غزوة مُؤتة ، فراح عبدالله منطلقاً (١٣٤) .

لذلك كان ابن رواحة ، أول خارج إلى الغزو وآخر قافل (١٣٥) ، فهو

---

(١٣١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٢١) ، وانظر ماورد عن ذلك في تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٧) .

(١٣٢) الغدوة : الخروج صباحاً . (١٣٣) الروحة : الخروج مساء .

(١٣٤) تهذيب ابن عساكر (٧ / ٣٩٢ - ٣٩٣) ، والحديث الأخير رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٣٠٩/٢-٣١٠) .

(١٣٥) الاستيعاب (٨٩٨/٣) وأسد الغابة (١٥٧/٣) .

صاحب المناقب المذكورة في الاسلام والأيام المشهورة (١٣٦) ، وكان من المجتهدين في العبادة (١٣٧) .

لقد كان تَقيّاً نَقيّاً ، صالحاً ورعاً ، بذل قصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في العبادات ، فكان صوّاماً قوّاماً ذاكراً لله شاكِراً لأنْعُمه ، وبذل قُصارى جهده في تطبيق تعاليم الاسلام في الجهاد ، فما تخلّف عن غزوة من غزوات النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أوّل خارج وآخر قافل ، وأخيراً بذل روحه رخيصة دفاعاً عن الاسلام، فوقع شهيداً في معركة مُؤتَة ، عليه رحمة الله .

الشهيد

استُشهد عبدالله بن رواحة في سرية مُؤْتَة التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنّة الثامنة الهجريّة ، كما ذكرنا .

ولم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها سنة مولد عبدالله بن رواحة ، كما لم أجد كثيراً عن أهله ، سوى أن أمّه كَبْشَة بنت واقِد الخزرجيّة وابنتها عَمْرَة بنت رَوَاحة الخزرجية ، كانتا من النساء المبايعات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٣٨) .

وعَمْرَة بنت رواحة ، أخت عبدالله بن رواحة ، هي زوجة بشير بن سعد وأم النُعمان بن بشير ، وهي التي ذكرها النّعمان في حديثه قال : « نحلني(١٣٩) أبي نخلاً ، فقالت أُمي عَمْرَة بنت رواحة : لا أرضى حتى يشهد عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم » .

---

(١٣٦) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٠) .

(١٣٧) الاستبصار (١١٠) .

(١٣٨) العبر (٤٢٠-٤٢١) . (١٣٩) نحلني : أعطاني .

وعَمْرَة هذه هي التي كان يشبِّب بها قيس بن الخطيم الأوْسِيّ قبل الاسلام ، وإيّاها عنى بقوله .

وعَمْرَة من سَرَوات النِّساء
تَنَفَّح بالمِسْك أرْدَانُها (١٤٠)

فما رَوْضَة من رياض القَطا
كأنّ المصابيح حَوْذَانُها (١٤١)

بأحسَنَ منها ولا مزنَة
دلوج تكشَّف أدجانُها (١٤٢)

وروى أنّ النُّعمان بن بشير دخل مجلساً فيه رجل يغني بهذا الشعر ، فأسكتوه حين دخل النعمان ، فقال النّعمان : « ماقال إلاّ حقاً ، ولم يقل سوءاً » (١٤٣) .

ولم يعقب ابن رواحة عليه رحمة الله (١٤٤) ، وقد رثاه حسّان بن ثابت شاعر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ورثى شهداء مُؤْتَة في قصيدة طويلة ، منها :

تَأَوَّبَني لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أعْسَرُ
وهَمٌّ إذا مانَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ (١٤٥)

---

(١٤٠) السروات : جمع سراة ، وهم الأشراف من القوم ، والاردان : جمع ردن ، وهو الطرف الواسع من الكم . وتنفح : تفوح .

(١٤١) رياض القطا : موضع ، والحوذان : نوع من الزهر بديع الألوان ينبت في البادية .

(١٤٢) المزنة : السحابة الممطرة . والدلوج : الواسعة الممتلئة . « أدجانها : ظلماتها » .

(١٤٣) الاستبصار (١١٢ – ١١٤) وانظر المعارف (٢٩٤) .

(١٤٤) أسد الغابة (١٥٩/٣) .

(١٤٥) تأوبني : عادني ورجع الى ، وأعسر : شديد العسر ، ومسهر : داع الى السهر ومانع من النوم .

لِذِكْرى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً
سفوحاً ، وأسبابُ البُكاءِ التذكّرُ
بَلَى إنَّ فُقْدانَ الحبيبِ بَلِيَّـةٌ
وكمْ من كَرِيمٍ يُبتَلى ثمَّ يَصْبِرُ
رأيتُ خِيَارَ المؤمنينَ تَوارَدُوا
شَعُوب وخَلْفاً بعدهم يتأخّرُ (١٤٦)
فلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تتابعوا
بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفـرُ
وزيدٌ وعبدالله حين تتابعـوا
جميعاً وأسـبابُ المَنيّة تَخْطُرُ

في قصيدة طويلة (١٤٧) .

وقال حسّان بن ثابت يرثي عبدالله بن رواحة ، وزيد بن حارثة الكلبي :

عَيْنُ جُودِي بدمعِكِ المنزُورِ
واذْكُرِي في الرَّخاء أهلَ القُبورِ (١٤٨)
واذكُري مُؤْتَةً وما كانَ فيها
يومَ راحُوا في وَقْعَةِ التّغْوِيرِ(١٤٩)
حين راحُوا وغادَروا ثَمَّ زَيْداً
نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسور (١٥٠)

---

(١٤٦) الشعوب : المنية . وخلفاً : الذي يأتي بعدهم .
(١٤٧) سيرة ابن هشام (٣/٤٤١) والبداية والنهاية (٤/٢٦٠) .
(١٤٨) المنزور : القليل ، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه .
(١٤٩) التغوير : الأسراع ، يريد الانهزام .
(١٥٠) الضريك : الفقير .

حِبُّ خيرِ الأنام طُرّاً جميعــاً
سيِّدِ الناسِ حُبُّــهُ في الصــدور
ذاكُمُ أحْمَدُ الــذي لا سِواهُ
ذاكَ حُزْني له معــاً وسُرُوري
إنَّ زيداً قــد كان منّا بأمْــرٍ
ليس أمْرَ المكذِّبِ المغْــــرورِ
ثُمَّ جُودِي للخَزْرَجِيِّ بِدَمْــعٍ
سيِّداً كان ثمَّ غير نَزُورِ (١٥١)
قــد أتانا من قتلهم ما كفانــا
فبحُزْنٍ نبيتُ غيْرَ سُرُورِ (١٥٢)

وقال شاعر من المسلمين ممّن رجع من غزوة مؤتة :

كَفَى حزَناً أنّي رَجعْتُ وجَعْفَرٌ
وَزَيْدٌ وعبدُاللهِ في رَمْسِ أَقْبُرِ
قَضَوْا نَحْبَهُمْ لمّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المُتَغَبِّرِ (١٥٣)
ثلاثــةُ رهــطٍ قُدِّموا فتقدّمــوا
إلى وِرْدِ مَكْروه من الموت أحمرِ (١٥٤)

والشعر في رثائه ورثاء شهداء مؤتة كثير.

---

(١٥١) أراد بالخزرجي عبدالله بن رواحة ، والنزور : القليل العطاء .
(١٥٢) سيرة ابن هشام (٣/٤٤٦) . (١٥٣) قضوا نحبهم : يريد ماتوا ، وأصل النحب النذر ، والمتغبر : الباقي .
(١٥٤) سيرة ابن هشام (٣ / ٤٤٦ - ٤٤٧) .

ومضى عبدالله إلى رحاب الله ، وبقي ذكره في بطون الكتب ، ومثله يستحق الثناء المستساب .

القائد

شهد ابن رواحة بيعة العَقَبة الثانية ، وكان ليلتئذ نقيب بني الحارث ابن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحُدَيْبيَّة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ غزوة الفتح ومابعدها ، فانّه كان تُوفي قبلها يوم مُؤْتَة ، وهو أحد الأمراء في مُؤْتَة ، وكان أوّل خارج إلى الغزوات وآخر قادم (١٥٥) .

وقال ابن رواحة : « لاأزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » (١٥٦) ، وكانت الشّهادة في سبيل الله من أعزِّ أمانيه (١٥٧) .

لقد كان من هواة الجهاد ، يحفزه اليه عقيدته الاسلاميّة ، ورغبته الصّادقة في نيل أجر المجاهدين في سبيل الله ، والشهداء لاعلاء كلمة الله ، فهو الذي شجّع المسلمين في سرية مؤتة على لقاء الكفّار ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والكفار مائتي ألف (١٥٨) : مائة ألف من الروم بقيادة هِرَقْل قيصر الرُّوم . ومائة ألف من العرب بقيادة رجل من بَلِيٍّ ثم أحد إراشَة يقال له : مالك بن زافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكّرون بأمرهم ، فشجّع الناسَ عبدالله بن رواحة وقال : « ياقوم ! والله إنّ التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشّهادة ، وما نقاتل الناس بعَدَد ولا قُوّة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانّما هي إحدى الحُسنَيين : إمّا ظهور ، وإما شهادة » (١٥٩) .

---

(١٥٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٦٥) . (١٥٦) تهذيب ابن عساكر (٧/٣٩٢) .
(١٥٧) الاستيعاب (٣/٨٩٨) . (١٥٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٦٥).
(١٥٩) سيرة ابن هشام (٣/٤٢٩-٤٣٠) .

ومهما قيل في مبالغة الذين سجّلوا تَعداد الروم وحلفائهم ، فانّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين ، بأنّ الروم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين ، كما أنّهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها ، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدتهم الرئيسة : المدينة ، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوق العَدَدِيّ والعُدَدي وفي قرب قواعد الروم إلى قوّاتهم المقاتلة ، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء .

وفي هذه الحالة ، وبمثل هذا الموقف ، وبموجب المقاييس الماديّة وحدها ، فانّ تشجيع المسلمين على اقتحام الروم وحلفائهم بالرغم من تفوّق الروم العَدَدي تفوقاً ساحقاً على المسلمين ، وقرب قواعدهم من قوّاتهم المقاتلة ، وخبرتهم الطويلة في فنون الحرب بشكل أفضل بكثير من خبرة أولئك المسلمين القادمين من أعماق الصحراء ، يمكن اعتباره بموجب المقاييس الماديّة وحدها مجازفة من المجازفات الخطيرة التي تؤدي الى التهلكة ، ويمكن اعتباره خطأً فاحشاً من الأخطاء العسكرية الفاحشة أيضاً .

ولكنّ المقاييس الماديّة تطبّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم أما الذين يحاربون حرباً عقائدية جهاداً في سبيل الله ، ودفاعاً عن عقيدتهم وعن حريّة انتشارها ، فلا تطبّق عليهم المقاييس الماديّة وحدها التي تطبّق على غيرهم في حروب استثماريّة أو توسعيّة أو من أجل أمجاد شخصيّة وأحقاد عنصريّة أو طائفية ، وعلى ذلك فلا تُطبق هذه المقاييس الماديّة على أمثال عبدالله بن رواحة ، لأنّهم كانوا يخوضون حرباً عقائدية لادخل للمادة فيها من قريب أو بعيد ، وإلاّ فماذا يمكن أن يقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة بالنسبة للمقاييس المادية وحدها ، وكان تفوق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الاشخاص وبنسبة مائة على واحد بالخيل والخيل أنجح سلاح في الحروب القديمة ؟ ؟ !

لقد حرّض عبدالله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراض عقائدية ، فكان تحريضه خطأً بالنسبة للمقاييس المادية ، ولكنه كان عين الصواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك .

وتشجيع عبدالله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم ، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع ، له دلالة لا يمكن أن يختلف فيها اثنان ، هي أنّه كان يثق ثقة عالية برجاله ، وأنّ رجاله كانوا يثقون به ثقة مطلقة ، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهم مزايا القائد المتميّز .

ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقة مطلقة عفواً وبدون أسباب ، كما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان لايولي المراكز القياديّة إلاّ لأشخاص لهم مؤهلات عالية ومزايا واضحة المعالم ، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يحرص أعظم الحرص على تولي الرجل المناسب للعمل المناسب تطبيقاً لتعاليم الاسلام في الولاية ، وثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعبدالله بن رواحة ، وثقة رجال عبدالله بن رواحة به ، أسبابها وحوافزها واحدة ، هي تمتّع عبدالله بن رواحة بالأضافة إلى عمق إيمانه بمزايا قياديّة أهّلته لأنّ يكون أحد قادة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأن يستحوذ على ثقة رجاله المطلقة .

ويمكن إيجاز مزاياه القيادية ، بأنه كان قادراً على إصدار القرار السريع الصحيح ، فهو من القلّة النادرة التي تحسن القراءة والكتابة ، في وقت كان لايحسن فيه القراءة والكتابة في المجتمع السائد حينذاك إلاّ القلائل الذين يعدّون على الأصابع ويشار إليهم بالبنان ، مما يدل على ذكائه الألمعي .

وكان شجاعاً مقداماً ، أثبت جدارة في كلّ الغزوات التي خاضها تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، كما كانت مهمّةُ تلك السرية مهمةً صعبة للغاية لايقدر عليها غير الفدائيين المغاوير الشجعان .

وكان يتحلّى بارادة قويّة ثابتة ، وقد ظهرت إرادته التي لاتتزعزع قُبَيْل سرية مُؤْتَة ، إذ تردّد الأكثرون ولم يتردّد الأقلّون، وعلى رأسهم عبدالله بن رواحة ، الذي أصرّ على مجابهة الرّوم وحلفائهم ، فكان له ما أراد .

وكان له نفسيّة لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، يحبّ رجاله ويحبونه . له شخصيّة قويّة نافذة ، وقابلية بدنيّة فائقة ، وماضٍ ناصع مجيد حسباً ونسباً وفي خدمة الاسلام والمسلمين ويتحلّى بأعلى درجات الضّبط المتين والطّاعة .

وكان يعرف مبادئ الحرب ويطبّقها بفطرته التي لا تخطئ ، فهو يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، لايحيد عنه أبداً ، ويسعى لتحقيقه بكل ما يستطيع من قوّة وجهد وعزم ، وكانت معاركه تعرضيّة كلّها ، لم يدافع أبداً ولم يطبق الدفاع في القتال .

وكان يطبّق مبدأ : المباغتة ، وقد باغت اليهوديّ ومَنْ معه ، فاستطاع التغلّب عليهم ، والقضاء على نشاطهم التخريبيّ .

وكان يطبّق مبدأ : الاقتصاد بالقوّة ، فهو يعتقد بحق أنّه ينتصر على أعدائه بقوّة عقيدته وضعف عقيدتهم لا بعَدَد أو عُدّة .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، لذلك استطاع أن يباغت أعداءه ، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه .

وكان يديم المعنويات ، بل كان بحق كتلة من المعنويات ، يقاتل بشعره كما يقاتل بسيفه ، ويرفع المعنويات بالعقيدة الرّاسخة والايمان العميق .

وكان يساوي نفسه برجاله ، ولا يتميّز عليهم بشيء ، ويستشيرهم في كلّ خطة يخطوها أو عملية ينفّذها .

تلك هي سماته القيادية التي جعلت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوليه مركزاً قيادياً ، وجعلت أصحابه يثقون به ويعتمدون عليه ، وهو حريّ بالثقة والاعتماد .

ابن رَوَاحَة في التاريخ

يذكر التّاريخ لابن رواحة ، أنّه شهد بيعة العَقَبَة الثانية في ضواحي مكّة مع الذين اسلموا من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، وأنّه بايع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في العقبة مع إخوانه المبايعين ، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اختاره ايلتئذٍ نقيباً على بني الحارث بن الخزرج قومه من الخزرج .

ويذكر له ، أنّه شهد بَدْرَاً وأُحُداً والخَنْدَق والحُدَيْبِيَة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضَاء والمشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ الفتح وما بعدها فانه توفّي قبلها بيوم مُؤْتَة .

وأنّه كان قائد سرية من سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أحد أعداء الاسلام والمسلمين من يهود ، فاستطاع إزاحته عن طريق الاسلام والمسلمين .

وأنّه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين سمّاهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في معركة مُؤْتَة ، وأنّه استُشهد في تلك المعركة التي خاضها المسلمون على الرُّوم وحلفائهم .

ويذكر له ، أنّه كان أحد الشعراء المحسنين الذين يردّون الأذى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والاسلام والمسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان صاحب مجالس الذكر ، يشجّع إخوانه على عقدها لتجديد حوافز الايمان .

ويذكر له ، أنّه كان من الصالحين الورعين التُّقاة الأبرار الصّحابة في علمه وعمله واجتهاده في العبادة .

رضي الله عن العَقَبيِّ النّقيب ، الصحابيّ الجليل ، القائد الشُجّاع ، الشاعر المجيد ، البطل الشّهيد ، عبدالله بن رَواحة الأنْصَارِيّ الخَزْرَجِي .

موادّ التجميل في الحضارة العربيّة

الدكتور جابر الشكري

(عضو المجمع)

خلق الله ، جلّت قدرته ، المرأة ، ويَسّرَ لها كلّ ماتُحب وتهواه ، وراحت هي أيضاً بوسائلها المُغْرية تُسَخِّر الرجل ليبتكر لها أشياء تَتَزَيّن بها وتتجمّل .

وعادة التجميل قديمة بقدم البشريّة نفسها ، وتختلف باختلاف الأزمان والأجناس والشعوب والقبائل . ونجد مثلاً ، آثار مواد التجميل باقية على وجوه المومياء المصريّة ، ونجد الكثير من أسمائها قد دُوّن في البرديّات المصريّة .

وفي وادي الرافدين نقرأ في الألواح الطينيّة وصفات عديدة لأسماء مختلفة لمواد التجميل وكيفيّة الحصول عليها من مصادرها الطبيعيّة وصناعتها .

إن استعمال مواد التجميل أي – التزَيُّن – مظهر من مظاهر الترف والاناقة ، وهي أمور لاتظهر عادة الاّ بين الشعوب المتقدّمة ، إذ هي دليلٌ ملموس على ارتفاع المستوى المعاشي والحضاري . ولنا في ذلك مثال في حضارتنا ، الحضارة العربيّة الخالدة ، التي خلّفت لنا تُراثاً زاخراً في كلّ ناحية من نواحي الفكر والفنّ .

لقد نالت مسألة مواد التجميل وصناعتها في الحضارة العربيّة قسطاً وافراً من الأهمية التقنيّة ، وراح الصنّاع يتفنّنون في صناعتها ، فأجادوا بها ، رغم

أنّها صناعة متعدّدة الجوانب ، ومصادرها كثيرة . فمنها ماكانت من مصدر حيواني ، ومنها ماكانت من مصدر نباتي ، وأخرى من مصدر معدنِيّ .

يذكر ابن الجوزي في « المنتظم » (١) أسواق بغداد ، ومنها « سوق العطّارين » الذي كانت دكاكينه غاصّة بمختلف أنواع العطور . ومن المؤكّد ان مواد التجميل كانت تباع في مثل هذه الدكاكين ، لأنّ — العطّار — هو الشخص المتخصّص ببيع مثل هذه المواد . والأرجح أنّه كان هو المُتَفَنِّن بعملها وتحضيرها .

والعطّار في عصر الحضارة العربيّة هو الشخص المسؤول عن العطّارين بمختلف أنواعها وأشكالها ، طبيّة كانت أم غير طبيّة . وقد نظّم العطّار العربيّ دكّانه ، فكانت حصيلة ذلك « الصيدليّة » كما نسميها الآن وصاحبها « الصيدلانيّ » . ويُحدّثنا التاريخ أن أوّل صيدليّة فتحت في العالم كانت في بغداد سنة ٦٢١ هـ ـــ ١٢٢٤ م . ومن بغداد انتشرت الصيدليّات . ثم تفرّعت بمرور السنين ـــ الى فرعين ، فرع تباع فيه المواد الطبيّة حصراً ، واطلق عليها ، في اللّغات الاوربيّة اسم « Pharmacy » وآخر تباع فيه العطّاريّات القديمة ومواد التجميل وغير ذلك في مثل هذه البضائع ، واطلق عليها اسم Droyerie أي محلّ بيع العطّاريات . (مخزن العطّاريات) .

ونقصر حديثنا على مجموعة من مــواد التجميل التي وردت في المصادر التاريخيّة العربيّة وهي تكوّن صنفاً مهمّاً من التقنيّات « الكيميائيّة » التي برزت بها الحضارة العربيّة . ويطلق عليها في العرف الكيميائي الحديث « Cosmeties » .

الكُحْلُ « الإثْمِدُ » (٢)

الكُحْلُ ، ويقال له الإثْمِدُ ، أُخذ من الثّمْد ، وهو الماء القليل . وذلك أنّه يُؤخذ قليلاً قليلاً ، ويُكْتَحَلُ به .

والإثمد في اللّغة حجر يتّخذ منه الكحل ، وقيل ضرب من الكحل ، وقيل هو الكحل نفسه . . . . ويقال للرجل يسهر ليله سارياً ، أو عاملا فلان يجعل اللّيل اثمدا أي يسهر ، فجعل سواد اللّيل لعينيه كالاثمد لأنّه يسير الليل كلّه في طلب المعالي . قال الشاعر : أبو عمرو :

كميش الأزار يَجْعَل الليل إثمداً
ويغدو علينا مُشْرِقاً غيرَ واجِم

والكحل مايُكتحل به ، قال ابن سيده : الكحل ما وضع في العين يشتفى به . ويقال كَحَلَ و كَحّل العين . وأنشد الشاعر « ثعلب »

فمالك بالسُّطان أن تَحمل القَذَى
جُفونُ عيون بالقَذَى لم تُكَحّل

إن عادة التكحّل قديمة جداً ، فقد وردت نصوص بابليّة وآشوريّة وفرعونيّة كثيرة حول الكحل . ويظهر سواد الكحل بصورة بارزة في عيون النساء ، والرجال أيضاً ، في الرسوم الأثريّة المنتشرة في المتاحف العالميّة .

ويروي لنا « المسعودي » (٣) في سياق كلامه عن قصّة زرقاء اليمامة المشهورة واستعمالها للأثمد ، حيث يقول :

« ولمّا فرغ حسّان من جديس دعا باليمامة بنت مرّة ، وكانت امرأة زرقاء ، فأمر فنزعت عيناها ، فإذا في داخلها عروق سود ، فسألها عن ذلك فقالت : حجر أسود يقال له الأثمد . كنت أكتحل به ، فنشب الى بصري وكانت هي أوّل من اكتحل به ، فاتّخذوه بعد ذلك كحلا ...

وممّا يذكره الدكتور أحمد سوسة (٤) عن حضارة الهكسوس وثقافتهم « وقد ورد في الكتابة الهيروغليفيّة التصويريّة التي يحملها أحد الموظفين

المصريين بيده مايشير الى أن هذه الجماعة من « سكّان الرمال » وقد جاءت الى مصر وهي مؤلفـة من ستة وثلاثين شخصاً من نساء وأطفال ورجال يرأسهم الشخص المسمى « أبيشاي » وقد جاءوا بهدايا معهم الى الحاكم منها كميّة من مادة « الكحل » التي تصبغ بها أهداب العين الى زوجته . وقد سُمّي « الكحل ستيبيم » .

من المعروف أن رواية الهكسوس تقع بعد رواية زرقاء اليمامة ببضعة قرون ، ممّا يستدل أن الهكسوس نقلوا الأثمد معهم من الجزيرة العربيّة . وهنا يرد السؤال ، هل أنّ الأثمد كان يُستخرج من مكان ما من الجزيرة العربيّة ، أم يُؤتى به من مكان آخر ؟

توجد في أحد المناحف الأمريكية آنية أكديّة (٥) (حوالي ٤٠٠٠ ق.م.) مصنوعة من معدن الأنتيمون الخالص ، وهذه اشارة الى احتمال وجود هذا المعدن في مناطق ليست بعيدة عن موطن الأكديين (أور) وكذلك الى احتمال تعدين الأثمد (كبريتيد الأنتيمون) .

لقد أصبحت العيون الكحيلة من الصفات المستحبّة في المرأة في العصر الجاهلي — وحتّى الآن — قال زهير بن أبي سُلمى :

وناظرتين تطحـــران قذاهمـــا

كأنّهما مكحولتـان بأثمـد (٦)

وعند ظهور الاسلام أقرّ النبي الكريم (ص) التكحّل ، بل وحبّذ المسلمين على استعماله . وورد في الحديث الشريف « عليكم بالأثمد فانّه يجلو البصر » وكان يكثر التكحّل حتى أنه كان يكتحل وهو صائم (٧) .

وفي العصر الأموي عُدّ الكحل من أزين الزينة ، وتشير مصادرنا أن عبدالله بن جعفر قال لابنته حين جهّزها « أيّاكِ والغيرة ، وعليكِ بالكحل فانّه أزين الزينة » . واستمرّ اعتبار الكحل في العصر العباسي من أزين زينة

المرأة . فقد جاء مثلاً ، في حديثٍ لأبي الأسود مع ابنته مخاطباً ايّاها « عليك بالزينة وأزين الزينة الكُحْلُ .... » (٨) .

لقد كان الكحل من أهم المستحضرات التي اهتم بها العطّارون . فقد تفنّنوا في صناعته وطرق استعماله . وصنعت المكَاحِلُ لحفظه وبأشكال جميلة ومن مواد ومعادن مختلفة ، فمنها ماكان يصنع من العاج الثمين ، ومنها من الذهب أو الفِضّة ، وكانت المكَاحِلُ تُرَصّعُ بالأحجار الكريمة ذات الألوان الخلاّبة . وقد أصبحت عادة التكحُّل من العادات المستحبّة عند الرجال أيضاً ، ومظهراً من مظاهر الاناقة .

بحث « ابن البيطار » (٩) وغيره من أصحاب كتب المفردات ، الأثمد بحثاً مفصلاً ، فلخّص ماجاء به « أرسطو » حيث قال : هو حجر يخالطه الرصاص في جسمه ... واذا جعل مع الفضّة كسرها (تتكون سبيكة رَخْوَة) وله معادن بأكناف المشرق ، وأنه نافع للعيون ونافع في كثير من الأكحال . ويقوّي أعصاب العين ، وينفع العجائز والمشايخ والذين ضعفت أبصارهم من الكبر اذا جعل فيه شيء من المسك .

الكحل هو كبريتيد الانتيمون الطبيعي ، والمشهور منه الكحل الاصفهاني ، او الكحل الأسود . وتوجد خامات الانتيمون Antimon في الطبيعة بأشكال مختلفة، وأقدمها وأهمها هو الخم المعروف باسم Spiessglanz او Grauspiessglanz وهو الذي أطلق عليه اسم « الاثمد » . ومن الناحية الكيميائية هو ثالث كبريتيد الانتيمون Sb_2S_3 ومن المعروف ان القدماء كانوا يطلقون اسم « المعدن » على « الخام » لأن اغلب المعادن التي كانت معروفة ليست بصورتها النقية (طبعاً عدا الذهب ، والفضة احياناً) .

يرمز لعنصر الانتيمون Sb مأخوذ من اسمه اللاتيني Stibium — ستيبيم — وكان هذا الاسم يطلق على الخام نفسه وهنا يرد التعليق على هذه

الكلمة . فقد ذكر ان الهكسوس أطلقوا اسم « ستيبيم » على الأثمد ، وهو اسم مصدره الجزيرة العربية ومعنى ذلك ان الاسم Stibium ليس لاتينياً بل أدخل الى اللاتينية ، وهناك كلمات كثيرة ترد في الكيمياء تعد كلمات لاتينية بحتة ، ولكن لو تعمقنا بتدقيقها لوجدناها غير ذلك .

لقد نقل العرب علوم اليونان الى اللغة العربية ، وقالوا هذا الموضوع نقل عن ارسطو او افلاطون مثلاً . وقالوا هذه كلمة يونانية عربناها ، واذا لم يجدوا الكلمة المناسبة في العربية ، كتبوا الكلمة اليونانية بحروف عربية وقالوا عربناها بهذه الصورة . وعندما نقلت العلوم من العربية الى اللاتينية شوهت الحقائق وطمست معالم وآثار علمية كثيرة قام بها العرب ولا نريد ان ندخل في هذا الباب الآن ، والشواهد كثيرة جداً . ان كشف المزيد من معالم الحضارة العربية ومآثر العلماء العرب والمسلمين منوط بمساعي وجهود هذا الجيل الصاعد من ابناء هذه الامة العريقة ، وهم علماء المستقبل ومعلمو الاجيال .

اما كلمة « انتيمون Antimon » فيقال ان واضعها شخص اسمه « قسطنطين الافريقي Constaninus Africanus » وهناك تكهنات كثيرة حول الاسـم . ولكن الكيميائي الالماني الشهير H. Remy « ريمي » يذكر ان التسمية « انتيمون » جاءت متأخرة ، ويعتقد انها عربية الاصل (١٠) . كما ان المؤرخ الدكتور فيليب حتي أيد ذلك (١١) .

وبهذه المناسبة لابد ان نشير الى ان صياغة (الميناء » على ايدي صابئة العراق قديمة جداً ، وهي كما يعرف الكيميائي أغلبها من الانتيمون .

لايزال الاثمد « الكحل » وبخاصة في الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي يستعمل بكثرة عند العامة من الناس ، ويطلق عليه هناك وفي العراق أيضاً ــ اسم « كحل مكة » ومن الناحية الطبية يفضل عدم استعماله ، حتى لو كان محضراً بالمعامل الكيمياوية . وقد استعيض عنه بمواد التجميل الحديثة .

فالكحل الطبي الذي يصنع في مصانع مواد التجميل هو غير الأثمد القديم ، ولكن لايستبعد أن يدخل في تركيبها .

الدَّيْرَم

الديرم قِشْرة أغصان شجر الجوز . تُؤخذ قطعة صغيرة من القشرة ، وتضعها المرأة فوق الشفاه وتتركها فترة من الزمن ، فتصبغ الشفاه بلون بُنيّ مائل الى الحُمْرة . ويكون اللّون فاتحاً أو غامقاً بحسب نوعيّة القشور وجودتها ، وكذلك بحسب الفترة الزمنيّة التي تُترك فيها القشرة على الشفاه . وهذه عادة قديمة جداً ، وقد عرفتها النساء منذ زمن بعيد .

وتوجد أنواع كثيرة من قشور الأشجار والنباتات تستعمل للديرم ، ولكن اشهرها وأكثرها استعمالاً عند النساء هي قشور شجر الجوز ، ولا تزال تستعمل حتّى الآن عند البسطاء من الناس . وتُباع مثل هذه القشور عند العطّارين ، ونشاهدها في دكاكينهم في « سوق الشورجة » مثلاً .

إن الصبغة التي في قشور الجوز تُؤثّر في المواد الزلاليّة (أي اللّحم) فتصبغها بلون ثابت ، يبقى عدّة أيّام ، يَخفُّ تدريجياً . وهذا عكس ما يحصل في « أحمر الشّفاه الصناعي » إذ يمكن إزالته بسهولة ، ذلك لأنّ الصبغ خارجي ، ولا يتفاعل مع المواد الزلالية .

ورد في لسان العرب : الدّارِمُ ــ شجرٌ شبيه بالغَضَا ، ولونه أسود ، يَسْتاكُ به النساء فيُحَمِّر لِثاتهنّ وشِفاهَهُنّ تحميراً شديداً ، وهو حريفٌ ، رواه أبو حنيفة ، وأَنْشَدَ :

إنّما سَلَّ فـؤادي دَرَمٌ بالشّفتين

(الدّارِم هو الديرم . إن بعض القبائل العربيّة تلقب الألف ياء . دَرَمٌ أي الصبغ الأحْمَر) .

وجاء في تاج العروس : جَوْزٌ ثمرٌ معروفٌ ، وهو الذي يُؤكل – مُعَرَّب– وقد جرى على لسان العرب وأشعارها ويقال جَوْزةٌ وجوزات . وشجر الجوز كثير بأرض العرب ، وخشبه موصوف بالصلابة .

يُسمّى شجر الجوز بالانكليزيّة Walmuttree ، وبالألمانيّة Walmuss Baum . وهو أنواع كثيرة،ومنها الجوز المعروف باسم « جوزأرمد » واسمه العلمي ((Juglans Cinerea)) من العائلة الجوزيّة ((Juglandacea))

لقد استطاع الكيميائيون الحصول على مواد كثيرة من قشور الجوز ، والأجزاء الخضرة من الشجر ، ومن اهمّ هذه المواد صبغ أحمر بُنّيّ اللّون ، أطلق عليه اسم « يوكلون Juglone » وهذا الصبغ هو الذي يُؤثّر على الشفاه ، أي يتفاعل مع الزلال ، ويصبغها وقد عرفوا الصيغة التركيبيّة لهذا الصبغ أيضاً ، وهي

٥– هيدروكسي – ١ر٤ – نفتوكينون

HO–C₆H(OH)₃–CO·CH=CH–C₆H₄–OH

5- Hydroxy - 1,4 - maphtochinome.

الحِنّاءُ

الحِنّاء معروفة منذ زمن بعيد جداً ، وكان الفراعنة يستعملونها في تحنيط موتاهم.وقد وجدت آثارها في مقابر « الهوّارة » واستعملوها أيضاً خضباً للأيدي والأرجل والشعر .

وممّا جاء في لسان العرب في مادة « خَضَبَ » : الخِضاب : مايُخْضَبُ به من حِنّاءٍ ، وكَتَمٍ ونحوه . وفي الصحاح : الخضاب مايُخْتَضَبُ . واخْتَضَب بالحنّاء ونحوه ، وخضب الشيءَ يخضبُه خضباً ، وخَضَّبه: غيرّ لونَه بُحمْرةٍ أو صُفْرةٍ أو غيرهما ، قال الأعشى :

أرى رَجُلاً ، منكم ، أسيفاً ، كأنما
يَضُمُّ ، الى كَشْحَيْهِ ، كفاً مُخَضَّبا

وخَضَب الرَّجلُ شَيْبَه بالحِنّاء يخضِبُه ؛ والخِضابُ الاسم . قال السهيلي : عبدالمُطّلب أوّل من خَضَب بالسّوادِ من العرب. ويقال اخْتَضَبَ الرَّجل واختَضَبَتْ المرأة .

وجاء في تاج العروس: حِنّاء بالكسر والمدّ والتشديد ، معروف ، وهو الذي أعَدّه الناس للخضاب .

وقد ذكرت الحنّاء ، وذكر الخضاب في الأشعار الجاهليّة ، وتغزّل فيها الشعراء (١٢) ، كقول « علقمة الفحل » الذي قال :

كأنَّ دماء الهاديات بنحـــره
عصارة حنّاء بشيب مُخضّب

وقال كعب بن الأشرف في الكَتَم :

صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذي القوارير والحنّاء والكتم

وقال زهير بن ابي سلمى :

وكأنّها يـوم الرحيل وقد بــدا
منهــا البنــان يزينــه الحنــّاء

وقال شاعر جاهلي ، في الخضاب والكُحْل :

وما غرّني إلاّ خضابٌ بكفّها
وكُحلٌ بعينيها وأثوابُها الصُفْرُ
وجاءوا بها بَعدَ المحاقِ بليلةٍ
فكان محاقاً كلّه ذلك الشهرُ

وقد أقرَّ الرسول الكريم (ص) الخضاب بالحنّاء والكتم ، وروي عنه (ص) قوله « أن أحسن ماغيّرتم به الشيب الحنّاء والكتم » ويذكر أنّه (ص) قال : « عليكم بالحنّاء فانّه خضاب الاسلام » (١٣) .

وذُكر في القاموس المحيط : الكتَمُ مُحرّكة والكُتمانُ بالضم ، نبت يخلط بالحنّاء ويُخضب به الشعرُ ، فيبقى لونه . وأصله اذا طُبخ بالماء كان منه مداد للكتابة .

وجاء في لسان العرب : الكتَمُ بالتحريك : نبات يخلط مع الوَسْمة للخضاب الأسود . الأزهري الكتَمُ نبتٌ فيه حُمرة . وروي عن أبي بكر (رضي) أنّه كان يختَضبُ بالحنّاء والكتَم . وفي رواية : يصبغ بالحنّاء والكتَم ؛ قال أميّة بن أبي الصلت :
وشَوَّذَت شَمْسُهمْ إذا طَلَعَتْ
بالجُلب هِفاً كأنّه كتَمُ

لقد ذكرت الحنّاء في كل كتب المفردات ، وابتداءً من « ديسقوريدس » وأسهب المؤلفون في وصفها ، واستعمالها في تحضير الأدوية . فنذكر « داود الأنطاكي » (١٤) على سبيل المثال لا الحصر :
« شجر الحنّاء ، باليونانية — فيْغرس — له ورق كورق الزيتون ، ولكنّه أعرض يسيرا . . . . وهو سيّد الخضاب . . . يطرد الحرارة ويفتح السدد ، ويذهب اليرقان والطحال ، ويُفتّت الحصى ، ويدر البول . . . الخ . وبالسمن يقطع الجرب المزمن . . . . الخ .

واشجار الحنّاء تُعمّر سنوات عِدّة، خشبها صلب ، وجذورها حمراء ، ولها أزهار تُسمّى « تَمُرْ حِنّا » وتنمو الأشجار في الهند وايران وبعض البلدان الافريقيّة ، وتكثر زراعتها في جنوب مصر . وقد نجحت زراعتها في منطقة البصرة في السنين الأخيرة .

ولابُدَّ لنا من قول في الكَتَمِ .

الكَتَمُ ، ويُسمّى فلفل القرود ، وهو شجر جبلي شوكي ، ثماره مُقيّئة ، والمحمّص منها قابض . يُتّخذ من جذوره صباغ أزرق جميل يدخل في صناعة الحبر . وأوراقه تخلط مع الحنّاء في تخضيب الشعر باللّون الأسود . ويُسمّى الكتم في اللّغة الانكليزية « ((Randia)) » (١٥) .

تحضر الحنّاء المعروفة في أسواق العطّاريات بتجفيف الأوراق الطريّة والأغصان الغضّة والقُمم الزهريّة ثمّ تطحن هذه جيداً ، فيحصل من ذلك طحين أخضر اللّـون أو أخضر مائل الى الصُفرة ، رائحتـه طيّبة عطريّة .

وتدخل أزهار الحنّاء « تَمُرْ حِنّا » في صناعة العطور ومواد التجميل الحديثة .

ويعمل من مسحوق الحناء الأخضر عجينة بالماء ، وتُلَطّخ بها الأيدي أو الأرجل أو الاظفار أو الشعر ، وتترك بضع ساعات ، ثمّ يُغسل الموضع الذي كانت عليه العجينة ، فيلاحظ أنّه قد صبغ بلون أحمر ، مع ترك رائحة طيّبة مقبولة تبقى بضعة أيام أمّا الصبغ فيبقى مدّة أطول ، قد تصل الى أسابيع عِدّة .

إن خضاب الحنّاء مفيد جداً ، ضدّ تقشّعات الأقدام ، وكثرة العرق ، ذلك لأنّه يحتوي على مادة دابغــة ، هي حامض العفص ((Tannic Acid))

والدباغ نفسه ((Tannin)) وهــذا يقــوم بدباغة خفيفة ، ممّا يؤدي ذلك الى ايقاف نضوح العرق .

والحنّاء تحتوي على مواد عطريّة أيضاً ، لذا فانّها تلطّف الرائحة ؛ ويُنصح بخضاب الأرجل بالحنّاء في أيام الصيف خاصة ، لمنع نضوح العرق وتطييب رائحة الأقدام .

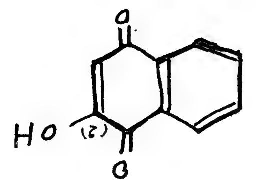
وعادة الخضاب بالحنّاء معروفة منذ أقدم الأزمان ــ كما ذكرنا سابقاً ؛ ولا زالت مستعملة ، خصوصاً بين سكان القُرى والأرياف لصبغ الاظفار والأيدي والأرجل . أما صبغ الشعر بالحنّاء فمستعمل بكثرة كثيرة بين جميع الطبقات تقريباً . وهذا الصبغ يدخل في تركيب الأصباغ الكيميائية الحديثة أيضاً . ويُعَدّ الخضاب بالحنّاء من المُستحبّات الشرعيّة ، ونعم ذلك ففيها التجميل والنظافة والتَطيّب . ولا سيما في مناسبات الفرح ، كأيام الأعياد والأعراس ، وكذلك زينة للأطفال ؛

وتُخاط الحنّاء مع صبغــة « النيل ، أو النيلة أو العِظْلِم ، Indigo » فتصبح صبغة جديدة ، سوداء تستعمل في صناعة الشــعر ، وتعرف عنــد العطّارين باسم « حنّه و وَسْمَه » حيث يُصبغ بها شعر الرأس واللّحية . وهذا الخضّاب مُفَضّل لدى كثير من الناس ومُحبّبٌ لكبار السّن والشيوخ ، ومنذ العصور القديمة ــ كما قلنا سابقاً ــ ولقد وجد أثرٌ لهذا المريج في اظفار مومياء « هنتاري ورمسيس الثاني وكذلك في شعرهما (١٦) .

تُسمّى الحنّاء في كلّ اللّغات الأوربية ((Henna)) والاسم عربيّ لم يتغيرّ .

واسمها العلمي ((Lausonia)) وقد درست من الناحية الكيميائية ، وعرف الصبــغ الموجود فيها ، وكذلك صيغته التركيبيّة ، وسُمي « لوسون Lawsone » وهو صبغ برتقالي اللّون ، سهل الذوبان في الماء .

والصيغة الكيميائية لصبغ اللّوسون تشبه تماماً صيغة صبغ الديرم ، عدا موقع الهيدروكسيل فيكون في ذرة الكربون رقم (٢) ويقرأ : ٢– هيدروكسي – ١ر٤ – نفتوكينون



2 — Hydroxy - 1,4 - naphthochinone

العُصْفُر

كانت النساء العربيّات يستعملن عصارة نباتات مُعيّنة لتجميل الخدود. ومن أشهر هذه النباتات هي نبتة« القُرْطُمْ » وتحمل هذه النبتة زُهيرات جميلات صُفر الألوان تعرف باسم« العُصْفُر » وقد سمّاه العرب بأسماء عدّة ، منها الإحْرِيض ، والخَرِيعُ ، والمُرَيِّق ، والبَهْرَم ، والبَهْرمان، وزعفران كاذب . . . . الخ . ويقال عَصْفَرْتُ الثوب أي صبغته بالعُصْفُر.

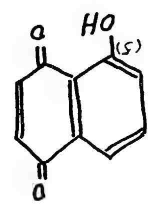
ويستخرج من العُصْفر صبغة حمراء اللّون ، راتِنجيّة القوام، يصنع منها عجينة ، وذلك بمزج الصبغة مع قليل من الطحين والعسل وصَمْغ نباتيّ . وتستعمل هذه العجينة لتحمير الخدود عند النساء . وهي بمثابة « الحُمْرة » كما يصطلح عليها الآن . وقد سميّت النبتة « العصفر » في بعض البلدان العربيّة باسم « حُسْن يوسف أو ستّ الحُسْن » وهذا غير صحيح (١٧) .

ويُعتصر من القرطم زيت يدخل في صناعة الصابون . وحبّه يستعمل في تلوين الأطعمة والمُخلّلات (الطُرْشي) ويُغشّ به الزَعْفُران الغالي

الثمن . والقرطم من العطاريّات المهمّة ، فهو من البهارات الطيّبة الرائحة والمذاق . ويدخل في تحضير بعض الأدوية ، وقد دُرس في كتب المفردات الطبية العربيّة دراسة جيدة (١٨) .

والاســم العلمي للعصفر أو القرطم هو ((Carthamus Tinctoria)) وله أسماء عدّة في اللّغتين الانكليزيّة والألمانية .

فيقــال له بالانكليــزية مثــلا ، Carthame أو False Saffron أو Saffron this Tle . وبالألمانية Färbersafflor أو Bastardsafran .
وكان هذا الصبغ يستعمل بكثرة في صباغة المنسوجات القطنيّة والحريريّة . وقد عرف الكيميائيون صيغته التركيبيّة ، وأمكن تحضيره في المختبر أيضاً . شكل ٣ .



الإسْفيداجُ

الإسفيــداج هو أحــد خامات الرصاص الطبيعيّــة ((Cerussit)) وهو كربونات الرصاص القاعديّة :

$$Pb(OH)_2 \cdot 2PbCO_3 = Pb_3(CO_3)_2(OH)_2$$

وقد عُرف في حدود القرن السادس ق . م ، وربّما قبل هذا التاريخ . وقد أطلق عليه العرب اسم « الأسْرُب أو الأبّار – مُعَرَّب » .

والإسفيداج أو الإسفيذاج أو الإسبيداج كلمة مُعَرّبة ومعناها « رماد الرصاص » ويُسمّى بالانكليزية Ceruse أو White Lead وبالألمانيّة Bleiweiss أو Weissbleierz ومعنى كلّ هذه الكلمات « أبيض الرصاص » .

يؤخذ الاسفيداج ويخلط مع قليل من الزيت أو الصَمْغ الخفيف ، وتُعمل منه عجينة أولا ، ثمّ تحوّل العجينة الى أقراص ، بيضاء اللون ، وتترك في الهواء فترة من الزمن حتّى تصل الى درجة الجفاف تقريباً وقد يخلط عطرٌ مع العجينة لتطييب الرائحة وتباع بهذه الصورة عند العطّارين . ونشاهد مثل هذه الاقراص حتّى الآن في الأسواق الشعبيّة وتُسمّى « سبْداج » .

وعند الاستعمال يُمْسَحُ قرص الاسفيداج بقطعة من القطن أو الخام ، فيتعلّق فيه « الرماد الأبيض » وتُلطّخ به الوجنتان والوجه . وهذا يقوم مقام « البودرة » المعروفة في الوقت الحاضر . ولا تزال نرى استعمال السبداج عند النساء في الأوساط الشعبيّة والقرى والأرياف حتّى يومنا هذا .

قلنا ان الاسفيداج أحَد خامات الرصاص الطبيعيّة (كربونات الرصاص القاعديّة). وقدذُكر في كتب المفردات كلّها، حتى أن«ابن البيطار»(١٩) أسهَبَ في وصف تحضيره أيضاً . وذكره « القزويني (٢٠) وممّا قاله : حجر الاسفيداج هو رماد الرصاص القلعي . . . ينفع من حروق النار إذا طُلي ببعض الأدهان . . . ويُستعمل الاسفيداج في الطب الحديث قابضاً مُسَكّناً في شكل مرهم في التقرّحات والأسطحة الملتهبة وتُصنع منه مراهم (لصقات) (٢١) .

السِّواكُ وتنظيف الاسنان

جاء في لسان العرب: سوك: السَّوْكُ: فِعلُكَ بالسِّواك والمِسْواك. وساك الشيء سوكاً: دَلَكَهُ، وساكَ فَمَه بالعود يَسُوكه سَوْكاً؛ قال عديٌّ بن الرِّقاع:

وكأنَّ طعمَ الزَنْجَبيلِ وَلَذَّةً
صَهْباءَ، ساكِ بها المُسَحِّرُ فاها

ويُقال إمرأة عَطِرة مَطِرةٌ بَضَّةٌ مَضَّةٌ. والمَطِرة الكثيرة السِّواك.

والسِّواك مايُدْلَكُ به الفمُ من العيدان. والسِّواك: كالمِسْواك، والجمع سُوُكٌ: مَساويك. (وهو العود الذي تُنظّف به الأسنان).

توجد أشجار كثيرة تكمن فيها زيوت طيّارة، ومواد عطريّة طيّبة الرائحة. وفيها فوائد طبيّة أيضاً. ومن هذه الأشجار شجرة الأراك أو الأرك، وتُسمّى شجرة السواك. واسمها العلمي ((Salvadora Persiea)) واسمها بالانكليزيّة toothbrush - tree (شجرة فُرشة الأسنان) وبالألمانيّة ((Senfkorn)).

لقد ذُكر الأراك في كلّ كتب المفردات العربيّة. وممّا قيل عنه: قشور جذو السواك حريفة مُنفِّطة، والأوراق مسهلة، ترعاها الابل، والثمار عنقوديّة تُباع في المتاجر اسوة بعناقيد العنب. والفروع تستعمل سواكاً للأسنان. ولذا سُمّيَ سِواكاً أو مِسْواكاً (٢٢).

ويُتّخَذُ من سيقان شجر الأراك الغضّة عودٌ تُفْرك به الأسنان للتنظيف وتُطيّب رائحة الفم أيضاً. وهذه عادة قديمة جداً ومعروفة عند العرب، ولا يزال المِسْواك يستعمل عند سكّان الجزيرة العربيّة بكثرة كثيرة. وقد استعمل العرب مواد أخرى لتنظيف الفم والأسنان.

حدّثني عطّار طاعن بالسّن ، فقال : كُنّا نشير على من كسان في أسنانه سواد أو وسخ أن يفركها بخليط من المِلْح ومَسحوق الفحم . قلت : أي فحم ؟ قال : أياً كان ، ولكنّ الأفضل أن يُؤخذ الفحم الذي يحصل عليه من حَرْق العظام . فشكرته ، وقلت له ، هذا ماكنت أتوقّعه وبه نلتُ مطلبي . فالملح من الناحية الطبيّة قابض astringent ؛ لأنّه يمتص السوائل hygroseopic ، والفحم فيه خصيصة القَصْر واجتذات الأوساخ الملونة .

قلت : وهل يمكنك أن تقول ، متى عرفتم أو سمعتم بتراب العظام المحروقة . قال : هذا ماكنت أسمعه عن أبي وجدّي وكانا من العطارين المشهورين . ولا أدري من أين سمعا ذلك .

لقد أفادنا هذا الحديث لربط عمليّة التنظيف بفحم العظام بعملية تنقية المواد الكيميائيّة . ونوجزها :

يستعمل فحم العظام في الكيمياء في عمليّات التنقية والتبَلْوُر Crystallization لازالة الشوائب والمواد الملّونة من المواد التي يُراد تنقيتها وتنظيفها (وفي الصناعة أيضاً يستعمل الفحم الحيواني ، ومنه فحم العظام ، مثال ذلك تصفية السُّكّر الخام الذي يُقْصر بالفحم أو غيره) .

ويطلق على هذه العمليّة المصطلح « إمتزاز ((adsorbtion)) وقد اكتشفت خاصيّة فحم العظام هذه منذ مدّة لاتزيد على المئة والعشرين سنة . ويتضّح من حديث الشيخ العطّار أنّها معروفة قبل هذا التاريخ ، وربّما كانت معروفة عند الكيميائيين والصنّاع العرب ، واستعملوها ولكنّهم لم يُدخِلُوها في مدخل الكيمياء .

ومن المواد المنظّفــة التي كانت متداولة عنــد العرب النبتة المعروفة باسم « عاقر قَرْحا » أو « عُود القَرْح » ويُسمّى « تاغَنْدَست » أو « أصل الطرخون الجبليّ » .وهذه العشبة من جنس البابونّج « البيبون » واســمها العلمي Anacyclus Pyruthrum واســمها بالانكليزيّة « ورد البعوض Insect Flowers ، أو Pellitory of Spain أو Alexander's foot . وتُسمّى بالألمانيّة Speichelwurz أو Alexanderfuss .وقد استخلص من العاقر قرحا مواد كيميائية عِدّة،أهمها المادة المعروفة باسم Pyrethrim(٢٣) ، وهي مادة معقّدة التركيب ، تدخل في تحضير مواد طبيّة كثيرة ، خاصّة مواد التعقيم وعمل المراهم ، ويعمل منها مرهم ضد الجرب .

قال ابن البيطار وغيره من العشّابين (٢٤) والأطباء العرب : عاقر قرحاً يسكن وجــع الأسنان الحادث من البرودة ، وينفع من النافض والقشعريرة الكائنة بأدوار (ويُقصد بها الملاريا) إذا دُلك به البدن كلّه قبل نوبةالحمّى مع الزيت . . . الخ .

وتدخل جــذور العاقر قرحا المجفّفــة ، وكذلك الأوراق والقمــم الزهريّة ، في عمل المساحيق القاتلــة للحشرات ، وعلى الخصوص البق والبعوض ، وتدخل أيضاً في تحضير مساحيق الأســنان . ويُصنــع منها غراغر (م . غرغرة) للفم واللثّة . فهي مُدرّة للّعاب ، ومُعَطِّسة ، وأجودها مايؤتى بها من القوقاس . . . . الخ .

المراجع والتعليقات

١– نقلاً عن ابن الجوزي ، حـ ٨ ، ص ١٨١ .
زكيّة عمر العلي – التزين عند المرأة في العصر العباسي .
ص ١٩– منشورات وزارة الاعلام . بغداد ١٩٧٦ .
٢– لسان العرب لابن منظور : مادة ، ثَمَدَ وكَحَلَ .
وكذلك : الإفصاح في فقه اللّغة – عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى – الطبعة الثانية . دار الفكر العربي ، القاهرة .
وكتاب التلخيص – لأبي هلال العسكري . تحقيق الدكتور عزّة حسن . دمشق ١٩٦٩ م .
٣– مروج الذهب ،ج٢، ص ١٤١– تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر . – بيروت ١٩٧٣ م . وكذلك أخبار الزمان ص ١٢٤ ، الطبعة الثانية – دار الأندلس – بيروت ١٩٦٦ م .
٤– العرب واليهود في التاريخ ، ص ٧٣ ، دار الحريّة للطباعة ،بغداد ١٩٧٢ م .
الهكسوس: أي ملوك الرعاة (التسمية يونانيّة) وهم الذين يُسمّونهم – العمالقة أو العرب البائدة – ويقال إنهم أدخلوا النّحاس الى مصر ، وبعض المعادن الأخرى . حكموا مصر بين ١٧٨٥–١٥٨٠ ق . م .
٥– دائرة المعارف البريطانية ، مادة Antimon .
٦ و ٧ و ٨ – المصدر رقم (١) ص ٦٧–٦٨ .
٩– الجامع لمفردات الأدوية والأغذية – مادة إثْمِدْ – مكتبة المثنى – بغداد – بالأوفست – .
١٠– H. Remy : Lehrbuch der Anorganischen Chemie, B. I, S. 581, 3. Auflage, (Leibzig 1940).

١١- تاريخ العرب(مطوّل) ص ٦٨٨،الطبعة الرابعة دارالكشاف ، بيروت ١٩٦٥ م .
١٢ و١٣ - المصدر رقم (١) ص ٦١-٦٢ .
١٤- تذكرة أوني الألباب والجامع للعجب العُجاب .
الطبعة الأولى ، المطبعة العثمانية المصريّة ١٩٣٧ م .
٥١- تذكرة ابن أرمانيوس (عازر أرمانيوس) ص ٢٢٥ ، المطبعة المصريّة ١٩٢٢ م .
١٦- رمزي مفتاح : إحيـاء التذكرة ، ص ٢٦٣ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٣ م .
١٧- إن الاسم العلمي للنبتة المعروفة بأسم حسن يوسف أوستّ الحسن هو : Atropa Belladonna . ويُستخرج منهـا قلـويد (شـبه قلوي Alkaloid) ، يعرف بأسـم « أتروبين Atropine » ويُسـتعمل في طبّ العيون ، موسّعاً للحدقة ، وكذلك يدخـل في تركيب بعض أدوية المعدة .
(كاتب البحث - المصطلح الكيميـائي في التراث العربيّ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، مجلد٣١ ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
١٨- للمزيد من المعلومات ، تراجع المصادر رقم ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .
١٩- المصدر رقم (٩) .
٢٠- عجائب المخلوقـات وغرائب الموجودات ، ص ٢٤٩ ، تحقيـق فاروق سعد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٢١- المصدر رقم (١٥) ص ١٦٢ .
٢٢- المصدر السابق ، ص ١٥٧ . والمصدر رقم ١٦ ، ص ٧٩ .
٢٣- A. Hill : Economic Botany, p. 2641, Mc. Graw - Hill (1952).
٢٤- المصدر رقم (٩) ، و١٥ و ١٦ (مادة عاقر قرحا) .

لمحات من آثار الشرق في الغرب

الأستاذ ميخائيل عوّاد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

تمهيد :

هذا الشرق ، لاسيما الشرق العربي الذي انبعثت منه في العصور السالفة مشاعل المدنية والحضارة ، فاجتازت ديار الغرب ، لتضيء الظلمات هنالك، قد أَوْحَى الى جمهرة مِن علماء الغرب ، أن يقولوا كلمة الحقّ في شأنه. فقد أدرك هؤلاء العلماء ، انّ الشرق وإنْ دَبّت فيه عوامل الضعف والإنحلال في بعض الأزمان ، وأصبح نَهْباً بين بعض دُوَل الغرب ، إلاّ انّه كان في العصور الوسطى ، معلّم أوربة ، وإليه الفضل في انبعاث نهضتها الأخيرة .

نَقَل الكردينال تشيمنز Ximenz ، عن البابا اينوسنت الرابع عشر ، قال عن العرب : « نحن فقراء إلى ما لديهم مِن عِلم، وصناعة ، وفنّ » . وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد .

وقال غوستاف لوبون : « الغرب وليد الشرق ، ولا يزال ماضي الحوادث في الشرق . فعلى العلماء أن يبحثوا عن هذا المفتاح فيه » .

وقال بريفو : « إنّ العِلْم الغربي ... يدين بوجوده للحضارة العربية» .

وقال ج . د . برنال : « فنحن في الغرب مدينون للعرب بكلّ علمنا» .

وهنالك طائفة مِن العلماء والمستشرقين والمستعربين ، وقفوا حياتهم لتحقيق هذ الرسالة ، ونعني بها بيان فَضْل الشرق على الغرب ، وإنّ

الشرق هو معلّم أوربة ومهذّبها في العصور الوسطى.وقد لاقى هؤلاء الأعلام عَنَتاً ، لاسيما مِن أنصار الدراسات القديمة « الكلاسيكية » التي تشيد بمجد الإغريق ، وتُرْجِع كلّ عوامل الرقيّ الاوربي إليهم (١) .

كما لاقى هؤلاء العلماء، إعجاباً وتقديراً مِن المنصفين . فالغرب مدينٌ للشرق في كثير مِن أموره ، مدينٌ له في : مأكله ومشربه ، وملبسه ، وغير ذلك كثير . كما انّ لغات أوربة مشحونة بالألفاظ والمصطلحات الشرقية .

الأبجدية الكنعانية :

فمن الشرق انبعثت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، الأبجدية الكنعانية التي استعارها اليونان ، فالرومان ، فسائر الشعوب الغربية . أمّا في غير الأبجدية ، فقد أخذ الغرب عن البابليين والآشوريين ، كثيراً مِن المقوّمات التي اعتمدت عليها الحضارة اليونانية القديمة .

يعترف اليونان صراحةً ، انّهم مَدينون للشرقيين في نشر الكتابة الأبجدية، وكذلك في الأرقام العربية ، والمعروف انّ أوربة ، كانت تستعمل الحروف الرومانية .

الصِفْر :

يقول المستشرق (جورج يعقوب) (٢) لدى كلامه على نظام الأعداد، إنّ « الصِفْر » لم يجارِ بقيّة الأعدادفي تطوّرها ، بل سَلَكَ طريقه الخاص.

(١) جورج يعقوب : « أثر الشرق في الغرب » (الترجمة العربية ؛ ص ١ – ٣) .
وقد صنف في هذه الميادين كتب وأبحاث ، في العربية ، وفي غيرها من اللغات .

(٢) جورج يعقوب Georg Jakob : مستشرق ألماني، عني بالدراسات الشرقية . توفي سنة ١٩٣٧ .ألف بالألمانية كتباً ، عن :
حياة البدو في العصر الجاهلي .
جغرافيي العرب .
=

كذلك الحال مع الإشارة الدالّة على عدم وجود قيمة ، والتي تُعتَبَر بحقّ مِن أحسن ما اهتدى إليه العقل البشري ، فقد كانت مِن اختراع الشرق .

وقد مرّت هذه الإشارة بأدوار هامة في تاريخ الثقافة البشرية . فالثابت انّ الغرب لم يعرف « الصِفْر » قبل المئة الثانية عشرة للميلاد . بينما تحدّثنا المصادر العربية ، انّ العرب كانوا يعرفونه منذ المئة الثامنة، وكانوا يرْسمونه حَلْقَةً . فكُتُب الأدب العربي ، حفظت لنا طائفة مِن النصوص شِعراً ونثراً .

ذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني(٣) — (ت : ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣م) في مؤلّفه الموسوم بـ « كتاب النَقْط والشكل » (٤) ، انّ هذه الدارة التي يجعلها أهل النَقْط قديماً وحديثاً على الحروف الزوائد في الخطّ، المعدومة في اللفظ ، وعلى الحروف المُخَفّفَة، هي ممّا جرى استعمال سلف أهل المدينة لهـا في ذلك مِن مصاحفهم ... ، الى ان قال : وهـذه الدارة نفسُها هي الصِفْر الصغير الذي يجعله أهل الحساب، على العدد المعدوم...» .

أمّا في غير كُتُب القراءات والمصاحف ودواوين الأدب، فانّ كُتُب النحو المُفَصّلَة ، تُخَصّص للصِفْر بعض صفحاتها عند كلامها على السكون أو العدد .

= شعراء العرب .
خيال الظل وتاريخه .
أثر الشرق في الغرب — خاصة في العصور الوسطى . ترجمه — بتصرف — الى العربية : د . فؤاد حسنين علي . (القاهرة ١٩٤٦) . وقد أفدنا كثيراً من كتابه هذا ، ونقلنا عنه في غير موطن ، ولخصنا بعض آرائه .

(٣) ت = توفي ، المتوفى .

(٤) « المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط » . تحقيق : محمد أحمد دهمان (مط انترقي — دمشق ١٩٤٠ ؛ ص ١٤٢) .

وعلى كلٍّ ، فانّ الشرق العربي ، هو وطن الإشارة الدالّة على الصفْر(٥) ولفظ « صِفْر » هذا ، قد استُخْدِم في الشعر الجاهلي ، للتعبير على معنى (خلا) . فيُرْوَى انّ حاتماً قال في إحدى قصائده :

ترى أن ما أهلكت لم يك ضَرَّني   وأنّ يدي ممّا بَخُلْتَ به صِفْرُ

وقال الشاعر وكان عبداً ، فباعه مولاه :

وما كنتُ أخشى مَعْبَداً أن يبيعني   بمالٍ ولو أضحت أنامله صِفرا

الأرقام – الأعداد : العربية (٦) :

ويصرّح مَن يعترف بفضل الشرق على الغرب ، انّ أمر انتقال الأعداد العربية الى الغرب ، له تاريخه الخـاص . وقـد حاول نفرٌ مِن العلمـاء ، إرجاع هذه الاعداد الى أصل غربيّ ، إلاّ انّ التوفيق خان أولئك الباحثين ، كما خان تلك الفئة التي عـرَضَت للأبجدية . فقد حاول (سيديُّو) (٧) إرجاع كتابة الأعداد العربية هذه ، إلى الأعداد الرومانية ، فأخفق ، إذْ بَنَى آراءه على الخيال (٨) ، لا على الحقائق التاريخية الثابتة .

---

(٥) راجع : (١) د . عبد الحليم منتصر : « أثر العرب والاسلام في النهضة الأوربية » (القاهرة ١٩٧٠ ؛ ص ٢١٧).
(٢) جورج يعقوب : « أثر الشرق في الغرب » (ص ٢١ – ٢٤) .

(٦) راجع : د . عبد الرحمن بدوي : « دور العرب في تكوين الفكر الأوربي » (القاهرة ١٩٦٧ ؛ ص ١٧ – ١٨) ، و « أثر العرب والأسلام في النهضة الأوربية » (ص ٢٠٦ ، ٢١٦ – ٢٢١) .

(٧) لوي (لويس) بيير أجين أميلي سيديو Louis Pierre Eugene, Amelie Sedillot مستشرق فرنسي ، اشتغل كثيراً بعلم الفلك . وهو مؤلف كتاب « Histoiredes Arabes » بالفرنسية ، وأشرف علي مبارك باشا على ترجمته الى العربية مهذباً ، وسماه « خلاصة تاريخ العرب » . وقد طبع . توفي بباريس سنة ١٨٧٥ م .

(٨) يعتبر سيديو من أضعف المستشرقين وأكثرهم تهوراً في الآراء . وقد وجهت إليه انتقادات كثيرة من جماعة المستشرقين الثقات .

نظرية فيثاغورس في الهندسة (٩) :

الكثير مِنّا ، سمع بنظرية فيثاغورس في الهندسة . والمعروف أنّها من أَرْقَى ما وصل إليه التفكير البشري القديم . ومِن طريف ما يُرْوَى ، انّ فيثاغورس قَدَّم مئة ثورٍ قرباناً للآلهة على هذا الإلهام العقلي العظيم .

في مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، رَقّ عربي يؤكدّ انّ نظرية فيثاغورس عرفها العرب منذ قديم الزمن .وقد نشرت إحدى المجلاّت العلمية ، صورة هذا الرَقّ ، معلّقة عليه بأنّ النظرية الفيثاغورية تشرح اعتقاداً قديماً يرجع أصله للعرب القدامى . ويقول هذا الإعتقاد ، بأَنّ الأشكال والأصوات والأفكار وكلّ شيء ، يمكن التعبير عنه بالأرقام .

ومنذ نحو ثمانين سنة ، أثبت العلاّمة (بِرْك) أنّ رأي فيثاغورس ، كان معروفاً في الهند ، في عصر يرتقي الى المئة الثامنة قبل الميلاد ، إنْ لم يكن أبعد مِن ذلك ، وأصبح الآن من الثابت ان تعاليم فيثاغورس ، ، تعتمد على أصول شرقية .

نظرية أقليدس في الرياضيات :

ومِن ذلك نظريات أُقْلِيدس في الرياضيات . فقد كان المظنون أنّ أُقْلِيدس ، هو أوّل مَن تَوَصّل الى ذلك ، ثمّ كشفت التنقيبات الآثارية في (تَلّ حَرْمَل) مِن ضواحي بغداد ، على نصوص مسمارية كُتبت في العصر السومري ، أي في حدود سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وفيها دَلالة واضحة على معرفةعلماء العراق الأقدمين بتلك النظريات الرياضية .

البُوصْلَة :

وهنالك إكتشافات واختراعات ، ساهم الشرق فيها ، منها : اختراع

(٩) « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية » (ص ٢٢١ – ٢٢٤) .

الآلة المعروفة بالبُوصْلَة ، وعليها اعتماد سُفُن الملاحة عندما تمخر عُباب البحار والمحيطات .

والشائع لدى الناس ، انّ مخترع هذه الآلة ، هو (فلافيوجيويا) الإيطالي ، الذي عاش في المئة الرابعة عشرة للميلاد . ولكنّ الواقع غير هذا ، فانّ أوربة عرفت البُوصْلَة خلال المئة الثانية عشرة ، ولكن العرب (١٠) سبقوا أوربة والصين ، حيث استخدمت هذه الآلة منذ نحو المئة العاشرة ، وإن كانت بعض المصادر تُصْعِد استعمالها إلى ما قبل ذلك .

ويقول غير واحدٍ مِن العلماء الثقات ، انّ البحّارة في الشرق استخدموا في أوّل عهدهم بالملاحة ، سَمَكاً مُجَوَّفاً مصنوعاً مِن الحديد الممغطس ، وكانوا يَضَعُون السَمَكة في طَبَقٍ يطفو على وجه الماء ، ويتّجه اتّجاهاً جنوبياً شمالياً ، وقيل أيضاً انّ البَحّارة استخدموا الغُراب قبل اختراع البُوصْلَة.فكان هذا الطائريطير ويُرْشِد الملاّحين الى اليابسة(١١) .

البارود :

نتطرّق الى مجال آخر ، يتجلّى فيه فَضْل الشرق على الغرب ، نعني به الوصول الى معرفة المادة المفرقعة المتكوّنة مِن ملح البارود والكبريت والفحم.

والشائع انّ مُخْتَرِع هذه المادة المفرقعة ، رجلٌ يقال له (مَرْقُس جريكوس) ، وهو أوربي مِن أبناء المئة الثالثة عشرة للميلاد ، وليس مِن أبناء المئة التاسعة ، كما ذَهَب فريق من العلماء . ومهما يكن مِن أمر ، فقد اهتدى الى هذا المُرَكّب فيحدود سنة ١٢٥٠ للميلاد تحت التأثير العربي .

(١٠) راجع : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية » :
١ - د . حسين فوزي : « في المعارف البحرية » (ص ٣٣١ - ٣٥٣) .
٢ - د . محمد محمود الصياد : « في الجغرافية » (ص ٣١٨ - ٣٢٧) .
« دور العرب في تكوين الفكر الأوربي » (ص ٢٤٥ - ٢٤٨) .

الطباعة :

ونتنقل الى ناحية أخرى عظيمة الأثر ، لها الصدارة في مضمار تقدّم الحضارة ، بل هي مِن أهمّ الأحداث التي عرفتها البشرية ، ونعني بها « الطباعة » .

قال المستشرق جورج يعقوب : إنّ الدَّيْن الذي تشعر به هذه البشرية تجاه اختراع الطباعة ، يتضاءَل كثيراً ، إذا علمنا انّ فَنّ الطباعة ، ما كان يبلغ هذا الشأن البعيد في حياتنا الثقافية والإجتماعية ، لولا وجود عامليَن خطيرَيْن ، أولهما : مادة الكتابة ، أعني الورق . وثانيهما : الأبجدية الصوتية التي تتكوّن مِن عددٍ مِن الإشارات ، نعبرّ بها عن ثروتنا اللغوية كلّها .

فهذان العاملان الأساسيان اللذان مكّنا فَنّ الطباعة مِن النجاح والتطوّر ، ومجاراة حياتنا الثقافية ، كلاهما مِن الشرق ، ومِن نتاج العقلية الشرقية(١٢).

ثمّ يتطرّق هذا المستشرق الى القول ، انّ فكرة الطباعة ليست فكرة جديدة ، لأنّ المتقدّمين فطنوا إليها واستخدموها في الخواتيم وفي صَكّ النقود . فالبابليون كانوا يكتبون على الطين ، وكانوا يستخدمون الطين استخدام رجال الطباعة اليوم الحروف وما إليها لطَبْع الكُتُب . فالبابلي كان يستطيع طباعة عدّة نماذج لنَصٍّ مكتوب على الطين ، وذلك بِبَسْط طبقةٍ مِن الطين على النصّ الأصل ، فتَطْبَع .

ثمّ مات الفنّ البابلي هذا ، لأنّ الطين لا يعاون كثيراً على نشر الطباعة والأخْذ بها . وظَهَر في شرقيّ آسية، اختراعٌ جديد ، كان له أثَرٌ كبير على الطباعة . وهذا الإختراع هو الإهتداء الى عَمَل مادة جديدة للكتابة ، هي أصلح مِن الطين ، ونعني بها الورق .

---

(١١) و (١٢) ميخائيل عواد : « الشرق مهد المدنية والحضارة » : (مجلة « أهل النفط » ٥ [بيروت – كانون الثاني ١٩٥٦] ع ٥٤ ؛ ص ٢٢ – ٢٣) .
وسيتردد اسمنا في حواشي هذا البحث ، بحرفي (م . ع) التماساً للإختصار .

ولكن قبل ذلك ، كَتَبَ الناسُ في ديار الشرق على مواد مختلفة . فانّهم كتبوا على سَعَف النَخْل ، وقشور الشجر ، وأعواد الغاب . كما كتبوا على البردي ، والرَقّ – أي جِلْد الغزال – .

الورق :

في حدود سنة مئة للميلاد ، استطاع العالم الصيني(تساي لن) ، عمل عجينة جديدة ، لصناعة الورق ، مكوّنة مِن قشور الشَجَر والقِنّب والخِرَق البالية وشِبَاك الصيّادين .

تدين أوربة لهذا الرجل الصيني الذي اخترع الورق ، حتّى قال بعضهم فيه ، انّه يستحقّ مِن كلّ أوربي أن يُسَجّل صورتَهُ على كلّ كتاب تخرِجُهُ المطابع .

وقد تكلّمت جملة كبيرة مِن المصادر القديمة ، ونَوّهت بفضل هذا المخترع الشرقيّ (١٣) ، وقَدّر القوم يوم ذاك قيمة هذا الإختراع ،فَبجّلوا صاحبه حَيّاً ومَيْتاً . ففي عام خمسة ومئة للميلاد ، أصدر مجلس وزراء بلاده ، أمْرَهُ بالشكر والثناء على (تساي لن)، كما تقرّر جَعْل بيت المخترع ، والحجر الذي استخدمه لِدَقّ الورق وطَرْقِهِ ، متحفاً عاماً للشعب .

وعلى هذا ، فانّ الوطن الأصل للورق ، هو الشرق ، وكذلك الطباعة .

غير أنّ موقف العلماء مِن الطباعة ، يختلف عنه مع الورق ، إذْ بينما كشَف العِلم لنا تاريخ الورق وتطوّره ، ترك العلماء في حيرة أحياناً أمام

---

(١٣) راجع :
١ – أحمد أمين : « ضحى الإسلام » (ط ١٠ ، بيروت ، ٢ : ٢٢) .
٢ – « دور العرب في تكوين الفكر الأوربي» (ص ٣٧ – ٣٨ ، ٥٧ ، ٦١ – ٦٢).
٣ – « أثر الشرق في الغرب » (ص ٣٥ – ٣٦) .
٤ – د . جابر الشكري : « الجوانب الفنية في إخراج المخطوط العربي » :
(« مجلة المجمع العلمي العراقي »٣٣ [بغداد ١٩٨٢]ج ٢ – ٣ ؛ ص ٥٦ – ٥٧).

الطباعة وتاريخ وجودها ، ولكن في أيّ حال ، فانّ اختراع الطباعة ، ظَهَر في ديار الشرق . وفي المصـــادر العربية القديمـــة إشارات تنوّه بذلك (١٤) .

نقود الورق :

مِن ذلك ، ما ذكره المؤرّخ أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي ، ت : ٦٦٥ ﻫ = ١٢٦٧ م) في مؤلّفه « كتاب الروضتَيْن في أخبار الدولتَيْن : النورية والصلاحية » انّ السلطان نور الدين – المُلَقّب بالملك العادل – ملك الشام وديار الجزيرة ومصر ، اضطرّ سنة ٥٤٢ ﻫ (= ١١٤٧م) بسبب الحرب الصليبية الثانية ، وبسبب الضيق الذي حَلّ بالبلاد ، أن يصدر في شمالي سورية ، نقوداً مِن الورق مِن فئة الدينار . وما كان مثل هذا المشروع يتحقّق لو لم توجد في ذلك العصر ، اوحات للطباعة (١٥) .

وعلى ذِكْر النقود ، يقول مَن عُني مِن أبناء الغرب في هذا الشأن ، انّ التاريخ يشير إلى انّ البابليين ، تركوا في حياة العالَم الإقتصادية والثقافية أثراً ذا علاقة بنظام نقود الفِضّة والذهب (١٦) .

---

(١٤) راجع :
١ – القلقشندي : « صبح الأعشى » (القاهرة ١٩٦٣ ؛ ٦ : ١٨٩ – ١٩٦) .
٢ – حبيب زيات : (١) « الوراقة والوراقون في الإسلام » (بيروت ١٩٤٧) .
(٢) « صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام » (« المشرق » ٤٨ [بيروت ١٩٥٤] ص ٤٦٢ – ٤٦٣) .
٣ – كوركيس عواد : « الورق أو الكاغد : صناعته في العصور الإسلاميـــة » : (« مجلة المجمع العلمي العربي » ٢٣ [دمشق ١٩٤٨] ص ٤٠٩ – ٤٣٨) .
٤ – د . محمد طه الحاجري : « الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية » « مجلة المجمع العلمي العراقي » (١٢ [بغداد ١٩٦٥] ص ١١٦ –١٣٨) ، (١٣ [١٩٦٦] ص ٦٣ – ٨٨) .

(١٥) « كتاب الروضتين » (ج ١ ، القسم الأول . تحقيق : د . محمد حلمي محمد أحمد . القاهرة ١٩٥٦ . حوادث سنة ٥٤٢ ﻫ) . وانظر « أثر الشرق في الغرب » (ص ٤٤) .

(١٦) « النقود العربية وعلم النميات » (عني بنشره الأب أنستاس ماري الـكرملي . القاهرة ١٩٣٩ ؛ ص ٨٧) .

ثمّ تأتي العُمْلَة الورق ، التي هزّت العالَم المالي هزّاً عنيفاً ، وهي مِن اختراع الصين .

الحوالات المالية عند العرب :

ظهر في أواخر المئة التاسعة عشرة للميلاد ، بَحْثٌ علميّ نفيس ، للعالم (جرسهوف) تناول فيه « الحوالات المالية عند العرب » ، أثبت فيه انّ « الحوالات المالية » هذه لم يعرفها العالَم القديم ، وأوّل مَن عرَفها هم العرب ، وعنهم أخذَتْها أوربة في المئة العاشرة للميــلاد ، عن طريقَي اسبانية وايطالية . ومع هذا الإختراع ، انتقلت أيضاً الكلمات والإصطلاحات اللازمة له . وأغلب هذه المفردات عربية الأصل ، مازالت متداولة اليوم في لغــات أوربة ، إمّا بصيغَها الأصــل أو مُتَرْجَمَة . فكلمة « أفال » في اللغة الهندية الأوربية ، إنْ هي إلاّ الكلمة العربية « حوَالة » .

وكذلك لَفْظ « شيك » فهو شرقي ، عربي (صَكّ) (١٧) .

الإبل ، العرَبة :

ننتقل إلى ذِكر مأثرة أخرى مِن مآثر الشرق . فقد أوْجد أهمّ وسيلة مِن وسائل المواصلات ، نعني بها « العرَبَة » (١٨) . وقد تحدّث في

---

(١٧) « أثر الشرق في الغرب » (ص ٥١ – ٥٢) .

(١٨) « أثر الشرق في الغرب » (ص ١٤ ، ٥٣ ، ٥٩) . وراجع بشأن « العربة » : أصلها ، استعمالها : الخوري جرجس منش : « العربة : هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ » :
(« مجلة المجمع العلمي العربي » ٩ [دمشق – ت ٢ / ١٩٢٩] ج ١١ ؛ ص ٦٩٩ – ٧٠١) .
الأب أنستاس ماري الكرملي : « العربة وأصلها » :
(مجلة « لغة العرب » ٨ [بغداد – نيسان ١٩٣٠] ج ٤ ؛ ص ٢٨٥ – ٢٩٠ ، ج ٨ ؛ ص ٦١٣ – ٦١٩) .
(« مجلة المجمع العلمي العربي » ١٠ [دمشق ١٩٣٠] ص ١٧٦ – ١٨٠) .
حبيب زيات : « العجلة أو العربة » :
(« الخزانة الشرقية » ٣ [بيروت ١٩٤٦] ص ١٤٩ – ١٥١) .
د . فوزي رشيد : ظهور العربة والعجلة » .
(مجلة « ألف باء » ع ٧٢٣ ، بغداد ٤ / آب /١٩٨٢ ؛ ص ٥٤ – ٥٥) .

شأنها مفصّلاً ، مِن ناحية تاريخية : المستشرق جورج يعقوب ،وخَرَجَ مِن بحثه ، إلى انّ هذه الوسيلة التي تُعْتَبَر مِن أهمّ وسائل المواصلات قديماً وحديثاً ، هي شرقية الأصل .

كما أشار الى ناحية ذات أهمية بالغة ، هي إدخال العرب للابل ، في شمالي إفريقية ، إذْ يُعْتَبَر مِن الأحداث التي تدعو الى الإلتفات ، فقد قام هذا الحيوان بالدور الذي تقوم به سكّة الحديد اليوم . ثمّ يقول : وإذا علمنا انّ الرومان لم يُقْدِموا على ما أقْدم عليه العرب في هذا الميدان الإفريقيّ ، أدركنا عِظَم الرسالة العربية في هذه الأقاليم التي أدَّت الى رَبْط أجزاء الدولة العربية أولاً ، وتنمية العلاقات الإقتصادية والثقافية بين إفريقية وآسية ثانياً .

فنون الزخارف . الأقمشة والفَرْش . صناعة المينا . صناعة النسيج والخزف . الفخار . تجليد الكتب . الكتابة والنقش على الأحجار الكريمة (١٩) :

وهنالك ميدان آخر يَتَجلّى فيه ما أخذه الغرب عن الشرق ، هو فنون الزخارف . فقد استورد الغرب مِن ديار الشرق أجود ضروب الأقمشة والفَرْش وأجملها .

ويشير التاريخ إلى فنّ صناعة المينا ، فقد أخَذَها اليونان والرومان عن المصريين الأُوَل . أمّا بقية دُوَل أوربة ، فقد أخذت هذا الفنّ عن طريق اسبانية .

أمّا صناعة النسيج (٢٠) والخزف ، فموطن ذلك كما هو مشهور :

---

(١٩) « التحف الفنية » بقلم : د . أحمد فكري : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية» (ص ٤٣٧ – ٤٥٠) .

(٢٠) م . ع : « صناعة الحياكة والنسج » (« أهل النفط » ٥ [بيروت : آذار ١٩٥٦] ع ٥٦ ؛ ص ١٤ – ١٥) .

بلاد الصين ، تلك البلاد التي قدَّمت للعالَم خيرَ الأنواع وأفضلها ، نعني الحرير والفخار الصيني .

وطالما نحن في صدد الكلام على الخزف ، لابدّ لنا مِن الإشارة الى ناحيةٍ جليلة في هذا الشأن . فمن أبرز الأمور في صناعة الخزف في تلك العصور ، أن يكون ذا بريقٍ معدنيّ . فقد اشتهرت بعض ديار الشرق بعمل الخزف ذي البريق المعدني . وقد حاولت أوربة تقليد صناعة هذا الخزف ، فلم تُوَفّق .ويذهب طائفة مِن علماء الغرب ، مِمّن عُنُوا بدراسة شؤون الشرق ، الى القول : إنّ السرّ في اتقان هذه الصناعة في ديار الشرق ، لعلّه يتوقّف على مادة الطلاء الداخل في تركيبها المعدن المطلوب ، وتعريضها لحرارة ضعيفة كافية لأن تُخْرِجَ غاز الأوكسيجين ، فيظهر المعدن ببريقه المطلوب .

ويقول المعنيّون بشؤون الفخار ، انّ في جامع عُقْبَة بن نافع بمدينة القَيْرَوان ، قطعاً مِن الخزف ذي البريق المعدني ، وُضعت عام ٨٩٤ م ، وقد جُلِب معظمها مِن بغداد ، كما صنَعَ البعضَ الآخر رجلٌ بغداديّ كان يقيم في مدينة القيروان . لذلك يُقال انّ هذا الفنّ عراقي الأصل ، ومِن هنا انتقل عن طريق القيروان الى اسبانية (٢١) .

ويقول هؤلاء العلماء ، إنّ الشرق أجاد صناعات أخرى ، منها : كِساء الخشب (٢٢) ، وتغطية الورق المُقَوّى بطبقةٍ لامعة تَتَجلّى فيها المهارة الفنّية النادرة .

---

(٢١) م . ع : « صناعة الفخار والخزف والفخار » : (مجلة « الأجيال » [بغداد – ك ١ / ١٩٦٥] ع ٨ ؛ ص ١٥ – ١٧) .

(٢٢) (١) م . ع : «صور من حضارة العراق في العصور السالفة : النجارة وفنون النحت على الخشب » : (مجلة « المعرفة » ٢ [وزارة المعارف – بغداد – ١٥ / آب ١٩٦٢] ج ٣٩ ؛ ص ٧ – ٨ ، ٤٠) . =

وللشرق اليد الطولى في فَنّ تجليد الكُتُب وتغليفها . فقد بَرَع العالَم الإسلاميّ ، وتَفَنّن في هذه الصناعة . واشتهرت غير مدينة بهذا الفنّ .

ونذكر مأثرة أخرى من تلكم المآثر العديدة ، ألا وهي : الكتابة أو النقش على الأحجار الكريمة .

يقول العالم (فورتفنجلر) انّ النقش على الأحجار الكريمة ، فَن لا يَتَحتّم وجوده عند كلّ شعبٍ بلغ مرحلةً ثقافية خاصّة ، أو أصبح حَظّهُ مِن الذوق الفنيّ عظيماً ، وذلكَ لأنّه يكاد يكون مِن المُسَلّم به ، أنّ فَنّ الحفر على الأحجار الكريمة ، لم يعرف إلاّ وطناً واحداً وهو أرض بابل .

فنون الريازة والبناء :

ومِن الشرق انبعثت فنون الريازة والبناء (٢٣) . وكان الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢٤) ، يقول : إنّ في العِمَارة أموراً محمودة ، أوّلها عمران الأرض التي يَحْيَى بها العالَم ، وعليها يَزْكو الخَرَاج ، وتكثر الأموال ،

= (٢) شاكر هادي غضب : « الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمراقد المقدسة » : الحفر على الخشب والعاج والعظام » : (ملحق « التراث الشعبي » ٨ [بغداد ١٩٧٧] ع ٨ ؛ ص ٢١) .

(٢٣) راجع :

م . ع ١- هندسة البناء عند العرب » : (« أهل النفط » ٤ [بيروت - ك ١ / ١٩٥٤] ع ٤١ ؛ ص ١٣ ، ٦٢) .

(٢) « الحيري بكمين : (السدلى والسدير) » : (مجلة « الثقافة » ٤ [القاهرة ١٣ و ٢٠ و ٢٧ / أكتوبر ١٩٤٢] ع ١٩٨ ؛ ص ٢٠ ، ٢٧ . ع ١٩٩ ؛ ص ١٩ - ٢١ . ع ٢٠٠ ؛ ص ١٩ - ٢٠) .

٢- « في العمارة والتحف الفنية » . بقلم : د . أحمد فكري : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية » (ص ٤٠٥ - ٤٣٦) .

(٢٤) خلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢ م .

وترخُصُ الأسعار ، ويكثر الكَسْب ، ويتّسع المعاش . وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك الزيّات : إذا وَجَدْتَ مَوْضِعاً مَتَى أنفَقْتَ فيه عشرة دراهم ، جاءني بعد سنةٍ أحَدَ عَشَرَ درهماً ، فلا تؤامِرْني به (٢٥) .

وعلى ذِكْر الريازة ، فللشرق أكبر الفضل في نَقْل كثير من الطِرازات الى ديار الغرب . فاتّخاذ الأعمدة والقباب العالية ، تُعْتَبَر مِن العناصر الأساس في زخرفة البناء .

وقد أثبت غير واحد مِن المختصّين بفنّ الريازة ، انّ أهمّ عناصر الفنّ الروماني في الريازة ، كانت معروفة في الشرق قبل الغرب بقرون .

وهنالك ناحية أخرى ، يجدر التنويه بها ، هي الأبنية الدفاعية كالحصون وما إليها ، فانّ جمهرة كبيرة من العلماء ، يرجّحون أنّ أغلب تاكم الأبنية ، مما لا يزال بعضها قائماً الى يومنا هذا في سويسرة ، طرازها شرقيّ الأصل ، عرفَتْها فلسطين منذ زمن بعيد ، وهي عبارة عن أبراج نصف مستديرة ، أو قائمة الزوايا ، ومفتوحة مِن الداخل ، لا يأنس العدوّ إليها ، ولا يستطيع أن يُطيل الإقامة بها . أمّا الممرّات الجانبية التي فيها فتَحات ، فشرقية الأصل ، بل هي عربية .

التصوير :

يُعَدّ الشرق بطبيعته الزاهية ، موطن التصوير ، وله أثرٌ كبير في ازدهار هذا الفنّ الجميل ، وقد غرَفَ الغرب كثيراً مِن هذا الينبوع العذب .

إنّ غير بلدٍ مِن بلدان الشرق ، ولاسيمــا بلدان المشرق العربي ، كانت موطن هذا الفنّ الجميل وترعرعه وازدهاره . فقد صَوَّر هؤلاءعلى الثياب والستور ، وعلى الأقداح والأواني والمصابيح ، وصوّروا على سائر الأثاث ،

(٢٥) المسعودي : « مروج الذهب » (٧ : ١٠٤ ، ط . باريس) .

كما صوّروا على السلاح والنقود والشارات والأعلام ، وصوّروا على الجدران ، وفي الكتب والصحف والألواح . وظهر مصوّرون شَهِد التاريخ بطول باعهم في هذا الفنّ ، وخلّفوا ثروة فنّية غنيّة ، وَصَل إلينا منها القليل ، وضاع الكثير (٢٦) .

القِصّة :

مِن الأبحاث الجديرة بالعناية والدرس ، نشأة الفنّ القصصي(٢٧) ، فانّ العلماء يُجْمِعون على انّ الشرق هو مَنْبِت هذا الفنّ .

ولا شكّ انّ كثيراً مِن القصص والأساطير المنتشرة في ديار الغرب ، يرجع في أصله الى الشرق . وكنّا استوفينا الكلام في هذا الشأن ، ضمن دراستنا عن كتاب « ألف ليلة وليلة » (٢٨) ، وقلنا أنّ موطن القصّة هو هذا الشرق الغنيّ بالأدب والجمال والخيال والطبيعة .

وهنالك ضَرْبٌ آخر مِن ضروب الأدب ، شاع في العصور الحديثة ، وانتشر في أوربة ، وهو هذا القصص المتّصل بالحيوان ، والذي يتّخذ الحيوان موضوعاً له .

---

(٢٦) م . ع :(١) « صور من حضارة العراق في العصور السالفة : فنون التصوير والتزويق والنقش والتذهين والتلوين ونحوها » :

١ـ (مجلة « هنا بغداد » [بغداد ـ أيلول ١٩٥٥] ع ١٣٧ ؛ص١ـ٢ ،١٠).

٢ـ (مجلة « المعرفة » ١ [وزارة المعارف ـ بغداد ـ ١٥ ت ٢ / ١٩٦١] ج ٢١ ؛ ص ٥ـ٦) .

(٢) « يحيى الواسطي : شيخ المصورين في العراق » (بغداد ١٩٧٢) .

(٢٧) « الفن القصصي » . بقلم : د . سهير القلماوي ، د . محمود علي مكي : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية » (ص ٧٠ ـ ١٢٠) .

(٢٨) «ألف ليلة وليلة مرآة الحضارة والمجتمع في العصر الإسلامي » (بغداد ١٩٦٢) .

فهذا اللون من الأدب ، شرقي الأصل ، عرفه الشعر العربي الجاهلي ، قبل الأدب الأوربي ، بعدّة قرون ، ومن ذلك : « لامية العرب » (٢٩) : للشنفرى (٣٠) ، فهي خير مثال على ذلك .

لقد أهمل شعراء أوربة الأولون ، الحيوان ، فلم يُعْنُوا به ، ولم يَنْتَبِه إليه شعراء الغرب إلاّ في العصور الحديثة ، متأثّرين في ذلك بالعرب ، وبالشعر العربي .

أثر الشرق في الآداب الأوربية ، الشعر ، الغزل ، الزجل ، المواليا(٣١):

ننتقل الى التحدّث عن الشرق وأثره في الآداب الأوربية ، كمادة للكُتّاب والشعراء . وأوّل مَن عُني بالشرق مِن رجال الأدب الغربيين : فكتور هوغو ، في قصائده المعروفة باسم « أورينتال » . وقد نُقلت إلى بعض لغات أوربة . ويقول غير واحدٍ مِن العلماء الباحثين ، إنّ فنّ الشعر البابلي ، ما زال الى اليوم حيّاً في الشعر الألماني .

كما توصّل جماعة مِن العلماء إلى إثبات أنّ غزَل الفروسية الذي كان منتشراً في العصور الوسطى في المانية وفرنسة ، أُخِذ عن الغزل العربيّ . فالشرق والغرب يتّفقان في هذه الظاهرة ، والعامل المشترك بينهما : الإشادة بالمرأة وجمالها .

---

(٢٩) « لامية العرب » : قصيدة مشهورة في ٦٨ بيتاً ، تعتبر أصدق قطعة شعرية في أغاني الصحراء ، بل هي ملحمة شعرية ، فيها مجموعة من صور مجتمع البادية العربية . مطلعها :
أقيموا بني أمي صدور مطيكم   فإني إلى قوم سواكم لأميـــل

(٣٠) هو عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان : شاعر جاهلي . توفي نحو سنة ٧٠ ق هـ = نحو ٥٥٢ م .

(٣١) راجع : ١- د . عبدالرحمن بدوي : « دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي » (ص ١١ - ١٦) .
٢- « الشعر الغنائي » ، « شعر الملاحم والمسرح » . بقلم د . سهير القلماوي ، د . محمود علي مكي : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية » (ص ٢٣ - ٦٩ ، ١٢١ - ١٣٤) .

لقد تَرَكت هذه الشاعرية الشرقية الغرامية ، أثراً قوياً للغاية في شِعر الغرب وغزلياته .

ويُلاحَظ في الشعر العاطفي الأوربي ، عنايتُهُ بالقافية . وهذا بلاشكّ مأخوذ عن الشعر العربي . وغير القافية ، نجد هنالك ضرباً آخرَ مِن فنون الشِعر يغزو الأدب الأوربي في العصور الوسطى ، وهو « الزجل » . وقد اختلف العلماء في شأن موطنه ، كما اختلفوا بشأن ما يسمّى بـ« الموالِيا » .

قيل في رواية إنّ الموطن الأصل للزجل : بغداد ، ومُختَرِعَتَهُ جارية عاشت أيّام هرون الرشيد . كما يفهم مِن روايةٍ ثانية ، أنّ موطنه بلاد المَغْرِب .

أمّا المؤرّخ ابن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م) فيقول : إنّ هذا الفنّ ظهر في الأندلس ، وأنّه من مستحدثات أهلها ، وإنّ أوّل مَن أبدع فيه : أبو بكر ابن قُزْمان (٣٢) ، وإنْ كانت الأزجال قد قيلت قَبْلَهُ .

ومهما يكن مِن أمر ، فقد أجمعت الروايات على أنّ هذا الفنّ مِن الشِعر ، أينع في الأندلس دون سائر الأقطار الإسلامية ، وهذا الضَرْب مِن فنون الشِعر العربي ، يمتاز بصِدْقِ تمثيله لنفسية الإنسان وخواطره . وقد ظَهَر بعد أن مَهّدَ له شعراء العرب مِن جاهليين وإسلاميين بشِعرهم الغَزَلي ، الذي أشادوا فيه بالمرأة وبجمالها ، حتّى إنّ الشاعر العربي لَيَسْتَهِلّ قصيدتَهُ بالغَزَل .

إنّ النفسية العربية هذه ، هي بعينها جعلت العربي قبل غيره ، يعترف بأَثَر المرأة ومكانتها ، في حياته الأدبية والإجتماعية ، اضطرّت الشِعر

---

(٣٢) هو محمد بن عيسى بن عبدالملك : إمام الزجالين بالأندلس ، من أهل قرطبة . تناقل الناس أزجاله في أيامه : حتى قيل : روي له ببغداد أكثر مما كان يروى له بالأندلس . وعمد إلى طريقة في هذا الميدان ، لايجاريه فيها أحد . فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام العامة في الأندلس . له ديوان أزجال ، طبع منه جزء . توفي سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م .

العربي إلى الإفصاح عمّا يجول بخاطر الشاعر . وهذه الظاهرة لم تظهر في أوربة إلاّ بعد أن احتكّت بالعرب في الأندلس ، وفي صقلية .

المسرح ، كتاب « ألف ليلة وليلة » :

وننتقل لنتحدّث عن المسرح العربي ، ونلقي بنظرة الى الأدب المسرحي ، فنجده قد غرَف كثيراً من هذا المعين العَذْب الذي لا ينضب ، ونعني بذلك كتُب القَصَص .

ولكتاب « ألف ليلة وليلة » الصدارة في هذا الميدان ، فقد مدّت هذه « الليالي » ، المؤلّفين المسرحيين من أبناء الغرب ، بثروة أدبية قصصية غنيّة. فهناك مَسْرَحية اسمها (علاء الدين) ، ومسرحية أخرى تُعرف بمسرحية (حلاّق اشبيلية) ، وهي كتلك القصّة الموسومة بـِ (مزيّن بغداد) الواردة في « الليالي » . وهاتان المسرحيتان ، ألّفهما إثنان من أكابر الكُتّاب في أوربة . وتوحي هذه المسرحيات الى الموسيقيين ، فيؤلّفون قِطَعاً كثيرة ، كما توحي الى فنون الرقص وضروبه .

وسائل اللهو والتسلية : الشطرنج (٣٣) ، الدام ، قفز الحصان ، الطاولة :

أخذ الغرب عن الشرق طائفة من وسائل اللهو والتسلية ، فلعبة (الشِطْرَنْج) التي ينصرف إليها لاعبان ، وينسيان العالَم الخارجي ، هي لعبة شرقية . أمّا غير (الشِطْرَنْج) ، فقد أخذت أوربة عن الشرق لعبة (الدام) . ويقول بعض الباحثين ، إنّ هذه اللعبة عرَفتها الصين منذ زمن قديم جداً . واللعبة المعروفة بـِ (قَفْز الحصـان) هي شرقية هنـدية الأصـل . وكذلك لعبة (الطاولة) ، وغيرها من الألعاب والعادات ، شيءٌ كثير ، تعود في الأصل الى هذا الشرق ، الذي نبعت منه ضروب الحضارات .

---

(٣٣) أنظر : « دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي » (ص ٤١ – ٤٢) .

القهوة (البنّ) ، الشاي :

لقد حرَّم الإسلام (الخمر) ، فكان أن انتشرت (القَهْوَة) في العالَم الإسلامي ، وانتقلت الى أوربة ، حتى انّها قضت على بعض ضروب المشروب .

ولا يخفى انّ اللفظة العربية القديمة « قَهْوَة » تدلّ في الأصل على (النبيذ) ، ثمّ تَطَوَّر معناها مع الزمن عندما قَضَت على (النبيذ) وحلّت محلّه .

ومنافس (القهوة) هو (الشاي) ، وقد بعثت به الصين الى أوربة في المئة السابعة عشرة للميلاد . وقد أثّر هذا المشروب ذو الرائحة الطيبّة ، في الثقافة والمجتمع والإقتصاد ، والعلاقة بين الشرق والغرب ، تأثيراً كبيراً .

وهنالك ضروبٌ أخرى مِن المشروب ، انتقلت الى الغرب مِن ديارٍ شرقية عديدة (٣٤) .

النخيل (*) ، السُكّر (٣٥) ، الخُضَر ، التوابل :

ولا نَنْسَ انتقال زراعة (النخيل) الى بعض المناطق الجنوبية مِن أوربة ، ويرجع الفضل في ذلك ، الى تلك النَخْلَة الأمّ التي أَمَر الخليفة الأموي (عبد الرحمن الأول) باحضارها — في المئة الثامنة للميلاد — مِن الشام الى اسبانية ، وأَنْشَد فيها أُغْنيتَهُ المشهورة التي جاء فيها :

تَبَدَّتْ لنا وَسْطَ الرُصافةِ نخلةٌ
تَناءَتْ بأرضِ الغَرْبِ عن بَلَدِ النَخْلِ

(٣٤) « دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي » (ص ٣٧ — ٤٠) .
(٣٥) « دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي » (ص ٣٧) .
(*) أول نخلة غرست في (كليفرنية — أميركة) ، حملت من العراق . راجع في شأنها : (مجلة « لغة العرب » ٤ [بغداد — ت ٢/ ١٩٢٦] ج ٥ ؛ ص ٢٩٧ — ٢٩٩).

فقلتُ شبيهي في التَغَرّبِ والنَوَى
وطولِ التَنَائي عن بَنِيَّ وعن أهلي

أمّا (السُكّر) ووطنُهُ ، فيرجعان الى ديار المشرق العربي أيضاً ، حسب دراسة جمهرة مِن العلماء . ويرجع الفضل في صناعة السُكر الى العرب ، فهم الذين جاءوا بالقصب الى اسبانية .

ولا ننس أيضاً ، انّ كثيراً مِن الخُضَر ، دَخلَت أوربة مِن الشرق ، كالسبانخ وغيره ، أمّا التوابل فموطنها الأصل ديار الشرق ، كما هو معروف ومشهور .

عالَم النبات (٣٦) ، البساتين ، الوَرْد :

وعالَم النبات ، هو عالَم طريف عجيب ، ومَن يَزُر حدائق أوربة ، يلمس أَثَر الشرق فيها ، فهذه شجرة الكستنا الجميلة المزروعة على جوانب الطُرُق ، جاء بها أناس مِن الشرق الأدنى ، هي وغيرها مِن الشجر والورد ، عند تقدّمهم مِن آسية الى أوربة .

ويذكر الباحثون المَعْنيّون بشؤون النبات ، انّ الهولنديين — في المئة السابعة عشرة للميلاد — وَلِعوا بالورد المعروف بِـ (الشقائق) ، حتّى كانوا يتسابقون الى دَفْع المبالغ الكثيرة في سبيل الحصول على الأنواع النادرة والجميلة . وحال هذا الضَرْب مِن الورد ، حال ضروب أخرى ، جاءت الى أوربة مِن ديار الشرق ، كالوردة المعروفة بِـ (الدمشقية) التي جلَبَها الصليبيون مِن دمشق ، الى فرنسة ، و (وردة الشاي) ،و (مَلِكة الزهور)، و (زهرة الكاميليا) ، وشجيرات الزينة ، وغيرها كثير (٣٧) .

---

(٣٦) « انجازات العرب في العلوم الطبيعية : (ب) النبات » ، بقلم : د . عبدالحليم منتصر : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية » (ص ٢٤٠ — ٢٤٥) .

(٣٧) م . ع : « معارض الأزهار والأشجار في العصور السالفة » (« أهل النفط » ٣ [بيروت : أيار ١٩٥٤] ع ٣٤ ؛ ص ٣٦ — ٣٧) .

عالـَم الحيوان (٣٨) :

ومِن المفيد أيضاً أن نتطرّق الى عالـَم الحيوان . فقد نـَقـَل الغرب عن الشرق كثيراً مِن الحيوانات ، كالكلب الصينيّ ، صغير الحجم الذي نُقـِل الى انكلترة .

والمعروف انّ الحروب الصليبية ، نقلت الجواد العربي الى أوربة .

أمّا تربية الدُيُوك البريّة ، فقـــد انتشرت في أوربة انتشاراً كبيراً في العصور السالفة ، جاءوا بها من غير بلدٍ من بلدان الشرق .

ولابدّ أيضاً مِن الإشارة الى العناية بطير الصقـَر . فقد جاءت الى أوربة عن طريق الشرق . ويحدّثنا التاريخ ، انّ الإنبراطور فردريك الثاني (ت : ١٧٨٦ م) وَجـّه اهتماماً كبيراً الى الصقور ، وكان اهتمامه هذا اقتداءً بالعرب وإعجاباً بعنايتهم به ، حتّى انّه اتـّخذ القلانس لأجل الصقور والدجاج (٣٩) .

وهنالك أمرٌ ذو بال ، هو عملية تفريخ الدجاج . فانّ وطن (معمل التفريخ) كان البلاد المصرية (٤٠) .

قال السيوطي (٤١) في هذا الشأن : ويُعـْمـَل بمصر معامل كالتنانير ،

---

(٣٨) « انجازات العرب في العلوم الطبيعية : (ج) الحيوان » ، بقلم : د . عبدالحليم منتصر : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية » (ص ٢٤٥ – ٢٤٨) .

(٣٩) م . ع : « حدائق الحيوان في العصور الأسلامية السالفة » : (« هنا بغداد » [بغداد – ك ٢ / ١٩٥٧] ع ١٥٣ ؛ ص ٤٢ – ٤٣) .

(٤٠) م . ع : « نخب وملح : معامل الفراريج بمصر » : (جريدة « البلاد » ١٦ [بغداد –الخميس ٢ ت ٢ / ١٩٤٤] ع ٢٣٤٩) .

(٤١) « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » (المط الشرفية – القاهرة ؛ ٢ : ١٧٦) . وراجع أيضاً :

« قوانين الدواوين » لابن مماتي (تحقيق عزيز سوريال عطية . مط مصر ١٩٤٣ ؛ ص ٢٤٥ – ٢٤٦) .

« خطط المقريزي » (مط النيل – القاهرة ؛ ١ : ٤٠) .

ويُعْمَل بها البَيْض بِضَعَة ، ويُوقَدُ بنارٍ يُحاكَى بها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة البَيْضَ ، ويَخْرُجُ في تلك المعامل الفراريج ، وهي معظم دجاجهم .

وهنالك حيوانات أخرى انتقلت مِن الشرق الى ديار الغرب ، أهمّها الحصان العربيّ ، والغنم المعروف بالمارينو ، وضروب كثيرة من الطيور .

النَّظّارة :

لقد ثَبَتَ أنّ الشرق أسبق مِن الغرب الى معرفة « النَظّارة » (٤٢) ، أو ما يُسَمّى بِـ « العُيَيْنَة » (٤٣) . فانّ أوّل مَن عرف العَدَسة ، العالم الشهير ابن الهيثم (ت : ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) .

والشائع انّ رجلاً إيطالياً اخترع « النَظّارة » بعد المئة الثالثة عشرة للميلاد، ولكنّ الواقع انّه حَسّنها . فأول معرفة الناس بها ، كان مِن ديار الشرق ، ومنه انتقلت إلى الغرب .

أنْشَدَ شهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بابن العطّار المصري ، المتوفى في القاهرة سنة ٧٩٤ هـ (= ١٣٩٢ م) :

أتَى بَعْدَ الصبا شَيْبي ودَهْري ... رَمَى بعـد اعتدالـي باعـوجاجِ
كَفَى أنْ كان لي بَصَرٌ حديـدٌ ... وقد صارت عيوني مِن زجاج (٤٤)

(٤٢) م . ع : « العرب أول من عرف النظارات » ١ – (« أهل النفط » ٦ [بيروت : أيلول ١٩٥٦] ع ٦٢ ؛ ص ١٣) .
٢ – (« هنا بغداد » [بغداد : أيلول ١٩٥٦] ع ١٤٩ ؛ ص ١٥) .

(٤٣) حبيب زيات : « العيينات » : (« الخزانة الشرقية » ٣ : ٨٥ ؛ بيروت ١٩٤٦) .

(٤٤) أحمد تيمور باشا : « أعيون من زجاج أم هي النظارات » (« الهلال » ٢٨ [القاهرة – ديسمبر ١٩١٩] ج ٣ ؛ ص ٢٣٦ – ٢٣٩) .

ولا شكّ في انّ الشاعر أراد بالعيون الزجاج : « النَظّارة » ، وكان ذلك قبل ستمائة سنة . .

وإذا ذهبنا إلى ما أنشده ابن حمْديس الصقلّي (ت ٥٢٧ هـ = ١١٣٢م) أنّ ما يَعْنيه بقوله ، هو « النَظّارة » بعينها التي توضع على العيون ، وليست النَظّارة المُكبِرّة التي تُحْمَل باليد ، يكون ذلك أبعد الأخبار عهداً بالنظّارات واتّخاذها للعيون ، ويرجع ذلك الى نحوٍ مِن تسعمائة سنة مضت . فمِمّا أنشده في هذا الشأن :

وجَدْولٍ جامدٍ في الكَفّ تَحْمِلُهُ يَغُوصُ فيه على دُرّ النُهى النظرُ
يَكْسُو السطورَ ضياءً عندَ ظُلْمتِها كأنّ يُنْبُوعَ نورٍ منه يَنْفَجِرُ
يَشِفُّ للعَيْنِ عن خَطّ الكتابِ كما شَفّ الهواءُ ولكنْ جِسْمُهُ حَجَرُ
نِعْمَ المُعينُ لشيخٍ كَلَّ ناظِرُهُ وصَغّر الخطَّ في ألحاظه الكِبَرُ
يَرَى به صُوَرَ الأسطارِ قد عَظُمَتْ كعُنْصرِ الماءِ فيه يَعْظُمُ الوَبَرُ

شَدّ الأسنان بالذهب :

صفحة طريفة عرفها العرب قبل غيرهم من الأمم ، ثمّ انتقلت مع الزمن الى ديار الغرب ، هي معرفة العرب قديماً (شَدّ الأسنان بالذهب) (٤٥) .

ولعلّ أبعد الأخبار عهداً في هذا الشأن ، يرتقي الى فجر الإسلام . فقد قال غير واحدٍ مِن المؤرّخين الذين تناولوا ترجمة الخليفة عثمان بن عفّان (ت : ٣٥ هـ = ٦٥٦ م) في إحدى صفاته : انّه كان مشدود الأسنان بالذهب .

---

(٤٥) م . ع : (١) « فضل العرب على طب الأسنان » : (« أهل النفط » د [بيروت – تموز ١٩٥٦] ع ٦٠ ؛ ص ٤٣) .

(٢) « الأسنان المصطنعة . شد الأسنان بالذهب » ضمن مقال « أعضاء الإنسان المصطنعة عند العرب » بقلم : م . ع : (« مجلة المجمع العلمي العراقي » ٣٤ [بغداد –١٩٨٣] ج ٢ ؛ ص ١١٧ – ١١٩) .

وقال غيرهم : انّه حينما كبر وتقدّم في السنّ ، وضَع له سنّاً مِن ذهب.

ونُـقِل عن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، انّه شَدّ أسنانه بالذهب .
روى الجاحظ عن أبي الحسن المدائني ، قال : لمّا شَدّ عبد الملك أسنانه بالذهب ، قال : لولا المنابر والنساء ما باليتُ متَى سقطت .

وفي رواية أخرى انّ عبد الملك أجاب سائله يوماً : إنّ الذي أحوجني الى شَدّ ثناياي بالذهب :قراع المنابر .

يعني أنّ مِن مستلزمات الخطيب ، أن يكون فصيح النطق بَيّن الألفاظ ، وإنّ فَقْد مُقَدَّم الأسنان ، يذهب بالنطق الفحل ، ويوهن قيمة ألفاظ الخطيب ، التي يريد بها التأثير على السامع .

وكان لعبد الملك أيضاً سنّ سوداء يخفيها عن الناس ، فقَلَعَها وجعل مكانها سنّاً ذهباً .

وأخبر الرواة عن بعضهم ، انّ موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، شَدّ أسنانه بالذهب . وموسى هذا مات بالكوفة سنة ١٠٤ هـ (= ٧٢٢ م) .

وكان ببغداد رجلٌ يقال له معاذ بن مسلم الهَرّاء ، كان مِن أعيان النُحاة ، توفيّ ببغداد سنة ١٨٧ هـ (= ٨٠٣ م) ، كان يشدّ أسنانه بالذهب مِن طول ما عَمّر ، ومات أولاده وأولاد أولاده ، وهو باق . وقد عاش مئة وخمسين سنة .

هذه باقة مِن الأخبار تفصح عن معرفة العرب بشَدّ الأسنان ومعالجتها ، ويرتقي أقدمها الى نحو أربعة عشر قرناً .

الطبّ ، التشريح ، الصيدلة :

أمّا مآثر الشرق في ميادين علوم الطب (٤٦) والصيدلة (٤٧) ، وما أخذه

---

(٤٦) راجع :

١ – « الطب العربي وأثره في الغرب » بقلم : د . محمد كامل حسين : « أثر العرب =

الغرب مِن هذا البحر الزاخر (٤٨) ، فانّ ذلك أمرٌ يطول شرحه . ونكتفي بذكر خبرٍ طريف يتعلق بِعلْم التشريح . حَكَى المؤرّخ البغدادي عليّ بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت : ٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م) ، في حوادث سنة ٥٩٧ هـ : « انّ جماعة ممّن يُعاني عِلْمَ الطبّ والتشريح ، خرجوا الى تَلٍّ فيه رِمَمٌ كثيرة ، يُحَزَّربعشرة آلاف ، وهم على طبقات في قُرب العهد وبُعْدِه ، فشاهدوا مِن شَكْل العظام ومفاصلها ، وكيفية انتصابها وأوضاعها ، ما أفادهم عِلْماً لا يستفيدونه مِن الكُتُب ، إمّا لأنّها سُكِتَ عنها ، أو لأنّ لفظها لا يفي بالدلالة عليها ، أو يكون ما شاهدوه مخالفاً لما قيل فيها . والحِسّ أقوى دليلاً مِن السَمْع . (٤٩) .

المستشفيات السيّارة :

وطالما نحن بصدد ذكْر بعض ملامح مِن الطبّ ، وما أخذه الغرب عن الشرق . نشير هاهنا إلى أمرٍ له أهمية بالغة ، هو (المستشفيات السيّارة) التي ذاع أمرها في ديار الغرب ، الذي سبقه إليها الشرق بمئات السنين . فقد كان المَعْنيُّون بشؤون البلاد في الشرق ، يجعلون بيمارستانات ، أي مستشفيات ،

= والإسلام في النهضة الأوربية » (ص ٢٦٣ - ٣٠٤) .
٢ - د . عبد الرحمن بدوي : « دور العرب في تكوين الفكر الأوربي » (ص ٢١- ٢٢) .
٣ - د . محمود الجليلي : « تأثير الطب العربي في الطب الأوربي : في القرون الوسطى والنهضة الأوربية » (« مجلة المجمع العلمي العراقي » ٣٢ [١٩٨١] ج ٣ و ٤ ؛ ص ١٨٦ - ٢١٠) .

(٤٧) « انجازات العرب في العلوم الطبيعية : (د) في الصيدلة »بقلم: د . عبد الحليم منتصر : « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية » (ص ٢٤٩ - ٢٥١) .

(٤٨) م . ع : (١) « مآثر العرب في ميادين الطب وإنشاء المستشفيات » (محاضرة ، بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٥٤) .
(٢) « مستشفيات بغداد في العصر العباسي » (محاضرة ، بتاريخ١١/٢/١٩٥٤).

(٤٩) « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » (تحقيق : د . مصطفى جواد . بغداد ١٩٣٤ ؛ ٩ : ٥٠) .

تُحْمَل آلاتُها ، وخيِمَمُها ، وأدويتُها ، والأطباء ، والغلمان ، والمرضى ، على عشرات البخاتي – أي الجِمال القويّة – تَتَنَقّل بين المدن والأرياف(٥٠).

وتُعَدّ خيمة « رُفَيْدَة » أوّل مستشفى سيّار في الإسلام . و « رُفَيدَة » هذه ، امرأة مِن قبيلة « أَسلم » ، كانت تداوي الجرحى في واقعة الخندق .

الكتابة البارزة للعميان :

وهـــذه ناحية طريفة للغاية ، انبعثت مِن ديار الشرق ، بل انطلقت مِن بغداد على ضفاف دجلة ، ورائدها: (عليّ بن أحمد زين الدين الآمدي العابر)، كان أعمى لا يبصر ، عاش في بغداد في حدود سنة سبعمائة للهجرة . كان أستاذاً في المدرسة المستنصرية ، وكان آية في العِلْم والذكاء . له الفضل في استنباط الكتابة البارزة الخاصّة بالعميان (٥١) .

والمعروف انّ رجلاً فرنسياً اسمه (بَريل Braille) كان أعمى لا يبصر ، استنبط في حدود سنة ١٨٣٤ م ، أي قبل نحو مئة وخمسين سنة ، الأسلوب المنسوب إليه لتعليم العميان القراءة والكتابة (٥٢) .

ولكنّ « الآمدي » هذا ، سَبَق « بريَل » الفرنسي ، بأكثر مِن ستمائة سنة . وقصّة استنباطه الكتابة البارزة ، هي انّه كان يُحرز كتُباً كثيرة جداً . وكان إذا طُلب منـــه كتاب ، وكان يعلم انّه عنـــده ، نَهَض الى خزانة كتُبه – في غرفته الخاصّة به في المستنصرية – ، واستخرجه مِن بينها كأنّه

(٥٠) م . ع : « العرب أول من أنشأ المستشفيات السيارة » : (أهل النفط » ٤ [بيروت : أيار ١٩٥٥] ع ٤٦ ؛ ص ١٨ – ١٩) .

(٥١) م . ع : « العرب أول من اخترع الكتابة البارزة للعميان » : (أهل النفط » ٣ [بيروت : تموز ١٩٥٤] ع ٣٦ ؛ ص ٢٥) .
عبد الحميد العلوجي : « الحروف البارزة اختراع عربي » : (« ألف باء » ١١ [بغداد : ٢٠ / أيلول ١٩٧٨] ع ٥٢٢ ؛ ص ٣٠ – ٣١) .

(٥٢) « أعمى ينير الطريق للعميان » (« أهل النفط » ٢ [بيروت : أيلول ١٩٥٢] ع ١٤) .

قد وضعه لساعته ، وإنْ كان الكتاب عدّة مجلّدات ، وطُلب منه الأول مثلاً ، أو الثاني ، أو الثالث ، أو غير ذلك ، أخرجه بعينه وأتى به . وكان يمسّ الكتاب أولاً ثمّ يقول : يشتمل هذا الكتاب على كذا وكذا كرّاسة ، فيكون الأمر كما قال . وإذا أمرّ يده على الصفحة ، قال : عدد أسطر هذه الصفحة كـذا وكـذا سطراً ، وفيها بالقلم الغليظ كـذا ، وهذا الموضع كُتب به في الوجهة – أي في الجانب – ، وفيها بالحمرة هذا ، وهذه المواضع كُتبت فيها بالحمرة . وإنْ اتفق انّها كُتبت بخطّيْن أو ثلاثة ، قال : اختلف الخطّ مِن هنا إلى هنا مِن غير إخلال بشيء ممّا يمتحن به .

والأدهى ، انّه كان يعرف أثمان جميع كُتُبه التي اقتناها بالشراء ، وذلك انّه كان إذا اشترى كتاباً بشيءٍ معلوم ، أخذ قطعة ورق خفيفة ، وفتَل منها فتيلة لطيفة – أي صغيرة – وصنعها حرفاً أو أكثر ، مِن حروف الهجاء ، لعدد ثمن الكتاب بحساب الجُمَل . ثمّ يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب مِن داخل ، ويلصق فوقه ورقة بقدره ، لتتأبّد . فاذا شذّ عن ذهنه كمّية ثمن كتاب ما مِن كُتُبه . مسّ الموضع الذي علّمهُ في ذلك الكتاب بيده ، فيعرف ثمنه مِن تثبيت العدد الملصق فيه (٥٣) .

وهذا الأسلوب هو بعينه الكتابة البارزة الخاصّة بالعميان . وهو أمرٌ يدلّ دلالة لامعة على عناية أولئك الأقدمين بأمورٍ يُظَنّ انّها مِن مبتكرات العصور الحديثة ، ومستنبطات المدنية الغربية .

الطيران :

وهنالك ناحية جليلة الشأن ، عظيمة الأثر ، هي رواية (الطيران) ، التي نجد آثارها واضحة فيما سطّره التاريخ عن بعض أمم الشرق ، كما انّ

(٥٣) الصفدي : صـلاح الدين : « نكت الهميان في نكت العميان » (مصر ١٩١١ ؛ ص ٢٠٧ – ٢٠٨) .

للعرب القِدْح المُعَلّى في هذا الميدان . وأفاد الغرب كثيراً مِن تلكم التجارب التي قام بها غير واحدٍ مِن أبناء الشرق في قديم الزمن .

ولعلّ أسطورة (إتانا مع النَسْر) ، وهي أسطورة بابلية ترتقي الى سنة أَلْفَيْن قبل الميلاد ، أو إلى أَبْعَد مِن ذلك ، تَتَصَدَّر محاولة الإنسان في الطيران .

ونعود الى العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم ، ونقف على أخبار طريفة في هذا الشأن .

إسمع الى قول الشاعر الجاهلي ، وفيه مِن التشبيه والإستعارة ، ما يشير الى فكرة طيران بني الإنسان ، قال :

قَوْمٌ إذا الشرُّ أَبدى ناجِذَيْه لهم طاروا إليه زَرَافاتٍ وَوحْدانَا

وأفصح مِن ذلك ، القول المنسوب الى مجنون ليلى ، في صدر الدولة الأموية ، حيث يقول :

أَسِرْبَ القَطَا هل مَن يُعيرُ جَنَاحَهُ لعليّ إلى مَن قد هَوَيْتُ أطيرُ

فالشاعر يتخيّل إمكانَ طيران الإنسان بِجَناحَيْن ، لو أمكنَ أن يُعيرَهُ ذَيْنِكَ الجناحَيْن طائر .

ذلك حِلْم جميل كان يصبو إليه الإنسان في أطوار حياته كلّها ، هو مجاراة الطيور وهي تسبح في الفضاء يَتَمَنّى أن يكون له مثل مالها مِن الأجنحة تَحْمِلُهُ في الهواء ، وتَنْتَقل به فوق اليَمّ واليابسة ، ترتفع به الى أَجواز الفضاء ، وفوق قِمَم الجبال ، وتَهْبط به تجوب الأودية والسهول .

ثمّ تمرّ السنون ، وتطلّ المئة الثالثة للهجرة ، فيلمع في سماء مطلعها ، رجل عربي فَذّ ، نعني به : العبّاس بن فِرْناس .

وابن فِرْناس هذا ، مُخْتَرِع أندلسيّ مِن أهل قُرْطُبَة ، وهو أوّل مَن استَنْبَط بالأندلس صناعة الزُجاج مِن الحجارة ، وصَنَع آلة سَمّاها

المثقال لمعرفة الأوقات ، وصنع في بَيْتِهِ هيئة السماء ، وخيّل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود .

كَتَبَ عنه (المقّري) (٥٤) مؤرّخ الأندلس (ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م)، في عرض كلامه على مَن اشتهر من الأذكياء في استخراج العلوم واستنباطها ، فذكر انّه احتال في تطيير جُثْمانه ، وكسا نفسه الريش ، ومدّ له جناحَيْن ، وطار في الجوّ مسافة بعيدة ، ولكنّه لم يُحْسِن الإحتيال في وقوعه ، فتأذّى في مؤخّره، ولم يدرِ انّ الطائر انّما يقع على زِمِكِّهِ (٥٥) ولم يَعْمَل له ذَنَباً . (٥٦)

وفيه قال الشاعر :

يَطمُّ على العَنقاءِ في طيرانِها ‏ ‏ ‏ ‏ إذا ما كَسا جثمانَه ريشَ قشعمِ

وهذا شخص عربي آخر ، له نصيبٌ كبير في نشأة فكرة الطيران ، هو: أبو النَصْر اسماعيل بن حمّاد المعروف بالجوهري ، العالِم الأديب ، مؤلّف قاموس « الصِحاح » في اللغة . صَعِد يوماً الى سطح الجامع الكبير في نَيْسابُور، فأهاب بالقوم : أيّها الناس : لقد استنبطتُ اليومَ للعالَم عملاً لا مثيل له ولا قرين، وأنا مُحْدِثٌ للخَلْقِ أمراً ما تقدّمني الى اختراعه أَحَدٌ قط. ثمّ أخذ مِصراعَي باب وتأبّطهُما بِحَبْل ، بَدَلاً من الأَجنحة ، وقال للناس : انّي طائرٌ في أطباقِ الفضاء ، وإذ ذاك رَفَّ بِجُثْمانه في الجوّ ، ولكنّه لم يلبث أن سَقَط سَقْطَةً قاتلة طاحت بحياته . وكان ذلك سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة للهجرة (= ١٠٠٢ م) (٥٧) .

---

(٥٤) « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » (تحقيق : د . إحسان عباس . دار صادر - بيروت ١٩٦٨ ؛ ٣ : ٣٧٤) .

(٥٥) بكسر الزاي والميم وتشديد الكاف : ذنب الطير .

(٥٦) توفي عباس بن فرناس ، سنة ٢٧٤ هـ = ٨٨٧ م . ترجم له : (محمد عبدالله عنان : مجلة « العربي » [الكويت : أيلول ١٩٦٠] ع ٢٢ ، ص ٢٥ - ٢٨) .

(٥٧) أنظر : (مجلة « دار السلام » - أولا الطيارين عربيان - ٣ [بغداد : تموز ١٩٢٠] ع ١٤ ؛ ص ٢١٤ - ٢١٥) .

نستخلص ممّا ذكرناه ، أنّ للعرب الصدارة في نشوء فكرة الطيران ، بل ذهبوا الى أَبْعَد مِن ذلك ، إنّهم حاولوا الطيران ، بل طاروا فعلاً (٥٨) .

أَجْوِزَة السّفَر :

ولأَجْوِزَة السّفَر حكاية شرقية عريقة ، ترتقي الى أيّام الجاهلية . وإذا تتبعنا التاريخ ، ألفينـــا أنباءً تدلّ على وجــود شيء ذي صلة بالأَجْوِزَة ، عُرِف يوم ذاك بِـ « الإذن بدخول البلد » . وقد نَبّه غير واحدٍ مِن المؤرّخين في شأن ذلك (٥٩) .

أمّا في صدر العصر الإسلامي ، فيستدلّ مِن سياق الروايات التاريخية ، أنّ أَجْوِزَة السّفَر ، كانت مُتّخَذَة في كثيــرٍ مِن ديار الشرق : في العراق والشام ومصر . فقد كان في بعض هذه الديار ، منذ أوّل العصر الإسلامي ، نظام دقيق للأَجْوِزَة المُتّخَذَة للانتقال الداخلي مِن مدينة الى أخرى . وكان الجَواز يَتَضَمّن صِفَة الشخص وهيئته ، لئلاّ يُشْتَبَه به ، أو يُتّخَذ لغيرِ أهله . وذاك يدلّ دلالة ساطعة على عناية أولئك الأقدمين بشؤونٍ ، هي مِن صميم المدنية ، والحضارة العالمية . (٦٠)

---

(٥٨) م . ع : « الطيران عند الأمم القديمة ولا سيما العرب » :

١ – (مجلة « المعلم الجديد » ١٨ [بغداد : شباط ١٩٥٥] ع ٢ ؛ ص ١٨٣ – ١٨٨) .

٢ – (مجلة « العراق الجديد » [بيروت ١٩٥٦] ص ٢٩ – ٣٢) .

(٥٩) راجع : « الإكليل » : للهمداني – ت : نحو سنة ٣٥٠ هـ = نحو ٩٦١ م – (تحقيق : الأب أنستاس ماري الكرملي – بغداد ١٩٣١ ؛ ٨ : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) .

(٦٠) م . ع : « أجوزة السفر في العصور الإسلامية » :

١ – (مجلة « الرابطة » ١ [بغداد – ١ تموز ١٩٤٤] ع ٧ ؛ ص ١٦٥–١٦٨)

٢ – (مجلة « الكتاب » السنة الأولى – المجلد الثاني [القاهرة – مايو ١٩٤٦] ج ٧ ؛ ص ٤٠ – ٥٠) .

الخاتمة :

هذا غَيْضٌ مِن فَيْض ، أخذه الغرب عن الشرق ، وهنالك أمور أخرى تتصل بعلوم الطبيعة ، والفلك ، والطبّ ، والتمريض ، والصيدلة ، والفلسفة ، وضروب الصناعات ، وغيرها ، لم نتطرّق الى ذكرها .

والجدير بالذِكْر ، أنّ في الشرق تكوّنت الموجات العلمية ، التي أَدَّت الى كثيرٍ مِن الأحداث التاريخية في عصرنا الحاضر .

يقول مَن عُني بنَشْر هذه الحقائق ، مِن العلماء والمستشرقين والمستعربين ، انّهم ما جمعوا هذه المعلومات ، ولا نهضوا لتلك الدراسات ، إلاّ ليخدموا العِلْم والحقيقة . ويظهروا أَثَر الشرق في الغرب .



أسماء خيل العرب وفرسانها

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من الملاحظ ان التاريخ الوظيفي لشبه الجزيرة العربية يتمثل في العامل الجغرافي المتميز الذي ظل يحمل المتغير الثابت لهذه الوظيفة ، وان الخصائص الواضحة التي تجلت فيهـا تحدد الصلة الحقيقية للبناء الحضـاري والتطور التاريخي والاحساس بالمظاهر الاساسية في التكوين البشري ، فهو المكان الذي هيأت له القدرة الالهية ان يحتضن دعوات التوحيد في اطرافها المتكاملة ، ويمتلك ارادة الايمان بالوجوه ويمنح انسانه الذي ورث هذا الايمان قدرة التآلف والرعاية لكل مايحمي هذه الفكرة ويوسع دائرتها ويهييء المناخ المناسب لنشرها في الأقطار المجاورة بالاسلوب الذي يراه مناسباً ، والمنطقة امتداد صحراوي متسع تحيط به البحار من معظم جهاته ولكنهـا لاتشكل عزلة جغرافية بالنسبة لهـذا الامتداد ، وانما كانت عبر اسفار التاريخ وسائل اتصال مستمرة لتوالي قدوم الهجرات وتبادل السلع وانتقال الدفعات البشرية التي شـكلت في بعض الاحيـان أخطاراً على سـكانها الاصليين . . ويبقى الجزء الواسع في داخل هذه الجزيرة يعاني من قسوة الحرارة اللاهبة ووعورة المفاوز الصعبة ومعاناة الجفاف الذي يطوي آلاف الكيلومترات منها وهي تتعرض للرمال المتحركة والسموم المحرقة ، اما الشتاء الذي احتفظ بقسوة لياليه الباردة وسيوله المتدافعة وقد ارتسمت في بعض ايامه ملامح الخصب وشهدت جوانب من فصوله مرابع معشبة يغطي الكلأ صفحات متباعدة

منه ، ولابد أن تكون هـــذه الطبيعة قد ساعدت على خلق الظـــروف الصعبة التي حالت – عبـــر مراحل التاريخ – من تحقيق مطامـــع الغزاة الذين تطلعت نفوسهم للاستحواذ عليها او التمتع بما عرفته ارضها من بعض الخيرات وخاصة الساحل الغربي والجنوبي الذي شهد حضارة يانعة وتاريخاً حافلاً بالانجازات وانساناً ابدع في الاساليب التي وجدها مناسبة لحياته فكانت المدن الكبيرة والمجتمعات المتحضرة والحياة السياسية التي عرف الانسان فيها المبادىء الاساســية للنظم المعروفة في تلك العصور وعــلى الرغم من قيـــام الامبراطوريات التي كانت تقف على حدود الجزيرة العربية بمحاولات السيطرة على انسان الجزيرة الا انها اخفقت في كثير من المرات ولكنهـــا استطاعت ان تسخر وتشجع بعض الدول على حدودها لتتمتع باستقلال ذاتي غير مستقر لتتخذ منها محميات حدودية تصد عنها بعض الهجمات التي تتعرض لها وقد اخذت هذه الدول مكانتها في بعض الفترات التاريخية بسبب قدراتها العسكرية واحساسها بالدور القيادي الذي يمكن أن تؤديه وهي توحد القبائل العربية وتسعى لخلق المناخ المناسب لتوحيد اهدافها في ارادة الاستقلال والحياة الحرة الكريمة .

ومن الطبيعي ان تتعرض هذه الممالك للتقلص والتضاؤل بعد ان ادركت الامبراطوريات الكبرى المشاعر القومية التي تجلت في هذا التوحد فلم تترك لها قدرة الانتعاش وهي تستعيد حيويتها فكانت موضع تطلعها ومجال اهتمامها للحيلولة دون تحقق المطامع المشروعة لابنائها ، وبقيت تعاني هذه الممالك من تآمر هذه الامبراطوريات ماأضعف كيانها وفرق وحدتها وافقدها عناصر قوتها . ان امتداد الاراضي التي خطت اخفاف الابل طريق تجارتها كانت وسيلة حضارية متميزة من وسائل الشد بين شمالها المترامي وجنوبها الضيق ، فكانت قوافل الابل تجوب المراكز وتحمل التجارة وتمنح الحياة الوجه الحضاري الدائم بما تخلفه من اجواء وتثيره من معاملات وتودعه من اموال ،

واذا اقتصرت حركة القوافل في الفترات التي سبقت ظهور الدعـوة فأن اكتشافاً جديداً كان سبباً آخر من اسباب استمرارية الحياة بما فرضه المتغير الجغرافي وهو الحصان الذي أستأثر بالاهتمام ووجد في نفوس ابناء الجزيرة الحرص الاثير والاعتزاز الكريم ، وقد ادى هذا الاهتداء الى ان يصبح انسان الجزيرة مقاتلاً متميزاً وفارساً بطلاً ، وطرفاً خطيراً في التعامل والحرب والحفاظ على الحق والدفاع عن الشرف والذود عن الحمى ، وقـد استطاعت الخيل ان ترسخ تقاليد القتال ، وتملأ ساحة الجزيرة بدورها التاريخي الذي حقق كثيراً من التحولات الاجتماعية والحضارية . . فقد احب العرب الخيل لما ادته لهم من نفع كثير ، وكانت عنايتهم بها عناية فائقة واهتمامهم بشؤونها يفوق كل اهتمام .

وقد اشتهر الجاهليون بالمحافظة على انسابها ، وعدم الخلط بين سلالاتها ، فتراهم يخلدون ذكرها وصفاتها في قصائدهم ومقطعاتهم ، وقد عكف فريق من العلماء ، كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما على تدوينها تدويناً منظماً ووضعوا في ذلك رسائلهم التي لم يصل الينا منها الا النزر اليسير .

وكان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مألوفة ومعروفة ليتمكنوا من تمييزها ، وليعرفوا الاصيل منها من غيره ، وقد ذكر ابن الكلبي طائفة من فحولها وجيادها ، والمعروف المنسوب منها في الجاهلية ، وما شهر بأسم او نسب من ذكورها واناثها ، ومما ذكره : زاد الراكب واعوج ، وسبل ، والنعامة ، والهطال والعرادة ، والوجيه ، ولاحق ، وقرزل ، والجون ، وداحس ، والغبراء ، والورد ، وجروة ، والشموس .

وحفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من اسماء الخيل التي كانت تمثل الاصحاب الحقيقين لها ، والتي كانت لاتقل بطولاتها عن بطولات فرسانها ، فاستحقت بذلك الاعجاب والتقدير ، وقد ذكر صاحب انساب

(١) ابن الكلبي . أنساب الخيل / ١٢٩ .

الخيل أكثر من مائة فرس من افراس الجاهلية والاسلام مع نسبتها الى اصحابها(١)

ومن هنا نستطيع القول انه ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالخيل . . ولسنا نخشى الاتهام بالمغالاة اذا قلنا ان ظهورها وترويضها لخدمة الانسان كان من العوامل الحاسمة في سير التاريخ ، لان قيام كثير من الممالك القديمة كان رهناً بمدى اقتناء الخيول السريعة ، او بمدى معرفتها لوسائل استخدامها .

ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من اموالها ، وتكرمه صيانتها الخيل واكرامها لها ، فكانوا بها يدافعون عما يملكونه ويحمون ذمارهم ، ويسلبون ثاراتهم وينالون بها الغنائم ، ويتخذونها معاقل تقيهم غارة خصومهم ، فظل ذكرها يتردد على شفاههم (٢) .

وكان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو الى التأمل ، ففي اكرامها اكرام للمرء نفسه ، لانها وقاية للنفوس .

وكان العربي يبيت طاوياً ، ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه واهله وولده فيسسقيه المحض ، ويشرب الماء القراح ، ويأكل التمر ، ويعلفه الشعير في الصيف ويجلله بالاكسية التي تصونه ، وتمنع عنه اذى الرياح في الشتاء وقد افرد ابن قتيبة باباً في القيام عليها وسقيها اللبن (٣) .

واصبح يعير بعضهم بعضاً باذالة الخيول وهزالها وسوء صيانتها (٤) ....

واعتبرت الخيل العتاق من اسرة الفارس، فهو يحبها اشد الحب ويرعاها احسن الرعاية ، ويديم النظر اليها من كل ناحية وفي كل حركة .

وقد لايكتفي باوصافه هذه ، وانما يحاول ان يكون دقيقاً في الوصف ويطيل في مناحيه ، فيتناول اعضاءها وقوتها ، وقد دارت اوصافها في شعرهم فلم يتركوا عضواً الا وصفوه ، وقد ارتسم في صورهم التي صوروها مدى الاهتمام والاعتزاز الذي كان يساورهم تجاه هذا الحيوان .

---

(٢) انظر ديوان أبي دواد / ٣١٧ .
(٣) ابن قتيبة ، المعاني الكبير / ٨٣ .
(٤) ابوعبيدة ، الخيل / ٢ .

ولم تزل العرب على ذلك من تثمير الخيل ، والرغبة في اتخاذها وصيانتها والصبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم ، وشدة حالهم في معيشتهم (٥) إلى درجة انهم سموها الخير ، كما ذكر الطفيل الغنوي (٦) .

وليس أدل على اعزاز الخيل وكرامتها على اهلها ، ورفعتها في نظرهم مما قال امرؤالقيس في معلقته (٧) .

واضيف لفظ الخيل الى بعض الاسماء ، فقيل زيد الخيل ، لشغفه بها وكثرة مااجتمع لديه منها ، فقد عرفت له ستة افراس بأسمائها (٨) .

والفرس عدة للفارس في الحروب ، لغيرتها على صاحبها وهذا ماحملهم على تقريبها من بيوتهم ، اكراماً لها وتعظيماً لقدرها واعتزازاً بها ، حتى سميت بالمقربات (٩) .

وبلغ من تعظيم الخيل انهم كانوا لايهنئون الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ او فرس تنتج (١٠) ، وكما كان لفظ الخيل يضاف الى بعض الاسماء ، كان يضاف لقب الفارس الى فرسه ، تعظيماً واكراماً فيقال : فارس اليحموم (١١) وفارس الجون (١٢) ، وفارس العرادة (١٣) ، وفارس المزنوق (١٤) ، وهكذا .

---

(٥) المصدر نفسه / ٣ .
(٦) الطفيل الغنوي . الديوان / ١٦ .
(٧) امرؤ القيس . الديوان / ٢١ .
(٨) الاصفهاني . الاغاني ١٦ / ٤٦ (ساسي) .
(٩) انظر ديوان عبيد / ١١٨ وديوان عنترة / ٤١٠ وديوان عامر بن الطفيل ٣٢ ، ٣٥ ، ودريد بن الصمة في ديوانه / ٧٨ ، وديوان المزرد / ٤١ .
(١٠) ابن رشيق العمدة ٢٩/١ .
(١١) فارس اليحموم . النعمان بن المنذر .
(١٢) فارس الجون . الحارث بن النعمان ، والجون . الحصان الاسود .
(١٣) فارس العرادة ابو دواد الايادي .
(١٤) فارس المزنوق . عامر بن الطفيل .

وكان اشراف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم ، وكانوا يفتخرون بذلك، حتى عد ذلك مأثرة من المآثر التي يعتزون بها ، فكانوا يمرنونها على اكل قديد اللحم ، فأذا اجدبوا ، وقل اللبن اطعموها منه ، وكانوا يسقونها الماء الدافىء في الشتاء (١٥) وكانوا يصنعون لها النعال لتقي حوافرها ضد الصخور والارض الصلبة كما ذكر زهير (١٦) .

وكان السهر على العناية بها مثار اعجاب الشعراء الذين كانوا يتخذون من ذلك موضعاً للمدح (١٧) .

وطبيعي – بعد كل ماذكرنا – ان نجد العربي يتغنى بامتلاكه الفرس ، ويفخر باهتمامه بها ، وولعه بركوبها ، ولم يمنعه الاقتار من الحصول عليها ، لانها مكسبه في كل رهان وحصن يتحصن به تجاه كل معتد ووسيلة يستعملها في الحرب والصيد ، وقد جمع ابو دواد من منافعها مابرر له الاحتفاظ بها (١٨) .

وصور القرآن الكريم اهميتها ، فأقسم بها، وهي تضبح بأصواتها اللاهثة فتوري الشرر بحوافرها القادحة ، فتثير النقع ، وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً » (١٩) .

وكان من تقاليد العربي الا يبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك ، لان في بيعها مثلبة لاتدانيها مثلبة ، وهذا مايوحي بالثقة الاكيدة التي تغمر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ بحبه لهذا الحيوان الاصيل العريق .

(١٥) الجزائري . نخبة عقد الاجياد / ٢٢٣ .
(١٦) زهير . الديوان / ١٥٦ .
(١٧) انظر ديوان الاعشى / ٩٩ .
(١٨) أبو دواد . الديوان / ٣١٧ .
(١٩) سورة العاديات – الآيات (١–٥) .

ولابد ان تعطي هذه الاهمية لهذا الحيوان ، المـكان البارز في الادب العربي ، لانه ملأ جوانب كثيرة من حياة العرب ، فلا غرابة اذا وجدنا فريقاً من الشعراء قد تخصصوا في اوصافه ، فذكر الاصمعي ان ثلاثة من العرب لايقاربهم احد في وصف الخيل ، ابو دواد الايادي ، والطفيل الغنوي ، والنابغة الجعدي ، فأما ابو دواد ، فكان على خيل النعمان بن المنذر والطفيل كان يركبها وهو اعزل الى ان كبر ، والجعدي سمع اوصافها من اشعار اهلها فأخذها عنهم (٢٠) .

وقال ابو عبيدة ، ان ابا دواد اوصف الناس للفرس في الجاهلية والاسلام ، وبعده الطفيل الغنوي ، والنابغة الجعدي ، وكان ابو عبيدة عالماً بأوصاف الخيل ، وكان يقول : ماالتقى فرسان في جاهلية ولا اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما ، وقال ابن الاعرابي : لم يصف احد قط الخيل الا احتاج الى ابي دواد ، وقد لقب بنعات الخيل ، لانه احسن نعتها (٢١) .

وطبيعة الحياة العربية ، وقسوة الظروف الطبيعية في جزيرة العرب جعلت العربي يستحب في خيله الصلابة والضخامة والامتلاء لتكون قادرة على تلبية كل مطلب (٢٢) وهذا ماحمل امرأ القيس على تشبيه فرسه بالهراوة لانها لاتتخذ الا من اصلب العود واشده (٢٣) .

بعجلزة قد اترز الجري لحمها　　كميت كأنهـا هراوة منوال

وكذلك صنع لبيد حينما شبه فرسه بعصا الرعاء الذين يبعدون بابلهم وهي لا تفارقهم ، لانهم يتخذونها سلاحاً ، يدفعون بهاعنهم السباع وهوام الليل(٢٤) .

---

(٢٠) ابن قتيبة . الشعر والشعراء / ٢٣٨ .
(٢١) الجزائري . نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد / ١٠٠ .
(٢٢) انظر ديوان أبي دواد / ٢٩١ ، ٣٢٨ وديوان بشر / ٧٧ .
(٢٣) امرؤ القيس . الديوان / ٣٧ .
(٢٤) لبيد . الديوان / ٢١ وانظر ديوان الاعشى والمفضليات ١٠٢/١ ، ٧٧/٢ .

اما ضخامتها وعلوها ، فقد اكثر الشعراء من ذكرهما ، فشبهوا الفرس الضخم بالبناء العالي الذي يتعبه فيه (٢٥) وشبهها ابو دواد بالثور الوحشي النشيط بالقوة (٢٦) وشبه امرؤالقيس فرسه لقوته ونشاطه بتيس الربل (٢٧) ..

وتتمثل اكثر من صفة من صفات الشدة والصلابة والسرعة في بيت امرىء القيس حينما يشبهها بالجلمود ويجعل الجلمود منحطا من فوق الجبل لان ذلك اصلب له ، واسرع لوقوعه (٢٨) .

وتكاد الصورة تبرز عند أبي دواد ، حينما جمع في فرسه من صفات الشدة ما احكم قوة فرسه ومنحه القدرة على هذه الشدة (٢٩) .

ولابد ان تكون السرعة ذات اثر بالنسبة للفرسان في صحرائهم الفسيحة ، ولابد ان تكون هذه السرعة مثار اعجاب الشعراء الذين وجدوا فيها متنفساً لابرز صفات هذه الخيول التي تحملهم الى اعدائهم بهذه السرعة ، فيطاردون من انهزم من خصومهم ، ويفرون بها من المعركة ، اذا شعروا بأن بقاءهم في المعركة لايجدي ، ويقيدون بها الاوابد ، ويصطادون مايعين لهم في هذه المفاوز المقفرة ليتخذوه طعاما يسدون به غائلة الجوع ، كل هذه المنافع التي شعروا بها ، واحسوا بأن هذه الحيوان يؤديها ، اثارت اعجابهم به ، فوصفوه بما تمكنوا من صفات ، فهو سبوح طويل ، واكثر الشعراء من هذه الصفة في أحاديثهم عن سرعة خيلهم (٣٠) ، سريع رفع

---

(٢٥) انظر ديوان عنترة / ٣٩١ .

(٢٦) انظر ديوان ابي دواد / ٣١٧ وديوان الاعشى /٢١ .

(٢٧) امرؤ القيس . الديوان / ٥٤ وانظر / ٨٧ وديوان الطفيل / ١٢ وديوان الاعشى / ٣٣٥ والمفضليات ٢/٩٧ . ١٦٧ .

(٢٨) امرؤ القيس . الديوان / ١٩ . (٢٩) ابو دواد . الديوان / ٢٩٩ .

(٣٠) انظر ديوان عبيد / ١١٧ وديوان امرىء القيس / ١٨٧ وديوان عنترة / ٣٧٦ و ٤٠٨ (الاعلم) وديوان الطفيل الغنوي / ٢٩ وديوان الاعشى / ١٣٣ و ١٤٧ و ١٥٩ وديوان عامر بن الطفيل / ٥٧ ، ٨٢ .

القوائم ووضعها، سريع الركض والجري (٣١) وأكثروا من اوصاف السرعة وهم يتحدثون عنهـا فقالوا : المسح (٣٢) و المشرحف (٣٣) والسبوح ؛ وكأنهم وجدوا في الطرل عاملا مساعداً لهذه السرعة ، فكان تأكيدهم لهذه الصفة كثيرا فقالوا (السلهب) (٣٤) و (الشرجب) (٣٥) و (السلجم) (٣٦) و (الطمرة) (٣٧) و (الشـقاء) (٣٨) و (الشـيظم) و (الصلهب) و (الشوقب) و (الشوذب) وغير ذلك من الاوصاف التي تدل على السرعة ، وتحمل الجري بقوة ، وتساعد على قطع المسافات الطويلة (٣٩) .

وكما كان الشعراء يسـلون همهم على نوق سريعة ، كان الفرسان يستأنسون بخيول سريعة ، ذوات اعراف طويلة ، واحساب كريمة كما ذكر ابو دواد (٤٠) وتتوالى صور المشبه به الذي يقرنون به صور خيلهم وافراسهم ، فهي الذئب في السرعة والخفة والنشاط والاندفاع ، كما ذكرها ابو دواد (٤١) .

---

(٣١) انظر ديوان امرىء القيس / ٨٦ .

(٣٢) المسح . المنصب في جريه .

(٣٣) المشرحف . السريع .

(٣٤) السلهب . العظيم الطول من الخيل .

(٣٥) الشرجب . الطويل القوائم .

(٣٦) السلجم . الطويل .

(٣٧) الطمرة . الطويلة المشرفة .

(٣٨) كل هذه الصفات تعني الطويلة .

(٣٩) انظر ديوان امرىء القيس / ١٨٧ وديوان عبيد / ١١٧ وديوان علقمة / ٤٢٢ (الاعلم) وديوان ابي دواد / ٢٨٨ ، ٢٩٩ و ٣٣٥ ، وساعدة بن جؤية في شرح اشعار الهذليين ١١١٦/٣ ، وديوان الطفيل الغنوي / ١٢ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٦ ، وديوان عامر بن الطفيل / ٤٠ ، ٥٧ ، وديوان لبيد / ٢١ .

(٤٠) ابو دواد . الديوان / ٢٩٥ .

(٤١) ابو دواد . الديوان / ٢٨٤ . وانظر ديوان امرىء القيس / ٦٧ وديوان لبيد / ٥ ، وديوان الطفيل الغنوي / ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ، وديوان طرفة / ٥١ والاصمعيات / ١١٥ .

وكانوا يشبهون خيلهم بالجرادة (٤٢) ، والعقاب والباز والصقر والحدأ (٤٣) والنعامة (٤٤) وكان الشاعر الجاهلي يلح على ذكر لون الفرس التي يصفها (٤٥) ، ويتحدث عن لمعان جلدها ، وبريقه وصفائه ونصاعته (٤٦) وهو يشرق بالعرق المتصبب من جوانبه (٤٧) ويتلون بالوان الدماء القانئة التي تشبه شقائق النعمان (٤٨) او الدماء الغزيرة التي تبدو كالشيب المرجل بالحناء (٤٩) او الصرف (٥٠) او السندس الاخضر (٥١) ، وكانت الخيل الشقر هي المفضلة عندهم (٥٢) .

وكانوا يحرصون على ابراز الصورة الكاملة الدقيقة لهـذا الحيوان ليظهروا عظمة فائدته ، وشدة حاجتهم اليه ، ولم يقفوا عند هذه الاوصاف الخاصة ، وانما حاولوا ان يصوروا لنا الجوانب الداخلية لهذا الحيوان ، لأنها كانت وثيقة الصلة بالحاجة التي يريدونها منه ، فكانت السرعة تقتضي

(٤٢) انظر ديوان امرىء القيس / ١٢١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٩٣ ، وديـوان الطفيل الغنوي / ٢٢ ، ٣٣ ، وديوان بشر / ٧٤ ، وديوان طرفة / ٨٥ ، وديوان النابغة / ١٥٢ .

(٤٣) انظر ديوان امرىء القيس / ٣٨ ، ١٧٣ ، وديوان بشر / ١٨٩ وديوان الاعشى / ٢٩ ، وديوان لبيد / ١٨٨ ، والمفضليات ١ / ٣٥ ، ٢ / ٥٦ والاصمعيات / ١٥٨ ، والأغاني ٣٩/١٠ (دار الكتب) .

(٤٤) انظر ديوان امرىء القيس / ٢٣٣ ، وديوان أبي دواد / ٢٨٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، والاعشى والمفضليات / ٢٠٧ .

(٤٥) ديوان امرىء القيس / ٢٠ ، وديوان الطفيل / ٧ ، ٢٢ وديوان الاعشى / ٥٣ ، ١٨٧ ، ٢٨٥ والمفضليات ٢١٤/٢ .

(٤٦) انظر ديوان أبي دواد / ٢٨٩ ، والمفضليات ٣٨/١ ، ٤٢/٢ .

(٤٧) انظر ديوان امرىء القيس / ٦٧ ، وديوان الطفيل / ٨ .

(٤٨) انظر ديوان طرفة / ٧٨ .

(٤٩) انظر ديوان امرىء القيس / ٢٣ .

(٥٠) انظر المفضليات ٢/ ٤٣ .

(٥١) انظر المفضليات ٩٧/٢ .

(٥٢) الجاحظ . القول في البغال / ١٠٨ .

عملا اخر، او عملين اخرين تلازمهما وتقترن بهمـــا ، فنبضات القلب سريعة ، والقلب لايكاد يسكن من خفته (٥٣) اما ارتفاع نفسه بعد الجري ، فكان يستوقف الشاعر الجاهلي ايضا (٥٤) .

اما نفسه من منخره عندما يشتد عدوه ، فشبه بكير حداد ، اســتعاره مستعير ، لان الذي يستعير الكير يحرص على رده الى صاحبه فورانتهائه ولهذا فهو ينفخ فيه بشدة ، ليقضـــي حاجته قبل ارجاعه الى صاحبه ، وهي صورة طريفة حرص الشاعر الجاهلي على اظهارها .

اما في مجال الصيد فقد تحدثوا عنها، لانهم كانوا يغدون بها اليه،فهي صافية اللون (٥٥) ، ضامرة البطن ، ملساء الجسم ناعمة جميلة الخلق ، ليس فيها مايعاب ، وكان الشاعر يحرص على وصف فرسه بهذه الصفات حتى يتمكن من اصطياد اشق انواع الحيوان ، ويقيد بها الاوابد (٥٦) ، ويدرك بوساطتها ما يبتغي ، لا يخاتل الصيد ، ولكن يجهر به ، ثقة منهم بهذه الافراس ، كما وصفها زهير (٥٧) .

وكانوا يشبهونها ، وهي تهوي على صيدها بالعقاب ، اوالصقر وتنقض على فريستها انقضاضا لايترك لها مجالاً للهرب ، وكثيراً ماكانوا يقرنون بين ذهابها للصيد ، وبين الدم الذي يعلو صدرها ، ويشبهون ذلك بالمداك ، كما جاء في شعرسلامة بن جندل (٥٨) . .

---

(٥٣) انظر ديوان ابي دواد / ٣٤٣ .
(٥٤) انظر ديوان أبي دواد / ٢٩٣ ، والمفضليات / ٢ / ٢١٤ .
(٥٥) انظر ديوان زهير / ٢٥٥ ، والمفضليات ٣٨/١ ، ١٠٤ .
(٥٦) انظر ديوان امرىء القيس / ١٩ والمفضليات / ١٩/٢ .
(٥٧) زهير . الديوان / ١٣٠ .
(٥٨) المفضل ، المفضليات / ١٢١ .

وكان الفرس اذا استخدموه في الصيد خضبوه بدمه، ليعلم انه قد صادوا به . ومن خلال هذا العرض نجد اهمية هذا الحيوان بالنسبة للحياة العربية ، وندرك الحاجة القصوى التي كانت تلح على العربي للاهتمام به حتى بلغت مظاهر الاعتزاز به ، وتقريبه والاعتناء بتربيته درجة لم نجدها عند غير العرب من الامم ، فهو يريده وسيله للحرب ، يطارد به خصومه ، ويريده حصنا يتحصن به ، وسبيلاً الى الصيد والقنص ليقع على الحيوان الذي يسد بلحمه حاجة تلح عليه ، اوفسحة رغب في قضائها مع اصحابه ، وهو بالتالي زينة له وفروسية ، واداة للطلب والهرب (٥٩) .

وفي قائمة الكتب التي الفت عن الخيل والحجم الذي اخذته المكتبة العربية والابعاد اللغوية التي انصرف اليها اللغويون يبرز الاثر الواضح وفي قائمة ابن النديم في الفهرست دلاله حية على المساحة التي استغرقها هذا الحيوان في باب التأليف عند العرب فقد وقف على كتاب الخيل لابي مالك عمرو بن كركرة (٦٠) وكتاب الخيل لابي محلم الشيباني (٦١) وكتاب خلق الفرس لابي ثروان العكلي (٦٢) وكتاب الخيل لخلف الاحمر (٦٣) وكتاب خلق الفرس للنضر بن شميل (٦٤) وكتاب خلق الفرس لقطرب (٦٥) وكتاب خلق الفرس ، وكتاب الخيل للاصمعي (٦٦) وكتاب اسماء الخيل وكتاب حفير الخيل وكتاب الخيل لابي عبيدة (٦٧) وكتاب الخيل لاحمد

(٥٩) الجاحظ . القول في البغال / ٢٠ .
(٦٠) ابن النديم . الفهرست / ٤٩ .
(٦١) ابن النديم . الفهرست / ٥٢ .
(٦٢) ابن النديم . الفهرست /٥٢ .
(٦٣) ابن النديم . الفهرست /٥٦ .
(٦٤) ابن النديم . الفهرست / ٥٨ .
(٦٥) نفس المصدر / ٥٨ .
(٦٦) نفس المصدر / ٦١ .
(٦٧) نفس المصدر / ٥٩ .

ابن حاتم(٦٨) وكتاب الخيل وسبقها واسنانها وشياتها وغرتها واضمارها ومن نسب الى فرسه (٦٩) وكتاب الخيل للرياشي (٧٠) وكتاب خلق الفرس للزجاج (٧١) وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير لابن دريد (٧٢) وكتاب الخيل لأبي عمرو الشيباني (٧٣) وكتاب الخيل ونسب الخيل لأبن الأعرابي (٧٤) وكتاب خلق الفرس لثابت بن ابي ثابت (٧٥) وكتاب خلق الخيل للكرماني الانصاري (٧٦) وكتاب خلق الفرس لابي محمد قاسم الانباري (٧٧) وكتاب الخيل لابن قتيبة (٧٨) وكتاب الخيل لابن سعدان (٧٩) وكتاب الخيل السوابق (٨٠) وكتاب خلق الفرس لابن الوشاء (٨١) وكتاب الخيل وكتاب خيل العرب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (٨٢) وكتاب الخيل والرهان وكتاب الخيل للمدائني (٨٣) وكتاب الحلاب واجراء الخيل لمحمد بن سلام (٨٤) وكتاب الخيل للأشناني (٨٥) . . . .
وخلق الفرس للحسن بن عبد الله – ينظر المعجم العربي ١٢٧ – وكتاب الخيل للحسن بن أحمد الأعرابي الغندجاني – نفس المصدر – وكتاب الخيل لمحمد بن حبيب – ينظر المعجم العربي – ٢٦ ، – وكتاب الخيل لليزيدي – ينظر المعجم العربي – ١٢٦ وكتاب الخيل وشياتها للقالي – ينظر المعجم

(٦٨) نفس المصدر / ٦١ .
(٦٩) نفس المصدر / ٦٣ .
(٧٠) نفس المصدر / ٦٤ .
(٧١) نفس المصدر / ٦٦ .
(٧٢) نفس المصدر / ٦٧ .
(٧٣) نفس المصدر / ٧٥ .
(٧٤) نفس المصدر / ٧٦ .
(٧٥) نفس المصدر / ٧٦ .
(٧٦) نفس المصدر / ٧٧ .
(٧٧) نفس المصدر / ٨١ .
(٧٨) نفس المصدر / ٨٦ .
(٧٩) ابن النديم . الفهرست /٨٧ .
(٨٠) نفس المصدر/ ٨٨
(٨١) نفس المصدر / ٩٣ .
(٨٢) نفس المصدر / ١٠٩ .
(٨٣) نفس المصدر / ١١٧ .
(٨٤) نفس المصدر / ١٢٦ .
(٨٥) نفس المصدر / ١٢٧ .

العربي – ١٢٦ . . وكتاب الخيل للعتابي (٨٦) وكتاب الخيل الكبير لأبن ابي طاهر (٨٧) وكتاب الخيل لمحمد بن الحسن (٨٨) . .

وأفرد ابن النديم بابا للكتب المؤلفة في البيطرة وعلاج الدواب وصفات الخيل واختياراتها (٨٩) ، واذا كانت نهاية القرن الرابع قد شهدت هذا العدد من المؤلفات فأن عدداً ضئيلاً لايتجاوز اصابع اليد قد وصل الينا . وان القرون التي تلت عصر ابن النديم قد شهدت حركة اوسع لم تقتصر على امثال هذه الرسائل وانما وجدت ابوابا وفصولاً في المعاجم وكتب اللغة والادب قد خصصت لها (٩٠) ، وهي اشارات توحي بالاهتمام الجدي بهـذا الحيوان الذي اصبحت حياته قريبة من حياة العرب واواصر الشد بينه وبين الفرسان ا دتر صده واوثق وشيجة . .

(٨٦) نفس المصدر / ١٣٥ .
(٨٧) نفس المصدر / ١٦٣ .
(٨٨) نفس المصدر / ٢٥٧ .
(٨٩) نفس المصدر / ٣٧٧ .
(٩٠) تنظر : مقدمة الحلبة ١٩٥ – ١٩٧ .

ابن الأعرابي

أبو عبدالله محمد بن زياد الأعربيّ . ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ. تلقى العلم على علماء عصره ، وسمع من الأعراب الذين كانو ينزلون بظاهر الكوفة ، وهم بنو اسد وبنو عقيل واستكثر منهم . وفيما يأتي ثبت بأسماء شيوخه :

١) المفضل الضبي (ت ١٦٨ هـ) : مراتب النحويين ٩٢ .
٢) القاسم بن معن (ت ١٧٥ هـ) : وفيات الأعيان ٤ — ٣٠٦ .
٣) علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) : إنباه الرواة ٣ — ١٣٢ .
٤) لقيط بن بكير المحاربي (ت ١٩٠ هـ) : معجم الأدباء ١٧ — ١٣٧ .
٥) أبو معاوية الضرير (ت ١٩٥ هـ) : معجم الأدباء ١٨ — ١٩٠ .
٦) ابن الكابي هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ) : مخطوط فريد نفيس ١٤٢ .
٧) الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦ هـ) : مخطوط فريد نفيس ١٤٢ .
٨) أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) : مخطوط فريد نفيس ١٤٢ .
٩) سعيد بن سلم الباهلي (ت ٢١٧ هـ) : تاريخ بغداد ٩ — ٧٤ .
١٠) أبو زياد الكلابيّ (مراتب النحويين ٩٢) .
١١) الصموتيّ الكلابي (الفهرست ٧٦) .
١٢) عُجْرُمة (مراتب النحويين ٩٢) .
١٣) أبو المجيب الربعي (الفهرست ٧٦) .
١٤) أبو المكارم (تهذيب اللغة ١ — ٦٠) .
١٥) أبو عرعرة الكلبي (تهذيب اللغة ١٤ — ٢٢١) .
١٦) أبو الجماهر (الأزمنة والأمكنة ١ — ٢٠٠) .
١٧) ابو صارم البهدليّ (المحكم ٤ — ٢٣) .
١٨) أبو محضة (تهذيب اللغة ١— ٢١٦) .

١٩) ابن فارس بن ضبعان الكلبي (الحيوان ٦ — ١٢٠) .
٢٠) الصقيل ، وهو أبو الكميت العقيلي (مراتب النحويين ٩٢)

★ ★ ★

ودرس علي ابن الأعرابيّ وروى عنه علماء كثيرون وهم حسب حروف الهجاء :

١) ابراهيم بن اسحاق الحربي (تهذيب اللغة ١ — ٢١) .
٢) ابراهيم بن علي بن مخلّد (شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ٣٤) .
٣) احمد بن ابراهيم الدورقي (أنساب الاشراف ٥ — ٧١) .
٤) أحمد بن اسحاق ابو المدوّر (ذيل الأمالي ١١٣) .
٥) أحمد بن الحارث ، أبو جعفر الخزّاز (بلاغات النساء ٩٥) .
٦) أحمد بن خالد ، أبو سعيد الضرير (نكت الهميان ٩٧) .
٧) أحمد بن عبيد بن ناصح (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٥١٧) .
٨) أحمد بن محمد بن شيبان الترمذي (مخطوط فريد نفيس ١٤٤) .
٩) أحمد بن يحيى البلاذري (المصون في الأدب ١٠) .
١٠) أحمد بن يحيى ثعلب (إنباه الرواة ١ — ١٣٩) .
١١) أبو بكر العبدي (فصل المقال ٥١٧) .
١٢) شمر بن حمدويه (تهذيب اللغة ١ — ٢١) .
١٣) صالح بن محمد بن عبد الله (تاريخ بغداد ٩ — ٣١٩) .
١٤) عامر بن عمران الضبي ، أبو عكرمة (الأنساب ١ — ٣٠٧) .
١٥) العباس بن الفضل الأسدي (مصارع العشاق ٢ — ٢٨٤) .
١٦) عبد الله بن خليد ، أبو العميثل (المأثور ٣٢ ، ٨٥) .
١٧) عبد الله بن مسلم الحراني (تاريخ بغداد ٥ — ٢٨٥) .
١٨) عبد الله بن يعقوب (التنبيه على حدوث التصحيف ٨٣) .

١٩) عثمان بن سعيد الدارمي (شذرات الذهب ٢ — ١٧٦) .
٢٠) علي بن الحسين الاسكافي (شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ٣٤) .
٢١) علي بن عبد الله بن سنان الطوسي (الفهرست ٧٧) .
٢٢) عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين ١ — ٤١ ، ٥٧ ، ٦٨ . . .) .
٢٣) الفضل بن سعيد بن سلم (إنباه الرواة ٣ — ١٢٩) .
٢٤) القاسم بن سلام ، أبو عبيد (نزهة الألباء ١٣٧) .
٢٥) محمد بن الأزهر بن عيسى (الفهرست ١٢٦) .
٢٦) محمد بن الجهم (الأضداد لابن الأنباري ١٨٠) .
٢٧) محمد بن حبيب (تهذيب اللغة ١ — ٢١) .
٢٨) محمد بن الحسن بن دينار الأحول (تاريخ بغداد ٢ — ١٨٥) .
٢٩) محمد بن عبد الله الحزنبل (شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف١٦١) .
٣٠) محمد بن عبد الله بن طهمان (بلاغات النساء ١٢٣) .
٣١) المفضل بن سلمة (الفهرست ٨٠) .
٣٢) هارون بن زكريا ، أبو علي الهجري (التعليقات والنوادر١ — ٢٧١) .
٣٣) يعقوب بن السكيت (مجالس العلماء ٤٤) .
٣٤) اليمان بن ابي اليمان البندنيجي (معجم الأدباء ٢٠ — ٥٦) .

★ ★ ★

آثاره :

ألف بن الأعرابي كتباً كثيرة لم يصل إلينا منها إلا القليل ، ونذكر فيما يأتي أسماء هذه الكتب مرتبة حسب حروف الهجاء :

١) أبيات المعاني : ذكره الحريري في درة الغواص ٣٤ .
٢) أسماء خيل العرب : وهو الكتاب الذي ننشره اليوم وسيأتي الحديث عنه .

٣) أفعل : تفرد بذكرة علي بن حمزة في كتابه التنبيهات علي أغاليط الرواة ٣١٤ .

٤) الألفاظ : ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣ — ١٣١ . . . .

٥) الأمالي : ذكره الحريري في درة الغواص ٧٤ .

٦) الأمثال : ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣ — ١٤ .

٧) الأنواء : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .

٨) البئر : تفرد بذكره ابن خير الاشبيلي في فهرسته ٣٧٣ .

وقد نُشر الكتاب ثلاث مرات : الأولى نشرة محمود شكري الالوسي في مجلة المقتبس ١٩١١ ، والثانية نشرة د. نوري القيسي في مجلة كلية الاداب ، بغـــداد ١٩٦٦ والثالثة نشرة د . ومضان عبد التواب بالقاهرة ١٩٧٠ .

٩) تاريخ القبائل : ذكره ياقوت في معجم الادباء ١٨ — ١٩٦ . . .

١٠) تفسير الأمثال : ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٨ — ١٩٦ . . . .
ولعله كتاب الأمثال الذي سلف ذكره .

١١) الخيل : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .

١٢) ديوان العاشقين : ذكره ابن ابي حجلة في ديوان الصبابة ١٨ .

١٣) ديوان عمرو بن معديكرب : ذكره البغدادي في الخزانة ٣ — ٥٥٢ .

١٤) ديوان أبي محجن الثقفي : ذكره البغدادي في الخزانة ٣ — ٥٥٢ .

١٥) الذباب : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .

١٦) شعر أرطاة بن سهية : : ذكره أبو الفرج في الأغاني ١٣ — ٣٤ .

١٧) صفة الدرع : ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٨ — ١٩٦ . . .

١٨) صفة الزرع : ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٨ — ١٩٦ . . .

١٩) صفة النخل : ذكره بن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .

٢٠) غريب الحديث : تفرد بذكره ابن النديم في الفهرست ٩٦ .
٢١) الفاضل في الأدب : مخطوط بالمكتبة الخالدية بالقدس ، ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ — ٢٠٤ .
٢٢) الفوائد : تفرد بذكره أبو أحمد العسكري في شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٢٦٧ .
٢٣) مدح القبائل : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ .
٢٤) المعاقبات : ذكره اللبلي في كتابه تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ٥ ، والزبيدي في تاج العروس (غلت) .
٢٥) معاني الشعر : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .
٢٦) مقطعات مراث لبعض العرب : نشره وليم رايت في مجموعة (جرزة الحاطب وتحفة الطالب) ، ليدن ١٨٥٩ . وفي نسبة هذا الكتاب الى ابن الأعربي شك .
٢٧) من نسب من الشعراء الى أمه : تفرد بذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٥ — ١٢٩ — ١٣٠ .
٢٨) النبات : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .
٢٩) النبت والبقل : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . . .
٣٠) نسب الخيل :ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .
٣١) النوادر : ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ١ — ٢١ . . . .
ومن النوادر نسخة في المكتبة الخالدية ، ذكر ذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ — ٢٠٤ .
وحقق الزميل كامل سعيد عواد قسماً من النوادر في رسالته عن ابن الأعرابي اعتماداً على نسخة ناقصة في دار الكتاب المصرية .
٣٢) نوادر الزبيريين : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .
٣٣) نوادر بني فقعس : ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٦ . . . .

ولابد من الاشارة الى أن ابن الأعرابي قد روى كثيراً من دواوين الشعراء ونذكر فيما يأتي ماوصل إلينا منها : ديوان جرير ، ديوان الحطيئة ، ديوان الخنساء ، ديوان رؤبة ، ديوان سراقة البارقي ، ديوان الفرزدق ، شعر أبي ذؤيب الهذلي .

كما أشارت المصادر الى دواوين أخرى لم تصل إلينا وهي :

---

* ينظر عن ابن الأعرابي وآثاره المصادر الاتية وهي مرتبة ترتيباً زمنياً :

المعارف ٥٤٦

مراتب النحويين ١٤٧

تهذيب اللغة ١ــ ٢٠

طبقات النحويين واللغويين ١٩٥ .

الفهرست ٧٦

تاريخ العلماء النحويين ٢٠٥

تاريخ بغداد ٥ ــ ٢٨٢

الأنساب ١ ــ ٣٠٧

فهرسة ابن خير ٣٧٢

نزهة الألباء ١٥٠

معجم الأدباء ١٨ ــ ١٨٩

إنباه الرواة ٣ ــ ١٢٨

وفيات الأعيان ٤ ــ ٣٠٦

الوافي بالوفيات ٣ ــ ٧٩ .

ديوان ابن الطثرية (سمط اللآلي ٤٧١) .
ديوان عدي بن زيد (المصباح المنير ١ –٢٣ : أمه) .
ديوان النمربن تولب (الفهرست ١٧٨) * .

★ ★ ★

= مرآة الجنان ٢ – ١٠٦
البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٢١
النجوم الزاهرة ٢ – ٢٦٤
بغية الوعاة ١ – ١٠٥

ولابن الأعرابي ترجمة مفصلة في مقدمة د. رمضان لكتاب البئر ، وفي رسالة الزميل كامل سعيد أغنت عن الإعادة وقد أفدنا منهما كثيراً .

كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها

منهجه :

بدأ ابن الأعرابي كتابه بالحديث عن تسخير الانسان الخيل وأصل خيل العرب ثم اتبعه بالحديث عن خيل القبائل العربية ورتبها كما يأتي : خيل بني هاشم ، خيل قريش ، خيل الأنصار ، خيل بني أسد ، خيل بني ضبة ، خيل سعد بن زيد مناة بن تميم ، خيل عمرو بن تميم ، خيل بني حنظلة ، خيل باهلة ، خيل غنيّ بن أعصر ، خيل عطفان بن سعد ، خيل بني سليم ، خيل هوازن، خيل ربيعة بن نزار وبني ضُبيعة بن نزار ، خيل عنزة بن أسد ، خيل عبد القيس بن أفصى ، خيل النمر بن قاسط ، خيل بني وائل ، وبني شيبان ، وبني قيس بن ثعلبة ، وبني ذُهل بن ثعلبة ، خيل عجل بن لُجيم واياد بن نزار ، خيل اليمن ، خيل همدان .

وكان يذكر اسم القبيلة أحياناً ثم يذكر البطون التي تفرعت عنها وخيولها . فقد ذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، في خيل هوازن خيل بني هلال وبني الوحيد و بني نصر بن معاوية وبني نفيل ، وهم بطون من هوازن .

وكان المؤلف يذكر اسم الفارس واسم فرسه ، وكثيراً ما يستطرد فيذكر قسماً من أخبارها وما قيل فيها من شعر ،ويذكر احياناً اسم أم الفرس أواسم أبيه .

أمّا بالنسبة الى الشعر الذي يرويه فكان يذكر الروايات المختلفة أحياناً شارحاً مافيه من غريب .

وفي الكتاب اشارات كثيرة الى أيام العرب وبلاء هذه الأفراس فيها .

أهميته :

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنّه من أقدم المؤلفات في هذا النوع من التأليف فهو يعنى بالخيل من حيث اسماؤها وفرسانها وأخبارها وما قيل فيها من شعروتفسير غريبه .

وفي الكتاب ذكرلأيام العرب إذ ذكر فيه الأيام الاتية : يوم ذي قار ، يوم مؤتة ، يوم الكُلاب ، يوم الروضة ، يوم المدائن ، يوم كلب ، يوم كاظمة ، يوم الرقم ، يوم قضة ، يوم الخوع ، يوم جبلة ، يوم الدهناء ، يوم السرح ، يوم جبلة ، يوم اوارة ، يوم وادىالسباع ، يوم البسوس ، يوم فيف الريح ، يوم نقا الحسين ، يوم حنين ، يوم مُحَجّر .

فالكتاب إذن له قيمة لغوية وأدبية وتاريخية .

مخطوطاته :

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على اربع نسخ مخطوطة هي :

أولاً ــ نسخة الاسكوريال (الأصل) :

وهي نسخة نفيسة محفوظة بالاسكوريال باسبانيا تحت رقم ١٧٠٥ وهي في مجموع كتبه أبو منصورالجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ في أواخر القرن الخامس الهجري من نسخة الحافظ أبي العباس محمد بن العباس بن الفرات المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ويشتمل هذا المجموع على الكتب الاتية :

١) كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها : لابن الأعرابي .
٢) كتاب نسب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها : لابن الكلبي
٣) كتاب الإبل : للأصمعي .
٤) كتاب الشاء : للأصمعي .
٥) كتاب الأمثال : لأبي عكرمة الضبي .

٦) كتاب نسب عدنان وقحطان : للمبرد .
٧) كتاب مايذكر من الإنسان واللباس : لأبي موسى الحامض .
٨) كتاب الأمثال : لأبي فيد مؤرج السدوسي .

ويشمل كتاب ابن الأعرابي ١٨ صفحة ، من ٢٣ أ الى ١١ ب وفي كل صفحة ٢٦ سطراً . وهو مكتوب بخط النسخ الجميل المضبوط بالشكل .

وقد نسخت عدة نسخ عن هذا المجموع ، منها نسخة بمكتبة ولي الدين باستنبول ، واخرى بمكتبة عاطف أفنـدي باستانبول ، وثالثة بمكتبة دار الكتب المصرية .

وعن هذه النسخة نشر دلاويدا الكتاب فله فضل السبق في ذلك .

وقد جعلنا هذه النسخة أصلا لقدمها أولاً ولأنها بخط عالم كبير هو الجواليقي ثانياً .

وأهملنا ذكر الخلاف بين هـذه النسخة وسائر النسخ الاخرى لعدم جدواها ولأنها جميعا كتبت عن نسختنا .

ثانياً ــ نسخة المتحف العراقي (أ) :

وهي نسخة كتبت سنة ١٣٦١ هـ . رقمها ٥٢٧ (مجاميع) عدد صفحاتها ٢٢ صفحة ، وفي كل صفحة ٢٥ سطرا . واسم الكتاب فيها : (كتاب الخيل وفوارسها من العرب) . وفي النسخة تصحيف وتحريف وتصرف بالنص من حيث الاختصار والتقديم والتأخير . وقد أفدنا منها في مواضع .

ثالثاً ــ نسخة المتحف العراقي (ب) :

وهي نسخة الكرملي وهي غير مؤرخة . رقمها ١٥١ (مجاميع) . عـدد صفحاتها ٣١ صفحة ، وفي كل صفحة ٢٢ سطرا . واسم الكتاب فيها : (كتاب الخيل وفوارسها من العرب) . وهي كسابقتها من حيث التحريف والتصرف . وقد أفدنا منها فى عدة مواضع

رابعاً – نسخة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغـداد (ج) :

وهي نسخة ناقصة الأول إذ تبدأ بالصفحة التاسعة ، وقد كتبها محمد السماوي سنة ١٣٣٢ هـ عن نسخة قديمة عليها تملك كتب سنة ٦٨١هـ .

عدد صفحات هذه النسخة ٤٥ صفحة ، في كل صفحة ١٩ سطرا . رقمها ٩٥٦ . وعنوانها : (كتاب أسماء خيل العرب وأفراسها) .

وفي النسخة كثير من التحريفات . وعليها تعليقات للأب الكرملي . وقد أفدنا منها في عدة مواضيع .

ولابد من الاشارة الى أننا وضعنا بين قوسين مربعين كل ما زدناه من النسخ الثلاث الأخيرة ولم نشر الى ذلك .

وفي الكتاب تعليقات لأبي جعفر محمد بن حبيب تلميذ ابن الأعرابي جاءت في متن الكتاب ، وقد حصرناها بين قوسين .

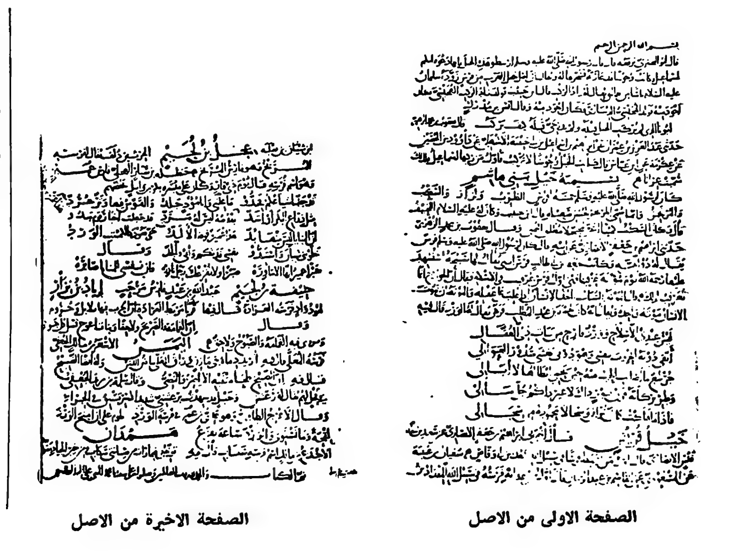
وحرصنا كل الحرص على توثيق نص الكتاب من كتب الخيل أولاً ومن المعجمات وكتب الأدب والتاريخ ثانياً .

والحمد لله أولا وآخرا إنه نعم المولى ونعم النصير .

كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها

عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي رحمه الله

صفحة العنوان من الاصل



بسم الله الرحمن الرحيم

تسمية خيل بني هاشم

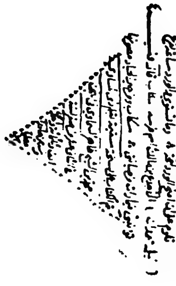
خيل قريش

الصفحة الاولى من الاصل

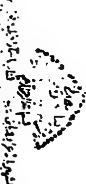
حيفة

همدان

الصفحة الاخيرة من الاصل



الصفحة الأخيرة من أ



الصفحة الأولى من م

٤٩

كتاب الخيل وفوارسها من العرب
لابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي
بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن زياد الشهير بالاعرابي هذا كتاب اسماء الخيل و
فوارسها من العرب اخبرنا ابو المعتزي مرفوعا قال قال رسول الله صلعم اركبوا
هذه الخيل فانها دعوة ابيكم اسماعيل وكانت وحوشا فدعا بهن
فسخرها له وقال ان اصل خيل العرب من فرس رواه سليمان عليه السلام
من العماليق يقال له زاد الركب قال ابن حبيب فولد زاد الركب الهجيس
فكان اجود منه وولد الهجيس الديناري فكان اجود منه قال ابن
[illegible]
[illegible] الذي لم يركب الخيل قبله ولم يدر هل [illegible] كيف تركب
وقال يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن ابراهيم
بن اسماعيل بن ابي حبيبة الاشهلي عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس
قال كانت الخيل وحوشا لا تركب فاول من ركبها اسماعيل ولذلك
سميت [illegible] كان لرسول الله صلعم خمسة افراس السكب
والمرتجز واللزاز [illegible] قال ابن حبيب واللحيف
قال [illegible] السكب [illegible]
الزهري حدثني ابن [illegible] الانصاري عن ابيه قال كان
لرسول الله صلعم فرس يقال له [illegible] وكان لجعفر [illegible] فرس
يقال [illegible] وهي انثى [illegible] واستشهد عليها يوم
موته وهو اول فرس عرقبت في الاسلام [illegible]
لذلك قال [illegible]

والمرتجز

الصفحة الاولى من ب

٧٩ ان الصبي [illegible] الايام والنصب
وقال سلمة بن يزيد الجعفي [illegible] لهم يقال له دعشق قال
وخيل قد شهدت بذعشق [illegible] شديد الاسر [illegible]
وقال الاعرج الطائي وهو عدي بن عمرو في فرسه الورد
تلوم على ان امنح الورد لقحة [illegible] وما تستوي والورد ساعة تفزع
[illegible] الاجدع بن مالك [illegible] فرس يقال له [illegible]
[illegible]
تم الكتاب والحمد لله رب العالمين
والصلوة على محمد وآله
تم

الصفحة الاخيرة من ب

الصفحة قبل الأخيرة من ج

الصفحة الأخيرة من ج

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو البَخْتَرِيّ يرفعُه قال : قالَ رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ (٢) وسَلّم : ارتَبطوا هذهِ الخَيْلَ فإنّها دَعْوَةُ أبيكم اسماعيل ، وكانتْ وحوشاً فدعا رَبّهُ فَسَخرها لهُ (٣) .

ويُقالُ : إنّ أصْلَ خيلِ العَرَبِ من فرسٍ زَوّدَهُ سليمانُ ، عليه السلام ، ناساً من العَماليقِ يُقالُ لهُ : (زادُ الرّكبِ) (٤) .

(قالَ ابنُ حبيب(٥) : فَوَلَدَ زادُ الرّكبِ (الهُجَيْسِيّ) (٦) فكان أجْوَدَ منهُ ، فولدَ الهُجَيْسيُّ (الديناريّ) (٧) فكانَ أجوَدَ منهُ) .

وقال أنَسُ بنُ مُدْرِكٍ (٨) :

أبونا الذي لم تَركبِ الخَيْلُ قبلَهُ ... ولم يَدرِ حَي قَبْلهُ كيفَ يركَبُ

قالَ يعقوبُ بُن محمدالزُهْرِيّ(٩) : حدّثني عبدُالعزيزِ بنُ عِمران(١٠)

---

(١) سعيد بن فيروز ، فقيه محدث ، ت ٨٢ هـ . (حليـة الأولياء ٤ / ٣٧٩ ، تهذيب التهذيب ٧٢/٤) .

(٢) (عليه) : ساقطة من المطبوع .

(٣) ينظر : فضل الخيل ٢٧ ، نهاية الأرب ٣٤٥/١٠ ، رشحات المداد ٨ .

(٤) ابن الكلبي ١٤ ، الأنوار ٢٧٠/١ ، الحلبة ٢٢٧ .

(٥) محمد بن حبيب ، ت ٢٤٥ هـ . (طبقات النحويين واللغويين ١٣٩ ، بغية الوعاة ٧٣/١) .

(٦) ابن الكلبي ١٥ ، الغندجاني ٢٦٤ ، حلية الفرسان ١٥١ . وورد بأسم(الهجيس) .

(٧) ابن الكلبي ١٥ ، الأنوار ٢٧٠/١ ،الحلبة ٢٢٧ . ومابين القوسين إضافة من ابن حبيب .

(٨) سيد خثعم وفارسها في الجاهلية ، أدرك الاسلام فأسلم ، وكان من المعمرين .
(المعمرون ٤٢ ، الأغاني ٣٥/١٠ ، الإصابة ١٣٠/١) .

(٩) من المحدثين ، ت ٢١٣ هـ . (ميزان الاعتدال ٤٥٤/٤ ، تهذيب التهذيب٣٩٦/١١) .

(١٠) من المحدثين ، ت ١٩٧ هـ . (ميزان الاعتدال ٦٣٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٥٠/٦) .

عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حَبيبة الأشْهَليّ (١١) عن داود بن الحُصَيْن (١٢) عن عكْرِمةَ (١٣) عن ابن عباس(١٤) قال : كانت الخيلُ وحوشاً لا تُرْكَبُ فأوّلُ مَنْ ركبها اسماعيل فلذلكَ سُمّيَتْ عِراباً (١٥) .

تَسْميةُ خَيْلِ بني هاشِمٍ

كانَ لرسولِ الله ، صلّى اللهُ عليه وسلّم ، خَمْسَةُ أفراسٍ (١٦) : (الظّرِبُ) و (لِزازٌ) و (السّكْبُ) و (المُرْتَجِزُ) ، وإنّما سُمّي المُرْتَجِز لحُسْنِ صهيلِهِ .

(قالَ ابنُ حبيب : وكانَ له عليه السلام : (اللُّحَيْفُ) .

قالَ : وكانَ السّكْبُ كميتاً أغرَّ مُحَجّلاً مُطْلَقَ اليُمنى) .

وقالَ يعقوبُ بنُ مُحمدٍ الزُّهرِيّ : حدّثني ابراهيمُ بنُ جعفرَ الأنصاري عن أبيهِ قالَ : كانَ لرسولِ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فرَسٌ يُقالُ لَهُ : (ذو اللِّمّةِ) ، وكانت لجعفر بن أبي طالبٍ فرسٌ أنثى شقراءُ يُقالُ لها : (سَبْحَةُ) ، استشهَد عليها ، رحمهُ اللهُ ، يومَ مؤْتَةَ ، عَرْقَبَها فهي أوّلُ فرسٍ عُرْقِبَتْ في الإسلام . ويُقال : إنَّ الخوارجَ إنّما تُعَرْقِبُ لذلك(٢٠).

---

(١١) من المحدثين ، ت ١٦٥ هـ (ميزان الاعتدال ١/١٩ ، تهذيب التهذيب ١/١٠٤) .

(١٢) من المحدثين ، ت ١٣٥ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ١٣٥ ، تهذيب التهذيب٣/١٨١) .

(١٣) مولى ابن عباس ، ت ١٠٥ هـ . (حلية الأولياء ٣/٣٢٦ ، وفيات الأعيان ٣/٢٦٥) .

(١٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، ت ٦٨ هـ . (المعارف ١٢٣ ، نكت الهميان ١٨٠) .

(١٥) فضل الخيل ٢٧ ، رشحات المداد ٨ . وفي أ : فلذلك الشأن سميت عربا .
وفي ب : فلذلك عرباً . وسنهمل الخلاف بين الأصل وسائر النسخ لكثرتها .

(١٦) ينظر في أفراس النبي (ص) : ابن الكلبي ١٩ ، الطبقات الكبرى ١/ ٤٨٩ ، المنمق ٥١١ ، أنساب الأشراف ١/٥١١، المعارف ١٤٩، فضل الخيل ١٣٦ ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١/٢٠٩ ، رشحات المداد ١١٦ .

(١٧) المنمق ٥١١ . (١٨) ينظر : تهذيب التهذيب ٢/١٠٦ .

(١٩) صحابي ، ت ٨ هـ . (مقاتل الطالبيين ٦ ، أسد الغابة ١/٣٤١) .

(٢٠) المنمق ٥١٣ ، الأوائل ١/٣٣٥ .

قال [محمد] المُوتَةُ : السُّباتُ (٢١) يأخذُ الانسانَ إذا غُلِبَ على عَقْلِهِ ، والمَوْتَةُ : أنْ يموتَ الانسانُ مَوْتَةً واحدةً .

ويُقالُ : إنّهُ كانَ لحمزة بنِ عبدالمطّلبِ (٢٢) فرسٌ يُقالُ له : (الوَرْدُ) (٢٣) ، قالَ فيه :

ليسَ عندي إلاّ سلاحٌ ووَرْدٌ	قارحٌ من بناتِ ذي العُقّال
أتّقي دونهُ الحروبَ بنفسي	وهو دوني يَغْشَى صدورَ العوالي
جُرْشُعٌ ما أصابتِ الحربُ منه	حينَ تَحْمِي أبطالُها لا أبالي
وَطِرِيرٌ كأنّهُ قَرْنُ ثَوْرٍ	ذاكَ لا غيرَ ذاكُم جُلُّ مالي
وإذا ما هَلَكْتُ كان تُراثي	وسِجالاً محمودةً من سِجالي

خَيْلُ قُرَيْشٍ

قال : أخبرني ابراهيمُ بنُ جَعْفَرَ الأنصاريّ عن سَعْدِ بنِ سعيدِ بنِ قيس الأنصاريّ (٢٤) قالَ : أوّلُ من ارتَبَطَ فرساً في سبيلِ اللهِ سعدُ بنُ أبي وَقّاص (٢٥) .

سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ (٢٦) عن المسعوديّ (٢٧) عن القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ (٢٨) قال : أوّلُ مَنْ عدا بهِ فَرَسُهُ في سبيلِ اللهِ المِقْدادُ

(٢١) في المطبوع ؤ الدباب .
(٢٢) عم النبي (ص) ، ت ٣ هـ . (أسد الغابة ٥١/٢ ، الإصابة ١٢١/٢) .
(٢٣) المنمق ٥١٢-٥١٣ وفيه الأبيات .
(٢٤) من المحدثين ، ت ١٤١ هـ (مشاهير علماء الأمصار ١٣٦ ، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٠) .
(٢٥) صحابي ، ت ٥٥ هـ (حلية الأولياء ٩٢/١ ، الإصابة ٨٨/٣) .
(٢٦) من المحدثين ، ت ١٩٨ هـ . (ميزان الاعتدال ١٧٠/٢ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٤) .
(٢٧) عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود ، ت نحو ١٦٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٢١٠/٦ ، طبقات الحفا ٨٤) .
(٢٨) من المحدثين ، ت نحو ١٢٠ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ١٠٦ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٢٨) .

ابنُ (٤ أ) الأَسود (٢٩) .

[و] كانَ للزبَيْرِ بنِ العوَّامِ فَرَسٌ يُقالُ لهُ : (اليَعْسُوبُ) (٣٠) ، وفَرَسٌ شهدَ عليهِ خَيْبَرَ يُقالُ لهُ : (مَعْروفٌ) ،(٣١) ، وكانَ لهُ أيضاً فرسٌ يُقالُ له : (ذو الخِمار) (٣٢) شهدَ عليه يومَ الجمَلِ .

(قالَ ابنُ حبيب (٣٣) : وكانَ له فَرَسٌ يُقالُ لها : (ذاتُ النِعالِ) قُتِلَ عليها يومَ وادي السِباعِ) .

المِقْدادُ بنُ عمرو ، والأسودُ بنُ عبدِ يَغوثَ الزهريّ رَبيبُـــهُ وحليفُهُ ، وهو أَحَدُ المستهزئين (٣٤) الذين ذكرهم(٣٥) اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ ، كانَ لهُ فرسٌ شهدَ عليه بدراً يُقالُ له : (ذو العُنُقِ)(٣٦) . وكانَ له فرسٌ شهدَ عليه يومَ السَرْحِ يُقالُ له : (بَعْزَجَةُ) (٣٧) .

عُكاشةُ بنُ مِحْصَن الأسديّ حليفُ ابنِ أُميّةَ كانَ له فرسٌ يُقالُ له: (ذو اللِّمّةِ)(٣٨) . وله أيضاً فرسٌ شهدَ عليه يوم السَرْح يُقالُ له : (جَناحٌ) (٣٩) .

أبو ذَرٍّ الغفاريّ له فرسٌ يُقالُ له: (الأَجْدَلُ) (٤٠) .

---

(٢٩) صحابي ، ت ٣٣ هـ . (الإصابة ٦/ ٢٠٢ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٥) .
(٣٠) ابن الكلبي ٣٠ ، الغندجاني ٢٧٣ ، المخصص ١٩٣/٦ .
(٣١) الغندجاني ٢٢٤ ، المخصص ١٩٣/٦ ، اللسان (عرف) .
(٣٢) المخصص ١٩٤/٦ ، القاموس ٢٤/٢ (خمر) .
(٣٣) المنمق ٥١٤ وهي مصحفة فيه الى : ذات البغال . ومابين القوسين اضافة من ابن حبيب .
(٣٤) ينظر : المحبر ١٦١ ، المنمق ٤٨٦ ، المعارف ٤٣١ .
(٣٥) من أ ، ب . وفي الأصل : الذي قال . . .
(٣٦) ابن الكلبي ١٠٧ ، الغندجاني ١٠٥ ، الحلبة ٢٣٠ .
(٣٧) المخصص ١٩٤/٦ ، الحلبة ٢١٣ ، فضل الخيل ١٦٨ .
(٣٨) ابن الكلبي ٣٠ ، الغندجاني ١٠٥ ، الحلبة ٢٣٠ .
(٣٩) السيرة النبوية ٢٨٤/٢ ، الحلبة ٢١٧ .
(٤٠) ابن الكلبي ٢٩ ، الغندجاني ٣٠ .

وابُكَيْرٍ أحدِ بني الشُدّاخِ فرسٌ يُقالُ له : (أَطلالُ) (٤١) ، يتحدَّثُ الناسُ أنّهُ يوم المدائنَ قالَ لها : وَثباً أطلالُ ، فالتفتْ إليه وقالت : إيْ وسورةِ البقَرَةِ ، ثمشهد اذَرْبَيْجانَ ومعه الشمّاخُ فاستشهدَ (٤٢) عليها فقالَ الشماخُ (٤٣) يرثيه :

وغُيِّبَ عن خيلٍ بموقانَ أُسْلِمَتْ بُكَيْرُ بني الشُدّاخِ فارِسُ أطْلالِ

فَرَسُ سُراقة بنِ مالك بنِ جُعْشُمٍ المُدْلجيّ الذي تبعَ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، يُقالُ له : (العَوْدُ) (٤٤) .

فرسُ أبي جَهْلٍ بنِ هشامٍ يُقالُ له : (مِجاحٌ) (٤٥) .

أُبَيّ بنُ خلَفٍ الجُمَحيّ يُقالُ لفرسِهِ : (العَوْدُ) (٤٦).

مُسافِعُ بنُ عبدالعزّى ، أحَدُ بني عامرِ بنِ لؤَيٍّ ، فرسُهُ يُقالُ له : (النّعامَةُ) (٤٧) . قالَ فيه :

واللهِ لا أنْسَى النَعامَةَ ليلَةً ولا يَوْمَها حتى أوَسّدَ معْصَمِي

فرسُ محرزِ بنِ نَضْلَةَ ، حليف بني عبدِ شمسٍ ، يُقالُ له : (السِّرْحانُ) (٤٨) شهدَ عليه يومَ السَرْحِ .

فرسُ مسْلَمَةَ بنِ عبد الملك يُقالُ له : (الظِّلُّ) . (٤٩) .

قالَ [محمد] : يومُ السَرْحِ يوم أغارَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزاريّ

(٤١) ابن الكلبي ١١١ ، الغندجاني ٣٣ ، الحلبة ٢١٠ .

(٤٢) في المطبوع : واستشهد .

(٤٣) ديوانه ٤٥٦ .

(٤٤) المخصص ٦ / ١٩٤ .

(٤٥) المخصص ٦ / ١٩٤ . وينظر : التكملة والذيل والصلة ٢ / ١٠٣ .

(٤٦) الغندجاني ١٧١ ، القاموس ٣١٨/١ (عود) .

(٤٧) الغندجاني ٢٤٤ وفيه البيت ، المخصص ١٩٤/٦ .

(٨٨) الغندجاني ١٢٢ ، المخصص ٦ / ١٩٤ .

(٤٩) المخصص ١٩٤/٦ ، القاموس ١٠/٤ (ظل) .

بِقَوْمِهِ ومَن تبعه على سَرْحِ المدينةِ فذهبَ بالسَّرْحِ فتبعته الأنصارُ فهزموهم وفضحوه واستنقذوا ما في يده .

خَيْلُ الأَنصار

فرسُ سَعْد بن زيد الأشهليّ اسمُهُ : (لاحِقٌ) ، وكانَ شهدَ يومَ السَّرْحِ .

عَبّادُ بنُ بِشْر ، أحد بني حارثة ، يُقالُ لفرسِهِ : (لِماعٌ) ، شهدَ عليه يومَ السَّرْحِ .

ظُهَيْرُ بنُ رافِع الحارثيّ ، اسمُ فرسِهِ : (المَسْنونُ) ، شهدَ عليه يومَ السَّرْحِ .

أبو قتادة بن رِبْعيٍّ ، أحد بني سَلَمَةَ ، اسمُ فرسِهِ : (جِرْوَة) (٥٤) ، وشهدَ عليه يومَ السَّرْحِ .

مُعاذُ بنُ ماعِص الزرَقيّ شهدَ يومَ السَّرْحِ على فرسِ أبي عَيّاش عُبَيْد بن معاوية الزُّرَقيّ ، يُقالُ له : (حُلْوَة) (٥٥) .

فرسُ أبي طَلْحةَ (٥٦) زيد بن سَهْل النجّاريّ يُقالُ له : (مَنْدوبٌ) (٥٧). رَكِبَهُ رسولُ اللهِ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فقالَ : وَجَدْناه بَحْراً (٥٨) .

---

(٥٠) في المطبوع : واستنقذوه .
(٥١) السيرة النبوية ٢/٢٨٤ ، الغندجاني ٢١٧ ، المخصص ٦/١٩٤ .
(٥٢) السيرة النبوية ٢/٢٨٤ ، المخصص ٦/١٩٤ ، فضل الخيل ١٧٥ .
(٥٣) الغندجاني ٢٣١ ، المخصص ٦/١٩٤ .
(٥٤) الغندجاني ٦٦ ، المخصص ٦/١٩٦ .
(٥٥) الحلبة ٢٢١ . وهي جلوة ، بالجيم ، في السيرة النبوية ٢ / ٢٨٤ وتهذيب التهذيب ١٢/١٩٣ .
(٥٦) هنا تبدأ نسخة ج .
(٥٧) الغندجاني ٢٣١ ، القاموس ١/١٣١ (ندب) .
(٥٨) فضل الخيل ١٣٨-١٣٩ .

خَيْلُ بني أَسَدٍ

سَلَمَة بن هند الغاضريّ يُقالُ لفرسِهِ : (مَعْروفٌ) (٥٩) ، وقالَ :

أقَلّبُ معروفاً عليهم كأنّهُ إذا ازوَرَّ من وَقْعِ الأسنّة أحْرَدُ

(٤ ب) دِثارُ بنُ فَقْعَسٍ ، اسمُ فرسِهِ : (المَنيحَةُ) (٦٠) ، قال :

قَرّبا مَرْبَطَ المنيحةِ منـي شبّتِ الحربُ للصِلاءِ سُعارا

فَضالةُ بنُ هندٍ ، فرسُهُ : (الظّليمُ) (٦١) ، قالَ فيه :

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الظّليمِ وألّةً شُراعيّةً في رأسِ حرّانَ ثائرِ

جُرَيْبَةُ بنُ الأشْيَمِ الفقْعَسِيّ ، فرسُهُ : (خرَاجٍ) (٦٢)، قال فيها :

والله ما مَنّوا عليّ وإنّما مَنّتْ خراجِ عليّ حينَ تصَدّفُ

عرِقَتْ وأنجى نَحرُها وكأنّها خلفي وبينَ يَدَيّ عِجلَةٌ مُخْلِفِ

العجلَةُ : القِرْبَةُ . المُخْلِفُ : الذي يأتي القومَ ، وهم في ربيعهم ، بالماءِ العَذْبِ من موضعٍ آخَرَ (٦٣) .

ضِرارُ بنُ الأزْوَر الأسديّ قاتِل مالكِ بن نُوَيْرة اليربوعيّ ، قالَ فيه مُتَمّمٌ (٦٤) :

نعْمَ القتيلُ إذا الرياحُ تناوَحَتْ تحتَ الكنيفِ قتيلُكَ ابن الأزْوَرِ

أدَعَوْتَهُ باللهِ ثُمّ غَدَرْتَهُ لو هو دعاكَ بمثْلِها لم يَغْدِرِ

قال : وغضب عمرُ بنُ الخطابِ لمّا بلغه قَتْلُ مالكٍ . فرسُهُ (٦٥) :

---

(٥٩) ابن الكلبي ٣٨-٣٩ وفيه البيت ، الغندجاني ٢٣٢ .

(٦٠) ابن الكلبي ٣٩ ، الغندجاني ٢٣٢ وفيهما البيت . وفي المطبوع : سعار .

(٦١) ابن الكلبي ٣٦ وفيه البيت ، المخصص ١٩٤/٦ .

(٦٢) الغندجاني ٩٤ وفيه البيت الأول ، المخصص ١٩٤/٦ .

(٦٣) بعده في ج : وهم ليس لهم ماء أو يكونون على ماء ملح .

(٦٤) شعره : ٩١ . (٦٥) الغندجاني ٢٢٢ ، المخصص ١٩٤/٦ .

(المُحَبَّرُ) ، قالَ فيه (٦٦) :

جَعَلْتُ القِداحَ وعَزْفَ القِيا نِ والخمرَ تَصْلِيَةً وابتهـالا

صَلَّيْتُ تَصْلِيَةً ، والتصليةُ ها هنا الصلاةُ .

وكَرِّي المُحَبَّرَ في غَمْرَةٍ وجَهْدِي على المُشْرِكِينَ القِتالا

فيارَبِّ لا أغْبَنَنْ صَفْقَتِي فقد بِعْتُ أهلي ومالي بِدالا

فقال : بَلَغَنا أنَّهُ أنْشَدَ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، هذا الشعْرَ فقالَ صلّى الله عليه [وسلّم] : لا تُغْبَنَنْ صَفْقَتُكَ .

فرسُ طُلَيْحَةَ بن خُوَيْلِدٍ الفَقْعَسِيِّ يُقالُ له : (الحِمالةُ) (٦٧)، قالَ فيها :

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحِمالةِ إنّها مُعَوَّدَةٌ قِيلَ الكُماةِ نَزالِ

(جَناحٌ) (٦٨) : فرسُ حِذْلَم بن خالد بن عمرو الفَقْعَسِيِّ .

(ثادِقٌ) (٦٩) : فرسُ حاجب بن حبيب بن خالد المُضَلِّل ، قالَ فيه :

باتَتْ تلوم على ثادِقٍ لِيُشْرَى فقد جَدَّ عِصْيانُها

ألاَ إنَّ نجواكِ في ثادِقٍ سواءٌ عليَّ وإعلانُها

وقالتْ أغثنا به إنني أرى الخيلَ قد ثاب أثمانُها

فقلتُ ألَمْ تعلمي أنّهُ جميلُ الطَّلاةِ حُسّانُها

خَيْلُ بني ضَبَّةَ

فرسُ قُرابةَ بن عُوَيّةَ الضَّبِّيِّ : (الفَيْنانُ) (٧٠) ، له يقولُ :

---

(٦٦) الأبيات في الاستيعاب ٧٤٧ والإصابة ٤٨٢/٣. وينظر التبيين في أنساب القرشيين٤٥٧.

(٦٧) ابن الكلبي ٣٧-٣٨ ، الغندجاني ٧٤ وفيهما البيت .

(٦٨) تفرد ابن الأعرابي بذكره .

(٦٩) ابن الكلبي ٣١-٣٢ وفيه الأبيات . وهي في المفضليات ٣٦٨ .

(٧٠) ابن الكلبي ٤٦ ، الغندجاني ١٩٢ وفيهما البيت .

إذا الفيْنـانُ ألحقني بقـومٍ فلم أَطعُنْ فَشَلَّ إذاً بَناتـي

فرسُ المُثَلّم بن المُشَخّرة ، أحد بني عائذة بن تيم الله بن بكْر بن سعد ابن ضبّة ، يُقالُ له : (سُحَيْم) (٧١) قالَ فيه :

أَلاَ هبّتْ تلومُ علـى سُحَيْمٍ لأَشْرِبَهُ وقـد هَجَعَ النيـامُ

تقـولُ أَرَى أُبَيْنِيـكَ اشْرَهَفّـوا فهُمْ شُعْثٌ رؤوسُهُـمْ عِيامُ

ومـا فيـه عليَّ فتَعْـذ لينـي وإنْ أطْنَبْتِ في لَوْمٍ مَـلامُ

ويقولُ فيه :

إنِ (٧٢)الرحمنَ خَطّىعنْ سُحَيْم وفارِسِهِ رِمـاحَ بنـي تميـمِ

جعلتُ دَرِيّـةً فَرَسي ونَحْـرِي اَحدَّ رِماحِهِم بلِوَى القَصيمِ

زيدُ الفوارسِ ، فرسه : (شَوْلَةَ) (٧٣) ، قالَ فيها :

قَصَرْتُ لهم من صَدْرِ شَوْلَةَ إنّما يُنَجّي من الكَرْبِ الكَميِّ المناجِدُ

(٥ أ) وله فرسٌ أيضاً يقُالُ له : (عُرْقوبٌ) (٧٤) ، قالَ فيـه عبدالله بن عَنَمة السِّيدِيِّ (٧٥) :

ما إنْ ترى السِّيدُ زَيْداً في نفوسهم كما تراهُ بنوكَوْزٍ ومَـرْهـوبُ

فازجُرْ حمارَكَ لا يَرْتَعْ بَروضَتِنا إذا يُرَدُّ وقَيْدُ العَيرْ مكـروبُ

ولا يكونَنْ كمجرى داحِسٍ اكُمُ في غَطَفانَ غَداةَ الشِعْبِ عُرْقوبُ

فرس الرُّقادِ بنِ المنذرِ بنِ ضِرار الضبيِّ يُقالُ له: (الكاملُ) (٧٦) ، قالَ فيه :

---

(٧١) الغندجاني ١٢٤ وفيه الأبيات الثلاثة الأولى .

(٧٢) في المطبوع : إن ، بالتشديد .

(٧٣) ابن الكلبي ٦١ ، الغندجاني ١٣٦–١٣٧ وفيهما البيت ، حلية الفرسان ١٥٦ .

(٧٤) الغندجاني ١٧٣ ، التكملة والذيل والصلة ٢١٠/١ .

(٧٥) شرح ديوان الحماسة (م) ٥٨٥–٨٨٨ ، (ت) ١٤٦/٢–١٤٩ .

(٧٦) الغندجاني ٢٠٤ ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٤٦/٤ (كمل) .

ما زِلْتُ أُزجي كاملاً وأكُرُّهُ على القومِ حتى استسْلَموا أو تَفَرَّقوا

عبدُ الحارثِ بن ضِرار ، فرسُهُ : (مَبْدُوع) (٧٧) ، قالَ فيه :

تَشَكّى الغَزْوَ مبدوعٌ وأمسى كأشلاءِ اللِّجامِ به كُدُوحُ

النَّمِرُ بنُ تَوْلَبِ العُكْلي ، اسمُ فرسِهِ : (صُهْبَى) (٧٨) ، قالَ فيها :

أَيَذْهَبُ باطلاً عَدَواتُ صُهْبَى على الأعداء تختلجُ اختلاجا

وكَرِّي في الكريهةِ كلَّ يومٍ إذا الأصواتُ خالطَتِ العَجاجا

كمَيْتُ اللونِ شائلةُ الذُنابَى تخالُ بياضَ قُرْحَتِها سِراجا

أُنَيْفُ بنُ جَبَلَةَ الضَبِّيّ حليفُ بني سليط بن يربوع ، فرسُهُ : (الشَّيِّطُ) (٧٩) ، قالَ فيه :

أَضَرَّ بنَحْرِ الشَّيِّطِ الطعْنُ فانثنى فأَجْشَمْتُهُ الإعجابَ حتى تَقَدَّما

سُبَيْعُ بنُ الخطيمِ التَّيْميّ ، فرسُهُ : (نَحْلة) (٨٠) . ويُقالُ له : فارسُ نَحْلَةَ . خطبَ الى عمِّهِ فقالَ له : نَعَمْ أُزَوِّجكَ بِنْتي على أنْ تُعْطِيني فرسَكَ نَحْلَةَ فأَبى ، وقالَ في ذلك :

إني رأيْتُ أبا شَيْماءَ مُتّابِهاً إذا أُكَلِّمُهُ في رأسِ أُسْلوبِ

يقولُ نَحْلَةَ اودعني فقلْتُ له عَوِّلْ عليَّ بأبكارٍ هراجيبِ

ماذا أقولُ إذا مُلِّكْتُ وابتكروا بسَمْحَجٍ كقناةِ الرُمحِ سُرحوبِ

لَجَّتْ عليَّ يمينٌ لا أبدلُها من ذاتِ قُرْطَيْنِ بينَ النَّحْرِ واللُّوبِ

---

(٧٧) ابن الكلبي ٥٦ ، الغندجاني ٢٢١ وفيهما البيت .

(٧٨) ابن الكلبي ١٠٩ ، الغندجاني ١٤٦ ، الحلبة ٢٣٩ ، والأبيات في شعره : ٤٨ .

(٧٩) ابن الكلبي ٤٥ وفيه البيت ، أمالي الزجاجي ٣ ، الغندجاني ١٣٥ ، الحلبة ٢٣٩ .

(٨٠) الغندجاني ٢٤٦ وفيه البيتان الثاني والرابع ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٤ / ٥٥ (نحل) ، التاج (نحل) .

الأبكارُ : التي وضعتْ بطناً واحداً. والهراجيب : الطوالُ السمان.
وقالَ فيها :

إنّي ونَحلَتَهَ ما بقيتُ لها لا يَطْمئن ببيعِها الكَشْحُ
علِمَ الذي يُعْطِي الغَلاءَ بها أنّ الذي عندي هو الربْحُ

عَجْلانُ بنُ نُكْرَةَ التَيْمِيّ ، فرسُهُ : (هُذْلولٌ) (٨١) ، قالَ فيه حين سبقَ الفَزاريَّ عليه :

أَخْطَرْتُ مُهْري في الرِّهانِ بحاجةٍ ومن اللّجاجةِ ما يَضُر ويَنْفَعُ
ماذا أَرَدْتِ يا ابنةَ مالكٍ إذ كانَ مالي باللِّوَى يَتَمَزَّعُ

قَبيصَةُ بنُ ضِرارٍ الضَّبِّيّ ، فرسُهُ : (الأَحْوَى) (٨٢) ، قالَ فيه :

تقولُ بنو سُلَيْمٍ إذْ رأوْني على الأَحْوَى تُقَرِّبُ في العِنانِ
عليَّ مُفاضَةٌ ومعي قَناةٌ وعامِلُها وحَسْبُكَ من سِنانِ

ومن بني ضَبّةَ من بني السيد فارسُ (مِنْهَبٍ) (٨٣) ، وهو عُوَيّةُ بنُ سُلْميَّ الذي أسر ربيعةَ بنَ خُوَيْلدَ عَمَّ يزيد بن عمرو بن خُوَيْلد ، وهو الصَّعِقُ ، قالَ فيه عُوَيّةُ :

تداركَ جَرْيِي وابتذالي مِنْهَباً بذات الغَضا ربيعةَ بنَ خُوَيْلدِ
أَغَرَّ كشُؤبوبِ العَشيِّ احتفالُهُ خَبوتٌ كسِرْحان الفلاة العَمَرَّدِ

ومن بني السيد المُعْجَبُ بنُ سُفْيانُ ، فرسُهُ : (الكُمَيْتُ) (٨٤) ، وهو اسمهُ ، قالَ فيهِ :

---

(٨١) الغندجاني ٢٦٥ ، المخصص ١٩٥/٦ .
(٨٢) ابن الكلبي ٥٢ ، الغندجاني ٤١ وفيهما البيتان .
(٨٣) الغندجاني ٢٣٠ وفيه البيتان . وفي المخصص ١٩٥/٦ والتكملة والذيل والصلة ٢٨١/١ : فرس غوية بالغين المعجمة .
(٨٤) الغندجاني ٢٠٨ وفيه البيتان ، المخصص ١٩٥/٦ ، اللسان (كمت) .

كأنّي والكُمَيْتَ أجُرُّ رمحي ... بأَكْثِبَةِ الصريفِ على دوارِ
كأنَّ مفالِقَ الهاماتِ منّا ... ومنهُمْ بَيْنَنا فِلَقُ المَحارِ

ومن بني ثَعْلَبَةَ بن سعد بن ضَبّة فارسُ (الشَّقْراء) (٨٥) ، وهو ربيعةُ بنُ أُبَيّ ، أبلَى في يوم نقا الحَسَنِ (٨٦) ، ويقالُ : الحُسَيْن (٨٧) ، (٥ ب) يوم قتلوا بِسْطامَ بنَ قَيْسٍ ، وقتَلَهُ عاصِمُ بنُ خليفةَ الصُّباحيّ . ويقالُ له أيضاً : يوم الدَّهْناءَ ، وكانَ خرجَ بِسْطام لِيُغير على بني ضَبّةَ . قالَ شَمْعَلَةُ بنُ الأخْضَرِ بنِ هُبَيْرة ابنِ المنذرِ بنِ ضِرار بنِ عَمْرو (٨٨) :

ويومَ شَقيقَةِ الحَسَنَيْنِ لاقَتْ ... بنو شيبانَ آجالاً قِصارا
شَكَكْنا بالسِنانِ وهُنَّ زُورٌ ... صِماخَيْ كبشِهِم حتى استدارا
فظلَّ على الألاءَةِ لم يُوَسَّدْ ... وقد كانَ الدماءُ له خِمارا
ترى الشقراءَ تَرْفُلُ في سَلاها ... وقد صارَ الدماءُ له إزارا
كما(٨٩) رَفَلَتْ به وَسْطَ العذارى ... فتاةُ الحيِّ بُرْداً مُسْتَعارا
نُوَلّيها الحليبَ إذا شَتَوْنا ... على عِلاّتِنا وناي السّمارا

السّمارُ من اللبنِ ما كانَ ثلثاهُ ماءً أو ثلاثة أرباعِهِ ماءً ، والباقي لَبَنٌ . والمَذيقُ دونه :

رجاءَ أنْ تُؤَدِّيَهُ إلينا ... من الأعداءِ غَصْباً واقْتِسارا

ومن بني ضَبّةَ ثُمَّ من بني كُوز فارسُ (ذاتِ الرِّماحِ) (٩٠) ،

(٨٥) المخصص ١٩٥/٦ . (٨٦) ينظر : معجم البلدان ٢٦٠/٢ .
(٨٧) في المطبوع : الحسنين .
(٨٨) الأبيات الخمسة الأولى في المؤتلف والمختلف ٢٠٨ . الأبيات الثلاثة الأولى في شرح ديوان الحماسة (م) ٥٦٥-٥٦٧ . البيتان الأول والثاني في معجم البلدان ٢٦٠/٢ .
(٨٩) في المطبوع : فما .
(٩٠) الغندجاني ١٠٧ واسم الفارس فيه : عامر بن شقيق الضبي، المخصص ١٩٥/٦ وفيهما البيت .

وكانتْ فرسُهُ إذا ذُعِرَتْ تباشرتْ بنوضَبّة بالغُنْمِ ، ففي ذلكَ يقولُ الأَصَمُّ ، وهو قَيْسُ بنُ عَسْعَسٍ ، أَحَدُ بني عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضَبّة :

إذا ذُعِرَتْ ذاتُ الرماحِ جرَتْ لنا أيامِنُ بالطيرِ الكثيرِ غنائمُهْ

ومن بني عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضَبّة أبو سُواجٍ ، وهو عبّاد بن خلَفٍ فارسُ (بَذْوَةَ) (٩١) . سابَقَ صُرَدَ بن جمرة عمّ مالك بن نُوَيْرة على فرسِهِ (القَطيب) (٩٢) فسبقه بذوةُ فقالَ في ذلك أبو سُواجٍ :

أَلَمْ تَرَ أنَّ بَذْوَةَ إذْ جرَيْنا وجَدَّ الجَرْيُ أَنْدَرَتِ القَطيبا

كانَّ قَطِيبَهُم لمّا جرَيْنا عُقابٌ كاسِرٌ أُصُلاً طَلوبا

خيل بني سعد بن زيد مناة بن تميم

الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ ، فرسُهُ اسمه : (الرَّقيبُ) (٩٣)، قالَ فيه :

إنَّ الرَّقيبَ أداويهِ وأَصْنَعُهُ عاري النواهقِ لا جافٍ ولا قَفِرُ

عَلْقَمَةُ بنُ سَبّاحٍ أحد بني حَدّانَ بن قُرَيْعٍ ، اسمُ فرسِهِ : (هَبّودٌ) (٩٤) . قالت فيه نائحةُ عمرِو بن الجُعَيْد المُرادي ، وقُتِلَ يومَ الكُلابِ :

أشابَ سَوادَ الرأسِ مَصْرَعُ سَيِّدٍ وفارِسُ هَبّودٍ أشابَ النواصيا

---

(٩١) الغندجاني ٥١ ، المخصص ١٩٥/٦ ، الحلبة ٢١٢ .

(٩٢) الغندجاني ١٩٧ ، الحلبة ٢٤٥ . وينظر : الاشتقاق ٢٨٣ .

(٩٣) ابن الكلبي ٤١-٤٢ ، الغندجاني ١١١ ، الحلبة ٢٣٢ . والبيت فيها .

(٩٤) الغندجاني ٢٦٦ ، التكملة والذيل والصلة ٣٦٣/٢ ، القاموس ٣٤٧/١ (هبد) . والفرس فيها جميعاً لعمرو بن الجعيد المرادي . وهو لعلقمة بن سباع في المخصص ١٩٥/٦ .

السُّلَيْكُ بنُ السلكَةِ السَّعْديّ ، فرسُهُ : (النحّامُ)(٩٦).
وكانَ يُقالُ له : فارسُ النحّامِ ، قالَ فيه (٩٧) :

أخْرجِ النحّامَ واعْجَلْ يا غُلاما واقْذفِ السَّرْجَ عليهِ واللجاما
واخْبِرِ الفتيانَ أنّي خائِضٌ غَمْرَةَ الموتِ فمن شاءَ أقاما

خيل عمرو بن تميم

ومن بني عمرو بن تميم : عُبَيْدة بنُ ربيعة بن قُحْفان بن ناشرة بن سيّارة بن رِزام بن مازن ، يُقالُ لفرسهِ : (سَكابِ) (٩٨) . وهو فارسُ سَكابِ ، قالَ فيها :

أبَيْتَ اللعْنَ انّ سَكاب لَيْسَتْ بعلْقٍ يُسْتَعارُ ولا يُباعُ
سَليلةُ سابِقَيْنِ تَناجَلاها يَضُمُّهُما إذا نُسِبا كُراعُ
ولا تطمَعْ أبَيْتَ اللعْنَ فيها ومَنْعُكَها بوَجْهٍ يُسْتَطاعُ

طريف بن تميم بن نامية ، من بني عَدِيّ بن جُنْدب بن العَنْبَرِ ، وكان يُسمّى مُلقي القِناع ، لأنّهُ أوّلُ من ألقى القناعَ بعُكاظ وقال :
(٦ أ) مَنْ شاءَ فايَطْلُبَني . اسمُ فرسِهِ : (الأغَرّ) (٩٩) ، قالَ فيه :

تحتي الأغَرُّ وفوقَ جِلْدي نَثْرَةٌ رَغْفٌ تَرُدُّ السيفَ وهو مُثَلَّمُ

خيل بني حَنْظَلَة

حَوْط بن أبي جابر ، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة ، فَرَسُهُ :

---

(٩٥) البيت لامرأة من اليمن في الغندجاني ٢٦٧ و التكملة والذيل والصلة ٣٦٣/٢ .
(٩٦) ابن الكلبي ٦١ ، الأصمعي ٣٨١ ، الغندجاني ٢٤٢ ، نهاية الأرب ٤٤/١٠ .
(٩٧) شعره : ٦٥ .
(٩٨) الغندجاني ١٢٤ ، الحلبة ٢٣٦ وفيهما الأبيات .
(٩٩) الغندجاني ٣٨ ، الحلبة ٢١١ ، وفيهما البيت ، المخصص ١٩٥/٦ ؛ حلية الفرسان ١٥٥ .

(ذو العُقّال) (١٠٠) ، وهو أبو (داحسٍ) (١٠١) . وإنّما سُمّي ذا العُقّال لأنّهُ كانَ إذا رُكبَ اشتبكَ ثمّ انبسطَ . قال جَرِيرٌ (١٠٢) :

إنّ الجيادَ يَبِتْنَ حولَ قِبابِنا   مِن آلِ أعْوَجَ أو لِذي العُقّالِ

وكانت (جَلْوَى)(١٠٣)لقِرْواش بن عوف بن عاصم بن عُبَيْد بن ثعلبة ابن يربوع ، وهي أمُّ داحسٍ .

الكَلْحَبَةُ بن هُبَيْرة العرينيّ ، عرينُ بن ثعلبة بن يربوع ، اسم فرسِهِ : (العَرادَةُ) (١٠٤) ، قالَ فيها :

تُسائلُني بنو جُشَمَ بنِ بَكْرٍ   أغَرّاءُ العَرادةُ أمْ بَهيمُ

هي الفَرَسُ التي كَرّتْ عليكُمْ   عليها الشيخُ كالأسَدِ الكَريمُ

وثَيل بنُ عوف الرياحيّ أبو سُحَيم بن وثَيل، فرسهُ: (لازمٌ) (١٠٥)، قالَ فيه سُحَيْمٌ :

وقلتُ لأهْلِ الشِعْبِ إذْ يَيْسِرونني   ألَمْ تعلمزا أنّي ابنُ فارسِ لازمِ

مالكُ بنُ نُوَيْرة، افراسُهُ : (ذو الخِمار) (١٠٧) و(نِصابُ)(١٠٨)

---

(١٠٠) ابن الكلبي ١٧ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الغندجاني ١٠٥ ، الحلبة ٢٢٨ .
(١٠١) فرس قيس بن زهير العبسي: ابن الكلبي ٢٤؛ الغندجاني ٩٧ ، العمدة ٢/٢٣٤ ، الحلبة ٢٢٨ .
(١٠٢) ديوانه ٩٥٧ .
(١٠٣) ابن الكلبي ٢٤ ، فغندجاني ٦٢ ، المخصص ٦/١٩٥ .
(١٠٤) ابن الكلبي ٤٧–٤٨ ، الغندجاني ١٦٥، الحلبة ٢٤٢ . والبيتان في شرح المفضيات ٢٤ .
(١٠٥) الغندجاني ٢١٦ ، المخصص ٦/١٩٥ ، التكملة والذيل والصلة ٦/١٤٥ . وفي ابن الكلبي ٥٠–٥١ لسحيم بن وثيل وقائل البيت ابنه جابر بن سحيم . ونسب أيضاً الى بشر بن عمرو بن أهيب في الغندجاني والتكملة .
(١٠٦) من أ . وفي الأصل : فرسه .
(١٠٧) الأصمعي ٣٠٨ ، الغندجاني ١٠٤ ، الحلبة ٢٢٩ .
(١٠٨) الغندجاني ٢٤٧ ، العمدة ٢/٢٣٥ .

و (الوريعــةُ) (١٠٩) و (العُنابُ) (١١٠) و (الجَوْنُ) (١١١) . قالَ مالكٌ (١١٢) :

جزاني دوائي ذو الخِمارِ وصَنْعَتي   إذا نامَ أطواءُ بَنِيَّ الأصــاغِرُ

قال : وأغارَتْ بنو عَبْسٍ على بــني يربوع فأخذوا إبلَ بــني حُبى فاستنقذها مالكُ بنُ نويرة فقال (١١٣) :

تداركَ إرخاءُ العُنــابِ وجَــرْيُهُ   لَبُونَ ابنِ حُبّى وهو أَسْوانُ كامِدُ

وانكسرتْ فرسُهُ نِصابُ فَحَمَاهُ الفرافِصةُ بن الأحْوَصِ الكلبيّ على فرسٍ يُقالُ له : الوَريعةُ ، ففيها يقولُ (١١٤) :

شَكَوْتُ إليهِــم رَجَلي فقــالوا   لسَيِّدِ هِــمْ أَطِعْنا فــي الجوابِ

ورُدَّ خَليلنا بعَطــاءِ صِــدْقٍ   وأَعْقِبْهُ الوَريعــةَ من نِصابِ

فأصبَــحَ خُلّتي قد حَشّ سَرْجي   بشَرْجَبَةٍ وســاعٍ في الجنابِ

وقالَ في الجَوْنِ (١١٥) :

قَرِّبْ رِباطَ الجونِ مِنّي فإنّــهُ   دناالحِلُ واحتَلَّ الجميعَ الزَّعانِفُ

داوود بن مُتَمِّم بن نويرة ، فرسُهُ : (الضَّبيحُ) (١١٦) ، قال فيه :

رَفَعْتُ لهُمْ صَدْرَ الضَّبيحِ وفاتني   ظَعائنُ من بَطْنِ الإيادِ طَوالِعُ

أبو مُلَيْلٍ عبدالله بنِ الحارث بن عاصم بن عُبَيْد بن ثعلبة بن يربوع ،

---

(١٠٩) ابن الكلبي ١٠٣ ، الغندجاني ٢٥٣ وفيهما أنها للأحوص الكلبي وهبها لمالك .
(١١٠) الغندجاني ١٧٠ . وعند ابن الكلبي ٤٩ : العباب ، بالباء . وينظر : القاموس ٩٩/١ (عب) .
(١١١) الغندجاني ٦٦ . وفي ابن الكلبي ٥٧ والحلبة ٢١٨ لأخيه متمم .
(١١٢) شعره : ٦٩ . (١١٣) شعره : ٦٥ .
(١١٤) شعره : ٥٦ .
(١١٥) شعره : ٧٤ .
(١١٦) المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضبح) .

فرسُهُ : (العَلْهانُ)(١١٧) ، قالَ جَرِيرٌ (١١٨) فيه :

شَبَثٌ فخرتُ به عليكَ ومَعْقِلٌ وأبو مُلَيْلٍ فارسُ العَلْهانِ

[و] قالَ جرير (١١٩) :

جيئوا بمثل قَعْنَبٍ والعلهانْ أو كأبي حَزْرَةَ سَمِّ الفُرْسانْ

[وأبو حَزْرَةَ] (١٢٠) : عُتَيبة بن الحارث بن شهاب .

وما ابنُ حِنّاءةَ بالرثِّ الوانْ ولا ضعيفٍ في لقاء الأقرانْ

البَراءُ بنُ قيس بن عتّاب بن هَرَميّ بن رياح بن يربوع ، اسمُ فرسِه : (الغَرّاف) (١٢١) ، قال فيه :

فإنْ يكنِ الغَرّافُ بُدِّلَ فارساً سواي فقد بُدِّلْتُ منه السمَيْدَعا

السَّمَيْدَعُ : اسمُ رجلٍ كانَ أَسَرَهُ (١٢٢) .

عُتَيْبَةَ بن الحارث بن شهاب ، فرسُهُ : (المُكَسَّرُ)(١٢٣)، قالَ فيه [مالك بن نوَيرةَ] (١٢٤) :

ولو زَهِمَ الأصلابُ منها لزاحَمَتْ عُتَيْبَةَ إذْ أدْمى جبينَ المُكَسَّرِ

أَسيدُ بنُ حِنّاءة السَّليطيّ فارسُ (الشقْراء) (١٢٥) ، قال فيها :

.. .. (١٢٦)

(١١٧) العمدة ٢/٢٣٦ ، المخصص ٦/١٩٥ ، الحلبة ٢٤٣ .

(١١٨) ديوانه ١٠١١ وفيه : وبمالك وبفارس العلهان .

(١١٩) ديوانه ٥٦٧ وقد أخل بالبيت الأخير .

(١٢٠) من الديوان . والسياق يقتضيها .

(١٢١) ابن الكلبي ٥٨ ، الغندجاني ١٨٥ وفيهما البيت .

(١٢٢) البيت : فإن يكن الى : كان أسره : مكرر في الأصل، وكتب الناسخ في الحاشية : معاد .

(١٢٣) ابن الكلبي ٦٠ ، الغندجاني ٢٢١ ، والبيت فيهما لمالك بن نويرة .

(١٢٤) من ابن الكلبي والغندجاني ، والبيت في شعره : ٧١ .

(١٢٥) الغندجاني ١٣٦ ، العمدة ٢/٢٣٥ ، الحلبة ٢٣٩ . وفي ج : المشقر .

(١٢٦) لا وجود لقول أسيد في الأصل ولا في سائر النسخ .

طارق بن حَصَبة بن أَزْنم بن عُبيد بن ثعلبة بن يربوع فارسُ (٦ب) (هَيْفاء) (١٢٧) . ويُقالُ : إنّ هيفاءَ أختُ داحِس لأُمّهِ وأبيهِ .

فرسُ لَقيط بن زُرارةَ (الأَشْقَرُ) (١٢٨) ، واسمُهُ (صِدامٌ) (١٢٩) ، قالَ فيه يومَ جَبَلَةَ :

أَقدِمْ صِدامُ إنّهُمْ بنو عَبسْ المَعْشَرُ الجِلّةُ في القومِ الحُمسْ

ضَمْرَةُ بنُ جابربن قَطَن بن نَهْشَل ، فرسُهُ : (وَبال) ، (١٣٠) .

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عني ذُباباً ذُبابَ السَّلْحِ أيّ فتىً يراها
فلو لاقَيْتَني ووَبالِ فيها أَعَنْتَ العَبْدَ يطعُنُ في ذُراها

عُبَيْد بن مالك النَهْشَلِيّ ، فرسُهُ : (الفَهْدَةُ) ، (١٣١) يُقال له : فارِسُ الفَهْدَةِ .

خيل باهلة

ربيعة بن مُدْلِجٍ ، أحدُ بني صَحْبٍ ، فارِسُ (هدّاج) ،١٣٢ قال فيه الشاعر : .

شَقيقٌ وحَرِّيٌّ هَرَاقا دماءَنا وفارِسُ هدّاجٍ أَشابَ النواصيا

وشَقيقُ بنُ حرّيٍّ فارِسُ (مَيّاس) (١٣٣) ، قال فيه الشاعرُ (١٣٤):

---

(١٢٧) الغندجاني ٢٦٧ ، المخصص ١٩٥/٦ ، اللسان (هيف) .

(١٢٨) الغندجاني ٤٢ ، القاموس ٦٢/٢ .

(١٢٩) الغندجاني ١٤٥ ، المخصص ١٩٥/٦ .

(١٣٠) المخصص ١٩٥/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٥٤٢/٥ ، القاموس ٦٣/٤ (وبل) وفي أ : أثال . وهو فرس آخر له . ينظر : ابن الكلبي ٤٣ والغندجاني ٢٩ . والبيتان عند ابن الكلبي ٤٤ : فلو لاقيتني وأثال فيها . وينظر : التاج (أثل ، وبل) .

(١٣١) التكملة والذيل والصلة ٣١٣/٢ ، القاموس ٣٢٤/١ . وعند الغندجاني ١٩٢ ؤ الفهد .

(١٣٢) ابن الكلبي ١٠١ ، الغندجاني ٢٦٤-٢٦٥ وفيهما البيت . والبيت في الأنوار ٢٧٣/١ لابنة الديان الحارثية .

(١٣٣) ابن الكلبي ٨٢ ، الغندجاني ٢٢٨ وفيهما : شقيق بن جزء .

(١٣٤) ابن أحمر ، شعره : ٤٠ .

عَرانينُ من عَبْدِ بنِ غَنْمٍ أبوهُمُ هِجانٌ فسامى في الهِجانِ وأنْجَبا

فوارِسُ سِلّى يومَ سِلّى وساجِرٍ وفارِسُ ميّاسٍ إذا ما تَلَبَّبَا

سُمَيْرُ بنُ ربيعةَ بن خلف بن مرّة بن صَحْب ، فارِسُ (خَصَاف) (١٣٥) ، وهو اسمُ فرسِهِ ، قالَ الشاعرُ فيه :

أو مِثْلُ ربِّ خَصَافٍ حينَ يَحْمِلُهُ على الكُماةِ يَقُدُّ الهامَ والقَصَرا

عامر بن [مَعْبَد] (١٣٦) فارس (الرَّقعاء) (١٣٧) أخت خَصَاف .

عُقْبة بن مُدْلجٍ العُلَيْميّ ، له (الحرون) (١٣٨) و (المُعَلّى)(١٣٩).

سالِمُ بنُ أرْطاةَ العُلَيْميّ ، له (السِّرْحانُ) (١٤٠) .

(أعْوَجُ) (١٤١) لعَدِيّ بن أيوب بن شَبيب العُلَيْميّ .

(أبو قِرْبَةَ) (١٤٢) فَرسُ عُبَيْد بن أزْهَرَ مَوْلَى عمرو بن جابرٍ الباهليّ .

دَيْسَم بنُ روميّ الباهليّ ، فرسُهُ : (الكُمَيْتُ) (١٤٣) ، وفيه يقولُ دَيْسَمٌ لعُمَيْر بن الحُباب :

فأدْرَكَهُ الكُمَيْتُ بشِمّريّ من الأبطالِ مِغْوارٍ نَجيبِ

الشِمّريّ : المُشَمِّرُ ،المِغْوارُ : من الغارةِ ، النجيب : الكريمُ الشديدُ .

فرسُ شَبيب بن دَيْسَمٍ يُقالُ له : (الوَزْنُ) (١٤٤) .

---

(١٣٥) الغندجاني ٨٩ ، المخصص ١٩٥/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٤٦٣/٤ : بكسر الخاء .

(١٣٦) من القاموس ٣١/٣ (رقع) . وهي بياض في الأصل وسائر النسخ .

(١٣٧) الغندجاني ١١١ واسم فارسها فيه عمرو لا عامر ، التكملة والذيل والصلة ٢٦٤/٤ .

(١٣٨) المخصص ١٩٥/٦ .

(١٣٩) الغندجاني ٢٣٤ ، المخصص ١٩٥/٦ . وفي اللسان (علا): المعتلي .

(١٤٠) الغندجاني ١٢٧ ، المخصص ١٩٥/٦ .

(١٤١) المخصص ١٩٥/٦ .

(١٤٢) المخصص ١٩٥/٦ .

(١٤٣) تفرد ابن الأعرابي بذكره .

(١٤٤) المخصص ١٩٦/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٣٢١/٦ ، القاموس ٢٧٥/٤ (وزن) .

فرس حاتِم بن النُعْان الباهلي اسمُهُ : (الوَرْدُ) (١٤٥) .

خيل غنيّ بن أَعْصُر

شَيْطان بن الحَكَم بن جاهِمة بن حُراق ، فرسُهُ : (الخَذْواءُ) (١٤٦)، قالَ فيها يومَ مُحَجِّرٍ : مَنْ أَخَذَ مِن ذَنَبِ الخَذْواءِ شَعْرَةً (١٤٧) فهو آمِنٌ . قالَ طُفَيْلٌ (١٤٨) :

لقد مَنَّتِ الخذواءُ منّا عليهم وشيطانُ إذْ يدعوهُمُ ويُثَوِّبُ

فارِسُ (الهُمامِ) (١٤٩) من بني زبّان بن كعْب بن جِلاّن بن غَنْم ابن غَنِيّ .

المُشْمَعِلُ بنُ هُزَلَةَ ، فرسُهُ : (خِرْقة) (١٥٠) .

ولغَنِيٍ : (الغُرابُ) (١٥١) و (الوَجِيهُ) (١٥٢) و (لاحِقٌ) (١٥٣) و (المُذْهَبُ) (١٥٤) .

[خيل] غطَفان بن سعد

عامر بنُ قيس بن جُنْدَبٍ الأَشْجَعِيّ فارسُ (القُرافِر) (١٥٥) .

---

(١٤٥) الغندجاني ٢٥٩ .

(١٤٦) ابن الكلبي ٤٥ ، الغندجاني ٨٥ ، الحلبة ٢٢٥ .

(١٤٧) (شعرة) : ساقطة من المطبوع .

(١٤٨) ديوانه ٤٩ .

(١٤٩) التكملة والذيل والصلة ١٧٧/٦ ، القاموس ١٩٢/٤ (همم) .

(١٥٠) الغندجاني ٨٨ .

(١٥١) ابن الكلبي ٢٢ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الأصمعي ٣٧٩ ، الحلبة ٢٤٤ .

(١٥٢) ابن الكلبي ٢٢ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الغندجاني ٢٥١ .

(١٥٣) ابن الكلبي ٢٢ ، الأصمعي ٣٧٩ ، نوادر القالي ١٨٤ ، الغندجاني ٢١٤ .

(١٥٤) ابن الكلبي ٢٢ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الغندجاني ٢٢٣ ، العمدة ٢٣٤/٢ .

(١٥٥) هو القراقر ، بالقاف ، في الغندجاني ٢٠١ والمخصص ٦ / ١٩٦ والقاموس ١١٦/٢ (قرر) .

عامر بنُ الحارث بن سُبَيْــع فارسُ (العَضُوض) (١٥٦) . قالَ جابرُ بنُ عبدالله :

يَهُزُونَ خَطّيَّ الرماحِ وخَيْلُهُمْ شواحٍ كعُقبانِ الطّلالِ الكواسِرِ
على كُلِّ سامي الطّرْفِ ضافٍ سَبِيبُهُ وكُلِّ نَحوصٍ كالهراوةِ ضامِرِ
سَبوحِ الجِراء هَزَّ في أمّهاتِها بناتُ العَضوضِ أو بناتُ القُرافِرِ

قَيْسُ بنُ زُهيــر بن جَــذيمةَ ، فرســاه : (داحِسٌ) (١٥٧) و(الغَبْراءُ) (١٥٨) . قالَ مُزَرِّدٌ (١٥٩) (٧أ) لبني أنمارٍ وحالَفَهمُ :

بكَفّيَ أَلْقَيْتُ العصا واشــتريتُهُم بَحيٍّ حِلالٍ يحبسونَ المَحابِسا
بَحيِّ بني سَعْدِ بنِ ذُبيانَ إذْ رأى لَدَيَّ بأنْمارٍ سَرابــاً وداحِســا

سَرابُ هي الغَبراءُ .

(وقالَ أبو جَعْفرٍ (١٦٠) : سَرابُ هي ناقةُ البَسُوسِ التي وقــع فيها الحرب بينَ بَكْرٍ وتَغْلِبَ) .

وكنتُ كَمَنْ أَعطى هجاناً بريّةً بجَرْباءَ تُعدي من أتاها مُلابِســا

عَنْتَرَةُ بنُ عمــرو بن معاوية ، أفراسُهُ : (الأَغَــرُّ) (١٦١) و(الأَدْهَمُ) (١٦٢) و(ابنُ النعامةِ) (١٦٣)، قالَ (١٦٤) [في الأَدْهَم]:

---

(١٥٦) الغندجاني ١٧٦ وفيه البيت الثالث فقط لعامر بن قيس بن جندب ، المخصص ١٩٦/٦ .
(١٥٧) سلف في الحاشية المرقمة ١٠١ .
(١٥٨) ابن الكلبي ٢٥ ، العمدة ٢٣٥/٢ ، المخصص ١٩٦/٦ . ونسبت الى حمل بن بدر في الغندجاني ١٨٣ والحلبة ٢٤٤ وحلية الفرسان ١٥٣ .
(١٥٩) ديوانه ٦٤ .
(١٦٠) محمد بن حبيب ، وهو من تلاميذ ابن الاعرابي ، وقد سلفت ترجمته. وما بين القوسين إضافة منه .
(١٦١) لشداد بن معاوية في الغندجاني ٣١ .
(١٦٢) ابن الكلبي ٦٩ ، المخصص ١٩٦/٦ .
(١٦٣) العمدة ٢٣٥/٢ ، المخصص ١٩٦/٦ .
(١٦٤) ديوانه ٢١٦ .

يدعونَ عَنْتَرَ والرماحُ كأنّهــا أَشْطانُ بِئرٍ في لَبَانِ الأَدْهَمِ

وقالَ في الأَغَرِّ :

جَزَى اللهُ الأَغَرَّ جزاءَ صِــدقٍ إذا ما أُوقِــدَتْ نارُ الحــروبِ
يقيني بالجبيــنِ ومَنْكِبَيْــهِ وأَنْصُرُهُ بمُعْتَدِلِ الكُعُــوبِ

ويقالُ : كانَ له فرسٌ يُقالُ له : (الأَبْجَرُ) (١٦٦) أو لغيــرِهِ منهم ، قالَ (١٦٧) :

لا تَعْجَلي أَشْدُدْ حِزامَ الأَبْجَرِ
إنّي إذا الموتُ دَنا لم أَضْجَرِ
ولم أُمَنِّ النَّفْسَ بالتــأَخُّرِ

شَــدَّادُ بنُ معاوية عَــمُّ عَنْتَرَةَ ، فارِسُ (جِرْوَةَ) (١٦٨)

قالَ [فيها]:

مَنْ يَكُنْ سائِلاً عني فإنّــي وجِرْوَةَ لا تَرودُ ولا تُعــارُ

حُذَيْفَةُ بنُ بَدْرٍ ، فَرَساه : (الخَطّارُ) (١٦٩) و(الحَنْفاءُ) (١٧٠) .

حُجْر بن معاوية بن حُذَيفة ، فرسُهُ : (الحَنْفاءُ) (١٧١) .

شَبيبُ بنُ معاوية بن حُذَيفــة فارِسُ (السَّكْبِ) (١٧٢) ، وهو اسمُ فرسِهِ .

---

(١٦٥) ديوانه ٣٢٠ .
(١٦٦) ابن الكلبي ٦٩ ، الغندجاني ٢٩ ، الحلبة ٢١٠ .
(١٦٧) ديوانه ٣٣٤ .
(١٦٨) ابن الكلبي ٦٧ ، الأصمعي ٣٧٩ ، الغندجاني ٦٢ ، الحلبة ٢١٦ . والبيت في ديوان عنترة ٣٠٩ وفيه : ومن يك .
(١٦٩) الغندجاني ٨٦ ، العمدة ٢٣٥/٢ ، الحلبة ٢٢٤ .
(١٧٠) ابن الكلبي ٢٥ ، الغندجاني ٧٥ ، الحلبة ٢٢١ ، حلية الفرسان ١٥٢ .
(١٧١) المخصص ١٩٦/٦ .
(١٧٢) الغندجاني ١٢٥ ، التكملة والذيل والصلة ١٥٩/١ ، القاموس ٨٣/١ (سكب). وفي الأصل وسائر النسخ : السلب .

يزيد بن سنان المُرِّيّ ، فرسُهُ : (وَجْزَةُ) (١٧٣) ، قالَ فيها :

رَمَيْتُهُمُ بوَجْزَةَ إذْ تواصَوْا ليَرْمُوا نَحْرَها كَثَباً ونَحْري
إذا نَفَذَتْهُمُ كَرَّتْ عليهِمْ كأَنَّ فَلُوَّها فيهم وبَكْري

سِنانُ بنُ أبي حارثةَ ، فَرَسُهُ : (بَرْجَةُ) (١٧٤) .

(مُزاحِمٌ) (١٧٦) : فرسُ طَلْحَةَ بن أبي محْجَن العَدَويّ .

ولغَطَفَانَ : (العَسْجَدِيُّ) (١٧٦) و (لاحِقٌ) (١٧٧) . قال النابغةُ (١٧٨) :

فيهِم بناتُ العَسْجَديّ ولاحِقٍ وُرْقاً مراكِلُها من المِضْمار

حِزام بنُ وابِصَةَ ، فرسُهُ : (الرَّقيمُ) (١٧٩) ، قالَ :

وخَيلٍ كالقَطَا قد رُعْتُ فيها سَوامَ الحَيِّ يَقْدُمُني الرَّقيمُ

ضُبَيْعَةُ بنُ الحارث العَبْسِيّ ، فرسُهُ : (الأَغَرُّ) (١٨٠) .

زَبّانُ بنُ سَيّارٍ الفَزاريّ ، فرسُهُ : (سُلّمٌ) (١٨١) ، كانَ أعطاهُ زَيْدَ الخَيْلِ فنجا عليه وهو أسيرٌ في بني بَدْرٍ فقالَ زَبّانٌ :

مَنَنْتُ فلا تكفر بلائي ونِعْمَتي وأَدِّ كما أدّاكَ يا زيدُ سُلّما

الربيعُ بنُ زيادٍ ، فرسُهُ : (اليَعْبُوبُ) (١٨٢) . وكانَ يقالُ له : فارِسُ يَعْبُوب ، قالَ مَرْوان القَرَظ :

---

(١٧٣) ابن الكلبي ٦٩–٧٠ ، الغندجاني ٢٥٤ وفيهما البيتان ، وهما في فرحة الأديب ١٤٤ .
(١٧٤) الغندجاني ٥٢ . (١٧٥) الغندجاني ٢٣٤ ، المخصص ١٩٦/٦ .
(١٧٦) ابن الكلبي ٣٠ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الغندجاني ١٦٧ .
(١٧٧) هو لغني بن أعصر كما سلف في الحاشية ١٥٣. وتفرد ابن الاعرابي بنسبته الى غطفان.
(١٧٨) ديوانه ١٠١ . (١٧٩) الغندجاني ١١٢–١١٣ وفيه البيت، المخصص ١٩٦/٦.
(١٨٠) المخصص ١٩٦/٦ .
(١٨١) ابن الكلبي ٧٩–٨٠ ، الغندجاني ١٢٥ وفيهما البيت .
(١٨٢) الغندجاني ٢٧٣ ، المخصص ١٩٦/٦ ، اللسان (عبب) ، القاموس ١٠٠/١ (عب) ، التاج (عبب) .

رَدَدْتُ على عوفٍ خُماعةَ بَعْدَما جلاها ذُؤابٌ غيرَ جلْوةِ خاطبِ
ولو غيرُهُ كانت سَبيّةُ رُمْحِه لجاءَ بها مقرونةً بالذوائبِ
ولكنّهُ ألقى عليها حِجابَهُ رجاءَ الثوابِ أو حِذارَ العواقبِ
فدافعْتُ عنها ناشباً وقَبيلهُ وفارسَ يَعْبوبٍ وزَيْدَ بنَ قاربِ
خبَطْتُ بني شَيْبانَ فيها بنعمة يُحَدِّثُ عنها أهْلُ سلّى ومارِبِ

سِلّى (١٨٣) ومارِبٌ (١٨٤) : أَرْضان .

الغُراب بنُ سالمٍ العَبْسِيّ ، فرسُهُ : (المُخُّ) (١٨٥) .

ولعَبْسٍ أيضاً : (البَشير) (١٨٦) .

خيل بني سُلَيْم

فرسُ عُمَيْر بن الحُباب : (الزَّعْفَرانُ) (١٨٧) ، قال فيه :

فأَصْبَحْتُ قد شارَفْتُ أَرْضاً أُحِبّها إذا شئْتُ خَبَّ الزَّعْفَرانُ وقَرَّبا

العباسُ بنُ مِرداسٍ السُّلَميّ ، فرسُهُ : (العُبَيْدُ)(١٨٨)، قالَ فيه :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ العُبَيْـ ـدِ بينَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ
(٧ ب) وما كانَ حِصْنٌ ولا حابِسٌ يفرقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وما كنتُ دونَ امرىءٍ منْهُما ومَنْ تَضَعِ الحرْبُ لا يُرْفَعِ

ولَهُ أيْضاً : (زِرَّة) (١٨٩) ، أَخَذَها سُفْيان بن عوف النَّصْري فاستُنْقِذت منه .

---

(١٨٣) معجم البلدان ٢٣١/٣ .
(١٨٤) ينظر : معجم ماستعجم ١١٧٠ ، معجم البلدان ٣٤/٥ ، الروض المعطار ٥١٥ .
(١٨٥) المخصص ١٩٤/٦ . (١٨٦) تفرد ابن الاعرابي بذكره .
(١٨٧) الغندجاني ١٢٠ وفيه البيت ، المخصص ١٩٦/٦ .
(١٨٨) ابن الكلبي ٧٠ ، الغندجاني ١٦٤ ، الحلبة ٢٤٣ . والأبيات في ديوانه ٨٤–٨٥ .
(١٨٩) الغندجاني ١١٩ ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ٣٩/٢ (زر) . وتفرد ابن الكلبي ٧٤ بنسبتها الى مرداس أبي العباس .

ولَهُ أَيْضاً : (صَوْبَة) (١٩٠) ، قالَ فيها :

أَعَدَدْتُ صَوْبَةَ والصَّمُوتَ ورُمْحي والفضول تلوحُ كالسَّحْلِ
فُرُطُ العِنانِ كأَنَّ مُلْجِمَها في رأسِ نائِيَةٍ من النَّخْلِ
بينَ الحِمالَةِ والقُرَيْطِ لَقَدْ أُنْجِبْتِ مِن أُمٍّ ومِن فَحْلِ

(القُرَيْطُ) (١٩١) و (الحِمالَةُ) (١٩٢) : فَرَسان .

فَرَسُ معاوية بن مِرْداس يُقالُ له : (زامِلٌ) (١٩٣) ، قالَ فيه :

لَعَمْري لقد أكثَرْتُ تعريض زاملٍ لجرحٍ او ليقْدَعَ عاثِرا
ولا مِثْلَ في أَيّامِهِ وبلائِهِ كيومٍ لهُ بالجَرِّ لو كُنْتَ خابِرا
تَشُكُّ عوالي السَّمْهَرِيِّ لِبانَهُ ويرمِينَ فيه بالسِّهام المفاقِرا

يعني فَقارَ عُنُقِهِ .

فَهَلْ يَشْكُرَنْ أبو سَلامَةَ نعمتي وظَنِّي به أَنْ سَوْفَ يُوجَدُ شاكِرا

أبو سَلامَةَ : رجلٌ من بني سُلَيْمٍ .

ولمعاويةَ بن مِرداس أيضاً فرسٌ يُقالُ لهُ : (الأَدْهَمُ) (١٩٤) ، قالَ فيهِ :

إنْ تأخذوا الأَدْهَمَ لا تَشْأَوني
ساطٍ إذا طُوطِئَ بعدَ الأَيْنِ

---

(١٩٠) ابن الكلبي ٧١ - ٧٢ ، الغندجاني ١٤٦ ، المخصص ٦ / ١٩٦ . والأبيات في ديوانه ١٣٣ . وينظر في (الصموت) : ابن الكلبي ٧١ ، الغندجاني ١٤٤ ، القاموس ١٥٢/١ (صمت) .

(١٩١) الغندجاني ١٩٥ ، حلية الفرسان ١٥٣ . وفي ابن الكلبي ٢٧ : القريظ ، بالظاء .

(١٩٢) ابن الكلبي ٢٧ ، الغندجاني ٧٣ ، الحلبة ٢٢٠ . والفرسان لبني سليم .

(١٩٣) ابن الكلبي ٧٤ ، الغندجاني ١١٦ ، الحلبة ٢٣٤ وفيها : مرداس بن معاوية . والبيتان الأول والثاني في : الغندجاني ، والأول فقط في ابن الكلبي والحلبة .

(١٩٤) التكملة والذيل والصلة ٢٨/٦ ، القاموس ٤ / ١١٥ (دهم) . وفي الغندجاني ٤١ لأنس بن مرداس السلمي ، وفيه الأبيات .

الساطي : الواسع . طُوطِيءَ بعِنانِهِ باليد بعدما يَكِلُّ يَسْطو .

مِلْءُ حِزامَيْهِ ومِلْءُ العَيْنِ
يَنْفُشُ بَعْدَ الرَّبْوِ مِنْخَرَيْنِ
كَنَفْشِ كِيرَيْنِ بكَفَّيْ قَيْنِ

فَرَسُ حَزْن بن مِرداس : (الحَصّاء) (١٩٥) ، كانَ يُقالُ له : فارِسُ الحَصَّاء ، قالَ :

ولولا اللهُ والحَصَّاءُ فاظَتْ عيالي وَهْيَ باديةُ العُروقِ
ولم أرَ مِثْلَ جَرْيٍ ألحقَتْهُ بأوْطاسٍ لقافلةٍ عَقوقِ
إذا هَوَتِ الرِماحُ لها تَدَلَّتْ تَدَلِّيَ لِقْوَةٍ من رأسِ نيقِ

قَيْسُ بْنُ نُشْبَةَ السُّلَمِيّ ، فرسُهُ : (صِدامٌ) (١٩٦) ، قالَ فيه :

يالَ بَكْرٍ اصبروها إنّني أنا قَيْسٌ وصِدامٌ والأَسَدْ

الأَسدُ : اسمُ درعِهِ .

ابنُ عاديةَ الأَسْلَمِيّ ، كانَ حليفاً لبني عُصَيّةَ ، اسمُ فرسِهِ : (الوَرْدُ) (١٩٧) ، قال فيه :

جزَاني الوَرْدُ أشلائي وحشّي وجَلَّ ثناؤه عندي وطابا

(كَزازِ) (١٩٨) : فرسُ حُصَيْن بن عَلْقَمَةَ الذَكْوانيّ ، وهو حُصَيْنُ الفوارسِ ، قالَ فيها :

---

(١٩٥) المخصص ١٩٦/٦ .وهي فرس سراقة بن مرداس السلمي عند الغندجاني٧٣ وفيه الأبيات.
(١٩٦) الغندجاني ١٤٨ وفيه : قيس بن نشيبة ، القاموس ١٣٨/٤ (صدم) ، التاج (صدم) .
(١٩٧) الغندجاني ٢٥٨ واسم ابن عادية فيه ؤ أهبان .
(١٩٨) الغندجاني ٢٠٨ وفيه الأبيات ، المخصص ١٩٦/٦ ،التكملة والذيل والصلة ٢٩٧/٣ ، القاموس ١٨٩/٢ (كزز) .

عَدَلْتُ كزازٍ لصَدْرِ اللطيـم حتى كأنّهما في قَرَنْ
وأيْقَنْتُ أنّي امرؤٌ هالكٌ فأخطَرْتُ نفسي الثناءَ الحَسَنْ
تركتُ فَضالةَ في مَعْرَكٍ يُعالجُ أحْمَرَ مِثْلَ الشّطَنْ
وهُنَّ بنا شُزَّبٌ في الغُبارِ يعدونَ عَدْوَ إفالِ السَّنَنْ

الإفالُ : الفُصْلانُ ، والسَّنَنُ : النشاطُ .

فرسُ خُفاف بن عُمَيْر ، وهو ابنُ نَدْبَة : (عَلْوى) (١٩٩) ، قالَ فيها يومَ قَتَلَ مالكَ بنَ حِمارٍ الفَزاريّ :

إنْ تَكُ خَيْلي قد أُصيبَ صَميمُها فعَمْداً على عَيْني تَيَمّمْتُ مالِكا
نَصَبْتُ لهعَلْوى وقدخامَ صُحْبتي لأُوثِرَ مَجْداً أو لأثأرَ هالِكا
فقلتُ لهُ والرمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ تأمّلْ رُوَيْداً إنّني أنا ذالِكا

خيل هوازن

بنو هلالٍ لهم : (أعْوَجُ) (٢٠٠) ، ثمَّ لبني المُحارِبيّةِ من بني مناف بن هلالٍ ، قالَ فيهم الشاعر :

أتَتْكَ بناتُ أعْوَجَ ملجماتٍ بأبناءِ الحواصِنِ من نِزارِ

(٨ أ) الحواصِنُ ، قال أبو عبدالله : اللذين لهم أزواجٌ ، ومثلهم الغواني .

عبدالله بنُ شُرَحْبيلَ الهِلاليّ فارِسُ (التّجادة) (٢٠١) .

عمرو بن عامربن ربيعة بن عامربن صَعْصَعَة فارِسُ (الضَّحْياء) (٢٠٢) ،

---

(١٩٩) الغندجاني ١٧٢ ، المخصص ١٩٦/٦ ، اللسان (علا) . والأبيات في شعره : ٦٤ مع خلاف في الرواية والتقديم والتأخير .

(٢٠٠) ابن الكلبي ٢١ ، أبو عبيدة ٦٦ ، الأصمعي ٣٧٩ ، العقد الفريد ١٥٨/١ ، الغندجاني ٣٧ ، الحلبة ٢١١ .

(٢٠١) المخصص ١٩٦/٦ .

(٢٠٢) الغندجاني ١٥٤ ، المخصص ٦ / ١٩٦ ، فضل الخيل ٤٦ ، رشحات المداد ٩١ . وفي الحلبة ١٥٤ : فرس عامر بن ربيعة بن صعصعة .

قالَ خِداشُ بنُ زُهَيْرٍ (٢٠٣) :

أبي فارِسُ الضَّحياءِ عمرو بن عامر   أَبَى الذَّمَّ واختارَ الوفاءَ على الغَدْرِ

خالد بن جعفر بن كِلاب ، فرسُهُ : (حَذْفَةَ) (٢٠٤) ، قالَ فيه:

مَنْ يَكُ سائلاً عني فإنّي   وحَذْفَةَ كالشجا تَحْتَ الوريدِ

مُقَرَّبَةً أُسَوِّيها بجَزْءٍ   وأُلْحِفُها ردائي في الجَليدِ

وأُوصي الراعِيَيْنِ ليَغْبِقاها   لها لَبَنُ الخَلِيَّةِ والصَّعودِ

والخَلِيّةُ (٢٠٥) : الّتي تعطفُ على ولدِ غيرِها لِتَدُرَّ ويكونَ لبنُها لأَهْلِها .

والصَّعودُ (٢٠٦) : الّتي تُلقي ولدَها لغيرِ تمامٍ فتعطف على ولدِ غيرِها .

والغَبوقُ : شُرْبُ العشيّ .

لعلّ اللهَ يُمْكِنُني جهاراً   عليها من زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيدِ

زُهَيْرٌ وأُسَيدٌ : ابنا جَذِيمَةَ .

طُفَيْل بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة فارِسُ (قُرْزُلٍ) (٢٠٧) ، قالَ فيه سَلَمَةُ بنُ الخُرْشُبِ (٢٠٨) :

فإنّكَ يا عامِ بنَ فارسِ قُرْزُلٍ   مُعيدٌ على قيلِ الخنا والهواجِرِ

يقولُ : أنت مُعاوِدٌ لقيل الخنا مرّةً بعد مرّةٍ .

---

(٢٠٣) طبقات فحول الشعراء ١٤٤ ، الشعر والشعراء ٦٤٦ ، جمهرة أشعار العرب ٥٢٠، أشعار العامريين الجاهليين ٣٦ .

(٢٠٤) ابن الكلبي ٦٥-٦٦ ، الغندجاني ٧٥ ، الحلبة ٢٢١ . والأبيات في الأغاني ٨٣/١١ .

(٢٠٥) الفرق ١٢١/١ .   (٢٠٦) الفرق ١٢١/١ .

(٢٠٧) ابن الكلبي ٧٧ ، الأصمعي ٣٧٩ ، الزاهر ١٩١/٢ ، الغندجاني ١٩٨ ، فرحة الأديب ٣٤ .

(٢٠٨) المفضليات ٣٨ ، شرح المفضليات ٣٨ .

وقالَ فيه ضُبَيْعةُ بنُ الحارثِ العَبْسِيّ (٢٠٩) :

وفَعَلْتَ فِعلَ أبيكَ فارسِ قُرْزُلٍ إنَّ النَّدُودَ هُوَ ابنُ كُلِّ نَدُودِ

النَّدودُ : المنهزم الذي إذا لَقِيَ (٢١٠) الحربَ فرَّ .

عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ بن مالك ، له : (حَنْوَة)(٢١١)و(الحِمالةُ) (٢١٢) و (المَزْنُوقُ) (٢١٣) و(الكَلْبُ) (٢١٤) ، يُقالُ له : فارسُ الكَلْبِ. قالَ في المَزْنُوق (٢١٥) :

لقد عَلِمَ المَزْنوقُ أنّي أكُرُّهُ عَشيّةَ فَيْفِ الريحِ كَرَّ المُدَوَّرِ

قالَ : المُدَوَّرُ : الذي يطوف (٢١٦) بالصنم يعبدُهُ .

وقالَ سَلَمَةُ بنُ الخُرْشُبِ لعامر (٢١٧) :

نَجَوْتَ بنَصْلِ السيفِ لا غِمْدَ فوقَه وسَرْجٍ على ظَهْرِ الحِمالةِ قاتِرِ

القاتِرُ : الذي على قدر الراكب ليس فيه ضيقٌ ولا فَضْلٌ .

فلو أنّها تجري إذاً لَلَحِقْنَها ولكنّما يَتْبَعْنَ تمثالَ طائرِ

ولعامرٍ :(الوَرْدُ) (٢١٨) أيضاً ،قالت مَيّةُ(٢١٩)بنتُ أهْبانَ العَبْسيّة تذكرُ فرسَ عامرٍ :

---

(٢٠٩) بلا عزو في اللسان (قرزل) .
(٢١٠) في المطبوع : ألقى . (٢١١) التكملة والذيل والصلة ٤٠٢/٦ .
(٢١٢) ابن الكلبي ٧٦ .
(٢١٣) ابن الكلبي ٦٣ ، المخصص ١٩٦/٦ .
(٢١٤) الغندجاني ٢٠٦ ، العمدة ٢٣٥/٢ .
(٢١٥) ديوانه ٦١ وفيه : كر المشهر .
(٢١٦) من سائر النسخ . وفي الأصل : يطيف .
(٢١٧) المفضليات ٣٧ ، شرح المفضليات ٣٥ وفيهما : على ظهر الرحالة .
(٢١٨) ابن الكلبي ٦٥ ، العمدة ٢٣٥/٢ ، حلية الفرسان ١٥٦ .
(٢١٩) ابن الكلبي ٦٥ واسمها فيه : تميمة .

فلولا نجاءُ الوَرْدِ يهفو جناحُهُ ... وأَمْرُ الإلهِ ليسَ للهِ غالبُ
إذاً لسكنْتَ العامَ نَفْأً ومَنْعِجاً ... بلادَ الأعادي أو بَكَتْكَ الحبائبُ

مَنْعِجٌ (٢٢٠) : ضريّةٌ في طريق البصرة الى مكّةَ ، ونَفْءُ (٢٢١) : مكانٌ قريبٌ منه .

عبد عمرو بن شُرَيح بن الأحْوَص فارِسُ (دَعْلَجٍ) (٢٢٢) ، قالَ فيه :

طُلِّقْتِ إنْ لم تسألي أي فارسٍ ... حَليلُكِ إذْ لاقى صُداءً وَخَثْعَما
ويومَ لَقِينا جمعَ ذُبْيانَ والقَنَا ... عِطاشٌ فروَّيْنا أَسِنّتَها دَمَا
أُقَدِّمُ فيهم دَعْلَجاً وأَكُرُّهُ ... إذا أكْرِهَتْ فيه الرماحُ تَحَمْحَما
يوافِدُ أطرافَ الرماحِ شَكَكْتُهُ ... كَشَكِّكَ بالشَّعْبِ الإناءَ المُثَلَّما

دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ ، فرسُهُ : (عَجْلَى) (٢٢٣) ، قالَ فيها :

أقولُ لعَجْلى إنّما هيَ ساعةٌ ... فِدىً لكِ نَفْسِي أَلْحِقيني مُلاحِقِي

تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ ، فرسُهُ : (الخَوْصاءُ) (٢٢٤) ، قالَ فيها :

[دَعَا الخَوْصاءَ توبةُ والمنايا ... تُساوِرُهُ وقد حُظِرَ النَّجاءُ] (٢٢٥)

ووهب لقابِضٍ ابن عمِّهِ (أعوجَ) (٢٢٦) فرسَهُ الذي نجا عليه ، وكانَ وَرْداً .

---

(٢٢٠) معجم ماستعجم ١٢٧١ ، معجم البلدان ٢١٣/٥ .
(٢٢١) معجم ماستعجم ٨٦١ ، ١٣١٧ .
(٢٢٢) الغندجاني ٩٨ وفيه البيتان الأول والثالث ، المخصص ١٩٦/٦ . ونسب الى عامر بن الطفيل في الحلبة ٢٢٧ وعقد الأجياد ٣٤١ .
(٢٢٣) الغندجاني ١٧١ وفيه البيت ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١٣/٤ (عجل) والبيت ليس في ديوانه .
(٢٢٤) الغندجاني ٨٧ ، المخصص ١٩٦/٦ . وفي المطبوع بالحاء المهملة وهو تصحيف .
(٢٢٥) من الحلبة ٢٢٦ وقد أخل به ديوانه .
(٢٢٦) تفرد ابن الاعرابي بذكره .

جَزْء بن شُريح بن الأحوص ، فرسُهُ : (الحَرونُ) (٢٢٧) ، قالَ فيه :

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحَرونِ كأنَّهم بعُذْرَتِهِ حتى يوافِيَ مَوْعِدُ
فإنْ طَرَدوهُ أمْكَنَ الرمحُ فيهم وإنطَرَدوهُ فَهْوَ في العَدْوِ يَقْصِدُ

(٨ ب) وقال أبو عبدالله [محمد] : استحمل ربيعةُ بن عامر بن مالك أخاه أبا هُرَيْرَةَ بن عامر بن مالك فلم يحمله فأصابَ فرساً يُقالُ له : (ناثِلٌ)(٢٢٨) فقالَ (٢٢٩) :

لو كنْتُ رَبَّ المالِ لم تُلْفَ راجلاً وأعْزِلَ فَضْلُ الخَيْلِ عناكَمعَازِلا
أَذِنْتُ لكم أنْ تشتروا بفُضولِها وأعددتُ للأعداءِ والحرب ناثِلا
حَفَوْتُ لهُ أهلي وأَطْفَتُ جُلَّهُ وأَفْصِلَتِي حتى شَتَوْنَ حَسَاكِلا

حَسَاكل : مهازيلُ ، وهي صِغارٌ من الإبلِ لم تَرْوَ من اللبن .

فارسُ (خِذامٍ) رجلٌ من بني قُشَيْر يُقالُ له : حاتم بن حَيّاش ، أحد بني الأعور بن قُشَيْر ، قُطِعَتْ رِجْلُهُ بتُسْتَرَ فَشَدَّ على المشركين وهو يقولُ :

أَقْدِمْ خِذامُ إنّها الأكاسِرَهْ
أَقْدِمْ ولا تَغْرُرْكَ ساقٌ نادِرَهْ
أنا القُشَيْرِيُّ أخو المهاجِرَهْ
أَضْرِبُ بالسيفِ رؤوسَ الكافِرَهْ

---

(٢٢٧) تفرد ابن الاعرابي بذكره .
(٢٢٨) التكملة والذيل والصلة ٥/٥٢٤ . وهو ناتل ، بالتاء ، في الغندجاني٢٤٤ وفيه البيتالثاني فقط والمخصص ١٩٦/٦ والقاموس ٥٤/٤ (نتل) .
(٢٢٩) الغندجاني ٨٨ وفيه الأبيات ، ونسبه الى حياش بن قيس . وهو لحاتم بن حياس ، بالسين ، في المخصص ٦ / ٩٦ . ونسبالى حيـاش بن قيس في التكملة والذيل والصلة ٦/٦ .

شَبِيبُ بن جَرادٍ ، أحد بني الوحيد ، فرسُهُ : (الشَّمُوسُ) (٢٣٠)، قالَ :

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الشَّمُوسِ وقد أرى مكانَ الفرارِ لو أُريدُ فِـــرارا
إذا أَعْرَضُوا أَرميهم عن شَرِيجَةٍ أُريتُ حراماً دِرْهَماً وصُحـارا

قالَ : راهَنَتْ بنو نُفاثة بن عبدالله بن كلاب بن الأحوص بن جعفر بن كلاب على جارية وثلاثين من الإبلِ فسبقتْ بنو نُفاثة عن فرسٍ لربيعة بن عمرو بن نُفاثة يُقالُ له : (أُهاوِبٌ) (٢٣١) ، ويُقالُ لربيعة بن عمرو : فارسُ أُهْلوب ، فأخذوا جاريةَ بني جعفر ، وكانَ يُقالُ لها : جَهِيرة ، فولدت في بني الصَّموت . وكانَ ممن ولدتْ سَلاَّمُ بن حُبَيْش .فلمّا تهاجى سلاَّمٌ والأعورُ قالَ الأعورُ يُعَيِّرُ سَلاّماً بجَهِيرةَ :

ماذَنْبُنا إنْ كانَ أَهْلُوبٌ جَرَى
بينَ وَتيرٍ أو حَزيمِ المُنْتَصَى
وأُمُّكُم جالسةٌ عنـد المَدَى

يزيدُ بنُ الطَّثْرِيَّةِ ، فرسُهُ : (الكُمَيْتُ) (٢٣٢) ، قالَ :

لَعَمْرُكُما إنَّ الكُمَيْتَ على الوَجا بتكميلِ خَمْسٍ بَعْدَ خَمْسٍ مُوَكَّلُ

جَعْدَةُ بنُ مِرْداسٍ النميريّ ، فرسُهُ : (جَنْبَرٌ) (٢٣٣) ، قالَ مُعَقِّرُ بنُ حِمارٍ البارقيّ فيه (٢٣٤) :

---

(٢٣٠) المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ٢٢٤/٤ (شمس) .
(٢٣١) المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١٤٠/١ (هلب) . وفي الغندجاني٤٣ : فرس دهر بن عمرو بن ربيعة ، وفيه البيت الأول .
(٢٣٢) التكملة والذيل والصلة ٣٣٦/١ . والبيت في شعره : ٤٩ .
(٢٣٣) الغندجاني ٦٣ ، التكملة والذيل والصلة ٢ / ٤٥٧ . وهو جنبذ في المخصص ١٩٦/٦ . وفي الحلبة ٢٢٢ : جبتر ، وفيها البيت .
(٢٣٤) قصائد جاهلية نادرة ١١٣ وفيها : يقدم حبتراً .

يُقَدِّمُ جَنْبَراً بأفَــلَّ عَضْبٍ لــه ظُبَــةٌ لِما نالَتْ قَطُوفُ

ومن بني نَصْر بن معاوية فارسُ (مِحاجٍ) (٢٣٥)، وهو مالكُ بنُ عوف ، وله يقولُ يومَ حُنَيْنٍ :

أَقْدِمْ مِحَاجُ إنّهُ يومٌ نُكُرْ
مِثْلي على مِثْلِكَ يحمي ويَكُرْ

عَبْسُ بنُ حُدار (٢٣٦) ، من بني وائل بن صعصعة بن معاوية فارِس (قُدَيْد) (٢٣٧) ، قالَ لفرسِهِ يومَ الرَّقَم :

أَقْدِمْ قُــدَيْدُ لا تَكُنْ خَنُوسَا
لأَطْعُنَنَّ طَعْنَــةً قَلوســا
ذاتَ رَشاشٍ تَنزَعُ الخَمِيسا
من لا يُطــاعِنْ لا يكُنْ رَئيسا

قلوسٌ : تجيشُ بالدمِ ، يقالُ : طَعْنَةٌ قلاّسَةٌ . وفيه يقولُ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ (٢٣٨) :

وأبو أُبَيٍّ ما سَمِعْتُ بمِثْلِهِ يا حَبّذا هُوَ مُمْسِياً ونَهــارا

ومن بني نُفَيل بن عمرو بن كلاب فارِسُ (صِدامٍ) (٢٣٩) ، وهو زُفَرُ بنُ الحارثِ ، قالَ لفرسِهِ :

---

(٢٣٥) ابن الكلبي ٧٠ ، الغندجاني ٢٢٢ ، حلية الفرسان ١٥٦ : والبيتان فيها . وفي المطبوع : يوم بكر . وهو تصحيف .

(٢٣٦) هو جدان في المخصص ١٩٦/٦ واللسان (قدد) .

(٢٣٧) المخصص ١٩٦/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٣١٧/٢ .

(٢٣٨) ديوانه ٧٩ .

(٢٣٩) المخصص ١٣٨/٤ (صدم) .

أَقْـدِمْ صِـدامُ إنّهُ ابنُ بَحْدَلْ
لنْ تُدْرِكَ الخيْـلَ وأَنْتَ تدأَلْ
إلاَّ بَمرٍّ (٢٤٠) مثلِ مَرِّ الأَجْدَلْ

عَوْفُ بنُ الأَحْوَصِ فارسُ (مِجْلَز) (٢٤١). وله: (العصا) (٢٤٢).

معاوية بن جُلَيْمِيد بن عُبادة بنالبكّاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارِسُ (حَجْناء) (٢٤٣).

خيل ربيعة بن نزار

قالَ اللّجْلاجُ بنُ عبدالله:

حبَا مُضَرٌ وأنمارٌ أخَـاهُم ... أبا أسدٍ ربيعةَ بالجيـادِ

وقالَ يحيى بنُ منصورٍ:

نزارٌ كانَ أعْلَمَ حيـنَ يُوصي ... لأيٍّ بَنيهِ أَوْصَى بالحِمـارِ
وأَيّهُمُ أَحَقُّ بكُلِّ طِـرْفٍ ... مَعُوجٍ في الرّقاقِ وفي الخَبارِ

الرّقاقُ: المكانُ الواسِعُ.

بنو ضُبَيْعَةَ بن نزار

قالَ: كانتِ (الصَّفْراءُ) (٢٤٤) (٩ أ) للحارثِ الأَضْجَمِ. وكانَ

---

(٢٤٠) في المطبوع: تمر وقد أخل شعره بالأبيات.
(٢٤١) من سائر النسخ. وفي الأصل: محلو.
(٢٤٢) البيان والتبيين ٣/٦٦، الغندجاني ١٦٨.
(٢٤٣) التكملة والذيل والصلة ٦/٢١٤ وفيه: معاوية بن جليدة، القاموس ٤/٢١٢ (حجن).
(٢٤٤) المخصص ٦/١٩٧ ؛ والتكملة والذيل والصلة ٣/٧٢.

(الرِّيعُ) (٢٤٥) فرسَ عمرو بن عُصْمٍ ، وهو فارسُ الرِّيعِ وبهِ يُعْرَفُ .

قالَ يزيد (٢٤٦) الغواني ، وهو يفخرُ ويعدُّ رجالَهُم :

وربُّ الرِّيعِ والصَّفْراءِ مِنَّا وحكامُ العَشيرةِ أجْمَعُونا

مُخَيَّلُ بنُ شِجْنة فارسُ (المُطَرِّ) (٢٤٧) ، قالَ :

تَرَدَّيْتُ السُّراطَ وذاتَ شَكٍّ وآثَرْتُ المُطَرَّ على العِيالِ

السُّراطُ : السيفُ القاطِعُ . الشَّكُّ : السَّمْرُ ، والمساميرُ هي الغَلائِلُ ، الواحدةُ (٢٤٨) غِلالةٌ ، ورؤوسُ المسامير : الحَرابيُّ ، واحدها حِرْباء . وكذلك نشوزُ الأرضِ والحَرابيُّ (٢٤٩) من الأرضِ لا غيْر .

قالَ [أبو عبدالله] : كانَ سَعْدُ بنُ مُشَمَّتٍ آلى أنْ لا يرى أسيراً إلاّ فَكَّهُ ، فأُسِرَ أخوه الجُلَيسُ بن المُشَمَّتِ ، أسَرهُ جَيْفَر بن الجُلَنْدَى فقال : لا أُرْسِلُكَ حتى تأتيني بكذا وكذا ، فجعلَ يشترطُ عليه، وكان فيما تَشَرَّط عليه أنْ يأتيهُ بفَرَسَيْ أخيه سعد بن مُشَمَّتٍ : (الخَيْفَق) (٢٥٠) و (العصا) (٢٥١) ، فأبطأ عليه سعدٌ فقالَ فيه أشعاراً ، وكانَ فيما قالَ :

---

(٢٤٥) التكملة والذيل والصلة ٢٦٩/٤ .

(٢٤٦) من سائر النسخ . وفي الأصل : بريد . وينظر : ألقاب الشعراء (نوادر المخطوطات) ٣١٥/٢ .

(٢٤٧) التكملة والذيل والصلة ٨٩/٣ ، القاموس ٧٨/٢ (طر) .

(٢٤٨) في المطبوع : الواحد .

(٢٤٩) الواو ساقطة من المطبوع .

(٢٥٠) الغندجاني ٩٣ ، المخصص ١٩٧/٦ .

(٢٥١) الغندجاني ١٧٤ .

كَمْ خَيْفَقٍ وعَصًا قد كُنْتَ مرتجعاً وليسَ مِثْلي طَوالَ الدَّهْرِ يرتجعُ

فلم يُطْلِقْهُ حتى قالَ فيه المُسَيّبُ بنُ عَلَسٍ (٢٥٢) :

إنّي امرؤٌ مُهْدٍ بغَيْبٍ تحيّةً الى ابنِ جُلَنْدَى فارسِ الخيلِ جَيْفَرِ

وقالَ الأَخْنَسُ بن [غِياث] (٢٥٣) الضُّبَعيّ :

مازلتَ تدعو الرائعاتِ فما وَنَى مُناديكَ حتى نازَلَتْكَ الروائعُ

طُوالةُ والشَّقّاءُ والفَيْضُ والشَّقَا تَفاوَتُ أحياناً وحيناً تَتابَعُ

حيل عنزة بن أسَد

عُقْبَةُ بنُ سالم الهِزّاني فارسُ (مَيّاحٍ) (٢٥٤) ، قالَ فيه :

داوَيْتُ ميّاحاً لهــا وصَنَعْتُــهُ فداويتُ مِلءَ العينِ ما فيه مَزْعَمُ

ويروى : فبَرَّزْتُ مِلءَ العينِ ما فيه مَزْعَمُ .

يقولُ : ليس شيءٌ من خَيْلِ العربِ يطمعُ أنْ يَسْبِقَهُ .

أمّا إذا استَدْبَرْتَهُ فهو حَشْوَرٌ وأمّا إذا استقبلتَهُ فهــو سَلْجَمُ

الحَشْوَرُ : الواسعُ الجَوْفِ . والسَّلْجَمُ : طويلُ الخَدَّيْنِ طويلُ العُنُقِ .

وأمّا إذا استَعْرَضْتَهُ فهو جُرْشُعٌ له ثَبَجٌ حابي الضُّلوعِ ومَحْزِمُ

حابي : سابغٌ طويلُ الضلوعِ .

له قُصْرَيا ظَبْيٍ وساقا نَعامــةٍ وأنساءُ سِيدٍ لَحْمُهُ مُتَخَذِّمُ

عَبايَةُ بنُ شَكْسٍ الهِزّاني ، فرسُهُ : (الحِمالةُ) (٢٥٥) ، قالَ فيها :

(٢٥٢) شعره (الصبح المنير) ٣٥١ .

(٢٥٣) بياض في الأصل وسائر النسخ، وأضفناها من المؤتلف والمختلف ٣٠ والتاج (خنس).

(٢٥٤) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٥١/١ (ميح) .

(٢٥٥) القاموس ٣٦٢/٣ (حمل) .

نَصَبْتُ لهم صَدْرَ الحمالةِ إنّها إذا خامَتِ الأبطالُ قُلْتُ لها اقْدِمي
كأنَّ الشُّراعيّاتِ حَــوْلَ عِذارِها خوافي غُدافيٍّ من الطيرِ أسْحَــمِ

خيل عبد القيس بن أَفْصَى

سُوَيْدُ بنُ خَذّاقٍ الشَّنّيّ، فرسُهُ : (الشَّمُوسُ)(٢٥٦)، قالَ فيه:

ألا هَلْ أتاها أنَّ شِكّةَ حــازمٍ لَدَيَّ وأَنّي قد رِكبْتُ الشَّمُوسَا
وداوَيْتُها حتى شَتَتْ حَبَشِيّةً كأنَّ عليها سُنْدُســاً وسَدُوسا

حَبَشِيّة سوداءُ أي دهمــاء . سُندساً : اليَلَنْجُ . والسَّدوسُ : شيءٌ أسْوَدُ .

يزيدُ بنُ خَذّاقٍ ، فرسُهُ : (صَمْعَرٌ) (٢٥٧) ، قال فيها :

أعْدَدْتُ صَمْعَرَ بَعْدَما قَرِحَتْ ولَبِسْتُ شِكّةَ حازمٍ جَلْدِ
لنْ تجمعي وُدّي ومَعْتَبَتــي أو يُجْمَعَ السَّيْفانِ في غِمْدِ

الرَّيّانُ بنُ حُوَيْص ، من بني عامر بن الحــارث ، فَرَسُــهُ : (الهِراوةُ) (٢٥٨) ، كانَ يُعطيها عزّابَ قومِهِ ، فإذا استغنى الرجلُ أعطاها آخَرَ .

ولبني عامر بن الحارث : (جَلْوَى) (٢٥٩) ، قد ذكرها بعضُ شعرائهم .

---

(٢٥٦) المخصص ١٩٧/٦ . وهي ليزيد بن خذاق في ابن الكلبي ٨٨ والغندجاني ١٣٣ . وهي ليزيد ولسويد في التكملة والذيل والصلة ٣ / ٣٧٢ . والبيتان ليزيد بن خذاق في المفضليات ٢٩٧ وشرح المفضليات ٥٩٧ .

(٢٥٧) الغندجاني ١٤٥ . وفي المخصص ١٩٧/٦ والقاموس ٧٢/٢ (صمعر) يزيد بن خذاق ، بالفاء . والبيتان في المفضليات ٢٩٦ وشرح المفضليات ٥٩٣-٥٩٤ وفيهما : أعددت سبحة . . ، وفي رواية : صمعر .

(٢٥٨) ابن الكلبي ٩٠ ، الغندجاني ٢٦٥ .

(٢٥٩) المخصص ١٩٧/٦ .

مَزْبَدَةُ المُحارِبيُّ، (٩ ب) من عبد القيس ، فرسُهُ (المُتَتَلِّعُ :) (٢٦٠) ، وكانَ صاحبَ خَيْلٍ .

ثَعْلَبَةُ بنُ أُمِّ حَزْنَةَ ، من بني عامر بن الحارث ، فرسُهُ : (عَجْلى) (٢٦١) قال فيها :

وأعْدَدْتُ عَجْلَى لحُسْنِ الدوا ء لم يَتَلَمَّسْ حَشَاهـا طَبِيبُ

عُرْوَةُ بنُ سِنـانٍ العَبْدِيّ ، فرَسُهُ : (قَـدَامٍ) (٢٦٢) ، قالَ فيها :

وعلى قَدَامٍ حَمَلْتُ شِكّةَ حازِمٍ في الرَّوْعِ ليسَ فُؤادُهُ بمُثَقَّلِ

قالَ [أبو عبدالله] : سَبَّقَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ فجلبتْ له العربُ الخيلَ . وخرج رجلٌ من كلب يُقالُ له : جُرَيّة بن مالك بن جَحْل بن عوف بن عمرو حتى أتى الأعلمَ بن عوف النّمريّ فطابَ فرسَهُ فأعطاهُ على أنْ يُجريَها ابنُهُ فأخذها هلباءَ مُنْدَحَةَ البطنِ راغيةً (٢٦٣) تسُحُّ . فلمّا أرْسِلَتِ الخيلُ أمسكَ الغلامُ عِنانَها ، فقالَ الكلبيّ : أَرسِلْها ذَهَبَتِ الخيلُ فلم يُجِبْهُ حتى توارتِ الخيلُ ثُمَّ أرْسَلَها فطَلَعَ على المنذر سابقاً ، وخافَ الغلامُ على فرسِهِ فذهبَ على فرسِهِ ، وأخذَ المنذر الكلبيَّ بالفَرَسِ فوَجّهَ معه خيلاً فأتى الأعْلَمَ فقالَ الأعْلَمُ : الفَرَسُ لابني وقد خرجَ يطلبُ من العُشْبِ ما لا تنالُ الشاةُ

(٢٦٠) التكملة والذيل والصلة ٢٢٥/٤ ، القاموس ١٠/٣ (تلع) . وفي الأصل وسائر النسخ : المتلع . وفي المخصص ١٩٧/٦ واللسان (بلع) : المبتلع . ورجحنا رواية التكملة والقاموس . ومعنى المتتلع : المتقدم والشاخص للأمر .

(٢٦١) التكملة والذيل والصلة ٤٣٧/٥ ، القاموس ١٣/٤ (عجل) .

(٢٦٢) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٦٢/٤ (قدم) .

(٢٦٣) في المطبوع : راغبة .

ولا البعيرُ فإنْ أنتم وجدتموه وقد نامَ ونُتِجَتْ سَايلاً فأحرِ بكم أنْ تأخذوه، فوجدوه كما وصفَ ، فسمعَ الغلامُ وئيدَ الخيلِ فوثبَ مذعوراً فأَلْجَمَهَا وتبعته الخيلُ ، وإذا هو بالمُهْرِ الى جانبِ رُكْبَتِهِ فحمله في كُرْزِهِ ، فقالَ الكلبيُّ : (رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ) (٢٦٤) فذهبتْ مَثَلاً . وكانَ يُقَالُ للفرسِ : (الرَّحَى) (٢٦٥) ، فقالَ فيها :

يا عَمْرُو هل عَجِبْتَ من فِلْوِ الرَّحى
والخَيْلُ مِن ورائِهِ تشكو الوَجَى

وكانَ لربيعةَ بنِ جُشَمَ فرسٌ يُقَالُ له : (واقِعٌ) (٢٦٦)، مِن وَلَدها ، وله بنتٌ يُقَالُ لها : (السَّبُوحُ) (٢٦٧) ، قالَ فيها :

أَتَتْنِي (٢٦٨) أمُّ عبدِاللهِ تَلْحَى ... ومُنْيَتُهَا قليلاً يُستطاعُ
على ابنةِ واقِعٍ لمّا رأَتْهَا ... تُهانُ لها الروايا والرِّباعُ
نَسَبْتُ لها الثراءَ وأعْقَبَتْهَا ... بقِلّةِ ما لنا إنّا شِباعُ

الروايا : الإبلُ تحملُ الماءَ .

قيسُ بنُ زُهير النَّمَريّ ، فرسُهُ الذي أَفْلَتَ عليه المنذرُ بنُ ماء السماء : (الجِرْيالُ) (٢٦٩) . وقُتِلَ يومئذٍ قيس بن زهير النَّمَريّ ، قَتَلَتْهُ بَكْرُ بنُ وائل يومَ كاظِمَةَ .

---

(٢٦٤) جمهرة الأمثال ٤٩٦/١ ، مجمع الأمثال ٣٠٢/١ ، المستقصى ٩٦/٢ .
(٢٦٥) الفندجاني ١١٠ ، المخصص ١٩٧/٦ وهي للنمر بن قاسط فيه .
(٢٦٦) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٩٦/٣ (وقع) .
(٢٦٧) التكملة والذيل والصلة ٤١/٢ ، القاموس ٢٢٧/١ (سبح) .
(٢٦٨) من أ . وفي الأصل : إلاتا .
(٢٦٩) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ، القاموس ٣٤٧/٣ (جرل) .

خيل بني وائلٍ

فَرَسُ جابر بن حُنَيّ التّغْلبِيّ : (زِيم) (٢٧٠) ، قال :

هــذا أوانُ الشّدّ فاشْتَدّي زِيَـمْ
قَــدْ لَفّهــا الليــلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعــي إبِــلٍ ولا غَنَـمْ
ولا بجزّارٍ عــلى ظَهْــرِ وَضَـمْ
مُهَفْهَفُ الكَشْحَيْنِ خفّاقُ القَدَمْ

أَبْرَهَةُ بنُ عُمَيْر بن كُلثومٍ ، فرسُهُ : (المُذْهَبُ) (٢٧١) ، قالَ فيه :

لقد زانَ خَيْلَ التغالبِيّينَ مُذْهَبٌ كما زانَهُ يومَ الكريهةِ فارِسُهْ

عبد يَغوثَ بن حَرْبٍ ، فرسُهُ : (الصَّرِيحُ) (٢٧٢)، قالَ الأَخْطَلُ فيه (٢٧٣) :

وأولادُ الصَّرِيحِ مُسَـوَّمــاتٌ عليها الأُسْدُ غُضْفاً والنِّمارُ

عَمْرو بنُ جَبَلَةَ اليَشْكُرِيّ ، فرسُهُ : (العَلاةُ) (٢٧٤) ، قالَ فيها :

---

(٢٧٠) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٤٩/٦ . وهي للأخنس بن شهاب في ابن الكلبي ٨٥ والغندجاني ١١٨ والحلبة ٢٣٣ . أما الأبيات فقد اختلف في قائلها : الأخنس أو الحطم القيسي أو جابر بن حني أو رشيد بن رميض أو أبو زغبة الأنصاري . (ينظر : شرح أبيات سيبويه ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ، فرحة الأديب ١٤٤-١٤٥ ، شرح ديوان الحماسة (م) ٣٥٤ و (ت) ٣٣٣/١) .

(٢٧١) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ١٣٢/١ ، القاموس ١٠ (ذهب) .

(٢٧٢) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٣٤/١ (صرح) .

(٢٧٣) ديوانه ٢١٠ .

(٢٧٤) المخصص ١٩٧/٦ ، اللسان (علا) .

علامَ طَرَدْتُ رُمْحَ أبي شُرَيحٍ   وأحْدَثْتُ الأُقَيْصِرَ بالصِّقالِ

الأقيصرُ : سيفُهُ .

وداوَيْتُ العَلاةَ دواءَ مَسْكٍ   ولم أُظْهِرْ بِها عامَ المِحالِ

دِواءُ مَسْكٍ : أي كما يُداوى الإهابُ . ولم أُظهِرْ بها : أيْ لم أُضَيِّعْها .

لَحِجِنا لا أبا لكُمُ فلَجّوا   ولا مردودةٌ أُخرَى الليالي

نافعُ بنُ عبد العُزَّى بن خَوَّاص بن مالك بن ربيعة بن عامر (١٠ أ) بن جُهَيْل بن ثَعلبة بن غُبَر بن غَنْم ، فرسُهُ : (الزَّرْقاءُ) (٢٧٥) يُقالُ له : فارِسُ الزَّرقاء .

المُنْفَجِرُ ، من بني عامر بن غُبَر ، فرسُهُ : (النعامَةُ) (٢٧٦) . أَدْرَكَ بني يَشْكُرَ حين اقتسموا مَلْهَمَ من مسيرةِ يومينِ في ضَحْوَةٍ . مَلْهَمُ (٢٧٧) : ماءٌ من اليمامة ، قريةٌ فيها قُلُبٌ مجتمعةٌ .

قُرْط بنُ التَّوْءَمِ العَدَوِيّ ، فَرَسُهُ : (مَيّار) (٢٧٨) ، قالَ فيه :

كانَ ابنُ شَمّاءَ يعشوه ويَصْبَحُهُ   من هَجْمَةٍ كفَسيلِ النَّخْلِ دُوَّارِ

مازِلْتُ أَطْعَنُهُمْ شَزْراً وأَضرِبُهُمْ   حتى اتَّقَوْا فَلَهُمْ مني بمَيّارِ

مُهَلْهِل بن ربيعة ، فرسُهُ : (المُشَهَّرُ) (٢٧٩) ، وهو فارسُ المُشَهَّرِ ، قالَ فيه :

---

(٢٧٥) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٤٠/٣ (زرق) .

(٢٧٦) التكملة والذيل والصلة ١٥٧/٦ ، القاموس ١٨١/٤ (نعم) .

(٢٧٧) معجم البلدان ١٩٥/٥ .

(٢٧٨) الغندجاني ٢٣٠ وفيه البيتان ، وهو فيه لشرسفة بن خليف . وهو لقرط في المخصص ١٩٧/٦ واللسان (مير) . وفي المطبوع : كأن ابن .

(٢٧٩) التكملة والذيل والصلة ٦٢/٣ ، القاموس ٦٦/٢ (شهر) ، وفيه : المشهرة .

قَرِّبا مَرْبَطَ المُشَهَّرِ مني كُلُّ قِرْنٍ لِقِرْنِهِ قَتّالُ

الصَّرّاعُ بنُ قيس بن عَدِيّ بن قيس بن المُفْتَرِق ، فرسُهُ : (جَلْوَى) (٢٨٠). قالَ فيها زُهَير بن زَبّان بن عَدِيّ بن قيس بن المُفْتَرِق :

وقائلةٍ يومَ الحِفاظِ لبَعْلِها لا يَعْدِلُ الصَّرّاعُ في الحَدَثانِ
فَتىً رَدَّ عَنّا الخيلَ تَدْمى نحورُها حِفاظاً وما زَالَتْ بهِ القَدَمانِ
وقد عَلِمَتْ جَلْوَى بأنْ ليسَ رَبُّها بمُعْتَلِثٍ دونٍ ولا بَعَبانِ

أراد : بعبّامٍ ، فقلبَ الميم نوناً ، وهو الثقيلُ العَيِيُّ .

ولو أنَّ جَلْوَى لم تكُنْ لابنِ حُرَّةٍ لأَوْدَى بجَلْوَى أَوّلَ السَّرَعانِ

ومن بني شيبان

الحَوْفَزَانُ بنُ شريك ، واسمُهُ الحارثُ ، فرسُهُ : (الكامِلُ)(٢٨١)، قالَ فيه العَنْبَرِيُّ :

وأَفلَتَ مِنّا الحوفزانُ بكامِلِ

قيسُ بنُ مسعود ، فرسُهُ : (المَنِيحُ) (٢٨٢) .

بِسْطامُ بنُ قيس ، فرساه : (ذاتُ النُّسُوعِ) (٢٨٣) و (الزَّعْفرانُ) (٢٨٤) .

ومن بني قيس بن ثعلبة

الحارثُ بنُ عُباد ، فرسُهُ : (النَّعامةُ) (٢٨٥) ، قالَ فيها :

---

(٢٨٠) التكملة والذيل والصلة ٣٩١/٦ .

(٢٨١) الأصمعي ٣٨١ ، نوادر القالي ١٨٥ ، الغندجاني ٢٠٨ .

(٢٨٢) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٥١/١ (منح) .

(٢٨٣) نوادر القالي ١٨٥ ، الغندجاني ١٠٤ ، الحلبة ٢٢٩ .

(٢٨٤) العمدة ٢٣٥/٢ ، الحلبة ٢٣٣ . وهو للسليل أخي بسطام في الغندجاني ١١٦ .

(٢٨٥) الأصمعي ٣٨٠ ، الغندجاني ٢٤٣ . والبيت في الأصمعيات ٧١ والحيوان ٢٢/١ والخزانة ٢٢٦/١ .

قَرِّبا مَرْبَطَ النّعامةِ منـي لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عَنْ حيالِ

خيل بني ذُهْل بن ثعلبة

قالَ [أبو عبدالله] : كانت بنو سدوس بن شَيْبانَ بن ذُهْل وأبو ربيعة بن ذُهْل بن شيبانَ أَكْرَمَ بَكْر بن وائل رباطاً .

لبني سَدوس : (صَوْبَةُ) (٢٨٦) و (المُتَمَطِّرُ) (٢٨٧) و (بَلعْاءُ) (٢٨٨) .

ولبني أبي ربيعة : (الخَرْماءُ) (٢٨٩) .

وكانَ المُتَمَطِّرُ لِحَيّان (٢٩٠) بن مُرَّة بن جَنْدَلَة بن جَسْر بن عمرو بن سدوس ، وفيه يُقالُ :

ما يَجْعَلُ العَبْدَ اللئيمَ كَرَبِّهِ وما يَجْعَلُ البِرْذَوْنَ كالمُتَمَطِّرِ

ويرُوَى :

وما جَعَلَ العَبْدَ اللئيمَ كَرَبِّهِ وما جَعَلَ البِرْذَوْنَ كالمتمطِّرِ

وكانت له صَوْبَةُ أيضاً . وبقيتْ صَوْبَة في يَدَيْ عبدالله بن حيّان .

وكانَ (الحَسِيرُ) (٢٩١) بنُ المتمطِّرِ وأُمُّهُ صَوْبَةُ لعبدالله بن حيّان ابن مُرَّة . فكانَ بينَ بني عوف بن سَدوس وعمرو بن سَدوس لِحاءٌ ، فَشَجَّ قطن بن عبدالله بن حيّان ابناً لخليفة بن واثلة شَجّاتٍ ، فرضيت بنو عوف بن سَدوس بالحَسير بن المتمطر من شِجاجهم ففعلَ ذلكَ عبدالله بن

(٢٨٦) الغندجاني ١٤٦ ، المخصص ١٩٧/٦ .

(٢٨٧) الغندجاني ٢١٩ ، التكملة والذيل والصلة ٢٠١/٣ .

(٢٨٨) المخصص ١٩٧/٦ ، الحلبة ٢١٤ ، القاموس ٧/٣ (بلع) .

(٢٨٩) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٠٤/٤ (خرم) .

(٢٩٠) في المطبوع : حبان ، بالباء . وهو في الأصل : حيان ، بالياء . وينظر : نوادر القالي ١٨٥ والأنوار ٢٧٥/١ .

(٢٩١) الغندجاني ٧٢ ، القاموس ٩/٢ (حسر)

حيّان ثُمَّ ندم وأمْكَنَهُم من ابنِهِ فقالَ الأسودُ بنُ رِفاعةَ (٢٩٢) :

أبو قَطَنٍ يختارُ تَشْقيقَ رأسِهِ على مُهْرَةٍ منآلِ صَوْبَةَ أوْ مُهْرِ
أراغوهُ كيْما يَسْلُبوا الشيخَ مُهْرَهُ وكانَ سيكفينا الحَسيرُ من الوَتْرِ

قالَ : وكانتْ بَلْعَاءُ فرسَ الأسودِ بنِ رِفاعةَ ، باعَ سَخْلَةً منها بعشرةِ آلافٍ من خليفة بن واثلة فعدَّلَها ثُمَّ خرجَ من البصرةِ في زمنِ عُمرَ بنِ الخطّابِ فاستخرجها من بَطْنِ أُمِّها . (١٠ ب) وكانَ سارَ من البصرة الى لَعْلَعَ (٢٩٣) ، وهي قريةٌ بينَ الكوفة الى البصرة ، ليلة فماتت فرسُهُ تحتَهُ ، وقالَ بنوه : أهْلَكْتَنا ، اشتريتَ فَرَساً بعشرةِ آلافٍ . فقال: يا بَنِيَّ إني اشتريتُ الكم حَسَباً .

قالَ : وحدثني حزانةُ بنُ السخير أنّهُ كانت لبني عمرو بن سَدوس خَمْسَةُ أفراسٍ يومَ ذي قارٍ ، فسَمّى أربعةً وتركَ واحداً :

قالَ : وكانَ لأبي فَيْد بن حَرْمَل بن عَلْقَمَةَ بن سدوس : (المُتَغَيِّفُ) (٢٩٤) و (نَدْوَةُ) (٢٩٥) .

ولكُلْثوم بن الحارث بن كعب بن عمرو بن سدوس : (مُدْرِكُ بنُ الجازي) (٢٩٦) . وكان (الجازي) (٢٩٧) للحارثِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرو .

قالَ : وحَدَّثني أسْوَدُ بنُ شيبانَ أنَّ الحارثَ بنَ كعْب أحَدُ الفوارسِ من بني عمرو بن سَدوس الذين لحقوا سواداً اليَشْكُرِيَّ فقتلوهُ .

---

(٢٩٢) الغندجاني ٧٢ والتصحيح منه . وفي الأصل : وكان كسيفينا .
(٢٩٣) ينظر : معجم البلدان ١٨/٥ .
(٢٩٤) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٨٢/٣ (غيف) .
(٢٩٥) المخصص ١٩٧/٦ . (٢٩٦) المخصص ١٩٧/٦ .
(٢٩٧) المخصص ١٩٧/٦ . وهو الجازىء ، بالهمز ، في الحلبة ٢١٧ .

وكانَ قَتَلَ شقيقاً الأَعْوَرَ بن عبدالله بن عمرو بن سدوس ، وكانَ صاحب آلِهَتِهم .

وكان لمُؤرِّج فرسٌ يُقالُ له : (الظَّليمُ) (٢٩٨) ، وهو الذي طرد عليه النعمانَ بن زُرْعَةَ يوم ذي قارٍ ، وله يقولُ :

وأَفْلَتَنا النعمانُ فَوْتَ رِماحِنا وعندَ قَطاةِ المُهْرِ أَسْمَرُ لَهْذَمُ (٢٩٩)

فَوْتَ الرماحِ : قُدّامها قليلاً ، يقولُ : فاتَها ولم تتباعدْ . [و] القَطاةُ من الدابة : موضعُ الردْفِ .

وكانَ فرسُ عبد عمرو بن راشد بن جَزْءِ بن كَعْب يُقالُ لـه : (هَيْدَبٌ) (٣٠٠) . وكانتِ امرأتُهُ حَذامِ بنت قيس بن صُفارة بن خُزاعيّ بن الأعور بن سدوس عذلته في إيثارِهِ إيّاه فقالَ :

لَحَتْ في هَيْدَبٍ أُصُلاً ولولا عُلالةُ هَيْدَبٍ عامَتْ حَذامِ

وكانَ فرسُ خُزَزَ بن لَوْذانَ بن عوف بن سدوس يُقالُ لـه : (الغرَّافُ) (٣٠١) ، وفيه يقول :

لا تذكُري مُهْري وما أَطْعَمْتُها فيكونَ لَوْنُكِ مِثْلَ لَوْنِ الأَجْرَبِ

و[يُروى] (٣٠٢) : مثلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ . وفيه يقولُ :

ويكونُ مركبُكِ القَعودَ وحِدْجَهُ وابنُ النَّعامةِ عندَ ذلكَ مركبي

---

(٢٩٨) التكملة والذيل والصلة ٨٥/٦ ، القاموس ١٤٦/٤ (ظلم) .

(٢٩٩) كلمة (لهذم) غير موجودة في المطبوع إذ لم يستطع الناشر قراءتها في المخطوط . يقال : سيف لهذم أي حاد .

(٣٠٠) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٢٨٨/١ ، القاموس ١٣٩/١ (هدب) .

(٣٠١) المخصص ١٩٧/٦ . وينظر : الغندجاني ١٣٤ ففيه ان (الشيط) هو ابن النعامة ، واستشهد بعجز البيت الثاني . والبيتان في ديوان عنترة ٢٧٢ .

(٣٠٢) يقتضيها السياق

قالَ [أبوعبدالله] : وهو الغَرّافُ بنُ النّعامةِ ، وكانت (النّعامةُ) (٣٠٣) لخُزَزَ بنِ لَوْذانَ .

حَسّانُ بنُ مَسْلَمَةَ بن الخُزَز بن لَوْذان ، فرسُهُ يُقالُ لها : (الغَشْواءُ) (٣٠٤) ، وفيها يقولُ :

علامَ حَبَسْتُمُ الغَشْواءَ فيكم تلوحُ كأنَّها الشِّعْرَى العَبُورُ
فَرِيقٌ مُنْعِمٌ منكم لَدَيْها وآخَرُ عِنْدَها غَلِقٌ عَسِيرُ

فرسُ أُبَيِّ بن واثِلة بن لأْي بن عوف : (زِيادٌ) (٣٠٥) ، وأُمُّهُ : (بَلْعاءُ) (٣٠٦) ، وهو الذي اشتراه بعشرةِ آلافٍ .

فرسُ سَلامة بن نهار بن أبي الأسود بن حُمران بن عمرو بن الحارث بن سَدوس تُسَمّى : (الجرَادَة) (٣٠٧) .

فرسُ الخمخام بن حَمَلة بن أبي الأسود : (المَعَزَّةُ) (٣٠٨) .

قالَ [أبو عبدالله] : أغارَتْ كَلْبٌ على بني ذُهْلٍ يومَ الرَّوْضَةِ فظفرتْ بهم بنو ذُهْل بعدما كانوا قد طردوا النَّعَمَ ، فقال سلامةُ (٣٠٩) ابنُ نهارٍ :

لولا الجرَادَةُ والمَعَزُّ لمَا رَأَتْ جَيْداءُ صِرْمَتَها طَوالَ المُسْنَدِ

جَيْداءُ بنتُ شَبْوة بن أبي الأسود .

---

(٣٠٣) تفرد ابن الاعرابي بذكرها .
(٣٠٤) المخصص ١٩٧/٦ ، واسم الفارس فيه : حسان بن سلمة .
(٣٠٥) المخصص ١٩٧/٦ وفيه : زيادة .
(٣٠٦) سلفت في الحاشية ٢٨٨ .
(٣٠٧) الغندجاني ٦٠ ، القاموس ٢٨٢/١ (جرد) .
(٣٠٨) التكملة والذيل والصلة ٣ / ٢٨٢ : المخصص ٦ / ١٩٧ وهي محرفة فيه الى المعن ، القاموس ١٨٢/٢ (عز) .
(٣٠٩) من أ . وفي الأصل : سلمة .

عَلْقَمَةُ بن شِهاب بن عوف بن الحارث بن سدوس ، فارِسُ (الحَوَّاء) (٣١٠) . ويُقالُ : لهُ أيضاً : (مَعْرُورٌ) (٣١١) . قالَ مُشْعَبَةُ بنُ علقمةَ لأضيافِهِ :

أبي فارِسُ الحَوَّاءِ ليلةَ لم يَجِدْ لأضْيافِهِ إلاَّ البَطِيَّةَ في اللَّبْدِ

قالَ : ويُنشِدُونَ هذا البيتَ : أبي فارِسُ المَعْرُورِ .

سعد بن شجاع بن الحارث بن سدوس ، فارِسُ (رَضْوَى) (٣١٢) ، قالَ نَهار بن الأسود بن حُمران بن عمرو بن الحارث :

عُلالَةُ سَعْدٍ وابنِ حُمرانَ حازَها وإعياءُ رَضْوَى خلْفَها والخَفَيْدَدُ

(١١ أ) (الخَفَيْدَدُ) (٣١٣) فَرَسُ أبي الأسود حُمران بن عمرو بن الحارث .

فَرَسُ قتادة بن حَريز بن أَساف بن ثعلبة بن سدوس : (الطائرُ)(٣١٤).

فرسُ لاحِق بن النَّجّار بن حِمْيَرِيّ بن ثعلبة بن سدوس : (النَّهّابُ) (٣١٥) . قيلَ فيهما :

ما كانَ نَهّابٌ يفوتُ الطائرا

وإنّما سُمِّيَ النَّهّابُ لأنَّهُ يَنْهَبُ في صَوْتِهِ ، وهو دونَ الصَّهِيل.

فرسُ مِرْداس بن جَعْوَنَة بن سامة بن صخر بن ثعلبة بن سدوس :

---

(٣١٠) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٤٠٣/٦ . ونسب في الحلبة ٢٢٣ إلى عيينة بن مرداس وفيها البيت .

(٣١١) المخصص ١٩٧/٦ .

(٣١٢) الغندجاني ١١٣ ، المخصص ١٩٧/٦ .

(٣١٣) الغندجاني ٩٥ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٩١/١ (خفد) .

(٣١٤) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٨٠/٢ (طير) .

(٣١٥) في المطبوع : النهات ، بالتاء . وهو بالباء في الأصل وسائر النسخ . وجاء بالتاء في المخصص ١٩٧/٦ والتكملة والذيل والصلة ٣٤٤/١ والقاموس ١٥٩/١ .

(العُقابُ) (٣١٦) . وهي التي أدركَ عليها مُجّاعَةُ بنُ مُرارة الحَنَفيَّ فَقَتَلَهُ . كانَ مُجّاعةُ طَعَنَهُ قبلَ ذلك طَعْنَةً نَجَفَهُ منها .

حَبّانُ بنُ قتادة ، يُقالُ لفرسِهِ : (الكَفيتُ) (٣١٧) ، قالَ فيه :

[و]إيثاري الكَفيتَ أثارَ سعداً (٣١٨) وأدّى والفوارسُ تدّريني

فرسُ جابر بن عُقَيْل : (هُذْلولٌ) (٣١٩) ، قالَ فيه :

أَلا مَنْ لهُذْلولٍ فتىً مِثْلُ جابِرٍ يُعَوِّدُ هُذْلولاً كما كانَ يفعَلُ

المُحَرِّسُ بن عمرو ، من بني عبدالله بن سَدوس ، كانَ يُقالُ لفرسِهِ : (المَألوقُ) (٣٢٠) ، قالَ فيه :

تَضَمَّنَ مألوقٌ لنا كُلَّ عَيْمَةٍ إذا شَوْلُنا لم يُؤْتَ منها بمِحْلَبِ

فرسُ عمرو بن شَيبانَ بن ذُهْل بن ثعلبة يُسَمّى : (الطافي) (٣٢١)، وناقتُهُ العِلَكْدُ . وفرسُهُ حملَ عليه يومَ قِضةَ الأزورَ بنَ الحارث بن عَمْرو بن شيبان ، وهو الذي أسَرَ عليه بُرَّةَ القُنْفُذِ التغلبيّ .

فرسُ مالك بن عَبْدَةَ بن ربيعة بن عمرو بن شيبانَ بن ذُهْل تُسمّى : (رُغْوَة) (٣٢٢) ، قالَ فيها :

(٣١٦) المخصص ١٩٧/٦ .

(٣١٧) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٣٣٤/١ ، القاموس ١٥٦/١ (كفت) .
وأسم الفارس في المخصص والقاموس : حيان ، بالمثناة من تحت .

(٣١٨) اعتمدت على رواية ج . وفي الأصل : أبا سعد .

(٣١٩) الغندجاني ٢٦٧ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٦٨/٤ (هذل) .

(٣٢٠) الغندجاني ٢٣٣ ، المخصص ١٩٧/٦ ، التكملةوالذيل والصلة ٥/٥ وفيه : المجوس .
وفي القاموس ٣ / ٢٠٩ (ألق) : المحرق، وفي الغندجاني : المحرش، بالشين .
وكذا في المطبوع . وهو بالسين في الأصل .

(٣٢١) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٤٢٦/٦ .

(٣٢٢) الغندجاني ١١٣ ، المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ٤٢٦/٦ .

أَرْسَلْتُ رُغْوَةَ والفُرسانُ جائِلَةٌ ولم يكُنْ رَبُّها وَغْلاً ولا غُمُرا

قالَ : الوَغْلُ : الذي يدخلُ على القومِ وهم يشربون فيشرب معهم .

فرسُ القَعْقَاع بن شَوْر كان يُسمّى : (المَطَامِير) (٣٢٣) ، وكانَ مشهوراً .

قالَ أبو عبدالله : قالَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ يومَ هرب من بَكْر بن وائل يومَ كاظِمة : إنّي قد جرَّبتُ خيلَ بَكْر بن وائل ، إنَّ لهم أربعةَ أفراسٍ : فأمّا فرسُ رُوَيْم بن ربيعة فبَحْرٌ (٣٢٤) ، وأمّا فرسُ ثُمامةَ ابن القَرِيم فبالحَرَى أنْ تأثَمَ ، تأثَمُ : تُقَصِّرُ عن المدَى . وأمّا السّيدُ فإنَّ طعنَتَهُ يومَ أُوارةَ تقعُدُ به ؛ وأمّا (الجَمّازَةُ) (٣٢٥) فرسُ أُمَيّة بن حَنْتَم بن عَدِيّ بن الحارث بن تيم الله فهو أَوّلُ لاحِقٍ .

(السِّيدُ) (٣٢٦) : فرسُ مُجالد بن يَثْربيّ بن الزَّبّان .

فرس الحارثِ بن وَعْلَة : (المُتَفَجِّرُ) (٣٢٧) ، قالَ يحيى بن منصور :

مِنّا ابنُ كَـوْمَةَ حينَ أَخْطَرَنَفْسَه والشَّعْثمانِ وفـارِسُ المُتَفَجِّـرِ

حُوَيْصُ بنُ بُجير بن مُرَّة ، فارِسُ (الناصِبِ) (٣٢٨) ، قالَ رجلٌ من بني عبد شمس يمتنُّ على قومِهِ :

---

(٣٢٣) الغندجاني ٢٣٣ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٧٩/٢ (طمر)

(٣٢٤) من سائر النسخ ، وفي الأصل : فمحر .

(٣٢٥) الغندجاني ٦٤ ، التكملة والذيل والصلة ٢٥٤/٣ .

(٣٢٦) الغندجاني ١٢٧ .

(٣٢٧) الغندجاني ٢٣٣ وفيه البيت ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٠٨/٢ (فجر).

(٣٢٨) الغندجاني ٢٤٨ ، القاموس ١٣٣/١ (نصب) .

نقضْتُ لكم وِتْراً بفارسِ ناصبِ وغادَرْتُ أقواماً تُداوَى كُلومُها

فارسُ (خَصَافِ) (٣٢٩) : حمل بن بدر بن عوف بن عامر بن ذُهْل ، قالَ الشاعرُ :

تاللهِ لو أَلقى خصافِ عشيّةً لكُنْتُ على الأملاكِ فارِسَ أشأمِ

فرَس الكَلَج : (الدَّخيل) (٣٣٠) ، قالَ يومَ كلْبٍ :

أبْدَلَتْكُمْ منه الدَّخيـــ ـلَ يكوسُ فاحتَلوا حِبالَهْ

يكوسُ : يمشي على ثلاثٍ . وكان قتل فضالةَ وعقروا فرسهُ ، وفضالةُ : أبو دِحْيةَ الكلبيّ .

فرسُ قيس بن سِباع : (شُعْلةُ) (٣٣١) ، قالَ حِلِزَةُ بن عبّاد :

ولولا شأْوُ شُعْلةَ لم تؤوبوا بفوزَةِ غانمٍ يومَ العُنابِ

فرسُ وَعْلةَ بن شراحيل بن زيد : (العَمَرَّدُ) (٣٣٢) ، قالَ المُضاربُ بن نُعيْم :

إنّ العمرّدَ يومَ الخوْعِ جادَ بِهِ من آلِ أعنقَ عِرْقٌ غيرُ موْصومِ

(أعنَقُ) (٣٣٣) : فرسُ عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل (١١ ب) ابن شيبان بن ثعلبة .

---

(٣٢٩) الغندجاني ٩٠ ، الحلبة ٢٢٣-٢٢٤ وفيها البيت : فارس أشأما .

(٣٣٠) التكملة والذيل والصلة ٣٥١/٥ ، القاموس ٣٧٥/٣ (دخل) ، التاج (دخل) واسم الفارس فيها : الكلج ، بالجيم . وهو في الأصل بالحاء . وفي سائر النسخ : الكحل . ورجحنا رواية المصادر السالفة.

(٣٣١) الغندجاني ١٣٩ وفيه البيت لحلزة بن عابد ، التكملة والذيل والصلة ٥ / ٤٠٣ ، القاموس ٤٠٠/٣ (شعل) .

(٣٣٢) الغندجاني ١٧٦ ، القاموس ٣١٨/١ (عمرد) .

(٣٣٣) الغندجاني ٤٥ ، المخصص ١٩٧/٦ . واسم الفارس في الأصل وسائر النسخ : عمر .

الحارثُ بنُ دُلَف ، يُقالُ لفرسِهِ : (المُرَيْخُ) (٣٣٤) ، وهو فارسُ المُرَيْخُ .

حنْظلةُ بنُ سيّار العِجْليّ ، فارسُ (عُمَيْر) (٣٣٥) ، وهو اسمُ فرسِهِ . قالَ يومَ ذي قارٍ ،وهو على مَيْسرةِ بكْر بن وائل ، يحضُّهم :

قَدْ جدَّ أشْياعُكُمُ فجدُّوا
ما عِلّتي وأنا مُؤْدٍ جلْدُ
والقوْسُ فيها وَترٌ عُرُدُّ
مِثْلُ ذِراعِ البكْرِ أو أشدُّ
قد جعلَتْ أخبارُ قومي تبْدُو
إنَّ المنايا ليسَ منها بُدُّ
هذا عُمَيْرٌ فَوْقَهُ الألَدُّ
يَقْدُمُهُ ليسَ لهُ مَرَدُّ
حتى يعودَ كالكُمَيْتِ الوَرْدُ
خلُّوا بني شيبانَ واستبدّوا
نَفْسِي فِدَتْكُمْ وأبي والجَدُّ

وقالَ :

صَبْراً عُمَيْرُ إنّها الأساورَهْ
صَبْراً ولا تُفْزِعْكَ رِجْلٌ نادِرَهْ
فإنَّ نفسي للمَنايا صابِرَه

(٣٣٤) المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة والذيل والصلة ١٧٧/٢ ، القاموس ٢٦٩/١ (مرخ) .
(٣٣٥) التكملة والذيل والصلة ٣ / ١٢٩ ، القاموس ٢ / ٩٦ (عمر) . والأبيات في تاريخ الطبري ٢٠٩/٢ واعتمدت على ترتيبه . والبيت السابع مكرر في المطبوع وكتب في حاشية الأصل : معاد .

[خيل حنيفة بن لُجَيم]

عبدالله بنُ عَبْدٍ ، فارسُ (مَرْحَب) (٣٣٦) .

[خيل إياد بن نزار]

أبو دُوَاد ، فرسُهُ : (العَرادَةُ) (٣٣٧) ، قالَ فيها :

قَرِّبا مَرْبَطَ العَرادَةِ إنَّ الـ ـحَرْبَ فيها بلابلٌ وحُزُومُ

وقالَ (٣٣٨) :

إنَّ الغَمامَةَ والصَّريحَ ولاحِقاً وبنات أعْوَجَ نَسْلُ كُلِّ جَوادِ

ويرُوى : فيه الغمامةُ والصبوحُ ولاحقٌ .

[خيل] اليمن

الأَسْعَرُ بنُ مالك الجُعْفِيّ ، فرسُهُ : (المُعَلّى) (٣٣٩) ، قالَ فيه :

أُرِيدُ دماءَ بني مازنٍ وراقَ المُعَلّى بياضُ اللَّبَنْ

وله أيضاً : (الضَّبِيحُ) (٣٤٠) ، قالَ فيه :

إنَّ الضَّبيحَ طحا بمَتْنَيْهِ الأَياصِرُ والنَّصِيُّ

وقالَ سَلَمةَ بن يزيد الجُعْفِيّ في فَحْلٍ لهم يقالُ له : (رَعْشَن) (٣٤١) :

وخيلٍ قد شَهِدْتُ بِرَعْشَنِيٍّ شديدِ الأَسْرِ يَسْبِقُ في الجراء

---

(٣٣٦) المخصص ١٩٧/٦ . التكملة والذيل والصلة ١٣٧/١ ، القاموس ٧٣/١ (رحب) .

(٣٣٧) ابن الكلبي ٧٦ ، الغندجاني ١٦٦ ، المخصص ٦ / ١٩٨ . والبيت في شعره : ٣٤٢ وفيه : تلاتل وهموم .

(٣٣٨) شعره : ٣١٢ وفيه :

نجل الغمامة والصريح وثادق وبنات أعوج نجل كل جواد

(٣٣٩) ابن الكلبي ١٠٨ ، الغندجاني ٢٢٠ وفيهما البيت .

(٣٤٠) التكملة والذيل والصلة ٦٨/٢ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضبح) .

(٣٤١) ابن الكلبي ١١٥ ، الغندجاني ١١٣ ، التكملة والذيل والصلة ٤٨٠/٣ ، حلية الفرسان ١٦٤ . وجاء في المطبوع بكسر الشين ، وهو خطأ .

وقالَ الأَعْرَجُ الطائيُّ ، وهو عَدِيّ بن عمرو في فرسِهِ : (الوَرْد)(٣٤٢).

تلومُ على أنْ أَمنحَ الوَرْدَ لِقْحَةً ۔۔۔ وما تَسْتَوِي والوَرْدَ ساعةَ نَفْزَعُ

[خيل] همدان

الأَجْدَعُ بنُ مالك ، اسمُ فرسِهِ : (سَكاب) (٣٤٣) ، قالَ فيه :

تُؤَنِّبُني فيما رأَتْ من صِيانتي ۔۔۔ سَكابِ ومن خَيْرِ الجِياد مَصُونُها

تَـمَّ الكتـابُ

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين .

(٣٤٢) التكملة والذيل والصلة ٢ / ٣٦٠ ، القاموس ١ / ٣٤٤ (ورد) . والبيت في شعر الخوارج ٢٤٣ .

(٣٤٣) التكملة والذيل والصلة ١٦٠/١ ، القاموس ٨٣/١ (سكب) .

رسالة الأضداد

لمحمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي

المتوفى سنة ١٠٠١ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد حسين آل ياسين

كلية الآداب ــ جامعة بغداد

(القسم الأول : الدراسة)

مقدمة :

هذا نصٌّ آخر من نصوص الأضداد ، وهو (رسالة الأضداد للمنشي) ، أُقدمه للدارسين ومحبّي تراث العربيّة الخالد ، بعد أن قدّمت قبله «كتاب الأضداد للتوزي المتوفى عام ٢٣٣ هـ» منشوراً في مجلة المورد عام ١٩٧٩ . ثم مستقلا في بيروت ١٩٨٣ وكنت قد أخذت على نفسي منذ أن نلت شهادة الماجستير عن أُطروحتي « الأضداد في اللغة » عام ١٩٧٣ م ، أن أُعنى بمواد هذه الظاهرة اللغوية وبنصوصها القديمة والحديثة ، ولعلّ في تحقيقي لهذين الكتابين ما يدلُّ على هذه العناية ، والله أسأل أن يمدّني بعونه لإتمام هذه الرسالة العلميّة .

كتب الأضداد :

أرى أنه لابدّ لي في هذه الدراسة من أن أقف القارئ على مسرد مفصل لمؤلفي كتب الأضداد ، أنصّ فيه على المطبوع منها والمخطوط ، وأُهمل

النص على المفقود ، لأني أؤمن بأن كثيراً من تراثنا المعدود ضائعاً ليس كذلك ، وإنما هو في عداد المختفي ، وأن الأيام ستكشفه لنا ، كما حدث لعدد كبير من المخطوطات ، ولعل من أقربها مثلاً إلينا كتاب الأضداد للتوزي ، الذي عددته ضائعاً في رسالتي للماجستير التي أشرت إليها ، ما لبثت أن عثرت على نسخته الوحيدة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، عن الأصل المكتشف في المغرب .

١- أبو علي محمد بن المستنير ، المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) :
حققه المستشرق هانس كوفلر ، ونشره في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة (اسلاميكا) سنة ١٩٣١ ، التي تصدر في ألمانيا .

٢- أبو زكريّا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) .

٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠ هـ) .

٤- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) :
حققه المستشرق اوغست هفنر ، ونشره في (ثلاثة كتب في الأضداد)بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٣ م .

٥- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) :
وهم بروكلمان ١٥٨/٢ في نسبة كتاب (الأضداد والضد) الموجودة مخطوطته في مكتبة عاشر أفندي برقم (٨٧٤) الى أبي عبيد ، وإنما هو لأبي حاتم السجستاني (انظر : الأضداد في اللغة ٣٧٩] .

٦- أبو محمد عبد الله بن محمد التوّزي (ت ٢٣٣ هـ) .
حققه الدكتور محمد حسين آل ياسين ، ونشره في العدد الثالث من المجلد الثامن من مجلة (المورد) ببغــداد سنة ١٩٧٩ م . وأعاد نشره مستقلاً في بيروت ١٩٨٣ م

٧- أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) :
حققه المستشرق اوغست هفنر ، ونشره مع كتاب الاصمعي في (ثلاثة كتب

في الأضداد) ببيروت سنة ١٩١٣ م .

٨- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) :

حققه المستشرق هفنر ، ونشره مع كتابي الاصمعي وابن السكيت في (ثلاثة كتب في الأضداد) ببيروت سنة ١٩١٣ م .

٩- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) :

وهم علي الخاقاني في : مجلة الاقــلام ، السنة الأولى ٤/٩٨ في نسبة رسالة (أسماء الأضداد) الموجودة مخطوطتها في مكتبة كاشف الغطاء في النجف برقم (٩٧) الى ابن قتيبة [انظر : الأضداد في اللغة ٤٠٨ وما بعدها] .

١٠- عبيد [أو عسل] بن ذكوان (عاصر المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) .

١١- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

١٢- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) :

حققه المستشــرق هوتسما ونشره في لايدن سنة ١٨٨١ م . والشيخ محمد بن عبد القــادر سعيــد الرافعي بمشاركة الشيــخ أحمد الشنقيطي في المطبعــة الحسينية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم في الكويت ســنة سنة ١٩٦٠ م .

١٣- عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) :

عنوان كتابه : إبطال الأضداد [في مناقشة الضديّة وردّها] .

١٤- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) :

حققه الدكتور عزة حسن ، ونشره في جزأين مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٣ م .

١٥- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) .

١٦- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥ هـ) .

١٧– أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ): وهم علي الخاقاني في مجلة الأقلام ، السنة الاولى ٩٨/٤ أيضاً في نسبة رسالة (أسماء الأضداد) الموجودة مع الرسالة المنسوبة الى ابن قتيبة في المكتبة نفسها وبالرقم نفسه، الى الثعالبي [انظر : الأضداد في اللغة ٤٠٨ وما بعدها] .

١٨– سعيد بن المبارك بن الدّهان (ت ٥٦٩ هـ) :

حققه الشيخ محمــد حسن آل ياسين ، ونشره ضمن المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات في النجف سنــة ١٩٥٢ م ، وأعــاد نشره في بغداد سنة ١٩٦٣ .

١٩–أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .

٢٠– أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) :

حققه المستشرق أوغست هفنر ، ونشره على أنه ذيلٌ ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) ببيروت ١٩١٣ م .

٢١– عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي (ت ٧٩٠ هـ) .

٢٢– محمد بن أحمد بن شرف الدين المدني (ت ٩٠٤ هـ) :

منه نسخة مخطوطة في المكتبة السليمانية باستانبول رقمه (١٠٤١) .

٢٣– محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي (ت ١٠٠١ هـ) :

وهو هذا الذي بين يديك ، وسيأتيك تفصيل الكلام عليه .

٢٤– تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ت ١٠٠٩ هـ) :

وهو مختصر كتاب الأضداد لابن الانباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

٢٥– ملا حسن بن تقي الدين عبد القادر التميمي المصري (ابن المؤلف السابق) :

وهو ترتيب المختصر السابق على حروف الهجاء .

٢٦– عبد الهادي نجا بن رضوان نجا المصري الأبياري (ت ١٣٠٥ هـ) :

منه صورة بدار الكتب المصرية ، رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم « دورق الأنداد في أسماء الأضداد » وضعه شعراً .

٢٧– عبد الهادي نجا الأبياري (السابق) :

كتاب ثانٍ باسم « الرونق على الدورق » شرح فيه منظومته السابقة .

٢٨– أحمد بن أحمد بن اسماعيل الحلواني الخليجي (ت ١٣٠٨ هـ) :

منه صورة بدار الكتب المصرية رقمه (٨٤٤ لغة) ، باسم « الكأس المروق على الدورق » شرح فيه كتاب « دورق الأنداد » للأبياري .

٢٩– محمد بن سليمان بن محمد التنكابني (ت قبل ١٣٢٠ هـ) .

٣٠– عبد الله بن محمد :

نسخته المخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقمه (٢٤١ مجاميع) ، باسم « رسالة في ذكر بعض الألفاظ المستعملة في الضدين الموجودة في القاموس »

٣١– مؤلف مجهول :

نسخته المخطوطة موجودة في دار الكتب المصرية ، رقمه (٣٢٩ لغة) باسم « منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد » .

٣٢– مؤلف مجهول :

وهم الاستاذ كوركيس عواد في : مجلة المورد ، السنة الأولى ١ ، ٢–١٥٧ في ذكر كتاب « أضداد آي القرآن » الموجودة مخطوطته في مكتبة جستر بيتي بدبلن ، برقم (٣١٦٥ مجموعة) . [انظر : الأضداد في اللغة ٥٠٣ – ٥٠٤] .

٣٣– د . محمد حسين آل ياسين :

رسالة ماجستير بعنوان « الأضداد في اللغة » ، أُجيزت من جامعة بغداد بتقدير (امتياز) عام ١٩٧٣ م ، ونشرت بمساعدة جامعة بغداد في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٧٤ م (٥٩٠ ص) .

ظاهرة التضادّ في العربيّة :

الأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفـــاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادّين . وهي – لغةً –جمع ضدّ ، وهو النقيض والمقابل . والتضادّ ظاهرة لغوية غريبة ، ذلك أنه ليس من الطبيعي أن ينصرف اللفظ إلى المعنى والى ضدّه في الوقت نفسه ، لأنّ ذلك – لو كان أصيلاً في وضع اللغة – يورث اللبس والوهم ، ويُبطل التفاهم بين المتكلمين ، واللغة وسيلة هذا التفاهم .

وقد بكّر اللغويون العرب في الوقوف علىمواد هذه الظاهرة ، وشغلتهم كثرتها في اللغة ، حتى انّ منهم من تلمّسها في القرآن الكريم ، ولا يخفى ما لأهمية وجودها في كتاب المسلمين المقدّس من أثر في توجيه المعنى المراد من الآية الكريمة، أو الحكم الشرعي فيها . فشمّر كثيرون أردانهم يحصون هذه المفردات ويناقشونها ويوجهون شواهدها ويحتالون على تضادّها منكرين اصالتها في الوضع ، تنقية للعربية الكريمة ممـــا يصمها به الشعوبيون من ضمها لموادّ تورث اللبس والتعمية . ولعل في المسرد الذي قدمناه قبل هذا الكلام ما يدل على اهتمام اجيال اللغويين بالأضداد .

وإذا كان اللغويون منذ أن التفتوا الى هذه الظاهرة قد انقسموا الى مدافعين عن الأضداد ووجودها في اللغة ، ومنكرين لهذا الوجود ، فإنّهم جميعاً اتفقوا على أنها ليست أصيلة في الوضع ، وانما دعت الى وجودها أسباب معروفة ذكرتها بعض كتبهم تفصيلاً وايجازاً ، حسب موقف المؤلف وحجم كتابه ، واتفقوا واتفقنا معهم بعـــد قرون على أنّ أهم أسباب نشأة الأضداد في اللغة هي :

١– اختلاف اللهجات واللغة الموحّـــدة : وذلك أن يكون أحد المعنيين في لهجة قبيلة ، والمعنى الثاني في لهجة قبيلة أُخرى ، ولم تكن اللفظة لدى

القبيلتين من الأضداد ، غير أنه لما توحّدت العربية بعد الاسلام ودوّنت موادّها اجتمع للفظة هذا المعنى وذاك ، وصارت من الأضداد . مثل : (السدفة) تعني الظلمة عند تميم والضوء عند قيس (١) . و (لمق) تعني كتب عند بني عقيل ومحا عند قيس (٢) . و (القُرْء) تعني الطهر عند أهل الحجاز والحيض عند أهل العراق (٣) .

٢- تطور الدلالة وشمولية المدلول الأول : وذلك أن تكون اللفظة تدل في الأصل على معنى عام شامل تطور على سبيل الاتساع الى معنيين متضادّين . مثل : (القُرْء) التي هي للطهر والحيض ، فانها كانت تدل في الأصل على معنى (الوقت) (٤) . و (الصّريم) التي هي لليل والنهار ، فانها كانت تدل على معنى عام هو (المنقطع) (٥) . و (عسعس) التي تعني أقبل الليل وأدبر ، فانها تعني في الأصل (رقّت ظلمته) (٦) ، ورقة الظلمة تكون في الإقبال والإدبار .

٣- التطور الصوتي ومظاهر الخطأ والتصحيف: وذلك أن تتعرض أصوات لفظة من الألفاظ الى التغيير في حذف أو زيادة ، بحيث يترتب على ذلك أن تتحد مع أصوات لفظة أُخرى مضادة لها في المعنى ، فتنشأ لفظة من الفاظ

---

(١) اضداد الاصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٩ وابن الانباري ١١٤ وابي الطيب ٣٤٦/١ والغريب المصنف ٥١٨ والمزهر ٣٨٩/١ ولطائف اللغة ١٤٧ .

(٢) اضداد قطرب ٢٧٠ والأصمعي٤٠ وابن‌السكيت١٩٣ وابي حاتم١٠١وأبي الطيب٦١٤/٢.

(٣) أضداد الأصمعي ٥ وابن السكيت ١٦٣ وابن الانباري ٢٧ وأبي الطيب ٥٧١/٢ .

(٤) أضداد الأصمعي ٥ وابن السكيت ١٦٤ وابن الانباري ٢٧ وأبي الطيب ٥٧١/٢ وفقه اللغة للثعالبي ٥٦٥ .

(٥) أضداد قطرب ٢٦٦ والصنعاني ٢٣٥ والغريب المصنف ٥٢٠ وأدب الكاتب ١٦١ ولطائف اللغة ١٤٧ .

(٦) أضداد قطرب ٢٦٦ والأصمعي ٨ وابن السكيت ١٦٧ وابي حاتم ٩٧ وأبي الطيب ٤٨٨/٢ والصغاني ٢٣٩ .

الأضداد ، مثـل : (زَبَر) التي قيل انها تعني قرأ وكتب ، فيبـدو أن معنى قرأ جاء من الفعل (زبر) المعرَّب عن الفارسية ؛ ومعنى كتب جاء من تطور صوت الذال في الفعل (ذبر) الى الزاي (٧) . و (المنين) بمعنى القويّ والضعيف ، فمعنى المنّة في الأصل هو الضعف ، ويبدو أنه صادف اتحادها بكلمة (متين) التي تعني القويّ ، فصار لها معنيان متضادان (٨) . و (أسرّ) بمعنى كتم وأعلن ، فالفعل يدل في الأصل على المعنى الأوّل وهو كتم ، واتحد مع الفعل (أشرّ) بالشين المعجمة الذي يعني أظهر بعد أن تطوّر صوت الشين الى السين فصارت اللفظة من الأضداد (٩) .

٤ـ الدّوافع النفسيّة والاجتماعية : وذلك أن تطلق اللفظة على ضدّ معناها المعروف لدافع من الدوافع ، كالتفاؤل أو التهكم والسخرية ، أو الخوف من الإصابة بالعين . فيجتمع للّفظة حينئذ معنيان متضادان هما : معناها الأصلي ، والمضادّ الذي دعت اليه حاجة نفسية أو اجتماعية ، مثل : (امرأة بلهاء) لناقصة العقل من النساء وكاملة العقل (١٠) . كأنهم خافوا على كاملة العقل من أن تصاب بالعين . و (السليم) للسّليم واللّديغ (١١) . تفاؤلاً للثاني بالسلامة و (يا عاقل) أو (يا حليم) للرجل العاقـل أو الحليم ، وللرجل الجاهل أو المستخفّ به (١٢) . تهكماً به واستهزاءً .

٥ـ اختلاف الصيغ والعوارض التصريفيّة : وذلك أن يعتور الصيغ الصرفية

---

(٧) اشتقاق ابن دريد ٤٨ وابدال أبي الطيب ٦/٢ .

(٨) أضداد قطرب ٢٦٩ وابن الأنباري ١٥٥ والمزهر ٣٩٤/١ .

(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤/٢ وغريب القرآن لسجستاني ٧٣ والألفاظ الكتابية ٢١٢ .

(١٠) أضداد ابن الأنباري ٣٣٣ والصغاني ٢٢٤ .

(١١) اضداد قطرب ٢٤٨ وابن الأنباري ١٠٥ وأبي الطيب ٣٥١/١ وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ والتنبيه على حدوث التصحيف ١١٦ وسمط اللآلي ٤٩٠/١ .

(١٢) اضداد ابن الأنباري ٢٥٨ وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ .

والمشتقات ما يدلُّ على أنّها تنصرف للمعنى وضده ؛ كاسم (الفاعل) الذي يدل على المفعول أيضاً ، وبالعكس . و(فعول) و (فعيل) التي تنصرف للفاعل والمفعول . وكذلك (فعّال) و (مفعّل)و (مفتعِل) التي تنصرف للفاعل والمفعول أيضاً . مثل (سرٌّ كاتم) أي مكتوم . و (مأتيٌّ)للفاعل أيضاً، و (زَجور) للزاجر والمزجور ، و (الأمين) للفاعل والمفعول ، و(التوّاب) للفاعل والمفعول ، و (مغلّب) للغالب والمغلوب، و (المختار) للفاعل والمفعول ، و (المختصّ) للفاعل والمفعول (١٣) .

ومن هذه المجموعة أيضاً ، أي مما يُفسر تضاده باختلاف الصيغ والعوارض التصريفية ، ما كانت الضدّية فيه بين (فَعَل وأَفعَل) ، وبين (فَعَل وفعّل) وبين (فَعَل وتفعّل) ؛ مثل : (شكا وأشكا) الأول بمعنى بثَّ شكواه ، والثاني بمعنى أزال عنه ما يشكوه (١٤) . و (فزع وفزَّع) الأوَّل بمعنى خاف والثاني بمعنى أزال عنه الخوف (١٥) . و (أثم وتأثّم) الأول بمعنى اقترف الإثم ، والثّاني بمعنى ابتعد عنه (١٦) .

٦ـ الثنائية واختلاف الأصلين : وذلك أن الضد مكون في الأصل من ثنائيين اجتمعا بفعل ظاهرة النحت في العربيّة ، وكان لكل ثنائي منهما معنى يضاد المعنى الآخر ، فاجتمع بعد اندماجهما المعنيان المتضادان للكلمة ، وأبرز من نادى بذلك الأب مرمرجي الدومنيكي في أبحاثه في الثنائية والألسنية (١٧) .

(١٣) أضداد قطرب ٢٥٥ والأصمعي ٥١ وأبي حاتم ١٣١ ، ٢٠٤ وابن الانباري ٣٤ ، ٣٥٧ ، ٤١٥ وأبي الطيب ٩/١ ، ٣١ ، ١١١ ، ٣٣٢ ، ٦١٠/٢ ، ٦٩١ – ٧٠٤ .

(١٤) أضداد قطرب ٢٥٨ ، ٢٧٧ والاصمعي ٥٧ وأبي حاتم ١٠٦ وابن الانباري ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٨٣ وأبي الطيب ١٧/١ وابن الدهان ٩٣ ، ١٠٣ وأدب الكاتب ٣٣٧ .

(١٥) أضداد ابن الأنباري ١٩٩ ، ٢٨٣ وابن الدهان ١٠٣ وفقه اللغة للثعالبي ٥٥٩ .

(١٦) أضداد قطرب ٢٥٨ وابن الأنباري ١٦٩ وأبي الطيب ١٧/١ وابن الدهان ٩٣ وفقه اللغة للثعالبي ٥٥٩ .

(١٧) في كتابيه : (المعجمية العربية) و (هل العربية منطقية) .

مثل : (ضَعَفَ) التي تعني زاد ونقص ، فبالمعنى الأول منحدرة من الثنائي (ضَفْ) الدال على الزيادة ، وبالمعنى الثاني من (ضَعْ) الدال على النقصان(١٨) و (أَبَضَ) بمعنى سكن وتحرك ، فبالمعنى الأوّل من (بَضْ) بمعنى سكن ، وبالمعنى الثّاني من (أبَّ) الشيء بمعنى حركه (١٩) . و (شَعَبَ) بمعنى فرَّق وجمع ، فبالمعنى الأول من الثنائي (شَعْ) بمعنى فرق ، وبالمعنى الثاني من (عَبْ) الدال على الجمع (٢٠) .

٧- المجاز والمقلوب من التراكيب : وذلك أن طائفةً كبيرة من الأضداد يتّضح فيها أنّ أحـد معنييها حقيقي والآخر مجازي ، انتقـل الاستعمال بهذه الألفاظ من معانيها الأُول الحقيقية الى معانٍ جديدة مجازيّة بطريقة من طرق انتقال الدلالة المعروفة ، لدوافع كثيرة في نفس المتكلم . مثل : (الإرةُ) للحفرة التي فيها النار وللنار بعينها (٢١) . و (الناس) للناس ويقال ناس من الجنّ (٢٢) . و (الثّغبُ) للماء وللموضوع فيه الماء (٢٣) . أما المقلوب من التراكيب فهو مثل : (ناء بي الحمل) والأصل نؤت بالحمل(٢٤) و (تهيّبني البلاد) والأصل تهيّبتُها (٢٥) . و (كان الزناءُ فريضة الرجم) والأصل كان الرّجم فريضة الزناء (٢٦) . وسمّيت هـذه التراكيب أيضاً

(١٨) أضداد ابن الأنباري ١٣١ والصغاني ٢٣٦ والمعجمية العربية للدومنيكي ٢٢١ .
(١٩) اضداد الصغاني ٢٢٢ ولسان العرب ١١٠/٧ وهل العربية منطقية للدومنيكي ١٣٦ .
(٢٠) أضداد قطرب ٢٦١ وابن الأنباري ٥٣ وأبي الطيب ٤٠٠/١ والمصباح المنير ٤٢٧ والمعجمية العربية ٢٢٤ .
(٢١) أضداد ابن الأنباري ٣١٩ وابي الطيب ٧١٣/٢ .
(٢٢) أضداد ابن الأنباري ٣٢٨ وابن الدهان ١٠٦ .
(٢٣) أضداد ابن الأنباري ٣٤٥ وابن الدهان ٩٥ .
(٢٤) أضداد ابي حاتم ١٥٢ وابن الأنباري ١٤٤ وأبي الطيب ٧٢٠/٢ ومجالس ثعلب ٤١٧/٢ وماالتفق ولفظه اختلف معناه : ١٥ .
(٢٥) أضداد أبي حاتم ١٥٢ وابن الأنباري ٩٩ ولحن العوام للزبيدي ١٢٣ .
(٢٦) أضداد أبي حاتم ١٥٢ والصاحب ١٧٢ وسمط اللآلي ٣٦٨/١ .

بـ (المزال عن جهته) .

٨ـ طريقة الاستعمال وضدّية التفسير : وذلك أن تستعمل اللفظة في سياق أو تركيب يوهم بتضادّها وهي ليست كذلك لو انتزعتْ من ذلك التركيب ، فالضدية في المتعلق بها أو المتركب معها لا في اللفظة نفسها ، وهو أنواع :

أـ ما كان تضادُّه بسبب حروف الجرّ المتعلقة بالفعل ؛ مثل : (أغار إلى ، وأغار على) فالأول بمعنى أغاث والثاني بمعنى قتل (٢٧) . و (راغ على ، وراغ عن) الأول بمعنى أقبل والثاني بمعنى ولّى (٢٨) . و (طلع على ، وطلع الى) الأول بمعنى غاب والثاني بمعنى أقبل (٢٩) .

ب ـ ما كان تضادُّه بسبب موقع اللفظة من السياق ؛ مثل : (فوق) التي تأتي بمعنى دون أيضاً (٣٠)، في قوله تعالى : (إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً مّا نعوضه فما فوقها) (٣١) . و (خَلْف) للولد الصالح والطالح (٣٢)، في قوله تعالى : (فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة) (٣٣) . و (بين) للوصل والفراق (٣٤) ، في قوله تعالى : (لقد تقطّع بينكم)(٣٥) .

ج ـ ما كان تضادُّه من النصوص بسبب اختلاف التفسير ، مثل : تفسير قوله تعالى : (لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) (٣٦) ، على وجهين

---

(٢٧) أضداد قطرب ٢٥٥ وابن الأنباري ٣٦٨ .
(٢٨) أضداد قطرب ٢٧٨ وابن الأنباري ١٥٣ وأبي الطيب ٣٢٨/١ .
(٢٩) أضداد أبي الطيب ٤٥٩/١ والغريب المصنف ٥١٨ .
(٣٠) أضداد قطرب ٢٧١ وابن الأنباري ٢٤٩ وابن الدهان ١٠٣ ومجالس ثعلب ١٩١/١ .
(٣١) آية : ٢٦ من سورة البقرة .
(٣٢) معاني القرآن ١٧٠/٢ ولسان العرب ٨٤/٩ .
(٣٣) آية : ٥٩ من سورة مريم .
(٣٤) أضداد قطرب ٢٧٤ والأصمعي ٥٢ وابن الأنباري ٧٥ ودرة الغواص ٦٣ وشرح درة الغواص ٩٧ .
(٣٥) آية : ٩٤ من سورة الأنعام .
(٣٦) آية : ٦٨ من سورة الزخرف .

متضادّين (٣٧) . ومثل ذلك في قول قيس بن الخطيم :

أتعرفُ رسماً كاطّراد المذاهبِ   لعمرة وحشاً غير موقف راكبِ(٣٨)

وقول سليمان بن قنّة :

أولئك قومٌ لم يشيموا سيوفَهم   ولم تكثر القتلى بها حين سُلّتِ (٣٩)

٩- دور التعسُّف في تكثير الأضداد : وذلك أن قسماً كبيراً من الألفاظ التي دخلت كتب الأضداد على أنّها منها ، لا يمكن تفسير الضدية فيها إلاّ بتعسُّف أصحاب تلك الكتب واصطناعهم إياها في هذه المجموعة التي لا تلحظ فيها الضديّة حتى بالتأويل البعيد ، وهي على أنواع :

أ- أعلام أشخاص ، مثل : (أيوب) و (اسحاق) و (يعقوب) (٤٠) . ينصرف كل منها أعجمياً وعربيّاً .

ب- حروف وأدوات، مثل : (إذا) و (إذْ) و (إنْ) (٤١) . يستعمل كل منها في اكثر من معنى .

ج- ألفاظ مختلفة ، مثل : (حاي حاي) أصوات لزجر الغنم ودعوتها(٤٢) و (طرطبّ) أصوات لدعوة الغنم وزجرها (٤٣) . و (نحن) للواحد والجمع (٤٤) .

---

(٣٧) أضداد ابن الأنباري ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٣٨) أضداد ابن الأنباري ١٨٦ - ٢٨٧ .

(٣٩) العمدة ١٨٧/٢ .

(٤٠) أضداد ابن الأنباري ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٤١) أضداد قطرب ٢٨٠ وابن الأنباري ٨٩ ، ١١٨ وأبي الطيب ٢٧/١ وابن الدهان ٩٣ ، ٩٤ والصغاني ٢٢٣ .

(٤٢) أضداد قطرب ٢٧٣ وأبي حاتم ١٤٩ وابن الانباري ٤٠٢ وأبي الطيب ٢٠٢/١ .

(٤٣) أضداد قطرب ٢٧٨ وابن الأنباري ٤٠٧ وأبي الطيب ٤٦٤/١ والصغاني ٢٣٧ .

(٤٤) أضداد ابن الأنباري ١٨٢ وابن الدهان ١٠٦ .

د ــ المشترك اللفظي ، مثل : (اجلعبَّ) تعني اضطجع ومضى (٤٥) . و (اللحن) تعني الخطأ والتورية والفطنة (٤٦) .و (المولى) يعني السيّد وابن العم والصهر والعبد والجار (٤٧) .

١٠ــ قانون وحدة وصراع المتضادّات : وذلك أنّ اللغة ــ والأضداد من ظواهرها ــ يمكن أن تخضع لهذا القانون ، بحيث يمكننا في ضوئه تفسير نشأة التضاد في الألفاظ . وذلك أن وحدة الضدّين في اللفظ موجودة بفعل تصاحب المعاني المتضادة في الذهن ، وصراعهما موجود بفعل نزعة الضدّ الدائمة الى التغلب على ضـــده ، وعليه فإن المعنى المضاد يخلق معنى مضـــاداً ثم يعمل الجديد على إزاحة القديم . كما حدث مثلاً لكلمة (الجون) التي تعني الأسود والابيض (٤٨) ، فان استقراء تاريخ هذه الكلمة يهدي الى أنها اطلقت أوّل مرة على معنى السّواد المحض ، ثم على الأشياء التي يختلط فيها السواد بالبياض (٤٩) ، ثم على البياض المحض . والتدوين حفظ لنا المعنيين ، وسجات الكلمة على أنها من الأضداد . ومثلها كلمة (الجلل)للعظيم والحقير (٥٠) . و (السدفة) للضوء والظلمة (٥١) .

المؤلّف :

هو محيي الدين أو جمال الدين (٥٢) محمد بن بدر الدين محمود الرومي

---

(٤٥) أضداد ابن الأنباري ٣١٤ وأبي الطيب ١٦٦/١ وابن الدهان ٩٥ .

(٤٦) أضداد ابن الأنباري ٢٣٨ – ٢٤٦ وابن الدهان ١٠٥ والصغاني ٢٤٢ .

(٤٧) أضداد قطرب ٢٥٥ وابن الأنباري ٤٦–٥٠ وأبي الطيب ٦٦٠/٢ وابن الدهان ١٠٧ .

(٤٨) أضداد ابن الانباري ١١١ وأبي الطيب ١٥١/١ .

(٤٩) اشتقاق ابن دريد ٢٢٤ والمرصع لابن الأثير ١٢١ .

(٥٠) أضداد قطرب ٢٤٦ ومشكل القرآن وغريبه ٢٩/١ والبارع ٤١٩ والاقتضاب ٣٦١ .

(٥١) أضداد الأصمعي ٣٥ ومشكل القرآن وغريبه ٢٨/١ والافصاح في فقه اللغة ٩٢٠/٢ ، ٩٢٢ ، ١٣٢٤ .

(٥٢) في ايضاح المكنون ٦٤٨/١ وهدية العارفين ٢٦٠/٢ : محيي الدين . وفي صفحة العنوان من مخطوطة (الأضداد) : جمال الدين .

الآقحصاري الحنفي الصّاروخاني (٥٣) ، الشهير بالمنشي ؛ عالم جليل ومصنف بارع . ألّف في اللغة والأدب ، وكانت له عناية خاصة بالتفسير حتى لقب بالمفسِّر (٥٤) . توفي بمكــة سنة ١٠٠١ هـ (٥٥) . تاركــاً مجموعة قيمة من الآثار ، هي :

١ — أُصول التقريب في التعريب : هذا اسم الكتاب في هدية العارفين ٢٦٠/٢ أما في كشف الظنون ٨٥٣/١ ومعجــم المؤلفين ٩٩/٩ فاسمــه « رسالة في التعريب » . وفي صفحة العنوان من مخطوطة الكتاب فاسمه « رسالة التعريب » .

منه نسخة ضمن مجموع رقمه (٣٤٢٨٨) في قسم المخطوطات بمكتبة المتحف العراقي ، وأمامك صورة من مخطوطته ، وأعمل على تحقيقها .

٢ — رسالة قلميّة .

٣ — رسالة المثنى والمثلث في اللغة (من الفارسية الى التركية) (٥٦) .

٤ — روضة الجناس في صفة الخنّاس (٥٧) .

٥ — شرح مقامات الحريري .

٦ — شرح منظومة الجزري في القراءة .

٧ — شرح نوابغ الكلم للزمخشري .

---

(٥٣) انفرد كتاب هدية العارفين ٢٦٠/٢ بذكر لقبه : (الصاروخاني) .

(٥٤) كشف الظنون ٨٥٣/١ — ٨٥٤ .

(٥٥) انظر ترجمته في : كشف الظنون ٤٥٩ ، ٨٥٣ — ٨٥٤ ، ١٣٣٣ — ١٣٣٤ وايضاح المكنون ٦٤٨/١ وهدية العارفين ٢٦٠/٢ وخلاصة الأثر ٤٠٠/٣ ، ٤٠١ وفهرس التيمــورية ٢٩١/٣ ومعجــم المؤلفين ٩٩/٩ — ١٠٠ : الذيل الثــاني ٤٣٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٨١٢ .

(٥٦) يستفاد من هذا أنه كان يتقن هاتين اللغتين إلى جانب اتقانه العربية .

(٥٧) في هدية العارفين ٢٦٠/٢ : (الحناس) بالحاء المهملة ، وهو من أخطاء الطباعة .

٨ – طراز العبرة في شرح قصيدة البردة : هكذا ورد اسم الكتاب في هدية العارفين ٢/٢٦٠ وليس فيه السجعة المعهودة ، ولعله (طراز البردة...) على سبيل التجنيس التام . وفي معجم المؤلفين ٩/٩٩–١٠٠ قال : « شرح البردة وسمّاه طراز البردة » .

٩– من فيض ذي الجود والإمداد في الأضداد : هكذا ورد اسم الكتاب في هدية العارفين ٢/٢٦٠ . أما في صفحة العنوان من المخطوطة فاسمه « رسالة الأضداد » وهو هذا الكتاب الذي نقدمه مع هذه الدراسة ، وسيأتي الكلام عليه بعد قليل .

١٠– نزيل التنزيل (في التفسير) .

١١– نشوء البراعة في وصف شؤون اليراعة .

مخطوطة الكتاب :

تحتل مخطوطة (رسالة الأضداد) سبع صفحاتٍ ، قياس الواحدة ١٧ سم×١٠ سم ، في كل صفحة حوالي (٢٦ سطراً) ، في كل سطر حوالي (١٢ كلمة) ، من مجموع كان ضمن مكتبة المرحوم محمد صالح سليم السهروردي العباسي ، ثم آلت المكتبة الى قسم المخطوطات في مكتبة المتحف العراقي ، ورقمه فيها الآن (٣٤٢٨٨) ، وفيه – كما ورد في فهرس المجموع :

١– شرح المنفرجة : لشمس الدين محمد البيضاوي .

٢– شرح المنفرجة : للعلامة زكريا الأنصاري .

٣– في أُمور التفسير : للبيضاوي .

٤– رسالة في الكلام على البسملة : للعلامة زكريا الأنصاري .

٥– الرصانة والرصافة في لطائف الإضافة : لابن جماعة .

٦– رسالة في الفرق بين الحمد لله وحمداً لله .

٧- رسالة في التعريب على ترتيب غريب أنيق : للعلامة محمد بن بدر الدين المنشي .

٨- رسالة في الأضداد والأنداد : للعلامة محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي .

٩- منظومة المطلب السامي في ضبط ما أشكل في الصحيحين من الأسامي : للأشخر اليمني .

ويبدو أن الرسالة التي نقدمها الآن – وهي غفل من اسم الناسخ وتاريخ النسخ – قد نُسخت في حياة المؤلف إذ يتجلّى ذلك في أمرين ، الأول : في الخط وقضايا الرسم . والثاني : فيما يُشعر به الدعاء للمؤلف في عنوانها ، مثل : « وأدام إقباله وأطال إجلاله » . ومهما يكن من أمر فخطُّها ليس بجيّد ولا رديء ، ولا يخلو من أخطاء ، تدل أغلبها على جهل الناسخ بموضوع الرسالة ؛ حتى أن حيرته كانت واضحة حين كتب في هامش مادة من المواد: « كذا في الأُم » ، حيث استفدنا من ذلك أنه كان ينسخ من نسخة أُخرى سمّاها الأُم ، ولم يهتد الى حقيقة المسألة . وإذا كان الناسخ قد ماز ألفاظ الأضداد بأن كتبها بالحبر الأحمر ، عن الشرح الذي كتبه بالحبر الأسود ، فإن نصول الأحمر قد سبّب متاعب غير يسيرة في قراءة الأصل .

منهج المؤلف :

لعلّ أول ما يلفت نظر الدارس في عمل المؤلف أنّه رتّب موادّه على حروف المعجم ، ومعنى هـذا أنه يدرج الاضـداد التي تنتهي بالهمزة في باب الهمزة ، والتي تنتهي بالبـاء في باب الباء وهكذا ؛ ناظراً الى الجـذر اللغوي للمـادّة ومتّبعاً الترتيب المألوف في المعجمـات ، الذي يجعل البـاب للحرف الأخير من الجـذر والفصل للحرف الأوّل . وهـو بهذا التنظيم لمـوادّه فاق أغلب مؤلفي كتب الأضـداد الذين لم يُعنوا

عنايته بالترتيب ، وانما جمعوا موادّهم وأوردوها كيفما اتفق غير ناظرين إلى تنظيم معيّن ، سوى القلة منهم كأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) الذي عني بالترتيب أيضاً .

وقد وقف المؤلف من الأضداد موقفاً علمياً يتّسم بالدقة والحذر ، فالأكثر الأعمّ من الأضداد التي أوردها كان مؤمناً بضديتها ، إذ ينصّ على المعنيين المتضادّين بعد ذكر الضدّ ، وقد يستشهد عليهما أو على أحدهما بشاهد ، وقد يهمل الاستشهاد إهمالاً كاملاً ، وينهي كلامه في أحايين كثيرة بكلمة (ضدّ) أو (من الأضداد) . والأقلّ من موادّه كان يشك بضديتها ، فاتخذ وسيلة يبرئ بها نفسه ، وهي أن يشفع كلامه على الضد المشكوك بضديته بكلمة (كضدّ) كما فعل في مادتي : « استعذبه » و « النحب » ، أو بعبارة (شبه ضدّ) كما في مادة « فلانٌ هُدّ » . ومن الأضداد ما كان يطعن بصحة تضاده ، ويردّ الزّعم به صراحةً ، وذلك أن يكون كل معنى من المعنيين لهجة قبيلة ، فالكلمة حينئذ ليست من الأضداد ، ونصّ على هذا المعنى في كلامه على مادتي « شَعَبَ » « ولَمَقَ » .

وكان قد قدّم لكتابه بمقدمة موجزة ، بيّن في صدرها سبب تأليف الكتاب ، وضمّنها فهمه للأضداد وموقفه منها ، ولكن بشكل غير مباشر ، إذ نقل عن الكيّا أنه يرى أن الأضداد غير المشترك ، ففي الضدية معنى يختلف عن معنى الاشتراك . ونقل عن ابن فارس رأيه بوجود الأضداد في اللغة واصالتها فيها . ومن الجمع بين الرأيين نقف على رأي المؤلف نفسه ، إذ اختار أن يعبّر هذان النصّان عن فهمه للتّضاد وحقيقة وقوعه في اللغة . فهو في النص الأول يقف مع أبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) من الأضداديين في فهمه للأضداد وتفريقه الدقيق بين التضاد والاشتراك ، ما لم نعهد مثله لدى الأضداديين القدماء أمثال : قطرب (ت ٢٠٦ هـ) والأصمعي (ت ٢١٣ هـ) والتوزي

(ت ٢٣٣ هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وأبي حاتم (ت ٢٥٥ هـ) وهو في النص الثاني مع المدافعين عن الأضداد مثل : أبي بكر بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) وابن الدّهان (ت ٥٦٩ هـ) وليس مع المنكرين مثل : ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) ؛ إذ تقفنا دراسة الأضداد ومواقف اللغويين منها على أنهـّم انقسموا الى مدافعين ومنكرين ، وكان لكل فريق منهما حجج وأدلة ، وأنصار ومؤيدون ، مما لا نريد الخوض فيه بعد أن فصلنا الكلام عليه في دراسة سابقة (٥٨) .

ويبرز المؤلف أمامنا لغوياً بارعاً حين نجده يصرّف الضدّ على جميع وجوهه ؛ إذ اهتم بذكر المصدر مثلاً عند ذكر الفعل ، وعني أحياناً بذكر المفرد عند ذكر الجمع وبالعكس كما في مادة : « النكد » . وتتجلى أمانته في تكرار النص على مصادره ، إذ يكاد لا ينقل شيئاً إلاّ نصّ على مصدر هذا النقل ، فنجد اسماء عدد كبير من اللغويين ، وأسماء عدد من المصنّفات مبثوثة في كتابه ؛ فاللغويون أمثال : الكسائي (ت ١٨٩ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) والأزهري (ت ٣٧٠ هـ) وأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) والكيّا الهرّاسي(ت ٥٠٤ هـ) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) . والكتب أمثال : اصلاح المنطق والصحاح والمثلث والأساس والمفصل والقاموس والمزهر وقطف الأزهار ونواهد الأبكار .

أما شواهده فمعظمها من القرآن الكريم ، ولم يستشهد بالشعر إلاّ مرة واحدة ، استشهد فيها بالرجز في مادة (الجون) . واصطنع هو جملةً مثّل بها في مادة (خاف) . واذا كانت عدة مواد كتابه (٢٢٦) ستاً وعشرين ومائتي مادة ، فإنه أربى على كتب عدد كبير من الأضداديين وتجاوز ما في

(٥٨) الأضداد في اللغة : ٢٤٥ ومابعدها .

كتبهم من الأضداد كقطرب والأصمعي والتوزي وابن السكيت وأبي حاتم وغيرهم ؛ كما انفرد عنهم بذكر عدد لا يستهان به من الأضداد مما لم يذكروه حتى جعل من كتابه تحفة لغوية ثمينة ، اهتم بها معاصروه وها نحن على خطاهم نعنى بها ونهتم . ولعل من أوضح ما يدلّ على هذا الإهتمام بالكتاب ما وجدته على صفحة العنوان من تقريظ شعريّ نسخه الناسخ مع الأصل ، وهذا نصُّه :

« هذه الأبيات للسيد الجليل العلامة عثمان بن أحمد الحسيني الحنفي المكّي في مدح هذه الرسالة :

يا طالب العلم المبين الهادي	فق واحتفل برسالة الأضداد
فيها فوائد جمّة مجموعة	وتجل كثرتها عن الأعداد
فاقت على كل الرسائل بهجةً	وزهت بمعنىً حسنه متبادي
وسمت بترتيب عجيب رائق	وصفاؤه فيها شفاء الصادي
وغدت بمولانا محمد تزدهي	بمحاسنٍ في سائر الآبادِ
أعني الهمام العالم المولى الذي	هو في علاً وعلا على الأمجاد
حاوي المفاخر والمكارم جامع الـ	مجد المميز به على الأنداد
منشي الفضايل للبرية كلها	ومعينها بالفضل والإمداد
لا زال في فيضٍ إلٰهيّ وفي	نِعمٍ مع الإسعاف والإسعاد
وله من الله الكريم عناية	وحماية موصولة الإسناد
وينال في(٥٩) العزّ المقيم مراده	ما أطرب العيس النجاب الحادي

تمّت»

(٥٩) في الأصل : وتنال .

عملي في التحقيق :

قام عملي في التحقيق على ضبط النّص بالشّكل ، وتصحيح ما وقع فيه من التصحيف والتحريف ، ومقابلة المواد على كتب الأضداد والمعجمات اللغوية للتأكد من صحة المفردة ومعنييها المتضادّين . ثم قمت بسدّ النقص الحاصل من سقوط بعض الحروف والكلمات من قلم الناسخ . وخرَّجت شواهده القرآنية والشعريّة وصَحّحتها جميعاً ، بعد أن أذكر في الهامش تمام الآية أو الرَّجز . كما خرجت ما نقله من المظان اللغوية والمعجمات . وعرّفت بالأعلام المــذكورين تعريفاً موجزاً ناصاً على أهم مصادر ترجمتهـــم . ونقلت جميع التعليقات التي وجدتها على هامش الرسالة الى هامش التحقيق كلاً في مكانه منها . فإن كنت قد أسديت بعملي هذا خدمة للعربية الكريمة وتراثها الخالد فذلك غاية ما أرجوه وإلاّ فهو جهد المقلّ ، ومن الله التوفيق .



بسم الله الرحمن الرحيم

« صورة الصفحة الثانية [١/ب] من مخطوطة الأضداد »

[illegible] بمعنى [illegible] بعوضة
[illegible] الشيء [illegible] في لغة [illegible] في لغة بني قيس ولعله لغة في
[illegible] الاضداد [illegible] هو التفريق والازدحام كانه
ضد [illegible] في منى فرسه وتبة
وعنه [illegible] واستوى على [illegible] ما [illegible]
الأمر جمع الله [illegible] باسم لجميع الأجزاء وقلج
بمعنى [illegible] في الأمر [illegible] والانتصب قائما
[illegible] وفي الصحاح [illegible] وهو من الاضداد [illegible]
[illegible] الكبار والصغار [illegible] يطلق على الولد والوالد
فهو من الاضداد [illegible] النسل [illegible]
[illegible] الريان والعطشان
[illegible] الماء الحار [illegible]
به اغتسل به والماء البارد [illegible] الأسود [illegible] والأبيض [illegible] الأسود
والجديد من الأثاث والقديم الدارس [illegible] ويطلق على البديع [illegible] بسلامته
البائع [illegible] المشتري [illegible] القرب والبعد [illegible]
[illegible] وهو من الاضداد [illegible] اصلاح المنطق [illegible] هو الليل
المظلم والصبح [illegible] الذي عليه الدين وقد يكون للذي له الدين [illegible] الشوق
[illegible] الريح الطيبة والمنتنة من القاموس [illegible] للقطع
وللوصل الجون الأبيض والأسود والجونة الشمس قال [illegible] الجونة ان [illegible]
دون بمعنى فوق في الاساس هذا دون ذلك اي اخس منه وأدنى منزلة ودونه خرط
القتاد اي امامه وجلس دونه اي تحته [illegible] القوة والضعف [illegible] الند والإ[illegible]
الرجاء هو الأمل والخوف [illegible] المكان المرتفع والمنخفض كالرهو [illegible]
النبه يقال للضائع نبه وللموجود نبه [illegible] السائل والمعطي [illegible]
كتمه واظهره [illegible] الدواعي البواعث وصروف الدهر [illegible] صار
ذا عقل [illegible] العقل والجهل [illegible] الرابية لا
[illegible] سواء [illegible] اي نفسه وغيره [illegible] في
مكروه [illegible] المال [illegible] جمع سراة [illegible] باعه وشروه
[illegible] الصحاح [illegible] حمله على [illegible]

" صورة الصفحة السادسة [٢/ب] من مخطوطة الأ[illegible]

(القسم الثّاني : النَّص)

[١ / أ] رسالة الأضداد : جمع العالم العلامة المجيد، الفاضل الفهامة المفيد ، ساقي العالم في منادمة الفضايل بالكأس المنشي ، مولانا محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي ، أمتع الله بمحاسن شمائاه ، ونفع بميامن فضائله ، وأدام إقباله ، وأطال إجلاله ، آمين آمين آمين .

[١ / ب] بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً لمن خلق الأشياء أضدادا ، ومصلياً على نبي نهى الناس عن اتخاذهم لله أندادا ، وعلى عترته وأُسرته الممدّين لعسرته أمداداً وإمدادا (٦٠) .

وبعدُ ، فلما اشتملت العربيّة على كلمات وضعت للدلالة على الضدّين ، وغفل عنها من أغفل تصفُّح اللغات ، التقطتها حسب الاستطاعة وجمعتها مرتّبةً لتربية البضاعة ، استبضع بها في اكتساب الامتياز بين أولي النهى ، وأرباب الدّها (٦١) . وتبين الأشياء بأضدادها ، ومن الله العصمة عن الوصمة .

مقدمة :

قال الكيّا (٦٢) : المشترك يقع على ضدَّين كالجون للأبيض والأسود ، وعلى مختلفين كالعين (٦٣) . وقال ابن فارس (٦٤) : من آداب العرب

---

(٦٠) بفتح الهمزة جمع مدد وبكسرها مفعول مطلق .

(٦١) أصلها « الدهاء » بالمدّ ، الا أنه قصرها انسجاماً مع السجعة .

(٦٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالكيا الهراسي ، الفقيه الشافعي ، تولى التدريس بالنظامية ، واتصل بمجد الملك بركياروق السلجوقي ، توفي ببغداد سنة ٥٠٤ هـ ، انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٤٤٨/٢ .

(٦٣) المزهر : ٣٨٧/١ .

(٦٤) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، اللغوي المعروف ، سكن همذان ، تلمذ له بديع الزمان والصاحب بن عباد ، توفي سنة ٣٩٥ هـ ، انظر ترجمته في : انباه الرواة ٩٢/١ ووفيات الاعيان ٢٠٦/١ وبغية الوعاة : ١٩٦ .

تسمية الضدين باسم واحد نحو (الجون) ، وأنكر ذلك ناسٌ وليس بشيء ، فإن الذين روَوْا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً ، هم الذين روَوْا أنهم يسمّون المتضادّين باسم واحد (٦٥) .

ـ الهمزة ـ

ثَأْثَأَ الإبل : أرواها وعطّشها ، وثَأْثَأَتِ الإبلُ : عطِشَتْ ورَوِيَتْ ، ضدٌ ، لازمٌ متعدٍّ .

جَفَأَ البابَ : أغلقَه وفتَحه ، ضدّ .

خَجِئَ ، بالمعجمة : استحى وتكلّم بالفُحشِ ، ضدٌّ .

دارأْتُه : دافعْتُه ولاينْتُه ، ضدٌّ .

الذُرِّيّة ، من ذَرَأَ : يطلق على الآباء والأولاد كالنّجلِ .

ناءَ : نهضَ بجهْدٍ ومشقّةٍ ، وبالحِمْلِ : نهَضَ مثقَلاً ، وبه الحمْلُ : أثقَلَهُ وأمالَه كأناءَه ، وفلانٌ : أُثقِلَ فسقط .

القَرْءُ : الحيْضُ والطُّهرُ ، يُقال أقرأتْ المرأةُ : حاضَتْ ، وأقرأتْ : طهُرَتْ .

ـ الباء ـ

أَتْرَبَ : كثُرَ مالُه وقلّ ، ضدٌّ .

اجْلَعَبَّ الرجلُ : اضطجع ؛ والإبلُ : مضتْ جادّةً ، ضدٌّ .

الحَوْشَبُ (٦٦) : الثّعلبُ الضّامرُ والمنتفخُ الجنْبَين .

خَشَبَ : في الصّحاح : خشَبَ السّيفَ أحكم عملَهُ وصَقَلَه ، وخَشَبهُ

---

(٦٥) الصاحبي : ٦٦ – ٦٧ والمزهر : ٣٨٧/١ .

(٦٦) في الأصل : « الجوشب » بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف .

لم يُحكم عماه ولم يصقلْهُ (٦٧) . وفي القاموس : خَشَبَهُ خلطه وانتقاه ، والشَّيءَ صقَلهُ وطَبَعَهُ (٦٨) .

ارتابَ : شكَّ ، وقال أبو علي (٦٩) : تيقَّن ، ضدٌّ (٧٠) . إذ يكون شكاً ويقيناً . نقله الطّرشوشي (٧١) في قوله تعالى : (إنْ ارتبتُم

---

(٦٧) الصحاح : مادة (خشب) ١/١١٩ .

(٦٨) القاموس المحيط : مادة (خشب) ١/٦١ .

(٦٩) هو أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار ، النحوي المشهور ، تلمذ للزجاج وابن السراج ، وتلمذ له ابن جني في اللغة والنحو ، توفي سنة ٣٧٧ هـ ، انظر ترجمته في : نزهة الالباء ٢١٠ وبغية الوعاة ٢١٦ .

(٧٠) لم أقف على مصدر قول أبي علي ، ولعله محرف عن (أبي يعلى) القاضي ، انظر : زاد المسير في علم التفسير ٨/ ٢٩٣ .

(٧١) هكذا ورد في الأصل ، ولم أقف على أحد بهذا اللقب ، الا أن يكون بالسين المهملة ، فالطرسوسي لقب جماعة هم :

أ – أبو أمية محمد بن ابراهيم بن مسلم بنسالم الطرسوسي ، أقام بطرسوس وبها توفي سنة ٢٧٣ هـ .

ب – محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسي التيمي الحافظ ، رحال من أهل المعرفة ، توفي في بلخ سنة ٢٧٦ هـ .

ج – أبو بكر أحمد بن الحسين بن بندار بن أبان الأصبهاني القاضي الطرسوسي ، الشيخ الصالح العابد ، توفي في نيسابور سنة ٣٧٠ هـ .

د – أبو عمرو عثمان بن عبدالله بن ابراهيم الطرسوسي القاضي ، من الكتاب الأدباء ، توفي في كفر طاب سنة ٤٠٠ هـ .

هـ – أبو القاسم عبدالجبار بن أحمد بن عمر الطرسوسي ، نزيل مصر ، عالم بالقراءات ، توفي في مصر سنة ٤٢٠ هـ .

و – نجم الدين ابراهيم بن علي بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالمنعم الطرسوسي ، قاضي مصنف ، أفتى ودرس بدمشق ، وتوفي بها سنة ٧٥٨ هـ .

ز – محمد بن أحمد بن محمد الطرسوسي ، فقيه حنفي ، له اشتغال بالتفسير ، توفي سنة ١١١٧ هـ .

وإذا استبعدنا الأخير عنأن يكون هوالمقصود بالذكر لتأخر عصره عن عصر المؤلف بست =

فعِدّتُهن) (٧٢) .

السّاقِبُ : القريبُ والبَعيدُ .

شرِبَ : عطش ورويَ ، وأشْرَبَ : سقى وعطشَ .

شعَبَ الشّيءَ : أصْلحَهُ وأفْسَدَهُ ، ضدّ . وأمّا شعَبَ بمعنى افترق واجتمع فليس بضدّ ، بل كل حرفٍ منهما لغةٌ لقوم ؛ ومن شروط الأضداد اتّحاد اللغة . وفي القاموس : الشّعب كالمنع : الجمعُ والتّفريقُ ، والإصْلاحُ والإفْسادُ ، وشعَبَ اليهم : نزعَ وفارقَ صحبتَه (٧٣) ، انتهى . وفيه إشارةٌ إلى أنّه ضدّ .

الصّقْبُ ، كقَلْب : القربُ والبُعد ، ضدٌّ .

أضَبَّ : صاح وتكلّم ، وعلى ما في نفسه : سَكَتَ .

الطّبُّ : الدّاء والدّواء ، ضدٌّ ، في المثلّث (٧٤) .

= عشرة ومائة سنة ، فإن كـلا من الباقين راجح عصراً أن يكون هـو المراد بالنقل عنه ، غير أننا من خلال استعراض ماأثر عنهم من آثار تعطي صورة عن اهتمام المؤلف وتوجهه ، نرجح أن يكون نجم الدين ابراهيم بن علي الطرسوسي هو المنقول عنه في الرسالة ؛ ذلك أنه معني بالفقه وأحكامه ، وقد نقل عنه المؤلف في مادة قرآنية تشعر بأن المعالجة كانت فقهية . [انظر ترجماتهم في : معجم البلدان ٤٠/٦ ومعجم الأدباء ٣٧/٥ واللباب ٨٥/٢ والنشر ٧٠/١ وغاية النهاية ٣٥٧/١ والدرر الكامنة ٤٣/١ والنجوم الزاهرة ٣٢٦/١٠ والكشف ٩٧/١ ، ١٦٥٧ والجواهر المضية ٨١/١ والفوائد البهية ١٠ وهدية العارفين ١ / ١٦ ، ٦٥٣ ، ٤٩٩ ، ٢ / ٣٠٩ ومعجم المطبوعات ١٢٣٨ والخزانة التيمورية ١٨٢/٣ والمكتبة الأزهرية ١٠٤/٢] .

(٧٢) آية : ٤ من سورة الطلاق . وتمامها : (إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) .

(٧٣) القاموس المحيط : مادة (شعب) ٨٨/١ .

(٧٤) المثلث للبطليوسي : ٧٥/٢ وليس فيه إشارة إلى أن المادة ضد . ولا وجود للمادة في مثلثات قطرب ، البلغة : ١٦٨ — ١٧٤ .

الطَّربُ ، محركةً : الفَرَحُ والحُزنُ . في الأساس : هو خفّةٌ من سرورٍ أو همّ (٧٥) .

أَطْلَبَ : في الأســاسِ : طلبَ منّي فأَسْعفتُه ، وأَطلَبَه الفقرُ أحوَجه الى الطلبِ (٧٦) .

استَعتَبَه : أعطاه العُتْبى كأعْتَبه ، وطلبَ إليه العُتبى .

العَجْباءُ : هي التي تتعجّب من حسْنِها ومن قُبحها .

استَعْذَبه : استحلاهُ ، وعنه : امتنع ، كضدّ .

[٢ / أ] الإعراب : الفُحشُ وقبيحُ الكلام ، والدّرْءُ عن القبيح ، ضدٌّ .

العَنابُ كغَزال (٧٧) : الجبلُ الأسود الصّغير المستدير والطّويل .

العَنَبانُ محركة : النّشيط الخَفيفُ والثّقيل من الظّباء .

التّغريب : الإتيان بأبناءٍ بيض وأبناء سود .

المغلّب : المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة ، وعلى أقرانهِ .

قرضَبَ اللّحمَ : جمعَه في البُرمة (٧٨) ، والشّيءَ : فرّقه .

سَيفٌ قشيب : مجلوٌّ وصدّاء أي [علاهُ الصّدأ] (٧٩) ، وثوبٌ قَشيبٌ : جديدٌ وخَلَقٌ

قَعَبَ له العطيّةَ : أجزَلها ، وقعبَ قَعْبَةً : أعطاه قليلاً .

قابَ : هربَ وقرُبَ .

---

(٧٥) أساس البلاغة : ٥٧٨ .

(٧٦) أساس البلاغة ٥٨٩ .

(٧٧) ضبطها المؤلف بفتح العين ؛ وفي مطبوع معجم (العين) ١٥٩/٢ : العناب (بضم العين) .

(٧٨) البرمة ، جمعها: برم وبرام: القدر من الحجر يجمع فيه اللحم.انظر : القاموس المحيط ، مادة (البرم) : ٧٨/٤ .

(٧٩) زيادة يستدعيها السياق ، وقد أخل الأصل بها .

النّجْبَةُ كوجْبَةٍ وقَصَبَةٍ وخَرِبَةٍ وعِنَبَةٍ : الشّاةُ القَليلةُ اللّبنِ والغزيرتُه .

أنجَبَ : جاءَ بولدٍ شجاع وجبانٍ .

النّحبُ : الموت والأجل ، كضدّ .

نصبَ الشّيءَ : وضَعَهُ وحطّه ، [و] (٨٠) رفعه .

الوَثْبُ : الطّفر ، والقُعود بلغة حِمْيَر ، كضدّ .

الوَغْبُ : الضّعيف البَدنِ ، والجَمَلُ الضّخم .

الهَلوبُ : هي المتقرِّبة من زوجها والمتجنِّبة منه (٨١) :

تهيّبَ الشّيءَ ، وتهيّبهُ الشّيءُ ، من المزهر (٨٢) :

ـ التّاء ـ

الأمْتُ : في القاموس : هو المكان المرتفعُ والتِّلال الصِّغار ، والانخفاضُ والارتفاعُ (٨٣) .

السّبْتُ : حلقُ الرّأسِ وارسال الشّعر عن العقص :

ـ الثّاء ـ

أقْعَثَ له العطيّةَ : أجزَلها ، وقعثَ له قعثةً : أعطاهُ قليلاً .

الألَوْثُ : المسْترخي والقَوِيّ .

---

(٨٠) سقطت الواو من قلم الناسخ ، وصواب الكلام إثباتها .

(٨١) في الأصل : « المتقربة » و « المتحبة » ، والتصويب من المزهر ٣٩٥/١ . فالمادة معروفة قبل المنشي والصواب ان يقال : المتحببة إليه .

(٨٢) المزهر : ٣٩١/١ .

(٨٣) القاموس المحيط ، مادة (أمته) : ١٤٢/١ .

– الجيم –

الزَّوجُ : الذَّكر والأُنثى .

النّاتج : النّاقةُ الحاملُ والحائلُ .

الإفْجيجُ : الوادي الواسعُ والضيّقُ .

– الحاء –

جَمَحَ : أسرَعَ وأبطأَ .

الزَّوْحُ : تفريق الإبل وجمعُها .

السَّبْحُ : النّوم والسُّكون ، والتقلُّب والانتشارُ في الأرض .

الشّحْشَحُ من الأرض : ما لا يسيلُ إلاّ من مطرٍ كثيرٍ ، والتي تسيلُ من أدنى مطرٍ .

المشيحُ : الجادُّ والحذِرُ .

قَرْحانٌ من الأمر ، وقُراحيٌّ : خارجٌ ومن لم يَشْهدْ الحربَ كالقَراحيّ ، ومن مسّه القروح .

كسَحَ الشّيءَ : جَمَعهُ وفرّقهُ .

المسيحُ : المباركُ والملعونُ . يعني بالمبارك مسيحَ الهُدى عيسى عليه السلام ، وبالملعون مسيحَ الضّلالةِ الدّجّال .

النّحاحة : السّخاءُ والشّحّ .

نَشَحَ نَشْحاً ونُشوحاً : شربَ دون الرِّيّ أو حتّى امتلأ .

نَيّحَ اللهُ عَظْمَه : شدّده ورضّضه .

– الخاء –

الصّارخُ : المغيثُ والمستَغيثُ .

الصّريخ : صوتُ المستصرِخ والمغيث .

ـ الدّال ـ

أسدَ كفرِحَ : دهشَ عند رؤية الأسدِ ، وصارَ كالأسدِ .

أفِدَ كفرِحَ : أسرعَ و أبطأ .

بَعْد : بمعنى قَبْل ، في قوله تعالى : (من بَعْدِ الذّكر) (٨٤) .

جَعْدٌ : للكريم ، وإذا أُضيف إلى البَنانِ والأناملِ أو الأصابع أو الكفّ فللبخيل . في الأَساسِ : (٨٥) وأمّا قولُهم لكريمٍ جعدٌ فمن الكناية عن كونه عربيـاً سخيّاً ، لأنّ العـربَ موصوف [ون] (٨٦) بالجعودة (٨٧) .

أسادَ : ولدَ سيِّداً وأسودَ ، وأَسْوَدَ على الأصل مثله .

سَجَدَ : خضعَ وانتصبَ .

صَرِدَ (٨٨) السّهمُ : أخطأ ونفذَ حدُّه .

صَعَدَ في الجبل وعليه : علاه ، وفي الوادي : انحدر .

الصَّفَدُ : العَطاءُ والوثاق .

الصّماريدُ : الغَنَمُ السِّمانُ والمهازيلُ .

---

(٨٤) في هامش الأصل : « بعد بمعنى قبل (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) في سورة الأنبياء » . وهي كذلك آية : ١٠٥ وبعد المذكور منها : (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)

(٨٥) أساس البلاغة : ١٢٦ .

(٨٦) زيادة تستدعيها صحة العبارة .

(٨٧) في هامش الأصل : « ورجل جعد كريم وبخيل ، كجعد اليدين ، وجعد القفا لئيم الحسب ، وجعد الأصابع قصيرها . وخد جعد غير أسيل ، وبعير جعد كثير الوبر ، وجعد اللغام متراكم الزبد ، قاموس » . والنص في القاموس المحيط : مادة (الجعد) ٢٨٣/١ .

(٨٨) في هامش الأصل : « كفرح ، ق » والقاف هذه – كما يبدو – رمز للقاموس المحيط ، انظر : القاموس المحيط : مادة (الصرد) ٣٠٧/١ .

الضَّمْدُ (٨٩) : خيارُ الغَنَم ورذالها . وفي المزهر : صالحة الغَنَم وطالحتُها (٩٠) .
الصِّمْرِدُ كزبْرِج : الناقةُ الكثيرة اللّبن والقليلتُه .
أصادَهُ : [/ ٢ب] داواه من الصَّيْدِ وآذاه .
الضَّمْدُ : رطبُ الشجر ويابسُه .
المعبَّدُ : المذلّل والمكرّم .
العيدُ : واحدُ الأعيادِ ، وعاداك عيداً أي نزلَ بك حزنٌ ، شبهُ ضد .
غَمَدَتْ الركيّةُ : كثرُ ماؤُها وقلَّ .
أفادَ المالَ : أعطاهُ واستفادَهُ .
القُعْدُدُ : القَريبُ الآباء من الجدِّ الأكبرِ ، والبَعيدُ الآباءِ منه .
أَلْحَدَ (٩١) المطرُ : أقلعَ ودام .
المصْدُ : شدّةُ البردِ والحرِّ .
النّجادَةُ : السّخاءُ والشحّ .
النجدةُ : القتال والشّجاعة والشِّدَّة والهولُ والفزعُ . الظّاهرُ أنّه ضد .
النّاشدُ : طالبُ الضالّةِ ومعرّفُها .
النُّكْدُ الغزيرات اللّبن من الإبل ، والتّي لا لبنَ لها ، جمع نكداء .

---

(٨٩) في الأصل : الصمد (بالصاد المهملة) وهو تصحيف . وكرر المادة بعد قليل بالضاد المعجمة ظناً منه أنهما مادتان وهمامادة واحدة وكل معانيها صحيحة . وبتصويبنا تقدم الضادعلى الصاد .

(٩٠) المزهر : ٣٩٢/١ .

(٩١) في المزهر : ٣٩٤/١ « أشجذ المطر : أقلع ودام ، من الأضداد » ، ويبدو أنها وقعت محرفة إلى المؤلف لأنه وضعها في الترتيب الهجائي الصحيح على أنها (ألحد) ولم أقف عليها في المعجمات اللغوية . انظر : القاموس المحيط ، مادة (الشجذة) ٣٥٤/١ ، وفي الأساس ٤٨٠ : « ووابل شحاذ : ملح » .

وطّدَ الشيءَ : أثبتَه ونقله ، والشّيءُ : أسار وسار .

الهاجِدُ : المصلّي باللّيل والنّائم .

تهجّدَ : نام واستيقظ .

فلانٌ هَدٌّ : قال ابن الأعرابي (٩٢) : هو الكريمُ الجوادُ ، وأما الجبانُ الضّعيفُ فهو الهِدُّ بالكسر (٩٣) ، شبهُ ضِدّ .

أهمَدَ بالمكان : أقامَ ، وفي السّير : أسرعَ .

ــ الذّال ــ

الحذّاءُ : قصيدةٌ فيهـا الحَذَذُ ، وهـو سقوط وتدٍ مجموع من البحر الكامل من عجزٍ متفاعلن فيبقى مُتَفا. فيُنقل إلى فعلن(٩٤) ، والقصيدةُ السارَّة (٩٥) التي لا عيبَ فيها .

الخِنْذيذ : هو الفحلُ والخصيُّ .

المخاوَذةُ : هي الموافقةُ والمخالفةُ .

ــ الرّاء ــ

الأَزْرُ : هو القوّةُ والضّعفُ .

أَبتَرَ : أعطى ومنَعَ .

البِشارةُ : مطلقةً لا تكون إلاّ بالخير ، ومقيّدةً لا تكون إلاّ بالشرّ :

---

(٩٢) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، اللغوي الكوفي ، صاحب الروايات والنوادر ، تلمذ له ثعلب في اللغة والشعر ، توفي سنة ٢٣١ هـ ، انظر ترجمته في : بغية الوعاة ٤٢-٤٣ .

(٩٣) تهذيب اللغة : مادة (هد) ٣٥٤/٥ .

(٩٤) انظر : الاقناع في العروض وتخريج القوافي : ٣٠ .

(٩٥) كذا في الأصل ، ولعلها « السائرة » فهي الأنسب في وصف القصيدة .

(فبشِّرْهمْ بعذابٍ أليم) (٩٦) .
البَهيرةُ : هي السيّدةُ الشريفةُ ، والصّغيرة الخلقِ الضّعيفة .
ثَغَرَ كمنَعَ : ثَلَمَ ، والثّلمةَ : سدّها .
أثغَرَ الغلامُ : ألقى ثغرَهُ ، ونبتَ ثغرُه .
الجبْرُ : الملكُ والعبْدُ .
الجعْفَرُ : هو النّهرُ الصّغيرُ والكبيرُ الواسعُ .
الحَرورُ : هو الرّيحُ الحارّةُ باللّيل وقد يكون بالنّهارِ .
حَزوَّر : هو الغلامُ القَويُّ والضّعيفُ .
الأحمرُ : ما لونُه الحُمْرَةُ ، والأبيضُ .
خَشَرَ : أبقى على المائدةِ الخُشارةَ ، ونفى الخُشارةَ .
الخَطَر كالشَّرَف : الإشراف على المكروهِ ، والقَدْرُ والمنزِلَةُ .
أمُّ خنوَّر : هي الدّاهيةُ والنِّعمةُ .
الذّفْرُ : كلُّ ريحٍ ذكيةٍ من طيبٍ أو نَتَنٍ . .
المسْجورُ : الموقدُ والساكنُ .
السّادرُ : هو المتحيِّرُ ، ومن لا يبالي .
أسَرَّ الشيءَ : أظهَرَه وكتَمَهُ .
يقال ألقى عليه شراشره : أي ثقله ، وحماهُ .
الصُفرةُ بالضّمّ : معروفٌ ، والسّواد .
أعذَرَ : أبدى عذراً ، وقصّرَ ولم يبالغْ وهو يرى أنّه مبالغٌ ، وبالغَ ؛ كضدّ .
التّعْزيرُ : ضرْبٌ دونَ الحدّ ، والتوقير . (وتعزّروه وتُوَقروه) (٩٧) .

---

(٩٦) آية : ٢١ من سورة آل عمران ، وتمامها : (... ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) . والظاهر أن الأمر ليس على هذا الاطلاق ، فقد تأتي مقيدة ويراد منها الخير ، كقوله تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان) وكقوله تعالى : (فبشرهم بمغفرة وأجر عظيم) .

(٩٧) في الأصل : « يعزروه ويوقروه » وهو تحريف . وهي آية : ٩ من سورة الفتح ، وتمامها (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) .

غَبَرَ : مضى وبقيَ .
الفَطِرةُ كفَرِحَة : النّاقَةُ اللاقحُ والحائِلُ .
قصرَ الطعامُ قُصوراً : نَما وغَلا ، ونَقَصَ ورخصَ .

— الزّاي —

الحَوْزُ (٩٨) : هو السّوق اللّيّن والشّديدُ .
عزَّ أن يفعل كذا : اشتدَّ ، وعزَّ : ضعُفَ .
الفَوْزُ : النّجاةُ والهلاكُ ، ومنه المفازةُ للمهلكةِ والمنجاةِ . في القاموسِ فازَ ماتَ ، ومنه نَجا ، وبه ظَفِر(٩٩) .

— السّين —

الرَّسُّ : الاصلاحُ بين النّاسِ ، والافسادُ أيضاً .
عَسْعَسَ الليلُ : أقبل ظلامُه ، قال الفرّاء (١٠٠) : أجمع المفسرون على أنَّ معنى عَسْعَسَ : أدْبَر (١٠١) .
أَمْرَسَ : مرسَ الحبلْ إذا وقع في أَحدِ جانبي البكرةِ مَرساً ؛ فإذا أعدتَه الى مجراه قلتَ : أمْرسْتُه ، وإذا أنشَبْته بين البكرةِ والقَعْوِ (١٠٢) . قلتَ : أمْرسْته ، وهو [٣ / أ] ضدٌ عن يعقوب (١٠٣) .

---

(٩٨) في الأصل : « الخوز » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، انظر : المزهر ٢٩٣/١ .
(٩٩) القاموس المحيط : مادة (الفوز) ١٨٦/٢ .
(١٠٠) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، من أئمة الكوفيين في النحو ، تلمذ للكسائي ويونس ، وأول من قعد لدرس تفسير القرآن ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ١٤٣ ومراتب النحويين ٨٦ والفهرست ٩٨ .
(١٠١) أضداد ابن الأنباري : ٣٢ .
(١٠٢) في الأصل : « القعر » بالراء المهملة ، وهو تحريف
(١٠٣) هو أبو يوسف يعقوب بن السكيت ، من كبار اللغويين الكوفيين ، تلمذ للفراء وأبي عمرو الشيباني ، توفي سنة ٢٤٤ هـ . انظر ترجمته في : تهذيب اللغة ٢٣/١ ونزهة الالباء ١٢٢ وتاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ . والمادة الضد في : اصلاح المنطق ١٩٦ — ١٩٧ .

الميعاسُ : الأرض التي لم تُوطأ ، والطّريقُ .
الوَضيسُ (١٠٤) : الفَقْرُ وما يريدهُ الإنسانُ .

— الشّين —

الرِّعْشيشُ بالكسر : الجبانُ ، والسّريعُ الى القِتال .
الرِّمشا [ءُ] : هي الرِّيشا [ءُ] أي الكثيرة العُشْبِ ، والجدْبةُ ؛ من صفاتِ الأرضِ .
الرَّوْش : الأكلُ الكثيرُ والأكلُ القليلُ (١٠٥) .
الفَيّاش : المتكبِّر المعجبُ ، والسّيدُ المِفْضالُ .
اهتَمشوا : أقبلوا وأدْبَروا .

— الصّاد —

قَلَصَ ماءُ البئرِ: ارتفعَ بمعنى ذهبَ ، وبمعنى تصعّدَ لجمومِهِ ، انتهى(١٠٦).

— الضّاد —

أَرِضَ : أبْطأَ وثقُل ، وعَدا [عَدْواً] (١٠٧) شَديداً .
غَرْضُ الحوضِ : ماؤهُ ، والنّقصان عن الملْءِ (١٠٨) .

---

(١٠٤) لعلها (الوكيس) أصابها التحريف ، انظر : القاموس المحيط ، (مادة الوكيس) ٢٥٨/٢ .
(١٠٥) في لسان العرب (روش) ٣٠٨/٦ : « ثعلب عن ابن الأعرابي : الروش الأكل الكثير . والورش الأكل القليل » .
(١٠٦) يبدو أنه استقى تفسير هذه المادة من مصدر دون ان ينص على ذلك ، ذلك أنه كسع النص بكلمة « انتهى » .
(١٠٧) سقطت هنا هذه اللفظة وصواب العبارة اثباتها : وفي اساس البلاغة : ٩ « وتأرض فلان : لزم الأرض فلم يبرح » .
(١٠٨) في الأصل : « عرض » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . وفي الأصل : « الملئ » خطأ ، والصواب ماأثبتناه ، انظر فيهما : المزهر ٣٩٣/١ .

ـ الطّــاء ـ

الأشراطُ : الأرذالُ والأشرافُ ، قال يعقوبُ : هذا الحرفُ ضدٌ (١٠٩) .

قَسَطَ : جارَ وعدلَ . حكى ابنالسّكيت في الأضداد عنأبيعبيدة (١١٠) :
وأقسَطَ بالألف : عَدلَ لاغير (١١١) .

هَبَطَ : قال المفصَّل : (١١٢) الهبوطُ الخروجُ عن البلدِ ودخولُها أيضاً ،
فهو من الأضدادِ ، من قطف الأزهار للسيوطي (١١٣) .

---

(١٠٩) اصلاح المنطق : ٦٨ .

(١١٠) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، اللغوي البصري ، صاحب التصانيف الشهيرة ، تلمذ لأبي عمرو بن العلاء ويونس ، ولد سنة ١١٠ هـ وتوفي في البصرة سنة ٢١٠ هـ . انظر ترجمته في : انباه الرواة : ٢٧٦/٣ ووفيات الاعيان : ٣٢٣/٤ ومعجم الأدباء: ٥٤/١٩ . ١٥٤/١٩ .

(١١١) الكلام بنصه في أضداد ابن السكيت ١٧٤ ولكنه غير منسوب إلى أبي عبيدة ، ولم ينسب اليه ايضاً في أضداد قطرب ٢٥٩ والأصمعي ١٩ وابن الأنباري ٥٨ وأبي الطيب ٥٩٤/٢ وابن الدهان ١٠٤ والصغاني ٢٤٢ . الا أن يكون قد أصاب العبارة في الأصل بعض التحريف ، إذ هي مثلا : « حكاه ابن السكيت في الأضداد . وعن أبي عبيدة ... » فحينئذ نقول إن كلام أبي عبيدة موجود في كتابه مجاز القرآن : ٨٤/١ ، ٩٠ ، ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١١٢) في هامش الأصل : « ط في المفصل » وكأنه تصحيح لما ورد في المتن ، فإن كان كذلك فلا وجود للمادة في المفصل للزمخشري ، وإن كانت الكلمة مصحفة عن (المفضل) بالضاد المعجمة ، فلا وجود لها أيضاً في كتاب (الأمثال) للمفضل الضبي ، ولا كتاب (الفاخر) للمفضل بن سلمة .

(١١٣) هو كتاب في التفسير ، وتمام اسمه « قطف الأزهار في كشف الأسرار » ويسمى أيضاً : أسرار التنزيل ، ويبدو أن نسخته الوحيدة محفوظة برقم (٤١) مراد بخاري في المكتبة السليمانية باستانبول . انظر : كشف الظنون ١٣٥٢ وبروكلمان (الملحق) ١٨١/٢ والسيوطي النحوي ١٢٩ . وأما صاحب الـكتاب فهو جـلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المؤلف المكثر المعروف ، ولد في القــاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفي فيها سنة ٩١١ هـ ، انظر ترجمته في : الضوء اللامع ٦٥/٤ وروضات الجنات ٤١٥ والسيوطي النحوي ٦١ .

– العين –

باعَ : بعتُ الشيءَ شريتُه ، وبعتُه أيضاً : اشتريته ، وفي الصحاحِ : شريتُ أي بعتُ في بُرد (١١٤) .

التلعةُ : ماارتفع من الأرض وما انهبطَ منها ، عن أبي عبيدة (١١٥) .

خلَعَ : ثوبَه . وعليه : أي أعطاه خلعةً .

الزَّمَعانُ محركةً : خفّةُ الأرنبِ وسُرعتُها ، والمشيُ البطيء . والفعلُ كمَنَعَ .

السّميعُ : السامعُ والمسمعُ .

طلَعَ عليهم : غابَ عنهم حتى لايَروْه ، وأقبلَ إليهم حتى يَروْه .

فَرعَ الجبلَ : صَعدَ ، وفي الجبلِ : انحدَرَ .

المفرع : المصْعِدُ في الجبلِ والمنحدِرُ .

الفزَعُ : الذُعرُ والغَوث .

أفزَعَ : الإفزاعُ الإخافَةُ والإغاثةُ أيضاً ، يقال : فزِعْتُ إليه فأفزَعني أيْ لجأتُ إليه من الفزع فأغاثني .

فزَّع فلاناً : [خوَّفه ، وعنه : كشفَ عنهُ الخوفَ .

أفزع إلى الحقّ : رجعَ وذَلَّ ، وامتنَعَ .

القنُوع] (١١٦) : هو السُّؤال والتذلّل ، قال أهل العلم : إنّ القنوعَ

---

(١١٤) في هامش الأصل : « والبرد بالضم : ثوب مخطط . ق » والقاف – كما يبدو – رمز للقاموس المحيط . ولا وجود لهذا التعليق في نص القاموس أو الصحاح . أما المادة نفسها فهي في : الصحاح ١١٨٩/٣ والقاموس المحيط ٨/٣ .

(١١٥) أضداد التوزي : ١٧٠ .

(١١٦) مابين معقوفين أي من كلمة « خوفه » إلى كلمة « القنوع » مما استدرك على الأصل في هامش المخطوطة .

قد يكون بمعنى الرِّضا ، فهو من الأضداد (١١٧) .

الإقناع : من الأَضْداد يكون رفعاً وخفضاً : (مُقْنِعي رُؤوسِهم) (١١٨) رافعيها .

أودَعَ : قال الكسائي (١١٩) : تقول أودعتُه مالاً إذا دفعته إليه يكون وديعةً عنده وأَوْدَعْتُها أيضاً إذا دفَع إليكَ مالاً يكون وديعــةً عندك وقبلتَها (١٢٠) . وهو من الأضداد .

— الفاء —

الخُلوفُ : حيٌّ خُلوفٌ أي غُيَّبٌ ، والحُضورُ المتخلِّفون .

خاف : بمعنى توقَّع ، من قولهم : أخافُ أَنْ يرسلَ السماء (١٢١) .

السُّدفةُ : الظُّلمةُ والضَّوْءُ ، ضدٌّ عند بعضِهم ، وبعضُهم يجعلُها اختلاط الظّلامِ والضَّوءِ كوقتِ ما بين طُلوعِ الفَجرِ إلى الإسْفار .

الشَّفُّ : هو الفَضْلُ والنُّقصانُ .

العَرْفُ : الرِّيحُ طيبةً كانتْ أو مُنْتِنةً ، يُقال : عَرْفُ المِسْكِ .

تنصّفَ : خَدم ، وفلاناً : اسْتخدَمَه .

توذَّفَ : وهو الإسْراعُ عن أبي عبيــدة (١٢٢) . ومرَّ يتوذَّفَ إذا مرَّ

---

(١١٧) أضداد الاصمعي ٤٩–٥٠ وابن السكيت ٢٠٢–٢٠٣ وأبي حاتم ١١٦–١١٧ والصغاني ٢٤٣ .

(١١٨) آية : ٤٣ من سورة ابراهيم، وتمامها : (مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد اليهم طرفهم) .

(١١٩) هو علي بن حمزة الكسائي ، مؤسس مذهب الكوفيين في اللغة والنحو ، صاحب قراءة سبعية ، تلمذ للخليل وتلمذ له الفراء ، ولد في الكوفة ، وتوفي في الري سنة ١٨٩ هـ ، انظر ترجمته في : غاية النهاية ٥٣٨/١ والنشر ١٧٣/١ وبغية الوعاة ٣٤٧ .

(١٢٠) المزهر : ٣٩١/١ .

(١٢١) الظاهر أنه قول اصطنعه المؤلف يمثل به .

(١٢٢) الصحاح : مادة (وذف) ١٤٣٨/٤ وانظر : العباب الزاخر (حرف الفاء) : ٦٢٨ .

يقــاربُ الخطوَ ويحرك منكبَيه ، من الصِّحاح (١٢٣) ؛ وفيه ابطاءٌ .

اليَهْفوفُ : الجَبانُ ، ويقال : الحَديدُ القَلْبِ . من الصِّحاح (١٢٤) .

– القاف –

المجانيق (١٢٥) : الإبِلُ الضُمَّر والسِّمانُ .

دَهَقَ الكأسَ : مَلأه (١٢٦) ، وكأسٌ دِهاقٌ . والماءَ : أفرغَه .

رنَّقَ الماءَ : كدَّره وصَفّاه .

سبَّقْتُه بالتَّشديدِ : أخذتَ منه السَّبَق ، وهو الذي يتراهنُ عليه المتسابقانِ . وسبَّقْتُه أيضاً: أعطيتَه السَّبَق . قال الأزهريُ (١٢٧): وهذا من الأضداد (١٢٨) .

صفقَ [٣ / ب] البابَ : ردَّه وأغلقَهُ ، وفتَحَهُ .

المفرِقُ كمُحسِن : القليلُ اللَّحِم والسَّمينُ .

فَوْق : بمعنى دُون (١٢٩) . (بعوضَةً فما فوقها) (١٣٠) .

---

(١٢٣) الصحاح : مادة (وذف) ١٤٣٨/٤ .

(١٢٤) الصحاح : مادة (هفف) ١٤٤٣/٤ وانظر : العباب الزاخر (حرف الفاء) : ٦٥٨ .

(١٢٥) في الأصل : « المحانيق » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، على ماوجدناه في المزهر : ٣٩٤/١ منقولا عن المجمل لابن فارس .

(١٢٦) ذكر (الكأس) والفصيح تأنيثها . انظر : القاموس المحيط : مادة (الكأس) ٢٤٤/٢ .

(١٢٧) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي الشافعي ، لغوي مشهور ، ولد سنة ٢٨٢ ، تلمذ لنفطويه وابن السراج والبنوي ، توفي في هراة سنة ٣٧٠ هـ . انظر ترجمته في معجم : الأدباء ١٧ / ١٦٤ وطبقات الشافعية ١٠٦/٢ وبغية الوعاة ٨ وشذرات الذهب ٧٢/٣ .

(١٢٨) تهذيب اللغة : مادة (سبق) ٨ / ٤١٧ .

(١٢٩) في هامش الأصل : « قف على فوق بمعنى دون » .

(١٣٠) آية : ٢٦ من سورة البقرة . وتمامها : (إن الله لايستحيي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) .

لمقَ الشّيءَ يَلْمُقُه لمَقْاً : كتبَه في لغة عقيل ، ومحاهُ في لغة بني قَيْس ، ولعلّه لغةٌ في نَمَقَ (١٣١) على أنَّ اتحادَ اللغة شرط في الأضداد (١٣٢) .

– الكاف –

البَكُّ : هو التّفريقُ والازْدحامُ ، كأنّه ضدٌّ .

– اللاّم –

البَسْلُ : الحرامُ والحَلالُ .

الجلَلُ : العَظيمُ والصّغيرُ .

حالَ في مَتْنِ فَرسِه : وثَبَ ؛ وعَنْهُ : سَقَطَ واستوى على حالِ مَتْنِه.

أَرْعَله : نشّطه ؛ ومن مكانه : أزْعَجَهُ .

الشّمْلُ : ما تشتّتَ من الأمر ، جمعَ اللهُ شمْلَه . وما اجْتَمَعَ منه ، فرَّق اللهُ شَمْلَه (١٣٣) .

الكلُّ بالضّمّ : اسْمٌ لجميع الأَجْزاء ، وقد جاءَ بمعنى بَعْضٍ (١٣٤) .

كلّلَ في الأمر : جَدَّ ؛ وعن الأمرِ : جبُنَ وأَحجمَ ، ضدٌّ .

مثَلَ مثولاً : انتصبَ قائماً وزالَ عن موضعِه ، وتمثّل مثله . وفي الصِّحاح : لطِئَ بالأرضِ ، وهو من الأضداد (١٣٥) .

تمهّلَ : إتّأدَ وتقدّمَ .

---

(١٣١) انظر : أضداد قطرب ٢٧٠ والاصمعي ٤٠ والتوزي ١٧٠ وابن السكيت ١٩٣ وأبي حاتم ١٠١ وأبي الطيب ٦١٤/٢ والمزهر ٣٩٠/١

(١٣٢) في هامش الأصل : « كما تقدم في حرف البـاء » يشير إلى ماذكره في مادة (شعب) من شرط اتحاد اللغة في الضد .

(١٣٣) جمع الله شمله : جملتان مثل بهما للمعنيين .

(١٣٤) في هامش الأصل : « قف على : وقد جاء الكل بمعنى البعض » .

(١٣٥) الصحاح : مادة (مثل) ١٨١٦/٥ .

النَّبَلُ : الكبارُ والصغّارُ .
انتبَلَ : ماتَ ، وقَتَلَ .
النَّجلُ : يُطلقُ على الولدِ والوالد ، فهو من الأضداد ، من نَواهد الأَبكار للسّيوطي (١٣٦) .
نَصَلَ(١٣٧)السّهْمُ : إذا خرج منه النّصْلُ ،وإذا ثبتَ نصلهُ فلم يخرجْ.
نصّل بالتّشديد : نزعَ النّصْلَ وركّبَه .
النّاهلُ : الرّيّانُ والعطْشانُ .

– الميم –

الجُعْشُم كقُنفُذٍ وجُندَبٍ : القصيرُ الغَليظُ والطّويلُ الجسيمُ :
الحَميمُ : الماءُ الحارُّ ، واستحمَّ به اغتسل ؛ والماءُ الباردُ ، ضدٌّ .
الأُدْمُ (١٣٨) : الأَسْودُ من كلِّ شيءٍ والأبيضُ .
الأَدْهمُ : الأسْودُ ، والجديدُ من الآثارِ ، والقديمُ الدّارسُ .
السّليمُ : ويُطلقُ على اللّديغِ تفاؤلاً بسلامتِهِ .
سامَ البائعُ السِّلْعَةَ : عرَضها للبيع ، وسامَها المشتَري (١٣٩) .
الشّمَمُ محركةً : القُرْبُ والبُعْدُ .

(١٣٦) كتاب في التفسير أيضاً ، وتمام اسمه « نواهد الأبكار وشوارد الأفكار » وضع في التعليق على تفسير البيضاوي ، منه نسخ مخطوطة . انظر : السيوطي النحوي ١٢٨ .
(١٣٧) في الأصل : « فصل » بالفاء المعجمية ، وهو من خطأ النسخ ، يؤيد ذلك الترتيب الهجائي للمواد . وانظر المزهر : ٣٩٣/١ .
(٣٨) في الأصل : « الأجم » بالجيم المعجمة ، وهو تحريف ، إذ لاوجود لهذه المادة بهذين المعنيين في المعجمات اللغوية ، والتصويب من الصحاح : مادة (مادة أدم) ١٨٥٩/٥ .
(١٣٩) في هامش الأصل : « قف على : سام البائع السلعة . . الخ » .

شامَ السَّيفَ شَيْماً : أغمدَهُ وسلّهُ ، وهو من الأضداد ، من إصلاح المنطق (١٤٠) .

الصّريمُ : هو اللّيلُ المظلم والصُّبحُ .

الغريمُ : الّذي عليه الدَّيْن ، وقد يكون للّذي له الدَّيْنُ .

قامَتْ السوقُ : نَفَقَتْ وركدَتْ .

– النون –

البَنّةُ : الرِّيحُ الطَّيِّبةُ والمُنْتِنَةُ ، من القاموس (١٤١) .

بَيْن : للقَطعِ وللوَصْلِ .

الجَوْنُ : الأبيضُ والأسودُ ، والجَوْنةُ الشّمسُ . قال :

تُبادرُ الجَوْنَةَ أنْ تَغيبا (١٤٢)

دُون : بمعنى فَوْق : في الأساس (١٤٣) : هذا دونَ ذلك أي أخَسُّ منه وأدنى منْزِلَةً ، ودونَه خَرطُ القَتادِ أيْ أمامَه ؛ وجَلَسَ دونَه أي تحتَه (١٤٤) .

المُنّةُ : القُوَّةُ والضَعْفُ .

---

(١٤٠) اصلاح المنطق : ١٦ .

(١٤١) القاموس المحيط : مادة (البنة) ٢٠٣/٤ .

(١٤٢) الرجز للخطيم الضبابي في اللسان ٢٥٦/٦ ، ودون عزو في أضداد الاصمعي ٣٦ والتوزي ١٦٨ وابن السكيت ١٩٠ وابن الانباري ١١٣ وأبي الطيب ١٥٦/١ . والمشطور المستشهد به هنا ملفق من مشطورين مرويين في هذه المصادر هما :

يبادر الآثار أن تؤوبا وحاجب الجونة أن يغيبا

(١٤٣) أساس البلاغة : ٢٨٩ .

(١٤٤) في هامش الأصل : « قف على دون بمعنى فوق وبمعنى أمام » .

— الواو —

الرَّتْوُ : الشَّدُّ والإرْخاءُ .

الرَّجاءُ : هو الأمَلُ والخَوْفُ .

الرَّهْوَةُ : المكانُ المرتفعُ والمنخفضُ ، كالرَّهوِ فيهما (١٤٥) .

— الهاء —

النَّبَهُ : يقال للضائع نَبَهٌ ، وللموجود نَبَهٌ .

— الياء —

الجادِي : السّائل والمُعْطي .

أخفى الشَّيءَ : كتَمهُ وأظهرَهُ . (أكاد أُخْفِيها) (١٤٦) .

الدَّواعي : البَواعثُ وصُروفُ الدَّهرِ .

أرْأى إرْءاءً : صارَ ذا عَقْلٍ ، وتبيّنَتْ الحماقَةُ .

الرِّداءُ : العَقْلُ والجهلُ ، ومازانَ وماشانَ .

الزُّبْيَةُ : الرّابيَةُ لايعلوها ماءٌ ، وحُفْرةُ الأسَدِ .

سَواؤُهُ (١٤٧) : أي نفسُه وغيرُه .

---

(١٤٥) في الأصل : « الزهوة » و « الزهو » بالزاي المعجمة ، وهو تصحيف ، وعلى ذلك كتب اللغة ، انظر مثلا : أضداد التوزي ١٧٠ والمزهر ١/٣٩٠ .

(١٤٦) آية : ١٥ من سورة طه . وتمامها : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) .

(١٤٧) في الأصل : « جاني سواؤه » ولا معنى للكلمة الأولى ولا مسوغ لوجودها هنا ، حتى ان الناسخ عجب منها فكتب في الهامش « كذا في الأم » .

أَشْبى فلاناً : أَلْقاهُ في مكروهٍ ، وأَكرَمَهُ .
الشّرى (١٤٨) : رذالُ المالِ وخيارُه ، جمع شراة .
شَرَى الشّيءَ : باعَه . (وشرَوْه بثمنٍ بخْسٍ) (١٤٩) . وفي الصّحاح : شَرَيْتُ أَيْ بِعْتُ في بردٍ (١٥٠) ، واشْتَراهُ (١٥١) .
أَشْكاهُ : حملَهُ على الشّكايةِ ، وأَزالَ [٤ / أ] شَكواهُ .
عَفا: دَرَسَ ،ومنه العَفْوُ وهو محوُ الجرِيمةِ ،وكثرُ. (حتّى عفوا)(١٥٢)
غبّيتُ الكلامَ ، وغبّى عني .
ليلةٌ غاضيَةٌ (١٥٣) : أي مُظلمةٌ ومضيئةٌ .
القَصِّيَة : النّاقةُ الكريمةُ النّجيبةُ ، والرَّذِلةُ .
القفْوَةُ : الخيرَةُ والتّهمة ، فلانٌ قفوتي أي خيرَتي وتُهمتَي .
أكْرى : زادَ ونَقَصَ .
انْتَدى القومُ وتنادَوْا : اجْتَمعوا ، والشّيءُ : تفرَّقَ .

---

(١٤٨) في الأصل : « الشرا » بالألف ، والصواب ماأثبتناه . انظر : المزهر ٣٩٤/١ .
(١٤٩) آية : ٢٠ من سورة يوسف ، وتمامها « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » .
(١٥٠) في هامش الأصل : « أي ثوب مخطط » في شرح (برد) التي وردت في المتن . ولا وجود للكلمة في نص الصحاح .
(١٥١) الصحاح : مادة (شرى) ٦ / ٢٣٩١ .
(١٥٢) آية : ٩٥ من سورة الأعراف ، وتمامها : (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا) .
(١٥٣) في الأصل : « ليلة فاجعة » وهو تحريف ، والصواب ماأثبتناه ، يدل عليه الباب الذي فيه المادة وهو الياء ، وانظر : المزهر ٣٩١/١ .
(١٥٤) في هامش الأصل : « قف على وراء بمعنى قدام » . وفي هامش آخر : « ومن ورائه عذاب ، أي قدامه » يشير إلى قوله تعالى : (ومن ورائه عذاب غليظ) آية : ١٧ من سورة ابراهيم .

وراءَهُ : خلفَهُ ، وقد يكون بمعنى قُدام (١٥٤) . (وكـانَ وراءَهـم مَلكٌ) (١٥٥) .

وَلّى : أقبَلَ وأدْبرَ .

الوَنيُّ كغنيّ : التعَبُ والفَتْرةُ ، [والنّشاطُ] (١٥٦) .

هَوِيَ من الجبلِ : سَقَطَ ، وإلى الجبلِ : صَعدَ ، واللهُ أعلم .

تمّت رسالة الأضداد بعون الله تعالى مع إشكالات كثيرة ، ونرجو من الله تعالى تصحيحها بنسخة صحيحة (١٥٧) .



(١٥٥) آية : ٧٩ من سورة الكهف ، وتمامها (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) .

(١٥٦) زيادة يستدعيها السياق ، إذ أخل الأصل بذكر المعنى المضاد في هذه المادة ، وهو مستفاد من قولهم : ونى الرجل الكم ونياً : شمره . القاموس المحيط ٤٠٢/٤ .

(١٥٧) يشير الناسخ إلى أخطاء النسخ في هذه الرسالة معترفاً بكثرتها ، موحياً أنها من الأصل الذي نسخ منه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم

التقرير السنوي العام لرئيس المجمع العلمي العراقي عن اعمال المجمع العلمي العراقي لدورته سنة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤

الزملاء السادة اعضاء المجمع العلمي العراقي

تابع المجمع العلمي العراقي اعماله لتحقيق الاهداف التي رسمها القانون واتم منجزات لم تؤثر عليها الاحوال العامة التي فرضها التحدي الباغي لخصم الامة العنود الذي لم يستجب لنداءات السلام الموجهة اليه من جهات دولية وعلمية متعددة ، وقد فقد المجمع خلال هذه الدورة اثنين من اعضائه هما الاستاذ طه باقر ، نائب الرئيس الاول ، والدكتور فخري محمد صالح ، كما فقد الدكتور عبدالرزاق محيىالدين الخبير في لجنة الاصول ورئيس المجمع السابق ، والدكتور سليم النعيمي الخبير في لجنة الاصول وعضو المجمع السابق . وانتقل الى جوار ربه المرحوم الاستاذ توفيق وهبي عضو المجمع الاسبق وكان لفقدانهم وقع اليم في نفوس الاعضاء وخسارة كبيرة للعلم والفكر . وقد عقد مجلس المجمع جلسات خاصة لتأبينهم ، فوقفوا حدادا وقرأوا الفاتحة على ارواحهم ، والقى عدد من الاعضاء كلمات اشادوا فيها بخدمات المرحومين ، وتقرر طبع هذه الكلمات في اول عدد يصدر من المجلة ، كما عممت رئاسة المجمع خبر وفاتهم على الجهات المعنية ، ووصلتها برقيات ورسائل بتعزياتهم . تغمد الله من فقدنا برحمته واسكنهم فسيح جناته وجعل في الباقين خلفا يتابعون العمل في تأدية رسالة المجمع .

ديوان الرئاسة

عقد ديوان الرئاسة في المجمع خلال الدورة الحالية ثماني جلسات نظر فيها في خطط عمل المجمع ، واصدر ضمن اختصاصه قرارات تتعلق ببعض الامور المالية والميزانية ، والمكافآت ، وشراء مخطوطات ، والطبع وشطب الاثاث المستهلك ، وتنظيم ما يتعلق بهيئتي اللغة الكردية واللغة السريانية ، كما اقر الخبراء الذين اوصت اللجان بالاستعانة بهم في عملها .

جلسات المجلس واقرار المصطلحات :

تابع مجلس المجمع عقد جلساته ايام الثلاثاء من كل اسبوعين ، وبلغ مجموع عدد جلساته في هذه الدورة ثماني عشرة جلسة شارك في كل منها عدد من الاعضاء بمناقشة ما يعرض على المجلس . وقد خصصت معظم الجلسات لمناقشة واقرار المصطلحات التي اعدتها اللجان في مواضيع اختصاصها ، وسار العمل في ذلك وفق الاساليب والطرق التي اقرها المجلس حيث تقوم كل لجنة باعداد المصطلحات العلمية المتصلة باختصاصها مستعينة بالمعاجم وبالانجازات المماثلة من المؤسسات الاخرى في الوطن العربي . وتستفيد هذه اللجان من علم الخبراء الذين تختارهم من ذوى الاختصاص في الموضوع وفي اللغة العربية . وبعد اكمال اعداد مقدار مناسب من المصطلحات في جانب من جوانب العلم المعين ، يتم طبع نسخ منها طبعة تمهيدية توزع على الاعضاء لدراستها وابداء ملاحظاتهم ، ثم ترسل الملاحظات الى اللجنة المختصة لدراستها والاخذ بما تراه ، وتعرض بعد ذلك على المجلس ليناقشها في جلسة يعقدها بعد ما لا يقل عن اسبوعين من توزيعها على الاعضاء . وقد قرر المجلس ان تقتصر المناقشات فيه على المصطلحات التي يثار عليها الاختلاف بين اللجنة وملاحظات الاعضاء ، غير انه كثيرا ما تجرى استطرادات في المناقشة تستغرق وقتا غير قليل .

وبعد اتمام اقرار المصطلحات يطبع منها خمسة الاف نسخة ، يضم الفان منها مع بعضه ليصدر في مجلد يوزع على الجهات المعنية ، ويحتفظ بالباقي لحين اكمال المصطلحات الاخرى في الموضوع ، ولتصدر بشكل كتاب مستقل يضم مصطلحات كل علم من العلوم التي اعدت مصطلحاتها .

وكان قد تم في السنة الماضية نشر مجلد يضم مجموعة من مصطلحات الفيزياء وعلم الاحياء ، والهندسة المدنية ، والري والبزل ، وعلم الغابات ، وعلم النفس والامراض العقلية ، مما اقره المجلس .

وقد اقرت خلال الدورة الحالية مجموعة من مصطلحات عدد من العلوم وهي تشمل الكيمياء التحليلية (١١٠٠) ، والفيزياء (١٤٢٠) ، وعلم الحيوان (٨٠٠) والتربية (٤٦٨) ، والهندسة (٤٠٠) والمراعي (٢١٠٠) . وقد تمت المراحل الاولى لطبعها ، والمؤمل صدور كل منها بفصل مستقلة ، وكتاب يضم مجموع هذه المصطلحات .

وقد تابعت اللجان المختصة اعمالها في اعداد المصطلحات تمهيدا لعرضها على المجلس في دورته المقبلة ، فبالاضافة الى المصطلحات التي تم اقرارها واعدت للطبع ، اتمت لجنة القانون قرابة ٣٠٠ مصطلح قانوني مع تعريفاته ، واتمت لجنة التربية اعداد حوالي ٧٠٠ مصطلح ، ولجنة الطب وعلم الحيوان ١١٠٠ مصطلح ، ولجنة الكيمياء اكثر من ٢٥٠٠ مصطلح في الكيمياء النووية ولجنة علم النفس ٧٥٠ مصطلحا ، ولجنة الفيزياء ١٢٠٠ مصطلح ، ولجنة الرياضيات ٧٥٠ مصطلحاً ، ولجنة الزراعة ١٥٠٠ مصطلح في التربة والبستنة ولجنة الهندسة ٤٥٠ مصطلحاً .

ابحاث ودراسات في المجلس وفي اللجان :

ونظر المجلس بالاضافة الى المصطلحات في عدد من المواضيع الاخرى فعقد جلسات تأبينية للراحلين من اعضائه وخبراء لجانه ، وناقش كتبا وردت

من المنظمة العربية للتربية والفنون والعلوم عن اسماء الاشهر الشمسية وعن المقابل العربي للحروف اللاتينية ، واستمع الى عرض عن العيد الخمسيني والمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة •

وعنيت عدة لجان بدراسة جوانب تتصل باختصاصاتها ، فأجابت لجنة اللغة العربية على اكثر من ثلاثين رسالة احيلت اليها من رئاسة المجمع حول تسميات بعض المؤسسات التجارية ، وجردت ثلاثة وثلاثين مصطلحا في الحضارة واعدت دراسة عن اسماء اشهر السنة الشمسية ، وعن المقابل اللاتيني للحروف العربية وعن شكل الارقام الواجب تعميم استعماله في اقطار الوطن العربي •

ودرست بالاضافة الى ذلك المصدر الصناعي لبعض التعابير ، واللواحق والكواسع ، والموالية السلالات ، وبعض قواعد وضع المصطلحات ، كما خصصت عددا من اجتماعاتها لدراسة بعض قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة •

ودرست لجنة الاصول ضمن نطاق الخطة التي وضعتها عدة قضايا منها عود الضمير على كل مضاف الى المعرفة ، وبعض صيغ الكثرة بالعربية وامور تتعلق بـ « سبق وان » ، وتاء التأنيث وضبط المضارع الثلاثي ، ولفظة احد وكل الناس ، وما يجمع بالالف والتاء ، وجمع فعلاء ، وما يجمع جمع مؤنث سالم وتثنية وجمع المصادر ، وصيغة فعلاء ، واسماء الجهات • وكان اساس المناقشة فيكثير من هذه المواضيع مذكرات فيها دراسات دقيقة لكل موضوع•

وعالجت لجنة التاريخ العربي عددا من القضايا المتعلقة بميدان دراسة التاريخ ، ومنها صعوبات تتبع صدور ما يستجد من المطبوعات ، والطرق الممكن التغلب بها على هذه الصعوبات • وعالجت ايضا مظاهر عناية الاقدمين بفكرة التعاقب الزمني في العهود الاسلامية الاولى ، ودرست تطور استعمال مصطلح « التاريخ » في كتب الوفيات وفي الحوادث السياسية والعسكرية ،

وظهور فكرة التعاقب الزمني في دراسة مغازي الرسول ، وسيرته • وخصائص المؤلفات الاولى وميادين اهتمامها واساليب تأليفها ، ومدى عناية المؤلفات التاريخية بالاسانيد واعادة المؤلفين كتابة مؤلفاتهم ، ونقل المتأخرين بعض مؤلفات الاوائل •

ودرست ايضا اهمية المنسوجات في الحضارة الاسلامية بما في ذلك الفرش والرياش والاثاث والالبسة وعلاقتها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وتمايز الطبقات وتطرقت الى المواد المستعملة في المنسوجات •

ثم درست مصادر دراسة المنسوجات بما في ذلك المصادر الادبية ، والمعاجم وكتب الحديث ، والفقه ، الرجال ، والنقوش والتصاوير، والدراسات الحديثة التي تشمل المعاجم العامة والدراسات الخاصة المقتصرة على الالبسة•

وبحثت اللجنة ايضا تطور الدراسات الفقهية في القرن الثاني الهجري واهمية ما دونه الفقهاء الاولون ومكانة كتب الفقه من الفكر الاسلامي ، واهمية معلوماتها في دراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وعلاقته بتطور علم الحديث • وبحثت ايضا مدى الافادة من كتب الفقه المتأخرة في دراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وعلاقة القضاة بالمدارس الفقهية ، والالفاظ القرآنية في الحكم والقضاء والولاية •

ودرست لجنة التراث العلمي العربي مكانة كتاب الفهرست لابن النديم وكتاب نزهة الارواح للشهرزوري ، في دراسة تاريخ العلوم العربية ، كما درست اهمية الدراسات الحديثة في توضيح معالم العلوم العربية ومكانتها •

وقدمت دراسات عن هرمس وجالينوس وابقراط وابن رضوان وعطارد•

واجريت دراسات عن مكانة الطب الاغريقي والسرياني ، وعن مدى اسهام اللغة السريانية بتطور العلوم العربية ، وخاصة في العراق •

كما جرت مناقشات حول موقف العرب من دراسة العلوم ، وشمل ذلك

موقف القرآن الكريم ، والاسلام ، والخلفاء ، وكبار رجال الدولة والوجهاء ، وجمهور الناس •

ونوقشت دلالة نسبة العلماء الى اصولهم التي نشأوا فيها وعلاقة ذلك بالاماكن التي استمدوا منها ثقافتهم ، والمراكز الاولى للدراسات العلمية في الدولة الاسلامية •

وخصصت عدة جلسات لدراسة عوامل بطء البحث العلمي بالمستوى الرفيع ، وسبل معالجة ذلك كيما يقوم العرب بدور بارز في مسـيرة التقدم العلمي وفي نهوض الامة •

وناقشت اللجنة تقارير عن عدد من المواضـيع قدمها كل من الدكتور كمال توفيق ، والدكتور عماد عبدالسلام والمرحوم الدكتور فخري الدباغ ، والدكتور يوسف حبي •

اعمال هيئة اللغـة الكردية :

تقوم كل من هيئة اللغة الكردية وهيئة اللغـة السريانية بتنظيم اعمالها والاشراف على اعمال لجانها ، وتعرض على ديوان الرئاسة ما يتطلب عرضـه عليهـا •

عقدت هيئة اللغة الكردية سبع اجتماعات اصدرت فيها قرارات في طبع عدد من الكتب المقدمة اليها ، كما قررت العمل على وضع معجم عربي كردي ، وادخلت تعديلات في بعض اللجان ، فقررت الغاء لجنة الادب والتراث ، ولجنة المجلة ، ليحل محلهما لجنة قواعد اللغة ، ولجنـة المصطلح الكردي • وتولي رئاسة المجمع توصيات الهيئة بطبع الكتب عناية خاصة ، وتعمل على الاستجابة لها بالسرعة الممكنة وضمن الامكانيات •

انجزت لجنة المصطلح الكردي قرابة الف مصطلح •

وقامت لجنة قواعد اللغة الكردية بدراسة عدد من المسائل الخلافية بين المعنيين بالنحو الكردي وخاصة فيما يتعلق بالاصوات واختلاف اللهجات فيها، وبناء الكلمة البسيطة والمشتقة والمنحوتة والمركبة ، وصياغة الجمل .

اعمال هيئة اللغة السريانية :

وعقدت هيئة اللغة السريانية اربع جلسات ثبتت فيها لجان الهيئة وهي لجنة اللغة والتراث ، ولجنة المعجم ، واوصت بشراء آلة طابعة سريانية وتصوير بعض المخطوطات للعمل على اعدادها للنشر ، كما اوصت بطبع بعض الكتب المتصلة بمهمات الهيئة .

ووضعت لجنة اللغة السريانية خلال اجتماعاتها ثمانية واربعين مصطلحا سريانيا في الالات ، وثلاثة عشر مصطلحا في اسماء الادوية المفردة .

وتابعت لجنة المعجم دراسة اعداد معجم للأدب السرياني ، فاختارت موادّ تتعلق بحرف الالف ، وسمت من تسند اليهم كتابتها تمهيدا لمفاتحتهم لانجاز ذلك .

وقررت لجنة المعجم ايضا متابعة العمل في اعداد معجم عربي سرياني ، مسترشدة بعدد من المعاجم السريانية المعتمدة .

طبع الكتب ونشرها :

يدرك المجمع اهمية النشر في التعبير عن اعمال المجمع واداء اغراضه وتوسيع رسالته . ان تحقيق ذلك يستلزم اختيار ما ينشر ، والعمل على نشره بالصورة اللائقة وبالسرعة الممكنة . وقد اولت لجنة التأليف والترجمة والنشر في المجمع وهيئتيه امور النشر عناية خاصة ، فتمت دراسات عن ما ينبغي نشره تحقيقا وتأليفا وترجمة ، وجعلت لاعمال الاعضاء مكانة في نشر ما يقدمونه مباشرة ، ويسرت نشر الانتاج العلمي المحقق لاغراض المجمع مما يقوم به افراد من غير اعضاء المجمع بعد الاسترشاد بتقارير خبراء من اعضائه .

حرصت اللجنة خلال هذه الدورة على نشر ما يتعلق بتاريخ بغداد مما تم بحثه واقراره وجمعه في السنوات السابقة تمهيدا لعقد ندوة في الموضوع وقد نشر في ذلك كتابان ، ويجرى العمل في نشر عدد من الكتب والدراسات المؤلفة والمترجمة والمحققة في هذا الميدان ، وذلك لاظهار مميزات هذه المدينة العظيمة واسهامات اهلها في الحضارة العربية والاسلامية .

المطبعة :

كان تأثير متطلبات الحرب على المطبعة اوسع مما على اية شعبة من شعب المجمع ، فقد استوجبت متطلبات الدفاع عن ارض الوطن ان التحق في جبهات القتال سبعة من منتسبيها ، جلهم من ذوى الخبرة الفنية ، وقد تمت معالجة بعض هذا التأثير باستخدام عمال بعقود موقتة ، وبالعمل خارج اوقات الدوام، وبادراك العاملين فيها باهمية عملهم ، واحساسهم الوطني ، امكن انتاج مقدار يفوق ما تنتجه مثيلاتها في المؤسسات الحكومية الاخرى ، علما بأنه اوقفت الاستعانة بالمطابع الاخرى لطبع منشورات المجمع . ويبلغ عدد الموظفين العاملين حاليا في المطبعة احد عشر عاملا ، وعدد العمال المستخدمين بعقود اربعة .

ولغرض زيادة مقدار انتاج المطبعة تقرر الاقتصار على طبع منشورات المجمع فقط ، وان ينظم العمل باعداد مجموعة مطبوعات يطلب من المطبعة ان تنجزها خلال مدة معينة تتناسب مع كمية المطلوب وكفاءة العمل . وتقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بهذا التنظيم مراعية متطلبات هيئتي اللغة الكردية واللغة السريانية ، وتعطي الافضلية لطبع المصطلحات ، ثم المجلة ، ثم الكتب المقرر طبعها تبعا للقرار الذي تتخذه لجنة التأليف . وقد يسر تطبيق هذه التنظيمات عمل المطبعة ، مما يحدونا بمتابعة السير بموجبه في المستقبل .

انجزت المطبعة خلال الدورة الحالية اربعة من الكتب التي اوصت لجنة

التأليف والترجمة والنشر بطباعتها ، هي : معجم المصطلحات البلاغية ، ومخطوطات المجمع العلمي العراقي ، وخطط بغداد في العهود العباسية الاولى، وخطط بغداد في القرن الخامس الهجري . وطبعت من الكتب التي تقرر طبعها بناء على توصية هيئة اللغة الكردية صناعة النقد ، ومجلس الادباء ، وحياة المرأة الكردية والمرزا عبدالقادر . ويبلغ عدد ملازم هذه الكتب ١٤٥ ملزمة .

وانجزت طبع الاجزاء الاربعة من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع ، كما انجزت العدد السابع من المجلة الخاص بالهيئة السريانية ، ويبلغ مجموع عدد ملازمها ١٠٦ ملزمة وتعتمد المجلة بالدرجة الاولى على ما يكتبه الاعضاء من ابحاث وما يقدم اليها من نصوص تحقق اهداف المجمع ، ونأمل ان يزداد اهتمام الاعضاء بتقديم البحوث العلمية والتراث .

وتم طبع جزءكبير من الكتب التالية : الجزء الثاني من مجموعة المصطلحات العلمية التي اقرها المجمع ، والجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المجمع العلمي ، والمجلد الحادي عشر من المجلة الخاص بالهيئة الكردية ، بالاضافةالى درر العقود الفريدة ، واطراف بغداد ، و «اللغة القوميةالكردية».

وقد تم اعداد قائمة بثمانية كتب لتقوم المطبعة بطبعها خلال اشهر الصيف.

الشعبة الفنية والاستنساخ :

واجهت الشعبة الفنية عددا من العقبات ، منها التحاق اثنين من العاملين القليلين فيها بالجبهة ، واحالة مديرها على التقاعد لبلوغه السن القانونية ، والتعطيل الذي يحدث في اصلاح اجهزتها الفنية ، وقد امكن التغلب على كثير من هذه العقبات ، باستمرار مديرها في العمل بموجب عقد ، وحرص العدد القليل القائم باعمالها على العنايات بالاجهزة ومتابعة اصلاحها ، والعمل على استجابة متطلباتها .

وقد اتمت الشعبة الفنية خلال الدورة الحالية استنساخ ١٢٥٠٠ ورقة

ونقلت من الرقيقات الى الورق ٦٤٢٧ ورقة ، وصورت بالمايكروفلم ٢١٢٣ لقطة وتشمل هذه المنجزات متطلبات اعمال اللجان ، وتصوير عدد من المخطوطات والكتب المهمة النادرة النسخ لمكتبة المجمع ، ولبعض الباحثين وفق الانظمة المقررة ، كما صورت لعدد من المؤسسات والجامعات العربية كتبا ومخطوطات تضمها مكتبة المجمع •

المكتبة والمخطوطات :

تابعت رئاسة المجمع العناية بالمكتبة بما يتناسب مع اهميتها في الاعمال العلمية والفكرية للمجمع وللباحثين من ابناء الامة ، وبالنظر لتزايد عدد الكتب والدوريات والمطبوعات فقد خصص جناح من القاعة العامة للكتب الاجنبية والكتب المتعلقة بالمصطلحات ، ويجرى العمل على اعداد فهارس لهذه الكتب، تنظم على الاسس العلمية الحديثة التي تساعد الباحثين • وقد زود هذا الجناح بالخزانات اللازمة والاثاث الميسر للباحثين العمل فيه •

تم بذل جهود للتغلب على العقبات المعرقلة للحصول على الكتب والدوريات المتصلة باعمال المجمع واهدافه • وقد افادت المكتبة مما تحصل عليه من المطبوعات التي تزودها بها المؤسسات الجامعية في الاقطار الاخرى على سبيل الاهداء والتبادل •

وتم شراء ما يتيسر من الكتب في العراق لاكمال ما ينقص المكتبة وتمكينها من مواكبة التقدم الفكري ، وقد اضيف خلال الدورة الحالية اكثر من خمسمائة كتاب ، وعدد من الدوريات• ويبلغ المجموع الكلي لكتب المكتبة حوالي ستين الف كتاب بالعربية وعشرة الاف باللغات الاجنبية ، وتضم شعبة المكتبة في الهيئة السريانية حوالي الفين وخمسمائة كتاب ، اما شعبة المكتبة في الهيئة الكردية ففيها اكثر من عشرة الاف كتاب باللغة العربية ، وباللغات الشرقية والاجنبية •

وتضم المكتبة عددا كبيرا من مجموعات الدوريات والمجلات العربيـة والاجنبية والصحف العراقية ٠

ضمت الى كتب المكتبـة المجموعة التي تفضـل باهدائها مشكورين ورثة المرحوم المحامي محمود نديم اسماعيل ٠ وافردت لها خزانات خاصـة تحمل اسمه ويجرى اعداد فهارسها على الاسس الحديثة ٠

وقد شارك المجمع العلمي العراقي في معرض الكتب الذي اقيم ببغداد ، ويسر بيع كتبه للطالبين ٠

اما المخطوطات فقد اضيفت الى شعبتها ست عشرة مصـورة بالعربية وخمسين رقيقة ، بالاضافة الى ست عشرة رقيقة بالسريانية ٠

وحصل المجمـع على مجموعة كبـيرة مـن الكتب المفككة والاوراق المخطوطة ويجرى العمل على تنسيقها ودراستها ، وتظهر الاستطلاعات الاولية ان فيها عددا من المخطوطات المهمة ، وبعض المخطوطات الفريدة ٠

وحصل المجمع على ما يقارب المائة مخطوط من هدية عائلة المرحـوم محمود نديم اسماعيل ٠

وقد صدر خلال الدورة الحالية الجزء الثـالث من فهرس مخطوطات المجمع ، الذي اعده العضـو العامل ميخائيـل عواد ، ونشـرت في مجلة المجمع قائمة بالمخطوطات والمصورات والرقيقات التي اضـيفت الى شـعبة المخطوطات ٠

ويبلغ عدد الرقيقات في شعبة المخطوطات ٧٣٧ رقيقـة ، اما مصورات المخطوطات فتبلغ ١٥٧٢ كتابا ، اضافة الى المجموعة التي اقتنيت ، والهدية التي قدمها ورثة المرحوم محمود نديم ٠

وفي شعبة مكتبة الهيئة السريانية حوالي سـتين مخطوطة بالسريانية والعربية ، وفي شعبة مكتبة الهيئة الكردية قرابة خمسمائة مخطوط ٠

العلاقات مع الجهات العلمية :

يقدر المجمع اهمية الاتصالات التعاونية مع العاملين على تحقيق الاهداف التي يسعى المجمع الى تحقيقها ، من مؤسسات وافراد ، وخاصة ممن تجمعنا بهم وشائج القربى ، والتاريخ المشترك ، والمصير الواحد ، من ابناء الامة العربية بمختلف اقطارها ، ويتحكم في تنمية اتصالاتنا روح التعاون في ميادين اللغة والثقافة ، وتتناسب قوة هذا التعاون مع مدى الاسهام الفكري فيها .

واول المؤسسات التي نحرص على ادامة العلاقة الوثيقة معها هي المجامع العلمية في اقطار الوطن العربي . وقد اتخذت الصلات معها سبلا متعددة ، منها ارسال مطبوعات المجمع الى مكتبات المجامع الاخرى ، والى المسؤولين في كل منها والى عدد من اعضائها ، والحرص على اعطاء الاسبقية في تلبية الطلبات المقدمة من هذه المجامع او اعضائها ، فيما يتعلق بالاستفسارات ، او تقديم المعلومات او المطبوعات ومصورات المخطوطات .

ويشارك عدد من اعضاء المجمع في اعمال بعض المجامع العربية باعتبارهم اعضاء عاملين او مؤازرين في تلك المجامع . وقد شارك ابان الدورة المجمعية الحالية اربعة من اعضاء المجمع العلمي العراقي في الاحتفال بالعيد الخمسيني للمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، وشارك عضو في اجتماعات اكاديمية المملكة المغربية ، وشارك عضوان مجمعيان في الاجتماع السنوي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في عمان ، ولبى الدكتور محمود الجليلي دعوة مجمع اللغة العربية في عمان لالقاء محاضرة عن تعريب العلوم الطبية .

وتابع المجمع توثيق علاقاته مع المنظمة العربية للتربية والعلوم والفنون ، فأعد دراسات عن استفسارات المنظمة حول المفاضلة في الاشكال التي ينبغي تعميمها في الارقام واسماء الشهور الشمسية .

وحضر الدكتور عبدالعزيز البسام عـددا من الاجتماعات التي عقدتها المنظمة •كما قام بتكليف من المنظمة بدراسة عن التعليم العالي في المملكة العربية السعودية •

وشارك الدكتور مسارع الراوي الـذي يجمع بـين عضوية المجمـع وواجباته في المنظمة ، باعمال واجتماعات وندوات متعددة للمنظمة ، تمت في داخل القطر وخارجه •

وعمل المجمع على تعزيز الصلة الوثيقة بمركز البحوث والدراسات العربية وقدم التيسيرات لعقد ندوة « التنمية والثقافة » التي نظمها المركز ، وتمت في بناية المجمع ، ومما يعزز الصلة بالمركز كون رئيسه من اعضاء المجمع •

وحرص المجمع على انماء الصلات الثقافية مع الجامعات الكثـيرة في مختلف اقطار الوطن العربي ، فظل يرسل اليها والى عدد من العلماء والمسؤولين فيها كافة مطبوعاته ، ويسـتجيب الى طلباتهم من المطبوعات او مصـورات المخطوطات وقد تسـلم بالمثل مطبوعات ورقيقات مما تصـدره كثـير من الجامعات ، مما اغنى مكتبة المجمع بالمنشورات الحديثة التي لم تكن لتتيسر له بغير هذا السبيل •

وامتدت صلات المجمع الى الجامعات والمؤسسات في البلاد الاسلامية الشقيقة ، وخاصة في تركيا والباكستان والهند ، وكذلك في عدد من الاقطار الغربية بما في ذلك اسبانيا وروسيا وفرنسا وانكلتره والمانيا ، فزود المؤسسات والعلماء البارزين بمطبوعاته ، وتزود بمنشورات عدد من هذه المؤسسات ، كما ظفر بمعونة عدد من الاساتذة حول الاستفسارات او الطلبات العلمية التي طلبها منهم •

واسهم المجمع في ندوة حول « اللغة والوعي القومي » التي نظمها مركز

دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع ومع مركز الدراسات والبحوث العربية ، وقدم التيسيرات لاعداد هذه الندوة واقامتها في بنايته ، وقدم اربعة من اعضاء المجمع في الندوة ابحاثا طبعت في الكتاب الذي صدر حاويا كافة تلك الابحاث .

وشارك عدد من اعضاء المجمع في ندوات علمية عقدت في عدد من الاقطار العربية والغربية مما تتصل ابحاثها في الميادين التي يعنى المجمع بدراستها وانمائها .

ولا ريب في ان صلة المجمع اوثق بالجامعات وبالمؤسسات القائمة في العراق ، ولم يكن مبعث هذه الصلات من العدد الكبير من اعضاء المجمع الذين يشغلون مناصب رئيسة في الجامعات والمؤسسات ويقومون باداء واجباتهم في تحقيق متطلباتها واغراضها ، وانما تمتد هذه الصلات الى ابعد من ذلك ، وتتجلى في العدد الكبير من الخبراء الذين اختار اغلبتهم من اعضائها .

وتمتد هذه الصلات الى ميادين الدراسات والابحاث العلمية التي توجه الثقافة وتنميها وتزيد في تقدم الامة وكفاءتها وخاصة في صمودها الرائع بوجه التحدي الباغي الذي تتعرض له .

ان هذه الصلات لا تقتصر على تزويد الجامعات والمؤسسات بالمطبوعات وانما تمتد الى ما يسهم به الاعضاء من نشاط في الندوات الثقافية والمؤتمرات العلمية والمنشورات الثقافية . ومما تجدر الاشارة اليه اسهام عدد من اعضاء المجمع بمتطلبات الدفاع الوطني من منتسبيه في الجبهة يقومون باخلاص وحماس في واجباتهم ، ويلقون الدعم المادي والمعنوي من المجمع ، وقد عوض عن الاثر الذي احدثته مشاركتهم ادراك بقية المنتسبين لاهمية العمل في اداء رسالة المجمع على الوجه الاكمل ، والتعاون المنسجم في سير العمل ، وتجاوز المعرقلات المادية التي قد تظهر بسبب الظروف الحاضرة .

الحسابات :

تبلغ المنحة التي قررت للمجمع العلمي للسنة المالية التي تبدأ من كانون الثاني ١٩٨٤ بحدود ثلاثمائة الف دينار وهي اقل من منح السنوات السابقة ، كما انها معرضة لتحديدات بموجب اوامر مستعجلة واجبة التنفيذ .

وهذا المقدار لا ييسر التوسع والتنمية الضرورية ، او اصلاح كثير من العيوب التي قد تظهر في بنايات واجهزة ابنية المجمع ، وخاصة في الاحوال القائمة التي ارتفعت فيها اسعار المواد وكلفة العمل ، غير انها تكفي لمواجهة النفقات الاساسية اللازمة . وتبذل جهود للحصول على اكبر الخدمات والمنافع ضمن المبالغ المحدودة في المنحة ومراعاة الانظمة المحددة لابواب واساليب الصرف . وتحرص رئاسة المجمع على ان لا يؤثر تقليص مقدار المنحة على متابعة وانماء الاعمال العلمية بما في ذلك انماء المكتبة بالمطبوعات والمخطوطات وتوفير ما ييسر ادامة المكائن والتجهيزات اللازمة للاستنساخ والطباعة ، والعمل على نشر المطبوعات .

تقوم مديرية الحسابات في المجمع باعمال الحسابات ، بما في ذلك صرف المبالغ المطلوبة ، واستلام الايرادات تبعا للانظمة المقررة ، ويبلغ عدد منتسبي هذا القسم حاليا ثلاثة موظفين ، وهم ينسقون بعض اعمالهم مع لجنة الشراء، وموظف الخدمات ومسؤولي المخزن .

تقوم شعبة الحسابات بالمعاملات الحسابية التي تشمل دفع المخصصات والرواتب والاجور لاعضاء المجمع وموظفيه وعماله ومستخدميه ، وكذلك الصرف على المشتريات والنفقات الاخرى ، وعلى استلام الواردات والمدخولات .

ويسهم قسم الحسابات في اعداد مسودة تقدير الميزانية ، وهو مسؤول عن اعداد السجلات وتنظيمها وحفظها وفق النظم المقررة .

ان تعدد بنايات المجمع وقدمها وتشعب ما يتطلبه تجهيز وادامة وصيانة

الاثاث والمكائن والادوات والتجهيزات يتطلب معالجات آنية وسريعة لعدد كبير من المشاكل التي تظهر يوميا او شهريا وتستنزف جهودا غير قليلة لان هذه الامور تؤثر في العمل في المجمع ، ومما يزيد في صعوبة معالجتها قلة توفر الايدي العاملة الفنية ، وارتفاع اسعار المواد ، وفقدان بعضها .

الادارة :

يتولى اعمال الادارة في المجمع مدير عام بالوكالة ، وثلاثة من المنتسبين، وتشمل اعمالها متابعة ما يتعلق بالمخابرات والذاتية والاشراف على سير اعمال الموظفين ودوامهم واجازاتهم ، واعداد معاملات الترفيع والزيادات السنوية ؛ وتنظيم عقود المستخدمين والعقود الاخرى التي يتطلبها عمل المجمع ، وتسهم الادارة في اعداد الاجابات عن بعض المخابرات وحفظ الاوراق وتوزيع البريد .

وقد تم خلال هذه الدورة تعيين موظف واحد ، ونقل مستخدم واحد ، واحالة موظف واحد لبلوغه سن التقاعد . وانهيت خدمات ثلاثة من العمال الموقتين. وتم تعيين خمسة من العمال الوقتيين. ويبلغ عدد موظفي المجمع حاليا خمسة واربعين منهم اربعة عشر من الاناث ، وعدد العمال سبعة وعشرون منهم ستة من الاناث . وعدد العمال بعقود اثنا عشر عاملا .

ويشارك في الخدمة العسكرية وفي الجيش الشعبي عشرون من الموظفين والعمال ، استشهد واحد منهم في الجبهة ، ووقع اثنان في الاسر . وقد تمت معالجة كثير من هذه القضايا بفضل التعاون المثمر النابع من الشعور بالمسؤولية تجاه المصلحة العامة ، خاصة وان اثنين من منتسبي المجمع المسؤولين عن الخدمات والتجهيزات ، وعن الصيانة الكهربائية ملتحقان بالجيش الشعبي . غير انه لايزال عدد من النقائص يتطلب العلاج ، بالاضافة الى ما يستجد مما يتطلب معالجات فورية وفعالة ، ضمن نطاق قيود الانظمة المالية المحددة . وقد

تم اصلاح تجهيز الماء بابدال الخزانات العتيقة البالية ، ويجرى اصلاح اجهزة مكيفات الهواء ، وصيانة المحولة وبقية الاجهزة .

يشرف على تنظيم استلام مطبوعات المجمع وتوزيعها للبيع والهدايا والتبادل ثلاثة من منتسبي المجمع ، وهم مسؤولون عن تدوير المعاملات وحفظ المخابرات والسجلات المتعلقة بذلك متبعين الانظمة والاصول المقررة .

تقوم شعبة شؤون الاعضاء ، وهي تتكون من ثلاثة ، بمتابعة المخابرات والمعاملات المتعلقة بالاتصال باعضاء المجمع وخبرائه ، ومتابعة الاعمال الورقية للجان ، بما في ذلك استلام المحاضر والمصطلحات وحفظها وتنظيمها ، وحفظ ما يتصل بلجنة المجلة ولجنة التأليف والترجمة والنشر من مقالات وابحاث .

تتكون شعبة الطابعة والاستنساخ من ثمانية منتسبين ، تقوم اثنتان بالعمل في المطبعة ، ويقوم الباقون بطبع الرسائل والاوامر والدعوات ومحاضر جلسات المجلس وديوان الرئاسة واللجان ، وكذلك المصطلحات التي تعدها اللجان المختصة وبعض التقارير والاعمال العلمية التي يكتبها الاعضاء للمجمع، وتقوم ايضا بطبع بطاقات فهارس كتب المكتبة . ويتصل بعملها استنساخ ما يتطلب توزيع عدد كبير منه من المكاتبات والتقارير .

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي
١٩٨٤/٦/٦

إصلاح واستدراك

ص / س	إقرأ
٧/١٨	٤٩/١٢
٧/٢٢ و ١١	الدّهْلَوِيّ
٣/٢٢	١١٤٣–١١٤٥ هـ
٢٣ •••	موضع هذا الفاصل في ص ٢٤ بعد السطر الثاني
٥/٢٣	الحَسَنيّ
٨/٢٣	النْجَنيِيّ
١٢/٥٢	وتهذيب تاريخ ابن عساكر
٩/٨١	١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

يزاد في (ص ٢٣/س ٢٩) بعد ٢٤٧ هـ :

والظاهر أن (ابن الكلبي) المقصود في خبر الأغاني هو ابنه : العباس ابن هشام بن محمد الكلبي ، والولد على سر أبيه • وهو قد روى عن أبيه على ما جاء في ترجمة أبيه في وفيات الأعيان (١٩٥/٢ ط ، الميمنية بمصر) ، وجاء ذكره في أنساب الأشراف للبلاذري (٦٢/٤ و ٧٢٦) ، كما نقل عنه في التعليقات على كتاب جمهرة النسب لهشام الكلبي (ص ١٨٤ و ٣٣٨) الذي طبعته دولة الكويت في سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣ •

محمد بهجة الأثري



الفهرس



مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

★ ★ ★

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

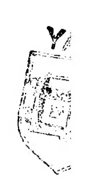
(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٤

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٤



JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 35

Part (2)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1984